



في رحاب العظمة

(تأملات إيمانية في أسماء الله الحسنى وصفاته العلى)

كتبه /

عادل بن عبدالعزيز بن أحمد الجهني

الطبعة الثانية

١٤٤٦ هـ / ٢٠٢٤ م

ح

عادل عبد العزيز أحمد الجهني، ١٤٤٤هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الجهني، عادل عبد العزيز أحمد

في رحاب العظمة

(تأملات إيمانية في أسماء الله الحسنى وصفاته العلى)

عادل عبد العزيز أحمد الجهني، الرياض، ١٤٤٤ هـ

ط١، ص ٤٧٧: ١٧ × ٢٤ سم

ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٠٤-٢٦٩٩-٧

١- الأسماء والصفات أ. العنوان

١٤٤٤/٣٢٠١

ديوي ٢٤١

رقم الإيداع: ١٤٤٤/٣٢٠١

ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٠٤-٢٦٩٩-٧

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الثانية

١٤٤٦ هـ - ٢٠٢٤ م



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الحمد لله الملك العلام، الكريم الوهاب، ذي الفضل والطول والإحسان، له الأسماء الحسنى والصفات العلى التي ليس لها نظير أو شبيه أو مثال، أحمده وهو أهل للحمد، لا يُحصي أحدٌ ثناءً عليه، جاد على خاصة عباده بأشرف العلوم، وهو: العلمُ به.

فدلّهم لخير معلوم، وأشرف مطلوب، وأعزّ مبدول، فتبين لهم السبيل، ووضح لهم الطريق، فاستنارت قلوبهم بمعرفته، وخضعت جوارحهم لطاعته، واستكانت قلوبهم من خشيته، ولهجت ألسنتهم بذكره وشكره، ففازوا بالحياة الطيبة ودخلوا جنّة الدنيا قبل جنّة الآخرة.

والصلاة والسلام على أعلم الخلق بربه، وأخشاهم لمولاه، وأعظمهم حباً لخالقه، مَنْ قام بعبادته خير قيام، وأكمل مراتب العبودية للرحمن.

أما بعدُ

فإنَّ العلمَ بالله أشرفُ العلوم، وأعلاها قدراً، وأسماءها منزلة، وأرفعها مرتبة لأنه متعلق بالله عزَّجَلَّ.

والعلم إنما يشرفُ بشرف المعلوم - ولا أشرف من العلم بالله - قال ابنُ العربي رَحِمَهُ اللهُ: (شرفُ العلم بشرف المعلوم، والباري أشرف المعلومات، والعلْمُ بأسمائه أشرف العلوم)^(١).

وقال ابنُ رجبٍ رَحِمَهُ اللهُ: (والعلمُ النافع: هو ما عرفَّ العبد بربه، ودلَّه عليه حتى عرفه، ووحدَه وأنس به، واستحى من قربهِ، وعبده كأنه يراه)^(٢).

(١) أحكام القرآن [٢ / ٨٠٤]

(٢) فضل علم السلف على الخلف [ص ٦٧]

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: (أطيب ما في الدنيا معرفته سبحانه ومحبته، وألذ ما في الجنة رؤيته ومشاهدته) (١).

وعِلْمُ الأَسْمَاءِ والصفات أقرب الطرق للعلم بالله، فهو يعرف العبد بربه، ويُبَصِّرُهُ بعظيم حقه، ويدلُّهُ على صفاته التي تفرَّد بها، فيؤمن بربِّ عظيم، له الجمال والجلال، منعوتاً بنعوت بالكمال، مستحقاً للعبادة دون سواه.

وهذه المعرفة من أعظم ما يُنمِّي الإيمانَ في القلب، ويزيد اليقين في النفس، ويعزز الثبات على طريق الحق.

ومن عرف حال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وهو أعلم الخلق بربه - وكيف كان يجد اللذة في مناجاته، ويملاً التعظيم قلبه، وتسكن الخشية جوارحه، وذلك من أثر معرفته بربه والعلم به، أدرك عندها فضل هذه المعرفة، وأثر هذا العلم على العبادة والسلوك، فسعى جهده، وبذل وسعه للزيادة منه، فالحاجة للعلم بالله ماسّة، والاضطرار إليه كبير، قال

(١) الجواب الكافي [١٦٨/١]

الشيخ عبدالله الغنيمان - حفظه الله - : (أعظم ما يحتاجه العبادُ وأشرفه هو: معرفتهم ربهم بأسمائه وصفاته، وما يجب له ويستحقه، ويُحمد ويُمجّد به، ويُثنى به عليه؛ لأنّ هذا من أفضل العبادات التي أوجبها الله عليهم)^(١).

فهو أولى العلوم بالرعاية، وأجدرها بصرف الجهد والعناية، ويحتاجه الناس - خصوصاً في هذه الأزمنة - التي طغت فيها الماديات، وأصبح الهمّ الأغلب للدنيا وملاذها. ولما ضعف العلم بالله وأسمائه وصفاته ضعف تعظيمه في النفوس، وتجراً الخلق على المعصية والمخالفة، وزادت ظنون السوء به، فتبعت الجهل بالله وخيمة على صاحبها، فما عصى الله من عصي، ولا ضلّ من ضل عن السبيل، ولا قصّر في حقه من قصّر إلا حين جهل عظمت ربه، وضعفت بصيرته عن تدبّر معاني أسمائه وصفاته.

ولما أهمل السائرون إلى ربهم هذا العلم - أيضاً -

(١) [شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري: ١/٥].

لم يجدوا لذة الأنس به، وفاتهم ذوق طعم وحلاوة الإيمان الناتج عن هذه المعرفة، فإن لهذا العلم ثمرات على صاحبها لا حصر لها، فمن أعظمها:

معرفة حق الله وقدره، والسعي في طلب مرضاته، والحرص على طاعته، فكلما كان العبد أعرف بربه كان أعظم عبوديةً له، وأخلص له في العبادة، وأبعد عن الشرك، وأكثر تعظيماً لأوامره، يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: (ليست حاجة الأرواح قطُّ إلى شيء أعظم منها إلى معرفة بارئها وفاطرها، ومحبته، وذكره، والابتهاج به، وطلب الوسيلة إليه، والزلفى عنده، ولا سبيل إلى هذا إلا بمعرفة أوصافه وأسمائه، فكلما كان العبد بها أعلم كان بالله أعرف، وله أطلب، وإليه أقرب، وكلما كان لها أنكر كان بالله أجهل، وإليه أكره، ومنه أبعد، والله تعالى يُنزل العبد من نفسه حيث يُنزل العبد من نفسه)^(١).

(١) [الكافية الشافية: ١/١٦-١٧].

ومن ثمرات هذا العلم: **أنه يورث صاحبه عبادات**
قلبية نفعها كبير للنفوس، فيورثه الخشية منه، والإنابة
إليه، والاحبات والخشوع له، ويسكن الحياء قلبه، وتملأ
السكينة نفسه، فيصير عبداً منيباً مطيعاً.

ويورثه: **عبادة التوكل، وتعلق القلب بالله، وحسن الظن**
به، ليقينه أن ربه ربٌّ قادرٌ على دفع كل ضرر، وهو الذي يجلبُ
النفع، فلا يلتفت بقلبه لمخلوق، ولا يميل بفؤاده لغيره.

ومن ثمرات هذا العلم: **ذهاب الهموم، وزوال الغموم**،
ليقينه بأن ربه سيُفَرِّج همّه، ويكشف كربّه، ويعوّضه عمّا
فاته خيراً.

ومن ثمرات هذا العلم: **أنه يورث صاحبه حبّ الله**
-والذي هو أعظم الهبات- قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: **(وكل**
من عرف الله أحبه، وأخلص له العبادة له ولا بد، ولم يُؤثر
عليه شيئاً من المحبوبات)^(١).

(١) [إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان: ١/٦٨].

فتقوى محبة الله في القلب، ويزيد الشوق إلى لقائه،
والرغبة برؤيته ممّا يجعل القلب يتعلّق به وبالدار الآخرة،
ويحمله هذا التعلّق على الزهد في الدنيا، وعدم الاكتراث
بها.

ومن ثمرات هذا العلم: **أنّ في موافقة الله في صفة من
صفاته سبيل للدخول على الله من هذه الصفة،** فإذا رأيتَ
سعة رحمة الله اجتهدتَ أن تكون رحيماً لتوافق ربك في
هذه الصفة، وتنال ثوابها وثمراتها، وإذا رأيتَ سعة علم
الله اجتهدتَ في تحصيل علم الشريعة الذي تدخل على
الله منه، فتفوز برحمته وقربه والدنوِّ منه، وإذا عرفتَ أنّ الله
رفيقٌ حرصتَ أن تكون رفيقاً في حياتك، هيّناً في تعاملك
مع الخلق، سهلاً في أمورك كلها لتنال بركات هذا الرفق،
وهكذا في كل صفة من صفاته، يقول ابن القيم رَحْمَةُ اللَّهِ: **(من
وافق الله في صفة من صفاته قاده تلك الصفة إليه بزمامه،
وأدخلته على ربه، وأدنته منه، وقربته من رحمته، وصيرته**

محبوباً، فإنه سبحانه رحيمٌ يحبُّ الرُحَمَاءَ، كريمٌ يحبُّ الكرماءَ، عليمٌ يحبُّ العلماءَ، قويٌّ يحبُّ المؤمنَ القويَّ، وهو أحبُّ إليه من المؤمنِ الضعيفِ، حيٌّ يحبُّ أهلَ الحياءِ، جميلٌ يحبُّ أهلَ الجمالِ^(١).

ومن ثمرات معرفة الله: **الفرحُ به، وإيثاره على غيره** فهو قد عرف رباً كاملاً الصفات، رحيماً رحمته وسعت كل شيء، جَميلاً كامل الجمال، وهاباً هباته لا حصر لها، رزاقاً قد كفى العبدَ رزقه، لطيفاً قد أحاط لطفه بحياته كلها، حليماً قد ستر ذنوبه، عَفْواً قد أسدل عليه عفوه، شكوراً يُضاعف له حسناته، كريماً به كريماً لا حدَّ له.

ومن ثمرات معرفة الله: **السلامة من سوء الظنِّ بالله** - وحاجتنا لهذا الأمر ماسّةٌ جدّاً - فمن عرف الله بكمال الأسماء والصفات أدرك بعض أسرار هذه الأسماء، والحِكم من أفضيته كما سيأتي في ثنايا الحديث عن أسمائه، يقول

(١) [الجواب الكافي: ١ / ٤٤].

ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: (وأكثر الناس يظنون بالله ظنَّ السوء فيما يختص بهم، وفيما يفعله بغيرهم، ولا يسلم من ذلك إلا من عرف الله وأسماءه وصفاته، وموجب حكمته وحمده)^(١).
وثمرات المعرفة بالله لا يحصرها أحد.

ولم يكن مقصودي من الكتابة في هذا الباب الجانب العلمي لإثبات الاسماء والصفات وأدلتها، فقد كفانا هذا أئمة أهل الشأن - جزاهم الله عنا خير الجزاء -، وإنما قصدتُ تفيء ظلال المعاني الإيمانية النفيسة لهذه الأسماء والصفات، والتي - أحسبُ - أننا بحاجة ماسة إليها.

فمعرفة معاني أسماء الله الحسنی وصفاته وما تضمنته من لوازم لها أثرها في زيادة العلم به ما سيثمر محبته، والإكثار من طاعته، والحرص على مرضاته، وهو أعظم ما ينفع النفوس في سيرها إلى الله، بل إن معرفة معاني الأسماء والصفات وآثارها سيكون كبيراً حتى لغير أهل الإسلام إذا

(١) [زاد المعاد/ ٣/ ٢٠٦].

بلغتهم بصورة صحيحة، لأنهم سيعرفون الله حق المعرفة،
ويُذعنون لشرعه، ويوقنون بتفردّه بالكمال الذي لا يُقاربه
كمال، وعظمته التي لا تدانيها عظمة، ممّا يوجب الاعتراف
باستحقاقه للتوحيد وإفراده بالعبادة، وتنزيهه عن كلّ نقص.

وأسماء الله ليست جامدة، بل كل اسم يدل على معنى
عظيم (فاسم الرحمن يدل على صفة الرحمة، والقادر يدل
على صفة القدرة، والعليم يدل على صفة العلم، وهكذا
الحي يدل على صفة الحياة، والقيوم يدل على صفة
القيومية؛ لأن أسماء الله تعالى مشتقة ليست جامدة مشتملة
على المعاني...) (١).

❁ وقد سلكتُ في كتابتي أموراً، منها:

– أنني ذكرتُ الأسماء الحسنَى بأدلتها من الكتاب
والسُنّة، وأثبتُ ما أثبتّه أهل التحقيق من الأسماء،
وقد بلغ عددها مائة وثلاث عشر اسماً.

(١) [كتاب شرح الطحاوية للشيخ عبدالعزيز الراجحي: ١/٢٨].

– **مما هو معلوم أنّ أسماء الله متنوّعة المعاني والدلالات،**

فمنها ما يدل على تمجيد الله وإجلاله وظهور عظّمته وقوته، ومنها ما يدل على إحسانه وجماله، ومنها ما يدل على سعة علمه وكمال خبرته، ومنها ما يدل على عظيم قدرته ونفاذ مشيئته، ومنها ما يورث الخشية منه ومراقبته، ومنها ما فيه الرقة واللفظ، فمزجُ بين أسماء العظمة والإجلال والرحمة والرجاء في الترتيب ليكون القارئ راغباً راهباً، فيكون في طريقة معرفته لربه جامعاً بين الخوف والرجاء، ويجمع بين هذه المقامات في تعبده وسيره لربه.

– **أنني أثرتُ تكرير المعاني في بعض الأسماء حسب مقتضى ذلك الاسم بزيادة ما تيسر من آثاره، مُتّبِعاً بذلك طريقة القرآن الكريم الذي كرّر الأمور العظيمة لحاجة القلوب لها.**

– **أعدت التذكير والتأكيد على قضية التوحيد، واستحقاق أفراد الله به، فهو المقصد الأعظم من هذا**

العلم، فمن عرف الله حق المعرفة أيقن بأحقية إفراده بالعبادة، وابتعد كل البعد عن الشرك بجميع صورته وأشكاله.

- **رَكَزَتْ عَلَى قَضِيَّةِ تَعْزِيزِ عِظْمَةِ اللَّهِ مَعَ كُلِّ اسْمٍ مِنْ أَسْمَائِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فَإِنَّ أَكْبَرَ مَصِيبَةٍ حَلَّتْ بِأَفْرَادِ الْأُمَّةِ عَدَمَ مَعْرِفَتِهِمْ لِرَبِّهِمُ الْمَعْرِفَةَ الْحَقَّةَ - فَتَجَرَّاتِ النُّفُوسِ عَلَى مَعْصِيَتِهِ، وَتَخَلَّفَتْ عَنِ طَاعَتِهِ، وَاسْتَهَانَتْ بِحَرَمَاتِهِ - فَأَرَدَتْ مِنْ وَرَاءِ هَذِهِ الْكِتَابَةِ تَعْظِيمَ اللَّهِ تَعَالَى فِي النُّفُوسِ حَقَّ التَّعْظِيمِ، وَحَمَلَهَا عَلَى طَاعَتِهِ، وَالِابْتِعَادِ عَنِ أَسَابِ سَخَطِهِ، وَتَعْزِيزِ مَحَبَّتِهِ فِي الْقَلْبِ.**

- **اجْتَهَدَتْ أَنْ أَكْتُبَهُ بِأَسْلُوبِ إِيْمَانِي يُوقِظُ جَذْوَةَ الْإِيْمَانِ فِي الْقَلْبِ لِأَنَّ هَذَا مِنْ أَعْظَمِ مَقَاصِدِ هَذَا الْعِلْمِ.**

- **سَعَيْتُ لِتَسْهِيلِ وَتَقْرِيْبِ الْمَعْنَى لِيَكُونَ سَهْلًا لِعَامَّةِ النَّاسِ، فَيَقْرَأَهُ الْأَبُّ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ، وَالْمَعْلَمُ عَلَى**

طلابه، وينتفع به الخطيب في خطبه، وإمام المسجد في قراءته على جماعة مسجده.

والله أسأل أن يُبارك فيه ويجعله خالصاً لوجهه، نافعا لعباده، ذخرا لي يوم ألقاه، وأن يجعل له القبول والنفع والأثر، وأن يسخر له من ينشره ويترجمه.

وإنّي لعاجز أشدّ العجز عن شكر ربي لتوفيقه لي بأن أكتب عنه، وأعترف أنّي إنّما كتبتُ على سبيل التقريب لا غير، وسطرته وأنا في غاية الحياء من الله سبحانه وتعالى فأنّي لعبد ضعيف مثلي أن يُكتب عن الله الملك العظيم، ولكنها رغبة كانت ساكنة في قلبي منذ سنوات حتى يسرّ الله إخراجها، فهو محض فضله فقط، ومنه التوفيق والعون والسداد.

وأشكر كلّ من راجع وصوّب الكتاب ولا أملك لهم إلا الدعاء، واسأل الله - وهو الكريم الجواد المعطي - أن يجعله صدقةً جارية لي ولوالدي ولأهل بيتي وذريتي ومن دعا له، ونشره وأعان على إخراجِه.

والله المستعان وعليه التكلان، ولا حول ولا قوة إلا به،
وله الحمد أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً لا نُحصى ثناءً عليه
بل هو كما أثنى على نفسه، وهو أهل الثناء والمجد.
اللهم هذا الجهد وعليك التكلان، وهذا ما سمح به
البيان وأنت المبارك والمستعان.

كتبه الفقير إلى عفوريه /

عادل بن عبدالعزيز بن أحمد الجهني

addeel333@gmail.com

+966504392260



﴿ (١) الله ﴾

(الله) أعظمُ الأسماء وأجملها، وأعلاها قدراً، وأشرفها مكانة، وأكثرها معنى، وأوسعها دلالة، وأجلها صفة؛ ولجلالة هذا الاسم جاء ذكره في كتاب الله (٢٧٤٢) اثنين وأربعين وسبعمئة وألفين مرة كأكثر الأسماء ذكراً في أشرف الكتب.

- و**(الله)** هو: **(الإله)** الجامع لجميع صفات الألوهية التي تدل على استحقاقه للعبادة، فله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** الكمال من صفات الجلال والعظمة والجمال، وله الكمال من صفات الرحمة والبر والقوة والعزة والعلم والحكمة والحياة والكرم والمغفرة والعفو والجود ونحوها من صفات الكمال.

- و**(الله)** هو: **(المألوه)** أي: المعبود الذي تأله القلوب محبةً وتعظيماً ورغبةً ورهبةً لكثرة إحسانه وفضله على العباد.

قال ابن القيم رَحْمَةُ اللَّهِ: (فإنَّ الإله هو الذي يأله العبادُ ذُلًّا وخوفًا ورجاءً، وتعظيمًا وطاعةً له) (١).

قال ابن سعدي رَحْمَةُ اللَّهِ: (فيؤله ويُعبد لأنَّ له أوصاف العظمة والكبرياء، ويؤله لأنَّه المتفرّد بالقيومية والربوبية والملك والسلطان، ويؤله لأنَّه المتفرّد بالرحمة وإيصال النعم الظاهرة والباطنة إلى جميع خلقه، ويؤله لأنَّه المحيط بكل شيءٍ علمًا وحُكمًا وحكمةً وإحسانًا ورحمةً وقدرةً وعِزًّا وقهراً، ويؤله لأنَّه المتفرّد بالغنى المطلق التام من جميع الوجوه) (٢).

واسم (الله): علمٌ على الذات الإلهية الكريمة المقدسة، فلا يُسمى أحدٌ بهذا الاسم غيره، وهو الاسم الجامع لجميع معاني أسماء الله الحسنى، وإليه ترجع:

(١) [مدارج السالكين: ٣/ ٢٥٢].

(٢) [فَتْحُ الرَّحِيمِ الْمَلِكِ الْعَلَامِ فِي عِلْمِ الْعَقَائِدِ وَالتَّوْحِيدِ وَالْأَخْلَاقِ وَالْأَحْكَامِ الْمُسْتَنْبَطَةِ مِنَ الْقُرْآنِ: ٢٠].

فالله هو الرحيمُ الرحمن .
والله هو الكريمُ المنان .
والله هو الكبيرُ المتعال .
والله هو القويُّ المتين .
والله هو السميعُ البصير .
والله هو العليمُ الحكيم .
والله هو الجوادُ الكريم .
والله هو الودودُ الحلِيم .
والله هو اللطيفُ الخبير .
والله هو العليُّ العظيم .
والله هو القريبُ المجيب ...

له الأسماء الحسنی، والصفات العلی، فكل اسم حسن فهو لله (وهو في غاية الحُسن، وسعة المعنى) وكل صفة حسنی فهي لله (وهي في غاية الحسن، وكمال المعنى).

أحاط بخلقه علماً وقدرةً ورحمةً ورزقاً ومُلْكاً وسمعاً
وبصراً، ولا يحيطون به علماً.

عظيمٌ في ذاته، جليلٌ في صفاته فكيف تتعلق القلوبُ
بسواه؟!

له الكمال المطلق فلقد عجز البشر أن يُحيطوا بعشر
معشار صفة من صفاته، فكيف يحيطون بها مجتمعة؟! هذا
ممتنع عقلاً وشرعاً.

ولو تأمل العبدُ في فضل ربه عليه ساعة لا يقن بكمال
رحمته به، فكيف ونعمه عليه بعدد أنفاسه، ولا تنقطع عنه
لحظة طِوال حياته، فحمده نعمة تستوجب الحمد، وشُكره
منّة تحتاج إلى شكر.

ولو اجتمعت أقلام البلغاء، وفصاحة الخطباء، وشعر
الشعراء، وبيان الأدباء، وجُعلت لهم الأشجار أقلاماً،
والبحر حبراً ومداداً، واستفرغ العلماء وسعهم في الحديث

عنه منذ أن خلقت الخليقة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها للثناء عليه، ومدحه بما هو أهله، لتكسرت أقلامهم، ونفذ حبرهم، وفني بيانهم، وانتهت مفردات كلامهم، ولم يستطيعوا أن يوفوا حق صفة واحدة من صفاته جلّ وعلا فكيف وأسمائه لا عدد لها، وصفاته لا منتهى لعظمتها، فسبحان ربنا الإله العظيم، ولا إله غيره وهو الربُّ الكريم.

أنعم فأغدق، وخلق فأكفى، ورزق فأوفى، وأبصر فأحاط، ولطف فرحم، وقدر فعفا، وعلا فقهر.

تقدّست أسماؤه، وعظمت صفاته، فتنزّه عن المثل والشبيه والنظير، فسبحانه من إله حكيم خبير.

الله هو: المعبودُ حقاً، والمرجُو صدقاً، والملجأُ اضطراراً، والمُعظَّمُ رغباً ورهباً.

الله هو: الذي يثق المؤمنُ بعبائه، ويطمئن العابدُ لوعده، ويستأنس الذاكرُ بذكره، ويستبشر الداعي عند دعائه.

الله هو: الذي تسأله الخليفة حوائجها، وتضطر له القلوب، وتدعوه الألسنة، وينتظر فرجه كل مهموم ومغموم، وتتوجه إليه النفوس بمطالبها.

الله هو: السميع الذي لا تُشغله مسألة عن غيرها، ولا تغلظه مع كثرتها، يُحب المَلحّين، ويفرح بالتائبين، ووسع فضله العالمين.

الله هو: الاسم الأعظم لربك، فإذا توجهت له وقلت: يا الله، تذكّر سعة فضله وعطائه، واتساع كرمه، وتعدد نواله؛ ولا تنظر لمطالب تأخرت عنك لحكمةٍ أو لسببٍ تعلق بك أو بتقصيرك ولكن انظر لعطائه لك بلا سؤال، وفضله عليك بلا دعاء.

هداك من الضلالة فأصبحت مسلماً، وزادك فضلاً فصرت من أهل سنة نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأتباع خيار الأمة من سلفها.

حَبَّ إِلَيْكَ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قَلْبِكَ، وَكَرَّهُ إِلَيْكَ الْكُفْرَ
وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ وَجَعَلَكَ مِنَ الرَّاشِدِينَ.

تَذَكَّرَ نِعْمَهُ عَلَيْكَ فِي بَدَنِكَ وَصَحَّتِكَ وَعَافِيَتِكَ الَّتِي لَوْ
أَصَابَهَا ضَعْفٌ أَوْ غَشِيهَا مَرَضٌ بَتَّ شَاكِيًّا وَقَدْ نَسِيَتْ أَوْ
تَنَاسَيْتَ عَافِيَتَهُ لَكَ عَلَى الدَّوَامِ.

الله هو: الذي سترنا وقد عصينا، وعفا عنا وقد تعدينا،
وركبنا المعاصي ولم تزل نعمه سابعة علينا.

الله هو: الذي علّمك من الجهالة، فبصرك مصالحك،
وألهمك رشداً، وأغاثك بفضله وإحسانه.

الله هو: الذي أغناك بعد الفقر، وكفاك حاجتك، وحفظ
وجهك من الذلة لغيره.

أَعْظَمُ آيَةٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ صُدِّرَتْ بِالْتَعْرِيفِ بِهِ، قَالَ اللَّهُ
سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٦] فهو
الاسم الأعظم له عند جمع كبير من أهل العلم الذي إذا
سئل به أعطى، وإذا دُعي به أجاب .

الله: خالق كل شيء، ومالك كل شيء، وقادر على كل شيء، له الحمد في الأولى والآخرة وهو الحكيم الخبير.

الله هو: الرازق الكريم، والواسع العليم، فلا قابض لما بسط، ولا باسط لما قبض، ولا مُعطي لما منع، ولا مانع لما أعطى، بسط على عباده من بركات رزقه وفضله ما كفاهم حوائجهم، واستقرت به حياتهم.

الله: نور السماوات والأرض، فنور الكون من نوره، وبنور وجهه أشرقت السماوات والأرض، وأضاء الكون، وصلاح أمر الدنيا والآخرة.

نور قلوب أوليائه بالإيمان، وأضاء بصيرتهم بالعلم والفرقان، وعلمهم من الجهالة، وبصرهم من العمى، فهو عالم الغيب والشهادة وهو العزيز الحكيم.

الله: هو الشكور الحليم الذي لا يضيع عمل عامل بل يضاعف الحسنة ويعفو عن السيئة كرمًا منه وفضلًا.

وهو بكل شيء عليم، أحاط بخلقه فلا يغيب عنه شيء^{٢٦} في الأرض ولا في السماء، من غاب عن أعين الناس أو كان بينهم، ومن كان منهم مستخف بالليل أو سارب بالنهار، فهم في علمه سواء.

يعلم مثاقيل الجبال، وعدد قطر الأمطار، وما تعاقب عليه الليل والنهار، يعلم ما كان، وما سيكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون.

ويعلم الموجودات والغائبات، والنوايا والخفيات، والممكنات والمستحيلات، والسرّ وما هو أخفى منه ممّا لم يخطر على بال، فسبحانه العليم الحكيم.

ربّ قدير فلا يُعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، ظهرت قوته في خلق السماوات والأرض فخلقهما على غير مثال سابق، وظهر إبداعه في سائر خلقه، فلا ينظر متأمل في خلق الله إلا ويتمتع تسبيحاً وتنزيهاً وتعظيماً له.

وهو بكل شيء بصير، وبكل شيء محيط، وهو اللطيف
الخبير.

يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، وهو العزيز
الحكيم، عزّ فحكم، وقضى فعدل.

شديد العقاب حذر العباد نفسه -رحمة بهم- لئلا
يتعرضوا لعذابه، ويبيّن أنه إليه المصير.

سريع الحساب فلكماله يحكم بين عبادته في يوم واحد
مع كثرة أعدادهم وتنوع أعمالهم في إحاطة يعجز العقل عن
إدراك عظمتها، وظهور لقوته وقدرته مع تمام عدله وسعة
فضله.

وهو الغفور الرحيم فلا يُعجزه ذنب أن يغفره، ولا خطيئة
أن يمحوها، ومع كثرة ذنوب العباد، فمغفرته وسعتهم
جميعاً.

أحبّ المؤمنين والمتقين والصابرين والمحسنين
والقانتين، ورغب في أعمالهم الصالحة ليمثلها العباد
 ويفوزون بهذا الفضل المبين.

فهذه بعض معاني هذا الاسم الشريف، وكل ما سطر في
التعريف به من أيّ كاتب فإنما هو للتقريب، وإلا فالله أعظم
من ذلك بكثير.

ومن عرف ربه حق المعرفة فرح وسرّ بهذا الفضل الذي
اختصه ربه به دون كثيراً من الخلائق، فالنفس أحوج ما
تكون إلى معرفة خالقها ومعبودها، فلا سعادة ولا نعيم لها
إلا بمعرفته، ولا أنس إلا بمحبته ولذيذ مناجاته،
فاللهم ارزقنا هذه المعرفة، وأنس قلوبنا بك وبمحبتك.



﴿ (٢) الرب ﴾

من أسماء الله - جلّ وعزّ - : (الرب)

وقد ورد في القرآن الكريم تسعمائة مرة، وعامة ما جاء

ذكره مضافاً مثل: (رب العالمين) و(رب العرش العظيم)

و(رب السموات والأرض) ونحو ذلك

والربُّ هو: (السيّد الذي لا شبيه له، ولا مثل له في

سؤدده، والمصلحُ أمر خلقه بما أسبغ عليهم من نعمه،

والمالكُ الذي له الخلق والأمر)^(١).

قال ابن الأثير: (يُطلق (الربّ) في اللغة على المالك

والسيّد والمُدبّر والمُرَبّي والمُنعم..)^(٢). والله له الكمال من

هذه الأوصاف.

(١) [تفسير الطبري: ٤٨ / ١].

(٢) [النهاية لابن الأثير: ١٧٩ / ٢].

مدح نفسه بأنه رب العالمين، وأنه رب السموات والأرضين ورب العرش العظيم، وأثنى على ذاته العلية بأنه رب كل شيء ومليكه، ومجد نفسه بأنه رب المشارق والمغارب، وأنه رب الأولين والآخرين.

وهذه الربوبية اعترف بها جميع الخلق إلا ما حصل من المكابرين الجاحدين الذين أنكروها مكابرةً مع أنهم مقرون بها في داخلهم، قال الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَحَدِّثُوا بِهَا وَأَسْتَفِنتَهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ [النمل: ١٤]

والله هو: الرب الخالق الرازق المنعم المتفضل على العباد، المتصف بصفات الكمال، المستحق للعبادة، ولذا كان أول أمر في كتاب الله هو: **الأمر بعبادته وحده**، قال الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١] ثم ذكر براهين استحقاقه لهذه العبادة بقوله:

﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢]

وطوائف العالم كلهم يؤمنون بربوبية الله ولكن كثيراً منهم قد ضل ووقع في شرك الألوهية بصرف العبادة لغيره فصاروا من الكافرين، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تُنْقِنُونَ﴾ [يونس: ٣١]

أما أهل الإيمان والتوحيد فقد اهدوا بهداية ربهم وتوفيقه لهم، فهم على بصيرة من أمرهم، ويقين من إيمانهم، ورسوخ في عقيدتهم ذلك أنهم: ﴿عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: ٥]

- تعرّف سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لعباده بهذا الاسم العظيم، وبين صفاته في آيات كثيرة من كتابه المبين، فقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثُهَا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤]

فهو **الرَّبُّ الخالق المتصرف في كونه** بمقتضى علمه وحكمته، فيمدُّ عباده بالعطايا، ويدفع عنهم البلايا، ويرعاهم بما ينفعهم طبقاً فوق طبق، قال ابن القيم رَحْمَةُ اللَّهِ: (ربوبيته للعالم تتضمن تصرفه فيه، وتدبيره له، ونفاذ أمره كل وقت فيه، وكونه معه كل ساعة في شأن، يخلق ويرزق؛ ويميت ويحيي، ويخفض ويرفع؛ ويعطي ويمنع؛ ويعز ويذل، ويصرف الأمور بمشيئته وإرادته) (١).

- وهو **الرَّبُّ المنعم على العباد**، الذي أغدق عليهم نِعْمًا ظاهرةً وباطنةً في خاصّة أنفسهم، وفي ذرياتهم، وفي حياتهم كلها، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوْرَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيْبَاتِ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [غافر: ٦٤]

- وربوبيته ربوبية قهر وسلطان، فله الغلبة الشاملة،

(١) [الصواعق المرسلّة: ٤/١٢٢٣].

والقوة الكاملة، فلا يفوته أحد، ولا يتخلف عن أمره مخلوق، فهو: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّورُ﴾ [ص: ٦٦]

عز في ربوبيته فلا يُغلب، وتم في قوته فلا يُهزم، ومع عزته وغلبته وقوته ونفاذ سلطانه إلا أنه لطيف بالعباد يعفو عنهم، ولا يعاجل مُسيئهم بالعقوبة لأنه رحيم رحمن، فهو: ﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ﴾ [النبا: ٣٧]

- ومن مقتضيات ربوبيته: أنه لا يكون في ملكه إلا ما شاء وأراد، ذلك أنه - سبحانه - ربُّ هذا الكون ومالكة: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٩]

- ومن مقتضيات ربوبيته: قدرته على كفالة رزق عباده، وعفوه عن تقصيرهم في شكره، كما وصف حاله مع أهل سبأ: ﴿كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبُّ غَفُورٌ﴾ [سبأ: ١٥]

أحاطت بركة ربوبيته بالخلق، فيسبغ عليهم رزقه،
ويطيب لهم حياتهم، ويسر لهم أمورهم، ويبارك لهم في
معيشتهم ف: ﴿... تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف: ٥٤]

وبركته لا منتهى لها ولا انقضاء، انظر كيف بارك الأرض
فأصبحت مصدراً لأرزاق العباد، وانظر كيف بارك السماء
فأنزل منها ماءً مباركاً سائغاً للشاربين، وجعله مصدراً
لحياة الإنس والحيوان والزرورع والثمار، وانظر لبركة ربوبية
على من اصطفاه من خلقه وكيف بارك فيهم وفي آثارهم.
- وهو **الربُّ**: الذي يلجأ إليه العباد في حوائجهم،
ويضطرون إليه في ملماتهم، ويظهرون إليه الفقر في
كل شؤونهم، فلا يستغنون عن فضله وإحسانه طرفة
عين.

وإذا تأملت دعوات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام
وجدتها قد صُدرت بهذا الاسم الكريم **(ربنا)** وهم أعرف
الخلق به، فلعلمهم بشرف هذا الاسم، وليقينهم بدلالته

على المعاني الواسعة لزموه في دعواتهم، فهذا آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ يأكل من الشجرة ويوقن بخطيئته، فينادي ربه به ليغفر له ذنبه، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَنْهُ: ﴿قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣]

وهذا نوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ يسأل ربه بهذا الاسم لنجاة ولده وفلذة كبده: ﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ، فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنِّي وَأَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾ [هود: ٤٥]

وهذا موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ يقتل نفساً بالخطأ فيسأل ربه المغفرة ويتوسل إليه بهذا الاسم ليغفر الله له خطيئته: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [القصص: ١٦]

ويسأله بعد ذلك النجاة من القوم الظالمين فيناديه به - أيضاً - : ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص: ٢١]

وَيَرُدُّ مَاءَ مَدِينٍ وَيَسْقِي لِّلْفَتَاتِينَ ثُمَّ يَمْضِي إِلَى الظِّلِّ
مُظْهِراً شِدَّةَ حَاجَتِهِ لِرَبِّهِ، وَعَظِيمَ فَاقَتِهِ لِرَحْمَتِهِ، فَيُنَادِي بِهَذِهِ
الْكَلِمَاتِ الْخَالِدَاتِ مُصَدِّراً بِاسْمِ الرَّبِّ الرَّحِيمِ الْمَنَّانِ:

﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ (٢٢)

[القصص: ٢٢]

وَلَمَّا تَأَقَّتْ نَفْسُ زَوْجَةٍ فِرْعَوْنَ لِلجَنَّةِ سَأَلَتْ رَبَّهَا جِوَارَهُ
وَتَوَسَّلَتْ لَهُ بِهَذَا الْاسْمِ الشَّرِيفِ فَنَادَتْ: ﴿رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ
بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (١١)

[التحریم: ١١].

قال بعض أهل العلم عنه: إنه اسم الله الأعظم الذي إذا
دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أُعْطِيَ، فَاجْعَلْ هَذَا الْاسْمَ فِي
دَعْوَاتِكَ مُسْتَحْضِراً عَظَمَتِهِ وَفَضْلَهُ وَأَثَرَهُ.

قال الإمام ابن سعدي رَحِمَهُ اللهُ: (وربوية الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

نوعان:

ربوبية عامّة: وهي تشمل تربية العباد بالتدبير وأصناف النعم والعطاء الذي تقوم به حياتهم، وهي ربوبية شاملة للخلائق أجمعين.

وربوبية خاصّة: وهي تربيته لخواص خلقه بإصلاح قلوبهم وأعمالهم^(١).

وهذه الربوبية الخاصة هي التي يطلبها المؤمنون، ويرنون لبلوغها المتقون، ويطمع في الوصول إليها الصادقون، وهي شاملة لأنواع متنوّعة، من:

توفيق الربّ عزّ وجلّ لعبده لشرائع الإيمان، وترقيته للوصول إلى مدارج المتقين الصالحين، فتفيض على قلوبهم المعرفة الحقّة لله، فيعرفُ العبدُ ربه بالعظمة والجلال، والرحمة والجمال، ويؤمنُ بربّ عظيم، وإله جواد كريم.

ومنها: تربيته لعبده وتوفيقه للعلم النافع، والعمل

(١) [تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للشيخ ابن سعدي: ١/ ٢٨٨].

الصالح، فيهديه سبل السلام، ويُخرجه من الظلمات إلى النور، ويُبصره من العمى، ويُريه الأمور على حقائقها، فيُعرفه حقيقة الآخرة وأنها الدار التي ينبغي أن يُبذل لها كل غالٍ ونفيس، فتكون هي همّه الأعظم، وغايته الكبرى، ويُعرفه حقيقة الدنيا وحقارتها، وأنها لا تساوي جناح بعوضة فلا تكون هي همّه الأول، بل ينظر إليها أنها منزلٌ عبور، وميقاتٌ للتزوّد من الباقيات الصالحات، ويُريه على الأخلاق الحسنة، والفضائل الجليلة من القيم والآداب، فيُصبح عبداً ربانياً يرى بنور الله، ويهتدي بهديه، فقد تولاه ربه برعايته، وسدده وأعاناه.

- ومن عرف ربه على الحقيقة ذاق طعم الإيمان، وسهلت عليه الطاعات، ولم يعدل بعبودية ربه أحداً، قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ، مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا» (١).

(١) رواه مسلم.

وإذا دخل أهل الجنة الجنة تأتيهم البشارة من الرب
الكريم بقوله: ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِّن رَّبِّ رَحِيمٍ﴾ [يس: ٥٨] فيوقنون
بالعافية من سائر الآلام، وتكتمل لهم السلامة من الشرور
كلها.

فاحرص - يا عبدا لله - على زيادة المعرفة بالله لتنال
حلاوة الإيمان ولذته، وابذل الجهد لإدراك هذا المطلب
النفيس، فإنه من أنفسها مكانة، ومن خير العطايا والهبات.
فيا ربنا نسألك عفوك وجودك وكرمك وإحسانك وأنت
أكرم الأكرمين.

ربنا اغفر لنا ذنوبنا وارحمنا وأنت خير الراحمين،
وارزقنا جوارك في جنات النعيم.



﴿ (٣) الرحمن ﴾

تعرف الله لعباده بهذا الاسم الجليل، فقال عن نفسه الشريفة: ﴿الرَّحْمَنُ ۙ (١) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (٢) خَلَقَ الْإِنْسَانَ (٣) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ (٤)﴾ [الرحمن: ١-٤] وقال: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى (٥)﴾ [طه: ٥] وقال: ﴿وَاللَّهُكُمُّ إِلَهُ وَحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ (١١٣)﴾ [سورة البقرة: ١٦٣] وقد ورد ذكر هذا الاسم في كتاب الله سبع وخمسين مرة.

واسم (الرحمن) خاص بالله تعالى لا يُسمى به غيره. و(الرحمن) هو: ذو الرحمة الواسعة، وهي رحمة عامة للخلق جميعاً في الدنيا، تشمل الإنس والجن - مؤمنهم وكافرهم -.

وشاملة - أيضاً - لبقية خلق الله ممّا نعلم وممّا لا نعلم، فقد أحاطت رحمته بهم، واحتاجوا لها فلم يستغنوا عنها طرفة عين.

ورحمته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَاسِعَةٌ كَسِعَتْ عِلْمَهُ، وَعِلْمُهُ لَا مَنْتَهَى لَهُ، قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَنْ ثَنَاءِ مَلَائِكَتِهِ عَلَيْهِ: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا...﴾ [غافر: ٧] وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦] فَهِيَ لَا حُدَّ لَهَا، وَلَا يُمْكِنُ الْإِحَاطَةُ بِهَا.

قال ابن القيم رَحْمَةُ اللَّهِ: (وأوسع المخلوقات عرشه، وأوسع الصفات رحمته التي وسعت كل شيء.. وكان عن صفة الرحمن الجنة وسكانها وأعمالهم، فبرحمته خلقت، وبرحمته عُمرت بأهلها، وبرحمته وصلوا إليها، وبرحمته طاب عيشهم فيها...)(١).

- والرحمة المضافة إلى الله قسمان:

القسم الأول: صفة من صفاته الذاتية الفعلية، وإضافتها إلى الله من إضافة الصفة إلى الموصوف، وهي صفة قائمة به كصفة العلم والحكمة والعزة والملك ونحوها من صفات

(١) [مختصر الصواعق المرسله: ٢ / ١٢١].

الذات يجب إثباتها له على وجه يليق به فلا نكيّفها ولا نُعطّلها ولا ننفيها أو نشبهها أو نمثلها برحمة المخلوق، **أمّا رحمته الفعلية، فهي التي تتعلق بمشيئته،** فيرحم من يشاء من عباده وقت ما يشاء بالكيفية التي يشاؤها.

القسم الثاني: الرحمة المخلوقة؛ فتُضاف إلى الله من إضافة المخلوق إلى خالقه، وهي التي أنزل الله منها رحمةً واحدة فقط، فيها يترحم الأدميون، وجعلها حتى في البهائم، فترفع الدابة حافرها عن وليدها حتى لا تؤذيه، وتعطف عليه فتطمعه وتسقيه، وأبقى عنده تسعة وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة، يقول رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الرَّحْمَةَ يَوْمَ خَلَقَهَا مِائَةَ رَحْمَةٍ»** (١).

وفي رواية مسلم يقول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إِنَّ لِلَّهِ مِئَةَ رَحْمَةٍ أَنْزَلَ مِنْهَا رَحْمَةً وَاحِدَةً بَيْنَ الْجَنِّ وَالْإِنْسِ وَالْبَهَائِمِ وَالْهَوَامِّ، فِيهَا يَتَعَاطَفُونَ، وَبِهَا يَتَرَاحِمُونَ، وَبِهَا تَعْطِفُ الْوَحْشُ عَلَى**

(١) رواه البخاري.

وَلَدِهَا، وَأَخَّرَ اللَّهُ تِسْعًا وَتِسْعِينَ رَحْمَةً، يَرْحَمُ بِهَا عِبَادَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» (١).

وهي رحمة عظيمة يدل عليها قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كُلُّ رَحْمَةٍ طَبَاقٌ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَأَمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعًا وَتِسْعِينَ رَحْمَةً، وَأَرْسَلَ فِي خَلْقِهِ كُلِّهِمْ رَحْمَةً وَاحِدَةً» (٢).

فإذا كان كلُّ ما نراه في الدنيا من رحمة الله - على سعتها - رحمة واحدة فقط فكيف بالمائة رحمة؟!

والله أرحم بنا من أمهاتنا وآبائنا - فضلاً عن الخلق أجمعين - بل هو أرحم بنا من أنفسنا، أتى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رجلاً ومعه صبيٌّ، فجعل يضمُّه إليه، فقال له النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أترحمه؟ قال: نعم، قال: فالله أرحم بك منك به، وهو أرحم الراحمين» (٣).

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه البخاري في الأدب المفرد، وهو حديث صحيح.

وهذه الرحمة لا تنفك عن الخلق منذ وجودهم في الدنيا وتتصل بحياتهم كلها حتى مماتهم لتكتمل للمؤمنين كأكمل ما يكون في الآخرة حين ينالون رحمته التامة في جنات النعيم، وهي الرحمة الخاصة التي ينالها أهل الإيمان فقط.

- وظهور آثار رحمة الله على خلقه واضحة بجلاء، فقد **رحم العباد بإرسال الرسل، وإنزال الكتب**، فالرسل رحمة للبشرية فعن طريقهم عرف الخلق ربهم، وعرفوا ما يرضيه ليفعلوه، وما يُسخطه فيجتنبوه، ولو تُرك البشر بلا رسل لكانوا كالبهائم أو أسوأ من ذلك، وما حال الكافرين عن المتأمل بعيد، فكان إرسالهم **(رحمة من الله)**.

وكذلك إنزال الكتب التي فيها بيان كل شيء، فلولاها ما عرف العباد شريعة ربهم وأوامره، قال الله **سُبْحَانَكَ وَتَعَالَى:**
﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَيِّدًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾

- **ورحمة الله العامة:** جعلت الخلائق يرحم بعضهم بعضاً، فحنن قلوب الوالدين على أولادهم، فيعطفون عليهم ويرحمونهم ويتحملون أخطاءهم في رَحَمَات لا انقطاع لها.

وكذلك ما رقق به قلوب الأدميين بعضهم على بعض، فيعفو بعضهم عن بعض، ويرحم بعضهم بعضاً فيكون الحبُّ بينهم الذي لولاه لكان حال الكون غير ما ترى، وحال الناس غير هذا الحال، ولذا سجل التاريخ بمداد الألم آثار ظلم الظالمين ممّن خلت قلوبُهم من الرحمة فسالت بسبب جبروتهم دماء طاهرة وهُدّمت مدن كانت عامرة.

- **ومن رحمته:** أن خلق بني آدم ذكراً وأنثى ليستمتع بعضهم ببعض، ولتتم لهم الحياة، وألف بين قلوب الأزواج، وعطف قلوبهم على بعض، فجعل فيها الحبَّ والمودة والرحمة والعفو والصفح ليستقيم حال الأسرة، ولتنتج الذرية، وتكون الألفة، ولتؤدى

عبادات ما كانت لتحصل لولا هذه الذرية التي قدر
الله وجودها.

وَرَحِمَهُمْ فِي تَعْلِيمِهِمْ مَصَالِحَهُمْ مِنَ النُّطْقِ وَالْإِفْصَاحِ
عَنْ مَطَالِبِهِمْ لِيَحْصَلَ التَّفَاهُمُ بَيْنَهُمْ، وَتُقْضَى حَوَائِجُهُمْ،
وَتَيْسَّرَ أُمُورُهُمُ الَّتِي تَقُومُ بِهَا مَعِيشَتُهُمْ، وَتَطْيَبُ مَعَهَا
حَيَاتُهُمْ فَلَهُ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.

- **ومن صور رحمة الله بهذه الأمة:** أن رحمة الله بشريعة
سمحة سهلة ميسرة، فلم يكلفهم فوق طاقتهم وما
ليس بوسعهم، ولم يُثقل عليهم بشريعة فيها آصار
وأغلال كما كانت على الذين من قبلهم، بل إذا
تأملت فيها تجدها يسراً في كل جانب منها، وعبادات
لا مشقة فيها ولا عنت، وواجبات لا تكليف فيها فوق
الطاقة أبداً، فقد بعث لهم نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالحنيفية
السمحة.

ورحمهم بأن مكنهم من العمل الصالح في الدنيا التي جعلها مكاناً لتحصيله ليكون لهم زاداً للعباد ليوم المعاد، وينالوا به أعلى الدرجات في الآخرة، فليس بينهم وبين القيام به إلا إرادة جازمة وعزيمة صادقة، وقبل ذلك توفيقاً من الرحمن.

ورحمهم باستقرار أمر الكون، فهياً الأرض ليعيشوا عليها بطمأنينة، فلو كانت الأرض غير مستقرة وثابتة، أو كان الماء طاغ أو الجو لا يصلح للمعيشة فكيف ستكون حياة الناس؟!

ولكنها الرحمة العامة التي بها طابت حياة الخلق.

ورحمهم بإنزال الغيث بعد قنوطهم، وإحياء الأرض بعد موتها، وغوث العباد بعد بوادر الهلاك كل ذلك:

(رحمة من الله) قال الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: ﴿فَانظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُعْجَىٰ الْمَوْقِنِّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

- **ومن رحمته بهذه الأمة: أنه لا يهلكهم بهلاك عام، ولا إبادة شاملة، بل ربما أرسل المصائب في جهات ليتعظ بقية الخلق ويفيقوا من غفلتهم، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: «سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الطاعون، فأخبرني أنه عذاب يبعثه الله على من يشاء، وأن الله جعله رحمة للمؤمنين...» (١).**

ويبتلي الله العبد بالمصيبة في خاصّة نفسه أو ولده أو ماله ليتوب ويستعتب، فكم من بلية كانت سبباً لعودة صادقة، وكم من قدر مؤلم كان سبباً لإنابة نافعة، وكم من بلاء ألم العبد ولكنه كان سبباً لنجاته وفوزه، فهو يرحم الخلائق بالبلاء ليظهرهم من الذنوب والخطايا والآثام.

فهذه الرّحمات وغيرها الكثير ماهي إلا أثر من آثار رحمته، فاللهم ارحمنا برحمتك الواسعة واجعلنا بها فائزين.

(١) رواه البخاري.

﴿ (٤) الرحيم ﴾

من أسماء الله: **(الرحيم)** وجاء ذكره في كتاب الله مئة وثلاث وعشرين مرة.

ومعنى **(الرحيم)**: أي: ذو الرحمة الواصلة لعباده المؤمنين، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٣]

كتبها على نفسه تفضلاً منه ومنه، ولم يوجبها عليه أحد، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ...﴾ [الأنعام: ٥٤] والإيمان الحقيقي بهذا الاسم، وهذه الصفة لربنا عَزَّوَجَلَّ يورث قلب المؤمن شدة التعلق بربه دون سواه، وتجعله يقوم بطاعته بطمأنينة كاملة، طامعاً بنيل رحمته، وتغرس في النفوس عظمة الرجاء به لإيمانه بسعة فضله، وكمال جوده.

– أخبرنا ربنا عَزَّوَجَلَّ عن نفسه بأنه الغفور ذو الرحمة،

فقال: ﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ﴾ [الكهف: ٥٨] ليعلم العبادُ بأنّ الرحمة صفة ثابتة لربهم، فيثقون بموَعوده، وتزداد محبتهم له، وطمعهم بمغفرته، فمن عرف ربه بهذه الصفة أحبّه لا محالة، وسارع لطاعته، وأفنى العمر في سبيل مرضاته، فهو الرحيم الذي يُكرم أولياءه بتحبيب الطاعات لهم، وتزيين الإيمان في قلوبهم، وتيسيرهم ليسرى، وتجنّبهم العسرى، وتثبيتهم على الحق، وتسخير حملة العرش للاستغفار لهم، فإذا سلكت طريق الصلاح، ولزمت جادة الاستقامة أحاطت بك الرحمات من كل جانب، وتوالت عليك الخيرات من كل جهة، وصار لك لسان صدق في الآخرين، فهذا شأن الرحيم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مَع مَنْ اسْتَقَامَ، وكمال إحسانه مَع مَنْ اسْتَجَابَ، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عن خيرة خلقه الأَطْهَارَ، ومن سلك سبيلهم من العباد: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ [مريم: ٥٠]

- وهذه الرحمة أعظم ما تكون للعبد يوم يحار في أموره وشؤونه التي تلتبس عليه، فلا يدري عن مواطن الصواب، فتأتي رحمة الله لتهديه السبيل، وتنير له الطرق، وتبصره بمصالحه، قال الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى:

﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾

وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ [الأحزاب: ٤٣]

ويحتاجها المرء يوم تدلهم الخطوب، وتموجُ الفتن، وتضطربُ النفوس، فيثبته الله برحمته، ويربطُ على قلبه، فالفتنة لا يكاد ينفك عنها أحد، والأعداء من الإنس والجن لا يألون جهداً في صرف الناس عن دينهم، ولكن الله يرحم عباده المؤمنين بتثبيتهم وحفظهم.

- يحفظُ سُبحَانَهُ وَتَعَالَى عبده المؤمن في عقبه وعقب عقبه، فيخرج من الدنيا وقلبه كله ثقة بعناية ربه لذريته، وحفظه لهم ليوثق الخلق بأثر العمل الصالح، وإن غاب صاحبه عن دنيا الناس.

يُمْرُ الْخِضْرُ مَعَ مُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ عَلَى جِدَارٍ يَكَادُ أَنْ
يَنْقُضَ فَيُقِيمُهُ، فَيَتَعَجَّبُ مُوسَى مِنْ صُنْعِهِ فَيُرِيهِ الْخِضْرُ
مَا جَاءَ فِي نَفْسِهِ مِنَ الْعَجَبِ بِأَنَّهُ لِعَلَامِينَ يَتِيمِينَ فِي الْمَدِينَةِ،
وَتَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا، فَيَحْفَظُهُ اللَّهُ لَهُمَا:

﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ [الكهف: ٨٢]

- **ورحمته سبحانه وتعالى لم تقتصر على الطائعين، بل**
امتدت حتى وصلت عصاة بني آدم الذين تعدوا
حدوده، وخالفوا أمره، وتجرؤا على محارمه، فيعصي
أحدُهم ربه بجميع أنواع المعاصي ولا يترك شاردة
ولا واردة إلا ارتكبها، ولا خطيئة إلا فعلها، ويتجرأ
على الذنوب مع علمه بخطورتها وشؤمها، فيقذف
الرحيم سبحانه وتعالى حبَّ التوبة في قلبه، فيئيب ويندم،
ويعود لربه فيقبلها الله منه لعلمه بضعفه وحاجته
لرحمته، ويمهل العاصين ولا يعاجلهم في العقوبة
لعلمهم يتوبوا، ويمحو ذنوبهم إذا أنابوا، ذلك أنه كثير

التوبة على الخلق أجمعين فهو الربُّ الرحيم، قال

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ١٦]

- ولسعة رحمته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أمر العباد بكثرة الاستغفار

ليغفر لهم فقد علم كثرة ذنوبهم، وأنهم لا غنى لهم

عن مغفرته، فقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَأَسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ

عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٩٩]

- ومن رحمته: أنه يقبل من عبده المؤمن القليل من

العمل ويشبه عليه بالكثير من الأجر، ارأيت رجلاً

عبدَ ربه سنوات يسيرة بل ربما أياماً معدودات ثم

مات ليكون ماله جنّة قد جمعت كل خير يتنعم بها أبد

الآباد في عمر لا منتهى له، وبقاء سرمدى لا ينقطع،

فما نسبة هذه السنوات القليلة التي عبدها هذا العابد

بجانِب ذلك النعيم العظيم في جنات النعيم؟

لتعرف أنها الرحمة الجليلة من الرحيم الرحمن

وليس ثمَّ إلا هي.

قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِلْجَنَّةِ: أَنْتِ رَحْمَتِي، أَرْحَمُ بِكَ مِنْ أَشَاءِ مِنْ عِبَادِي» (١).

وتكون هذه الرحمة أظهر ما تكون يوم القيامة، يوم ينال المؤمنون من العطاء والرحمات ما لا يخطر لهم على بال، فيرون ثواب أعمالهم وعاقبة طاعتهم، فيرحم الله عباده المؤمنين في عرصات يوم القيامة، فيخفف عليهم شدته، ويبرد عليهم حرارته، ويُنجيهم من أهواله حتى أن إبليس لسعة رحمة الله ذلك اليوم يتطلع لها رجاء أن تُدركه ولكن هيهات هيهات فقد مضى الوقت الذي تُنال به، وانقطعت الأسباب الموصلة للفوز بها، فهي رحمة خاصة بأهل الإيمان، فليحرص المؤمن على الإتيان بأسباب نيلها، والتي من أعظمها:

تحقيق التقوى، والإيمان بالله وآياته وكثرة الطاعات،
واتِّباع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَرَحْمَتِي

(١) رواه البخاري ومسلم.

وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَاكُنْتَهَا الَّذِينَ يَنْقُونَ وَيُوْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا
يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ ﴿١٥٦﴾ [الأعراف: ١٥٦-١٥٧]
فبقدر تحقيق هذه الأمور ينال العبد من رحمة ربه.

ومن أسباب نيل رحمة الله: الإيمان الصادق بالله،
وهجر الذنوب والمعاصي، والمجاهدة في سبيله، قال الله
سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ
أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢١٨﴾﴾ [البقرة: ٢١٨] فمن أتى
بهذه الأسباب نال رحمته.

ومن أسباب نيل الرحمة: طاعة الله وطاعة رسوله
عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والأمر بالمعروف
والنهي عن المنكر، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ
بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ
الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ
إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ [التوبة: ٧١] وقال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ
وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ [ال عمران: ١٣٢]

ورحمة الخلق من أسباب نيل رحمة الله، فمن يرحم
يُرْحَم، والراحمون يرحمهم الرحمن.

وتُنال الرحمة من الله بالإحسان في عبادته وإلى عبادته،

قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٥٦)

[الأعراف: ٥٦]

وتُنال رحمته بكثرة الاستغفار، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿لَوْلَا

تَسْتَغْفِرُونَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (٤٦) [النمل: ٤٦]

وسماع القرآن بحضور قلب من أسباب نيل رحمة الله،

قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ، وَأَنْصِتُوا

لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (٢٠٤) [الأعراف: ٢٠٤]

وقيام الليل، والسماحة في المعاملات المالية، وتبليغ

الشريعة بعد سماعها ووعيتها من أسباب نيل رحمة الله،

وعيادة المريض يخوض بها العبد في الرحمة، فليحرص

الناصح لنفسه على الإتيان بهذه الأسباب لينال الرحمة

العظيمة من ربه، والأمل بالله كبير أن ننالها، وأن ننعم بهذا الفضل فقد آمنا بالله ورسوله وجعلناه خير الذخائر، وامتلات القلوب ثقة بربها وهي أرجى الأعمال.

وينبغي للعبد ألا يغتر بسعة رحمة الله وهو لا يزال مُصراً على الذنوب، مقيماً على الخطايا، فكما أنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى غفور رحيم فهو شديد العقاب، ذو بطش شديد وعذاب أليم، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿نَبِيَّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [٤٩-٥٠] [الحجر: ٤٩-٥٠]

وكما أن المؤمن يطمع برحمته فكذلك يخشى عذابه، يقول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «لَوْ يَعْلَمُ الْمُؤْمِنُ مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْعُقُوبَةِ، مَا طَمِعَ فِي الْجَنَّةِ أَحَدٌ، وَلَوْ يَعْلَمُ الْكَافِرُ مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الرَّحْمَةِ مَا قَنَطَ مِنَ الْجَنَّةِ أَحَدٌ» (١).

فاللهم لا تحرنا خير ما عندك بسوء ما عندنا، اللهم

(١) رواه مسلم والترمذي واللفظ له.

ارحمننا برحمة من عندك تأتي على ذنوبنا كلها فتمحوها
ويذهب عنا كل أثرها.



﴿ (٥) الغني ﴾

ورد هذا الاسم في كتاب الله ثمان عشرة مرة.

يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ

هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ [فاطر: ١٥] فالله لكماله استغنى عن الخلق

كلهم، فلا يحتاج إلى أحد لأن الحاجة نقص، والله منزّه

عنه، فله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الغنى المطلق من جميع الوجوه، قال

عَزَّجَلَّ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾ [العنكبوت: ٦]

فالغنى وصف ذاتي لازم له، فإنه لم يخلق الخلق ليعتزّ

بهم من ذلة، ولا ليتقوى بهم من ضعف، ولا ليستكثر بهم

من قلة، بل لكمال غناه لو اجتمعوا جميعهم على طاعته لم

يزيدوا في ملكه شيئاً، ولو اجتمعوا جميعهم على معصيته

لم يُنقصوا من ملكه شيئاً، ولن يبلغوا نفعه فينفعوه، ولن

يبلغوا ضره فيضروه ذلك أن غناه غناً ذاتياً لا يحتاج معه

إلى أحد.

وعندما أمر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الْعِبَادَ بِعِبَادَتِهِ فَلَيْسَ لِأَنَّهُ مَحْتَاجٌ لِهَذَا، بَلْ كُلُّ ذَلِكَ ابْتِلَاءٌ وَامْتِحَانٌ، وَلِيُنَالُوا مِنْ وَرَاءِ هَذِهِ الْعِبَادَاتِ أَعْظَمَ الْأَجُورِ، يَقُولُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ...﴾ [الزمر: ٧]

يقول الإمام ابن سعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: (ولا يمكن أن يكون سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إِلَّا غَنِيًّا، لِأَنَّ غِنَاهُ مِنْ لَوَازِمِ ذَاتِهِ) (١).

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: (ومن كمال غناه أنه لم يتخذ صاحبة ولا ولداً ولا شريكاً في الملك، ولا ولياً من الذل، وهو الغنيُّ الذي كمل بنعوته وأوصافه، المُغْنِي لَجَمِيعِ مَخْلُوقَاتِهِ) (٢).

ولكمال غِنَاهُ عَنْ خَلْقِهِ، قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُذْهِبَهُمْ وَيَأْتِي بِخَلْقٍ جَدِيدٍ، وَهُوَ أَيْسَرُ مَا يَكُونُ عَلَيْهِ، قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَاءُ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ

(١) [تيسير الكريم الرحمن / ٩٤٨]

(٢) [الحق الواضح المبين: ٤٧-٤٨]

مَا يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ ﴿١٣٣﴾ [الأنعام: ١٣٣]

- **ومن كمال غناه:** أنه وسع الخلائق بعطاياه، فيعطيهم بسؤال وبغير سؤال، ويبدل أحوال عباد ما كانوا ليتحولوا عما هم فيه لولا فضله وإحسانه، فكم من إنسان كان فقيراً، فصار غنياً ومقصداً لهم - هذا واحد من ملايين من البشر - وإلا فتتابع فضله على الخلائق كلهم كتتابع أنفاسهم عليهم.

- **ومن كمال غناه:** ما يبسط على أهل دار كرامته في جنات النعيم من اللذات المتتابعة ما يقف المرء معه متعجباً من هذا، فكيف يُغنيهم كلهم وهم بهذه الأعداد الهائلة؟!

وكيف يُستدام فضله وإحسانه عليهم وهم بهذه الكثرة الكاثرة؟!

وهو غنيّ وفضل يدلّ على أنّ غناه أعظم ممّا يتصوّره عقل، أو يستحضره فكر.

ومع غنى الله التام عن عباده فهو محسن إليهم، وذلك
لكمال جوده وتمام فضله.

- إن الخلق إذا أحسن بعضهم إلى بعض، فإنهم كثيراً
ما ينتظرون رداً ممن أحسنوا إليه عاجلاً أو آجلاً أما
الله - وله المثل الأعلى - فهو الذي يتفضل ابتداءً بلا
طلب، ويُعطي لا عن ارتقاب الشكر من العباد، قال
الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۗ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّيَ غَنِيٌّ
كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٤٠] فسبحانه من رب غني كريم منان.

والعباد فقرهما فقراً ذاتي لهم لا ينفك عنهم، فهم فقراء
إلى ربهم لا يستغنون عنه طرفة عين (فغنى الله بنفسه وعن
العباد ثابت، وفقرهم إليه لازم ودائم).

فهم فقراء إلى الله في إيجادهم، فهو الذي أوجدهم
وأوجد غيرهم.

وفقراء إليه في إمدادهم بجميع حوائجهم، وما تقوم به
حياتهم.

وفقراء إليه في إبقائهم، فهو الذي يُبقيهم ولو شاء لذهب بهم وأتى بآخرين.

وفقراء إليه في حفظهم بجميع أنواع الحفظ؛ ومن ذلك: حفظهم في أبدانهم، وعقولهم، وأولادهم، وأموالهم، ودينهم - وهو أعلى ما يملكون-.

ومهما بلغ العبد من قوة أو وصل إليه من مرتبة فإنه لا يستغني عن ربه، ويبقى فقيراً إليه، انظر إلى الملوك، وأرباب الأموال، وأصحاب الجاه والمنزلة في أقوامهم، وكيف هو فقرهم لربهم.

تأمله تجده فقراً لا ينفك عنهم أبداً، وأظهر ما يكون إذا أصابهم ضرٌّ أو غشيهم مرض أو نزلت بهم نازلة، فاستحضر كيف يرغبون ويفزعون إلى ربهم، ويزول عنهم غرورهم ويتضح فقرهم كأوضح ما يكون.

– وإغناء الله لعباده نوعان:

النوع الأول: **(الغنى العام)** وذلك بكفاية حوائجهم الدنيوية العامة، وهذا يشمل إغناء المسلم والكافر والبرّ والفاجر؛ يُغنيهم بما تنظم به حياتهم، وتقوم به معيشتهم، ولتتابع هذا الفضل من الله على العباد فإنهم يغفلون عنه، ولا يكاد يستحضره إلا المتأمل لفضل ربه عليه في كل نفسٍ من أنفاسه، وفي كل شأنٍ من شؤونه؛ وهو إغناء شامل وواسع للعباد لا يُمكن التعبير عنه.

النوع الثاني: **(الغنى الخاص)** وهو إغناء خواص خلقه بأشرف العطايا، وأحسن الأرزاق، بما يستغنون به عن كثير من ملاذ الدنيا الزائل، وهو أنواع كثيرة، منها:

– **الاستغناء بالله وبفضله:** فيستغني المؤمن بربه عن الخلق، ويكتفي بفضله عمّن سواه، فتراه غنياً بما قام في قلبه من استحضار نعمة عليه وإن كان ظاهره الفقر، ومترفعاً عن الخلق وإن كان ذو حاجة لأنّ

الله قد ملأ قلبه غنىً فاستغنى به واستكفى، ولذا كان من دعوات نبينا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَأَغْنِي بِفَضْلِكَ عَمَّنْ سِوَاكَ»^(١).

أيها المؤمن: اجعل اتصالك دائماً بالله، تطرح بين يديه كل حوائجك، وتسأله كل مطالبك، لتستغني به عن كل مخلوق، وسترى بعدها أنك أصبحت عزيزاً بلا عشيرة، غنياً من غير مال، شريفاً من غير نسب، فمن استغنى بالله لم يفتقر لمخلوق أبداً، ولئن قضى الله بقيام حياة الناس بعضهم ببعض فإن من أغنى الله نفسه لا يلتفت لهم بقلبه، بل ينظر إليهم أنهم أسباباً فقط يسوقهم الله إليه.

وهذا هو العطاء النفيس الذي يختص الله به من شاء من خلقه، وهو غنى لا يفقهه إلا الكُمَّل من العباد، والفقهاء من الخلق الذين يرون أنه أرفع أنواع الغنى.

(١) رواه الترمذي.

- **ومن الغنى الخاص: إغناء النفوس بالعلم النافع.**

فيجعل الله فيها حب العلم والانشغال به، فتستغني به عن ملاذ الدنيا بما قام فيها من لذة العلم والمعرفة.

والعلم الشرعي الموروث من مشكاة الكتاب والسنة هو الذي يجعل القلوب تقنع وترضى بما كتب الله لها، ويجعلها تبصر الأمور على حقائقها، وتعرف أنّ الدنيا لا تساوي شيئاً فلا تنافس على شرفها لأنها قد أيقنت أنّ الدار الآخرة هي دار الرزق الباقي والعطاء الخالد.

لقد بصرهم هذا العلم أنّ الفقر إلى الله هو عين الغنى، فأفقر الناس إلى الله أغناهم به، وأذلهم له أعزهم به، وأضعفهم بين يديه أقواهم به، فكلما أظهر العبد فقره لربه في جوانب حياته كلها زاد غنى به، وكلما عرف العبد ربه حق المعرفة زاد فقره له لأنه قد استيقن بحاجته إلى توفيقه في جميع حوائجه، وتبصيره سبيل الهدى في جميع دروبه، ومحتاج إلى تشييته - خصوصاً وقت الفتن -.

- **ومن أنواع الغنى الخاص: قناعة النفس بما رُزقت،**

فالغنى الحقيقي هو غنى النفس، وليس بكثرة

الأموال، قال رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَيْسَ الْغِنَى

عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ وَإِنَّمَا الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ»^(١).

فمن عرف هذه الحقيقة، ولزم القناعة والرضا بما آتاه

الله وجد طيب الحياة، وعاش غنياً بفضل ربه ومولاه، وهو

أمر يتطلب مجاهدة للنفس حتى تُدركه.

- **أيها العبدُ الموحّد: أيقن أن الغنى كل الغنى بيد ربك،**

وأن الفضل كل الفضل بيد مولاك، وإن جاءك الخير

من بعض الخلق، فأصله من الله الذي سخّرهم لك،

وأوصل الخير لك عن طريقهم رغماً عنهم.

كم تمرُّ بنا مواقف ونرى أننا نسعى سعياً حثيثاً

لخدمة آخرين وأحياناً لا يشعرون بذلك؛ فمن الذي

سخرنا لهم؟

(١) رواه البخاري ومسلم.

ومن الذي جعلنا كذلك لهم؟
إنَّه الله الغني الحميد، وهكذا هو فعله معك ومع غيرك.
فاللهم علّق قلوبنا بك، وأغننا بفضلك عمّن سواك.



﴿ (٦) الحميد ﴾

وجاء ذكر هذا الاسم في كتاب الله سبع عشرة مرة.
والله هو (الحميد) الذي له الحمد المطلق، فهو حميدٌ بذاته لِمَا له من كمال الذات، فلا مثيل له ولا شبيهه، وحميدٌ بصفاته ونعوت جلاله، وأفعاله الدائرة بين الفضل والعدل، والجامعة للكمال والجمال.

ومن سلك مسلك السلف من لدن صحابة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومن تبع منهجهم في فهم معاني أسماء الله وصفاته أيقن بكمال حمد الله.

والله هو (المحمود) لكثرة إنعامه، وسعة فضله، وإحسانه على العباد، فقد أفاض عليهم من صنوف النعم ما استوجب به الحمد، قال ابن القيم رَحْمَةُ اللهِ: (وإن لم يحمده غيره، فهو حميدٌ في نفسه) (١).

(١) [جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على محمد خير الأنام: ٤٤٧].

وهو: **الحميد المستحق للحمد**، قال الإمام الخطّابي:
 («والحميد» هو المحمود الذي استحق الحمد بأفعاله...
 فهو الذي يُحمد في الضراء والسراء، وفي الشدة والرخاء،
 لأنّه حكيم لا يجري في أفعاله الغلط...»^(١).

وجميع المخلوقات ناطقة بحمده، فقد امتلأ الكون
 بالثناء عليه، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ
 وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء: ٤٤]
 والحمد أوسع الصفات، وأعمّ المدائح، وأبلغ
 الدعوات.

- **حمد نفسه بأنه رب العالمين**، فقال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ
 الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢]

فهو ربُّهم وسيدُّهم، وخالقهم ومالكهم، ومربيهم بالنعمة
 والخيرات فاستحق الحمد.

(١) [شأن الدعاء: ٧٨].

- وَحَمِدَ نَفْسَهُ - وَهُوَ أَهْلٌ لِلْحَمْدِ - عَلَى تَفَرُّدِهِ
بِالْأُلُوْهِيَةِ، وَعَلَى امْتِنَاعِ مَا لَا يَلِيْقُ بِهِ مِنْ اتِّخَاذِ الْوَلَدِ
وَالشَّرِيْكَ، فَقَالَ سُبْحَانَہُ وَتَعَالَى: ﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ
وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيْكٌ فِي الْمَلِكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِّنَ الدُّنْيَا وَكَبْرَهُ تَكْبِيرًا
[الإسراء: ١١١] ﴾

- وَحَمِدَ نَفْسَهُ عَلَى عِظَمَتِهِ وَكِبْرِيَّائِهِ، وَتَمَامِ مَلِكِهِ،
وَسِعَةِ سُلْطَانِهِ، فَهُوَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَرَبُّ الْأَرْضِ
رَبُّ الْعَالَمِينَ.

وَتَأَمَّلْ حَالَ قَلْبِكَ، وَكَيْفَ تَنْزِلُ السُّكِينَةُ عَلَيْهِ وَأَنْتَ تَقْرَأُ
هَذِهِ الْآيَةَ فِي خَاتِمَةِ سُورَةِ الْجَاثِيَةِ، يَقُولُ اللهُ سُبْحَانَہُ وَتَعَالَى: ﴿ فَلِلَّهِ
الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ ۗ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾ [سورة الجاثية: ٣٦-٣٧] ﴾

أعد قراءتها بترتيل خاشع، متدبراً كل كلمة منها لترى
رباً حميداً، ملاً حمده الأرض والسماء وما بينهما، قد
اتصف بالكبرياء، وتنزه عن كل نقص.

– استوجب الحمد على عباده لحميد صنائعه، وجميل

آلائه، فانظر لتوالي نعمه عليهم، وعظيم فضله لديهم،

فله الحمد كله ولا يستطيع العباد إحصاء الشاء عليه.

– ابتداء خلقه بالحمد، فخلق رحمة ونعمة وحكمة،

ولا يقدر على هذا إلا هو، فاستحق الحمد والشاء،

فقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ

وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ۗ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾

[سورة الأنعام: ١]

– وختم خلقه بالحمد لكمال تديره له، وإتقان صنعه،

ولطف قدره، وعنايته بالعباد، وعدله فيهم، وفضله

عليهم في كل حال، فقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي

الْآخِرَةِ ۗ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿١﴾ [سبأ: ١]

– وتحمده الخلائق كلها إذا قضى من حسابهم، ودخل

أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:

﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ

بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٥﴾ [سورة الزمر: ٧٥]

وتأمل قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٥﴾﴾ [سورة الزمر: ٧٥] لتري كوناً كاملاً بأرضه وسمائه وإنسه وجنّه وملائكته وسائر خلقه قد اجتمعوا على حمده، وهو ما يفيد قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَقِيلَ﴾.

- وَحَمِدِ نَفْسَهُ عَلَى أَنْزَالِهِ الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ لِمَا احتواه من هداية وخيرات وبركات، فقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ﴿١﴾﴾ [الكهف: ١]

- وَحَمِدِ نَفْسَهُ عَلَى خَلْقِهِ الْعَظِيمِ - ومنهم الملائكة الكرام - الذين خلقهم على هيئة عظيمة لا يعلمها إلا هو، فقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا﴾ [فاطر ١]

- وَحَمِدِ نَفْسَهُ عَلَى انتقامه من أعدائه ممن كفر وأشرك به، وأذى رسله وأوليائه لأنه انتقام عدل نزل بمن استحقه، فكم من ظالم تمنى الخلق وقوع العذاب

عليه لاشتداد جرمه، وتأذي الخلق منه فيُنزل الله به عذابه وانتقامه، فيحمده الخلق على ذلك، قال الله
 سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَقَطَّعَ دَائِرَ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

[الأنعام: ٤٥]

- تُسَبِّحُ الْخَلَائِقُ بِحَمْدِهِ لِأَنَّهُمْ مَا حَمَدُوهُ إِلَّا بِفَضْلِهِ،
 وما شكروه إلا بمعونته.

وهو محمودٌ يوم القيامة ساعة قيام الناس لربهم،
 واستجابتهم لندائه، فيحمدونه لكمال خلقه، وتمام حكمته
 التي ظهرت لهم كأوضح ما يكون لهم، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:
 ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِئْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٥٢]

- عباداتُ العبدِ منةٌ من الله وفضل، وهي سبيلٌ لنييل
 الحمد منه، ولذا جاء الأمر من الله لنييه بصلاة الليل
 ليعتبه المقام المحمود الذي تحمده عليه الخلائق،
 فقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَنْ

يَبْعَثَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩]

– وَحَمْدُهُ اسْتغرِقَ الزمان، وامتلاً به الوجود لاستحقاقه ذلك، فقد جمع المحامد كلها وليس ذلك لأحدٍ إلا هو، فقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾ [الروم: ١٨]

فَحَمْدُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى (يملاً الوجود كله العالم العلوي والسفلي، ويملاً نظير الوجود من غير عدّ ولا إحصاء) قاله ابن سعدي رَحْمَةُ اللَّهِ^(١).

ويحمدُ أهلُ الجنة ربهم الذي صدقهم وعده وأورثهم جنته، فباشروا ثواب أعمالهم، ورأوه حاضراً بين أيديهم، فلهجت ألسنتهم بحمده: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعَدَّهُ، وَأَوْثَرَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوُّهُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَمَلِينَ﴾ [الزمر: ٧٤]، ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ﴾ [فاطر: ٣٤].

ولا ينقطع حمدهم لربهم في الجنة لشرف الحمد، وعلو مكانته، ولتذمهم به، وقد تفضّل عليهم بهذا الفضل،

(١) [الحق الواضح المبين: ٣٩].

وأعطاهم ما لم يُعطه كثير من العالمين، فحالهم كما وصف
 الله سبحانه وتعالى: ﴿دَعَوْنَهُمْ فِيهَا سَبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَعَآخِرُ
 دَعْوَتُهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [سورة يونس: ١٠]

ولقد أمر - سبحانه - عباده أن يحمده في كل وقت
 وأن، ففي حمده شكر النعم ودوامها وزيادتها، (فمعاهد
 حفظ النعم: الحمد والشكر، وزيادتها واستقرارها بالطاعة
 والاعتراف بالفضل).

- ولكمال حمده يبدأ النعم قبل السؤال، ومن غير
 استحقاق، ويدفع المحن والبلايا بعد انعقاد أسبابها،
 فكم من بلية صُرِفَت عن العبد بعد أن أيقن بنزولها
 به، وكم من فرج جاءه بعد أن ظنَّ كل الظنَّ أن لا
 مخرج من هذه الورطة، فسبحانه المحمود في كل
 الأحوال، وفي الضراء والسراء، والعسر واليسر،
 وعلى كل قضاء.

- ولجلالة الحمد وفضله فقد بشر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

أن: «الحمد لله تملأ الميزان»^(١). ولعظيم أجرها
أخبر عليه الصلاة والسلام أنها مع سبحان الله: «تملآن ما
بين السماء والأرض»^(٢).

وكان رسولنا صلى الله عليه وسلم يحمد ربه إذا أصبح وأمسى
فكان يقول: «أصبحنا وأصبح الملك لله، والحمد لله»^(٣)؛
وكذا إذا أمسى حمد ربه، متذكراً نعمه، ومعلماً أمته أهمية
الحمد في كل صبح ومساء.

وكان يحمد ربه إذا أوى إلى فراشه متذكراً نعمة الطعام
والشراب والإيواء ويقول: «الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا،
وكفانا وآوانا، فكم ممن لا كافي له ولا مؤوي»^(٤).

- الصلاة مستغرقة للحمد في افتتاحها، وفي الركوع
والسجود، وفي ختامها، فيبدأ المصلي صلاته بالشاء

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه مسلم.

(٤) رواه مسلم.

على ربه «سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك»

وفي أول آية يتلوها ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

[الفاتحة: آية ٢] وإذا ركع وسجد حمد الله بقول: «سبحان

ربي العظيم وبحمده» «سبحان ربي الأعلى وبحمده»

وإذا رفع من ركوعه قال: «سمع الله لمن حمده» وفي

التشهد يقول: «إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ» وهكذا يتصل

الحمد والثناء عليه من بداية صلاته حتى ختامها في

استحضار لنعمته على التوفيق والهداية.

وفي سائر العبادات تجد حمد الله حاضراً لا ينقطع.

بل تجد الحمد في حياة المؤمنين كلها، فهو يحمد ربه

عند استيقاظه، وعند تجدد النعم، وعند لبس ثوبه، وبعد

الأكل والشرب، وفي ختام مجلسه، وعند العطاس ونحوها

من المواطن التي يُحمد فيها الله تعالى.

فاعرف يا عبد الله صفات ربك الحميد، وتدبر معانيها،

فمن عرفه بحمده أحبه لا محاله، فنعمة تغطيه، وفضله

مسببٌ عليه في كل شؤونه وأحواله.

والحمد مستجلبُ الرضا من الحميد، يقول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ:

«إِنَّ اللَّهَ لِيرِضَى عَنِ الْعَبْدِ يَأْكُلُ الْأَكْلَةَ فِيحْمَدُهُ عَلَيْهَا»^(١).

ومن عرفه حق المعرفة لم ينقطع لسانه عن ذكره وشكره، فهو يرى نِعْمته تتوالى عليه، خصوصاً إذا استحضر نعمته عليه في دينه الذي اصطفاه له فيزيد حمداً وشكراً له، فهي النعمة الحقيقية العظمى الموصلة لأعظم نعيم وهو نعيم الجنة.

ومن تدبر في صفات ربه الحميد لم يتعلق قلبه بسواه لأنه يرى الكمال له، ولأنَّ كل نعمة به فإنما هي من الله تعالى وحده دون سواه، فالحمد لله رب العالمين، واللهم أوزعنا شكر نعمتك، ووفقنا لحمدك والثناء عليك.



(١) رواه مسلم.

﴿ (٧، ٨، ٩) العالم، العليم، علام الغيوب ﴾

ورد اسم **(العالم)** ثلاث عشرة مرة في القرآن الكريم،
 أمّا اسم **(العليم)** فقد ورد ذكره مئة وسبعاً وخمسين مرة،
 وورد ذكر اسم **(علام الغيوب)** أربع مرات.

وإذا أمعن المتأمل النظر في صفة العلم لله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**
 وقف منبهرًا حائرًا معظمًا لهذه الصفة الجليلة له **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**
 لأنها صفة لا يستطيع أن يقارب حقيقتها فضلاً عن معرفتها
 على ما هي عليها.

تنظر في مواقف عدة إلى تجمّع بشري - كالحجّ مثلاً -
 لترى هذه الأعداد الهائلة والجموع الغفيرة وقدرة الله على
 الإحاطة بهم، وكيف علم أحوالهم وأعمالهم، وسمع
 دعواتهم على اختلاف لغاتهم، وتفنن حاجاتهم، بل وعلم
 درجات صدقهم في هذه العبادة ونيتهم فيها، وإتقانهم لها،
 واتباعهم لنبيه **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** في أدائها، فيعلم استحقاق كل

واحد منهم للشواب اللائق به بحسب عمله ونيته، فيقف المتأمل مُنبهراً في هذا الموقف فقط، فكيف وأنت تستحضر العالم كله بأفراده الذين لا حصر لهم ولا عدد في حساب البشر إلا على سبيل المقاربة؛ والمتباينة أحوالهم، فهذا طائع، وآخر عاص، وذاك على قربة جليلة قد تقرب بها لربه إما بجوار بيت الله يركع ويسجد أو في أقصى الأرض يتعبّد لربه بصلاة وذكر ودعاء، وآخر قد تقرب بتلاوة قرآن، وغيره بإنابة وصدقة ونحوها من الطاعات.

وآخرون قد اترفوا كثيراً من الموبقات، وتنوعت جرائمهم؛ ومع ذا فكلهم في علم الله سواء لا يغيب عنه عمل أي واحدٍ منهم، فجَلَّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مِنْ اتَّصَفَ بِهَذَا الْعِلْمِ، وَعَظُمَ مِنْ كَانَتْ تِلْكَ إِحَاطَتُهُ، وَلِيَأْتِ أَحَدٌ بِكَاتِبٍ أَوْ وَاصِفٍ لِيَصِفَ لَنَا حَقِيقَةَ عِلْمِ اللَّهِ، أَوْ حَتَّى يُقَارِبَهَا، فَلَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ مَا عَرَفْنَاهُ حَقَّ الْمَعْرِفَةِ، وَلَا قَدْرْنَا حَقَّ قَدْرِهِ، وَنَسْتَغْفِرُهُ مِنْ كُلِّ تَقْصِيرٍ فِي عِبَادَتِنَا لَهُ.

- ينام الخلائق ويستيقظون، يمرضون ويصحون،
يتزوجون وينجبون، يولد أطفال هنا، ويموت خلق
هناك، ويُعمَّر آخرون.

يكيد هذا لذاك، ويرحم هذا غيره، ويظلم هذا ضعيفاً،
وينتصر آخر لمظلوم، يفرج هذا هم أخيه، ويتسبب هذا بغم
ضعيف مستضعف، وكل هؤلاء بتنوع أعمالهم، وتباين
أحوالهم، وتعدد مشاربهم في علم الله سواء، فالمُسْرُّ منهم
بذنبه كالمعلن، والمستخفُّ كالمجاهر، فسبحانه من إله
عليم، وما أوسع صفة علمه.

- **وعلم الله أزلي لا بداية له،** ذلك أنه: **(علم لم يسبقه
جهل ولا يلحقه نسيان)** وهو بذنا قد خالف علم كل
أحد مهما عظم في نفوس البشر، فأى عالم - غير
الله - لا بد أن يسبق علمه جهل بهذا العلم، ولذا
قال سبحانه وتعالى عن الإنسان: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ

أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا...﴾ [النحل: ٧٨]

وتجد البشر كلَّ يوم يكتشفون علماً جديداً ويُعْظَمون من اكتشف ذلك - وهم مُحَقِّقون في ذلك - فقد صار علماً حادثاً كانوا يجهلونه من قبل.

وبالمقابل فمهما بلغ المرء من علم فمآله إلى النسيان والسهو، ويضعف وينسى وتخور قواه - ومنها علمه - فأيقن بكمال علم ربك، ونقص ومحدودية علم غيره. وأي علم وصل إليه البشر فإنما هو جزءاً ممَّا أذن اللهُ به، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾

[البقرة: ٢٥٥]

فلا تغترّ بعلم أي أحد من البشر، فإدراكه لأي علم إنّما هو بإذن الله العليم.

- **وَعِلْمُ اللَّهِ وَاسِعٌ كَسَائِرِ سَعَةِ صِفَاتِهِ سُبْحَانَهُ،** كاملٌ كمالاً مطلقاً، فهو يعلم الماضي والحاضر والمستقبل والمستحيل (وهو الذي لن يكون، ولو كان كيف يكون).

تأمل في علمه للماضي من أحوال البشر وما حصل بين الرسل - عليهم الصلاة والسلام - وأممهم ممّن قصّ علينا من أخبارهم وممّن لم يقصص، فقد علم أمورهم وتفصيلات أحوالهم، قال الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَنْهُمْ: ﴿وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ ﴿٧﴾﴾ [الأعراف: ٧]**

ولمّا سأل فرعونُ موسى **عَلَيْهِ السَّلَامُ** عن حال الأمم السابقة بيّن له علم الله المحيط بهم جميعاً، قال الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ ﴿٥١﴾﴾ قَالَ عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَىٰ ﴿٥٢﴾﴾ [طه: ٥١، ٥٢]**

فلم يغب عنه **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ** حال أحد منهم في الدنيا، وعلم مآلهم وهم في عالم البرزخ مع تباين أحوالهم، واختلاف مصيرهم ما بين نعيم وعذاب في درجات مختلفة لا يعلمها إلا هو **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ** فعلمه شامل كامل محيط.

وهذا يدل على مباينة علم الله لعلم العباد، فلو قيل لأحدنا ماذا تعلم عن الأمم السابقة لقال لك لا أعلم إلا ما قصّ

عليّ القرآن والسنة، فكيف بتلك التفاصيل من حياتهم وأحوالهم عندها سيقف كل منصف صادق مع نفسه ليرى أنّ علمه لا يساوي شيئاً عند علم الله.

وهكذا يُقال في علم المستقبل فلا أحد من البشر يعلم ما سيحصل له بعد ساعة فضلاً عن يوم ولكنّ العليم سبحانه وتعالى لا يعلم مستقبلك أنت فقط، بل يعلم مستقبل كل واحدٍ من بني البشر سواء في دنياه أو برزخه أو مآله الأخرى في عظمة تدل على كمال علم سبحانه وتعالى.

لن تستطيع أن توفي الحديث عن صفة علم الله وأنت تستحضر الأعداد الهائلة لبني البشر، بل وغير بني البشر ممن تراهم فقط ناهيك عنّ تسمع عنهم.

تخيّل فقط أعداد من يعيشون في عصرك الذين بلغوا قريباً من ثمانية آلاف مليون، ومع ذلك يعلم سبحانه وتعالى (أحوالهم وأعمالهم وأسرارهم ونياتهم ومآلهم ومصيرهم) فكيف بمن سبقهم، وكيف بمن يأتي بعدهم، وكيف بغيرهم

من الملائكة والجن، بله الحيوانات بأنواعها والجمادات بتعددتها، والنباتات باختلافها فيعلم تفاصيل كل جنس وكل أحد، إنها العظمة لتلك الصفة، والجلالة لذلك العلم.

تأمل قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظِلْمَتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [سورة الأنعام: ٥٩]

فهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فقط الذي عنده علم مفاتيح الغيب كلها، فعلم الساعة لا يعلمه غيره، وعلم الغيث وقطرات المطر ونفعه وضرره لا يعلمه بالتفصيل إلا هو، وعلم ظلمات الأرحام والذكورة والأنوثة والكمال لهذا الجنين ونقصانه، وسعادته وشقاوته، وعمره وأعماله وصحته ومرضه وأقداره لا يعلمه إلا هو سبحانه جل في علاه.

وعلم ما تكسبه كل نفس، وكيف اكتسبته، وأين ومتى اكتسبته.

وإخلاص كل عابد، ورياء كل عامل، ومكر كل ماكر،
 وصدق كل صادق، ومستقبل كل مخلوق... في تفصيلات
 لهذا العلم المحيط يقف العقل معظماً ربه عندها وهو
 يتصورها حق التصور، فهو كما وصف علمه: ﴿وَسِعَ كُلَّ
 شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [طه: ٩٨]

ووالله لو كُفِّ أحياناً أن يعلم حال عشرة فقط من البشر
 لما استطاع فكيف بهذه المليارات من البشر ممن خلق الله
 وممن لم يخلق بعد.

- وهو عليم بما يصلح لعباده من الأحكام الشرعية
 والقدرية المناسبة لكل أمة، فقد فاوت بين أعمار
 الأمم لعلمه السابق بهم، فمنهم من جعل أعمارهم
 بالمئات، ومنهم ما دون ذلك حتى قضى لهذه الأمة
 أن تكون بين الستين والسبعين علماً بحالهم وبما
 يصلحهم.

وفاوت بين شرائع الأمم في فروع العبادات لتمام علمه بما يصلح لكل أمة، وكثيراً ما يختم الله آيات التشريع بالإشارة إلى صفة العلم والحكمة له كما في قوله **سُبْحَانَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ**

عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾ [النساء: ٢٦]

- **وهو عليم بحال كل عبد من عباده،** قال الله - عن بعض خلقه - : **﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ [الأنفال: ٢٣]** فإذا رأيت ضالاً او منحرفاً فاعلم أنّ الله عليم بحاله ومآله وسبب ضلاله في علم لا تدركه أنت ولا أهل الأرض جميعاً، فالإذعان لكمال علم الله يُسلم العبد من الحيرة، ويُنزل السكينة على قلبه في الأقضية خصوصاً إذا كان عالم بسعة رحمة الله وكمال عدله.

- **فاوت بين الخلق في الأرزاق المتنوعة** من المال والصحة والعافية والعلم ونحوها بكمال علم منه، وانظر كيف ختم آيات رزقه للعباد بصفة العلم لتوقن

من هذه القضية التي حار فيها خلق، وضلّ فيها أقوام،
يقول الله في كتابه المجيد: ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ
عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [العنكبوت: ٦٢]

- ومن علم أنّ الله قد قضى من شؤون خلقه وفرغ من
هذا اطمأنت نفسه وسلّم ورضى بكل قضاء الله عليه
- وإن كان مُرّاً - لعلمه أنّ الأمور قد قضيت لا سيما
إذا ضم إليها اليقين بكمال حكمة الله، وأنه لا يُقدّر
قضاء إلا بعلم، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ
مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج: ٧٠]
وفي حديث عبدالله بن عمرو بن العاص قال: قال
رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ
قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِخَمْسِينَ أَلْفَ
سَنَةٍ» (١).

هل تخيلت المدة؟

(١) رواه مسلم.

لقد كتب المقادير ليس قبل خلقك ولا خلق السموات والأرض والتي لا يعلم متى خلقها إلا هو، بل: «قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ»^(١) فسبحان ربنا العظيم العليم.

- وهو مُبْحَثُهُ وَتَعَالَى عليم بذات الصدور، أي عليم بما أخفته صدور خلقه من إيمان وكفر، وإخلاص ورياء، وخير وشر، فهو عليم بـ(الخفيات التي لا يُدرّكها علم الخلق) قاله الخطابي رَحْمَةُ اللَّهِ^(٢).

- وهو المنفرد في علم الهداية والضلالة وعلم الصحة والمرض وعلم الابتلاءات والمحن والرزايا والأفراح والسعادة ونحوها من أمور الخلق والتي هي بحر لا ساحل له.

إنها صفة العلم لله الذي تعجز عن وصفه العبارات،

(١) رواه مسلم.

(٢) [شأن الدعاء: ٥٧]

وتتكسر معه الأقسام، وتجف فيه الأحبار وهي لم تبلغ
حقيقة كنهه، ولا قاربت وصفه، والحديث حول هذه الصفة
لا ينقضي وتفاصيلها لا منتهى له، فاللهم ارزقنا تعظيمك
حق التعظيم.



﴿ (١٠، ١١) الرزاق، الرزاق ﴾

(الرازق والرزاق) اسمان كريمان لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى دالان على سعة رزقه، وكمال جوده، وواسع فضله، وقد ورد اسم **(الرازق)** في كتاب الله خمس مرات، وورد اسم **(الرزاق)** مرة واحدة فقط.

والله هو المتكفل بأرزاق العباد كلهم مؤمنهم وكافرهم في كفاية تامة لهم، يسوق رزقه إلى الضعيف الذي لا حيلة له كما يسوقه إلى القوي المتكسب.

تأمل في الأعداد الهائلة التي خلقها الله والتي لم يخلقها بعد، واستحضر عظمته وهو يقول: ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾

[سورة هود: ٦]

فَرَزَقَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الأولين والآخرين وهم بأعدادٍ لا حصر لها، ونفوسٍ لا يحيط بها إلا من خلقها سبحانه.

إِنَّ أَحَدَنَا يَحْمِلُ هَمَّ رِزْقِ أَوْلَادِهِ وَهُمْ رُبَّمَا لَا يَتَجَاوَزُ
عِدْدَهُمْ أَصَابِعَ يَدِ الْوَاحِدَةِ، فَكَيْفَ لَوْ قِيلَ لَهُ أَنْتَ مَسْئُولٌ
عَنْ رِزْقِ قَبِيلَةٍ - فَضْلاً عَنْ أُمَّةٍ مِنَ النَّاسِ - لِأَصْبَحَ مِنَ
الْمَحَالِّ عَلَيْهِ هَذَا، وَلَكِنْ انظُرْ كَيْفَ تَكْفُلُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِأَرْزَاقِ
الْخَلْقِ كُلِّهِمْ وَهُمْ بِهَذِهِ الْأَعْدَادِ الْهَائِلَةِ.

وَرِزْقُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بغير عدد ولا حساب، فَيَدُهُ مَلَأَى سَحَاءَ
الَّيْلِ وَالنَّهَارِ؛ وَمَعَ سَعَةِ رِزْقِهِ فَإِنَّهُ لَمْ يَنْقُصْ مِنْ خَزَائِنِ جُودِهِ
شَيْئاً.

رَزَقَ الْجِنِّينَ وَهُوَ فِي بَطْنِ أُمَّةٍ وَلَوْ اجْتَمَعَ الْآدَمِيُّونَ كُلُّهُمْ
عَلَى أَنْ يَرْزُقُوا وَاحِداً مِنْهُمْ لَعَجَزُوا، وَاتَّصَلَ رِزْقُهُ لَهُمْ
وَأَعْدَادُهُمْ بِآلَافِ الْمَلَائِكِينَ إِلَى مَمَاتِهِمْ، وَرِزْقُهُ لَهُمْ مُتَنَوِّعٌ
بِمَا لَا يُحْصَى تَعْدَاداً وَنَوْعاً.

وَمِنْ كَمَالِهِ وَسَعَةِ جُودِهِ أَنَّهُ يَرْزُقُ الْخَلْقَ كُلَّهُمْ مُؤَمَّنِهِمْ
وَكَافِرِهِمْ، بَرِّهِمْ وَفَاجِرِهِمْ، فَانظُرْ لِرِزْقِهِ لِلْكَافِرِينَ مَعَ
إِقَامَتِهِمْ عَلَى كُفْرِهِمْ وَمُبَارَزَتِهِمْ لِرَبِّهِمْ بِأَعْظَمِ ذَنْبٍ وَأَشْنَعِهِ،

ومع ذا يرزقهم حتى يبلغوا آجالهم ويستكملوا حياتهم.
 - وقضية الرزق ليس لها ارتباط برضا الله عن عبده

أو سخطه عليه؛ انظر كيف وسّع الله في رزقه على الكافرين، وضيّقه على طائفة من المؤمنين، فليست السعة دليل رضاه، وليس الضيق دليل سخطه أيضاً، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهْنَنِ

﴿١٦﴾ كَلَّا ﴿ الفجر: ١٥-١٧]

فلا يغترّ مقيمٌ على معصية برزق الله له، ويظنّ أنّ هذا دليل رضا الله عنه، ولا يتسخط مؤمن على تضيق الله عليه، بل كله ابتلاء وامتحان.

وقد يوسّع الله الرزق على المؤمن، ويضيّقه على الكافر والعاصي، فالميزان إنّما هو استقامة العبد أو انحرافه.

- ويقين القلب التام بأنّ الرازق على الحقيقة - هو الله سبحانه - يُحقق معها العبدُ صدق التوكل، لأنّ أعظم

قضية أشغلت البشرية هي: قضية الرزق؛ فتعلقت القلوب بالأشخاص والأسباب، وارتكبت المناهي، وتعدت الحدود وسفكت الدماء، وقطعت الأرحام بسببها، ولذا فإن القرآن عند ذكر قضية الرزق يأتي بالبيان الواضح فيها بأن الله هو الرزاق وحده دون سواه، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطِيعُونِ ٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ٥٨﴾ [الذاريات: ٥٦-٥٨]

فانظر لأسلوب الحصر في هذه الآية فقدّم الضمير «هو» مما يدل على أنه هو الرزاق فقط ولا أحد سواه.

ولئن كان الخلق ينفع بعضهم بعضاً فحقيقته أن الله قد جعلهم أسباباً، فحنن الوالدين على أولادهم، والأزواج على زوجاتهم، والأقرباء على قرابتهم، وسائر الخلق بعضهم على بعض، وسخرهم بما تكفى به شؤونهم؛ فلا تحمل رزق أي أحد حتى ولو كان أقرب قريب وألصق

مخلوق بك - وهو ابنك - فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَقُولُ لَكَ: ﴿لَا
سَأَلُكَ رِزْقًا مِّنْ نَّرْزُقِكَ﴾ [طه: ١٣٢]

- واطمئن لرزقك، فكما أن الموت يُدرك الخلق كلهم،
فكذلك رزقك تناله لا محالة، يقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ
الرِّزْقَ لَيَطْلُبُ الْعَبْدَ كَمَا يَطْلُبُهُ أَجَلُهُ» (١).

ولو تأمل الواحد منّا في هذه القضية لوجد عجباً عجاباً؛
لقد كان كل واحدٍ منّا يحمل والداه همّه في الرزق، فإذا به
يتزوج ويستقلّ ويستغني بنفسه، بل ربما يصل لدرجة أن
يُنْفِق - إن وُفق - على والديه لتوقن من حالك وحال غيرك
أنّ الله هو الرزاق لا الوالدين ولا غيرهم.

فلا تحمل همّ هذه القضية، فكل الأرزاق مكتوبة،
ومحسوم أمرها، ففي الحديث يقول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «إِنَّ
رُوحَ الْقُدُسِ نَفَثَ فِي رُوعِي أَنْ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَكْمَلَ
أَجَلَهَا، وَتَسْتَوْعِبَ رِزْقَهَا، فَاتَّقُوا اللَّهَ، وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ،

(١) رواه ابن حبان، وهو في صحيح الترغيب والترهيب.

وَلَا يَحْمِلَنَّ أَحَدُكُمْ اسْتِبْطَاءَ الرِّزْقِ أَنْ يَطْلُبَهُ بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ،
فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يُنَالُ مَا عِنْدَهُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ» (١).

- وبحسب يقين المرء بهذه القضية يكون اطمئنانه لها،
وابتعاذه عن الكسب الحرام، ولئن كان المرء مطالباً
بالسعي لطلب الرزق فإن القضية الأعظم هي: تعليق
القلب بالله وحسن الظنّ به.

ترى أناساً كانوا فقراء ولا يملكون من حطام الدنيا شيئاً
وإذ بهم يُصبحون من أرباب الأموال، وأصحاب الثروات أو
على أقل تقدير نعرف جميعاً أناساً كانوا أصحاب كفاف
فإذ بهم صاروا ميسوري الحال واستغنوا عن البشر في صورٍ
كثيرة لا تُحصى.

- **ويجتمع مع رزقه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى علمه بحال كل أحد،
فرزقه عن علم وحكمة،** فيعلم ما هو الأنفع لهذا
العبد أهو الغنى فيغنيه أم الفقر فيُفقره.

(١) رواه ابن ماجه بسند صحيح.

ويعلم ما هو الأصلح لهذا أهو رزق العلم فيعلمه أو
الجهل فيمنعه هذا الفضل بمقتضى علمه.

وما الأنسب لهذا أهى الصحة فيعافيه أم المرض فيبتليه،
فسبحان الرزاق العليم.

وانظر كيف رزقه لسائر المخلوقات فيرزق الطير
في الجو حيث تغدو خماصاً وتعود بطاناً قد كفاها الله
حاجتها، ورزقها بما تقوم به حياتها.

ورزق الأسماك في الماء بقدرة عجيبة لتعيش حياتها
حتى تنقضي آجالها، مع أنّ الصغير منها يعيش بين أسماك
تلتهم كل شيء ولكن الله ضمن لكل واحدة رزقها في تدبير
عجيب.

ورزق الدوابّ الكبيرة والصغيرة والحشرات والهوم
وهم بأعداد لا يُحصيها إلا الله، فترى الحشرة وهى تدبُّ
على الأرض لا تدري من أين تأكل ومن أين تشرب، وكيف
تطعم وترتوي؟!

فسبحانه ما أوسع رزقه، وما أكثر نواله وعطاياه.

- وعندما يُذكر رِزْقُ الله يتبادر لكثير من الأذهان رزق الطعام والشراب وما ذاك إلا لتعلق أكثر النفوس فيها - وهو لا شك رزق عظيم وعطاء جزيل - ولكن حصره بهذا فقط تضيق لمعنى الرزق الكبير، فرِزْقُ الله واسعٌ بأصناف لا حصر لها، وهو دالٌّ على عظمة صفاته وجلالة أفعاله.

فإذا أردت العيش مع هذه الصفة والمعرفة الحقيقة لها، وتحصيل أثرها في نفسك فتعرّف على معناها الواسع الذي لا منتهى له.

- استحضر رزق الله للعالمين بمعناه العام، فهو الذي قد أغنى كل محتاج، وأفاض على كل فقير، وسدّ خلة كل مضطر، وأمّن رزق كل مخلوق.

يرزقك الصحة في البدن.

ويرزقك الراحة النفسية والطمأنينة القلبية.

ويرزقك الأنس بالناس والأهل.

ويرزقك النوم لتستريح.

ويرزقك العلم لتُبصر مصالحك.

ويرزقك العمل لتكفي نفسك.

ويرزقك الهداية لمصالح نفسك الدنيوية.

انظر الى رزقك في النفس الذي يتردد في داخلك والذي به قوام حياتك، وإلى صحتك التي لا تشعر بها إلا عند المرض؛ من الذي رزقك إياها على الدوام؟

ووهبك إياها بلا سؤال؟

إننا لا نشعر بها لتوالي فضل الله علينا بها، ومفردات هذه الأرزاق المتوالية المغفول عن شكرها لا حصر لها.

يرزقك أعظم رزق، وهو: الهداية للإسلام

فيجعلك مسلماً ومليارات البشر غيرك - أكثر منك مالاً، وأقوى منك بدنًا، وأصحّ منك جسداً، ووصلوا

لمخترعات دنيوية لم تصل لعشرها - ومع ذلك هداك الله وأضلهم، وقربك وأبعدهم.

هذا الرزق الذي لو أفنيت عمرك كله لتشكره ما أديت عشر معشاره، فبه أنقذك الله من النار ﴿وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُم مِّنْهَا﴾ [ال عمران: ١٠٣]

- **ومن الرزق النفيس: رزق القلوب بالحقائق الإيمانية والمواهب الربانية،** فيرزق القلوب الإيمان بربها وحبه واللذة بمناجاته، ويرزقها حب نبيها صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وحبّ التأسّي به والشوق إليه، ويرزقها حب الطاعات، وانشراح الصدر لها، وحب مرضيه وتقديمها على حظوظ النفس.

- **يرزقك أشرف عطية وأكرم نعمة، وهو: العلم به وبشرعه؛** وهو أعظم رزق بعد الإسلام، وهو من الرزق الذي يصطفي له الله الصفوة من خلقه، فيرزقك حبه واللذة بهذه المحبة.

- يرزقك حب نفع العباد وبذل المعروف لهم،
ويصطفيك للدعوة بأن يجعلك من خلفاء رسله
- عليهم الصلاة والسلام - فتبلغ رسالة ربك، ولذا
ينبغي للداعي بالرزق أن يلحظ هذا المعنى الشريف،
فيسأل ربه الرزق النافع للقلوب، والهادي للأفئدة.

- يرزقك - الرزاق سبحانه -: **حب الإحسان للناس**
بجميع أنواعه لتنفع خلقه، وتحسن إلى نفسك بهذا
العمل.

- ويمتد رزقه لأهل السعادة من عباده بدخول الجنة
والفوز بنعيمها الدائم في دار كرامته ومستقر رحمته
بأرزاق متتابعة كاملة يقف المتأمل عندها حائراً مع
سعة ذلك الرزق، قال سبحانه - عن رزقه هذا-: ﴿إِنَّ

هَذَا لِرِزْقِنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ ﴿٥٤﴾ [ص: ٥٤] وقال سبحانه وتعالى:

﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ

خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا ﴿١١﴾ [الطلاق: ١١] فهو أحسن

الرزق وأكمّله وأوفاه.

وهذا هو الرزق التامّ - لمن عقل - فرزق الدنيا مهما كثر
وطال به العهد، ففيه من المنعصّات ما فيه، وهو في النهاية
منقطع ومضمحل، أما رزق الآخرة فهو الأعظم شأنًا،
والأكمل حالًا، والأبقى زمانًا.

فلذا إذا دعوت الله بالرزق فاستحضر كل معاني الرزق
ولا تحصره بمال أو بأمور الدنيا الفانية.

وإذا عرفت أنّ رزقك في السماء فاحرص على أن لا يزال
لك عمل صالح يصعد في كل حين، واحذر من أن يصعد
لك عمل سيء، فلا تُقابل نعمه بالكفران.

- ربُّك «خير الرازقين» فهو خير من رزق، وأوفى من
أعطى، وأكمل من وهب، وبعضنا يحصر رزقه في
أمنيّاته ولا ينظر لرزق ربه له في هباته من غير مسألة.

استحضر أرزاقه عليك المتابعة في يومك هذا فقط،
فهل تستطيع أن تحصيها وتؤدي شكرها، فكيف بأرزاقه

عليك في أسبوعك وشهرك وسنتك وكم عددها في سنوات
عمرك؟!

- ربُّك «خير الرازقين» باعتبار نفع هذا الرزق لك،
وشدة احتياجك إليه.

وكثيرون لا يدركون هذا المعنى، فيطمع في رزق معيّن
من مال ووظيفة ومنصب وزوجة وولد ولا يدري فلعلّ فيه
عطبه وهلاكه، ولكنه إن آمن أنّ الله «خير الرازقين» رضي
وقنع وشكر.

ربُّك «خير الرازقين» فإذا أنفقت في سبيل الله وأحسنت
إلى عباده كافأك برزق منه، وأخلف عليك بخير، وعوّضك
وأفاض عليك من جوده وكرمه، فمن أنفق أنفق الله عليه،
ومن جاد جاد الله عليه، فلا تمنع ما أوجب الله عليك من
الزكاة والنفقات الواجبة، ولا تبخل بفضل مالك خوفاً من
الفقر والفاقة، فالله وعدك بالخلف وهو لا يخلف الميعاد.

فاللهم ارزقنا من واسع فضلك يا كريم.

﴿ (١٢) الخبير ﴾

من أسماء الله: **الخبير**.

وورد هذا الاسم في القرآن الكريم خمسًا وأربعين مرة.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: **(الخبير هو: الذي انتهى علمه إلى الإحاطة ببواطن الأشياء وخفاياها كما أحاط بظواهرها)** (١).

والخبير بمعنى العليم -أيضاً- ولكن فيه زيادة معنى، وهو: **(إدراك المعلوم على حقيقته)** (٢).

قال الغزالي: **(.. وهو بمعنى العليم، لكن العليم إذا أُضيف إلى الخفايا الباطنة سُمي خبرة، وسُمي صاحبها خبيراً)** (٣).

(١) [الصواعق المرسلّة: ٢/ ٢٩٤]

(٢) [لفروق اللغوية: ٩٣]

(٣) [المقصد الأسنى: ٦٣]

وقال الخطابي: (فهو العالم بكنه الشيء، المُطلع على حقيقته) (١).

- دق علمه ولطف حتى أدرك السرائر وما أخفى، فلا يعزب عنه شيء من أحوال الكون كله، يعلم ما يُسرّ من الأقوال، وما يُهمس من الأصوات، وعلمه بما دق كعلمه بما ظهر، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَأَسْرُؤُا قَوْلِكُمْ وَأَوْجَهُرُوا بِهِ ۗ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [الملك: ١٣].
وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسْرَرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ ۗ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾ [الرعد: ١٠] فكلهم سواء عند الله.

فالله خبيرٌ بمسارقة النظر للحرام، ومحاولة إخفائه عن الحاضرين، فلو كان العبد في عتمة الليل وظلمته، أو في الأماكن التي يظنّ أنه خال فيها ساعة أو صد عليه الأبواب، وتخفى عن أعين الناس، واعتقد أنه لا يراه أحد، فربّه مطلع

(١) [شأن الدعاء: ٣٦]

عليه خير بعمله.

وقد جاء وصفُ الله في كتابه بأنه: **حكيمٌ خيرٌ، وعليمٌ خيرٌ، ولطيفٌ خيرٌ، وخبيرٌ بصيرٌ.**

فَعِلْمُهُ عن **خبرة** تامة أحاطت بكل موجود، وببصر نافذٍ لا يخفى عليه شيءٌ من أمور العباد.

و**خبرة** قد أحاطت بالعباد لطفًا ورحمةً، وعنايةً ورعاية. و**خبرة** بحكمة بالغة في تدبير شؤونهم، وإتقانٍ لأمرهم، وعدل لكل قضاء يقضيه عليهم، فسبحان من جمع هذه الصفات على هذا الكمال.

- ولما وصف نفسه بذكر بعض آياته الدالة على عظمته كخلق السماوات والأرض، واستوائه على العرش، قال: ﴿الرَّحْمَنُ فَسَّئَلْ بِهِ خَيْرًا﴾ [الفرقان: ٥٩] ذلك أنه **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** هو الخبير بنفسه، ولا يحيط أحدٌ بكنه ذاته، وحقيقة صفاته وعظمته إلا هو.

- والله خير بما يصلح عباده فما يُقدِّره عليهم من فقر وغنى، وشدة ورخاء، وصحة وأسقام ونحوها ممَّا يجري على العباد فكلها بتقدير عليم خبير، فهو أعلم بمصالحهم من أنفسهم، وبذا يبطل عند العاقل حال المتسخط على القدر، فالخير سبحانه وتعالى لا يُقدِّر أمراً عبثاً، ولا يكون في أقداره ظلم أو جور - حاشاه سبحانه - بل أقداره وأقضيته بعلم كامل بمصالح العباد، والتي هي دائرة بين العدل والفضل (فضلاً في الإحسان، وعدلاً في العقاب والجزاء).

- ولما أنكر الجاهلون قدرة ربهم في تدبير أمر خلقه، وإحاطة علمه بهم - وذلك لجهلهم بربهم - جاء الجواب من العليم الخبير عن سعة علمه، وتمام إحاطته بالعوالم العلوية والسفلية والأقدار العامة، فقال سبحانه وتعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (١٤)

[الملك: ١٤]

فعلمه كامل بهذا الدليل العقلي الواضح، فكيف لا يعلم وهو الخالق العليم بتفاصيل ما خلق؟!

- تتعاقب الأمم على الأرض فتباين أعمالهم، وتتفاوت أحوالهم، فيكون هذا عاص، وذاك طائع، وهذا يُحسن وآخر يُسيء، وهذا ظالم وذاك مظلوم، فيحيط الخبير سبحانه وتعالى بهذه الأحوال كلها - **إحاطة علم وخبرة** - ويجازي كل عامل بحسب عمله، قال

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ [سورة الإسراء: ١٧]

- ويسجل لنا القرآن جملةً من وصايا لقمان لابنه، ومما جاء فيها قوله تعالى - حكاية عنه - : ﴿يَبْنِيٰ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: ١٦].

- فما تفعله في لحظة ضعف منك من معصية وقد غاب ذهنك عن مراقبة الله، أيقن باطلاعه عليك، وإحاطته

بك، فهذه المظلّمة التي اكتسبتها ولو كانت داخل صخرة صماء لا قدرة لبشر أن يراها إلا أنّها عند الله ظاهرة، ولخبرته بيّنة، ومهما غابت عن أنظار البشر في السماوات أو في الأرض، فالله يأتي بها ولا ينقص منها شيئاً، فسبحان الله القدير الخبير.

- يغيب عن سائر البشر علمهم بما يحدث لهم بعد ساعة - فضلاً عن بقية عمرهم - فكم من حبيب غاب عنه حبيبه وبعد ساعة أو أقل منها بلغه نبأ وفاته، فبالله عليك لو علم هذا المحبُّ أنّه سيفقد حبيبه بعد دقائق أو أنّ نظرتة التي نظر بها إليه هي آخر النظرات تُرى كيف سيكون حاله وشعوره؟!!

ولكن تأمل علم العليم الخبير بما يحدث لعباده من أمور الغيب كلها التي لا يعلمها إلا هو، فالله وحده هو الذي: ﴿عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: ٣٤]

فهو عليمٌ خبيرٌ بأجل كل نفس، ونهاية كل مخلوق، بل بما هو أقل من ذلك، فهو عليمٌ بسقوط الجزء الصغير من ورق الشجر ونحوه، يعلم موضع سقوطها، وكيف سقطت، وأين تحملها الرياح، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا أَلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلْمَتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾

[الأنعام: ٥٩]

ويعلم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ما يلج في الأرض من بذر الأرض، وقطر المطر، وبما يخرج منها، وما يعرج في السماء من أرواح وأعمال وأوامر صاعدة ونازلة في علم محيط وخبرة يعجز عن وصفها أحد.

- وإذا قضى العبد حياته وانتهى أجله حفظ له الخبير سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عمله ليجازيه عليه، وليوقن أنه لم يظلمه بشيء، فمن شأنه وصفاته أنه ليس بظلام للعبيد، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَإِنْ كُنَّا لَمَّا لِيُؤْفِقَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ

خَيْرٌ ﴿١١١﴾ [هود: ١١١] فيقدم العباد على ربهم ليؤفهم أعمالهم، ولا تكون النجاة يومئذ إلا لأصحاب القلوب السليمة الطاهرة النقية، فمن آمن بهذا حقيقة الإيمان راقب باطنة ليقينه باطلاع الله عليه، فهو يخشى أن يرى الله منه ما يُسخطه، أو يوجب عليه نقمته، فتجده يجتهد في صلاح قلبه، فنظر الله إلى القلوب، وإحاطته بالبواطن سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى كإحاطته بالظواهر.

لقد قرأ هذا العابد الناسك قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشعراء: ٨٨-٨٩] فعمل لصلاح قلبه، وارتجف فؤاده يوم قرأ قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ﴿١٠﴾﴾ [العايات: ١٠] فأيقن أن الأمر يحتاج إلى صدق في معاملة الخالق، ومراقبة الباطن والنيات والسرائر، فاعمل - أيها الناصح لنفسك - على صلاحها وطهارتها.

- **ومن معاني الخير:** (أنه يُوصل لعباده الخير، ويصرف عنهم الشر بطرق خفية) فكم من رزق وصلك من حيث لا تشعر، وكم من خير حصلت عليه بما لا تحتسب أو تظنّ، وكم من عطاء ظننت أنه سيفوتك فكانت رحمة الله أوسع من ظنك.

أرزاق وخيرات تصلنا ونتعجب كيف حصلنا عليها وكيف خصّنا الله بها، ولكن عندما ندرك معنى الخير بهذا المعنى، وأنه يرزق بطرق خفية، فإننا نشق بعطائه وفضله. فاللهم فوّضنا كل أمورنا إليك، فأحسن عاقبتنا فيها، وأنت اللطيف الخبير.



(١٣) العَظِيمُ

ومن أسماء الله **(العظيم)** وورد ذكر هذا الاسم في كتاب الله في تسع آيات، منها قوله **سُبْحَانَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَلَا يَتُودُّهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ**

أَعْلَى الْعَظِيمِ ﴿٢٥٥﴾ [سورة البقرة: ٢٥٥]

والله عَظِيمُ الشَّانِ، جليلُ القدر، فطرَ القلوب على تعظيمه وإجلاله؛ وعَظَمَةُ الله لا يقوم لها شيء، فهو: **(أَجَلُّ وَأَكْبَرُ وَأَعْلَى وَأَعْظَمُ وَأَكْمَلُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ)** قاله ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ ^(١).

قال الأصبهاني رَحِمَهُ اللهُ: **(العظمةُ صفةٌ من صفات الله تعالى لا يقوم لها الخلق)** ^(٢).

وقال ابن الأثير رَحِمَهُ اللهُ: **(العظيم هو: الذي جاوز قدره تعالى حدود العقول، حتى لا تتصوّر الإحاطة بكنهه وحقيقته)** ^(٣).

(١) [مجموع الفتاوى: ٦/ ٧٢]

(٢) [الحجة في بيان المحجة: ١/ ١٤١]

(٣) [النهاية في غريب الحديث: ٣/ ٢٩٥]

والله هو العظيم: (الجامع لجميع صفات العظمة والكبرياء والمجد والبهاء الذي تُحبه القلوب، وتُعظمه الأرواح، ويعرف العارفون أن عظمة كل شيء - وإن جلت في الصفة - فإنها مضمحلة في جانب عظمة العلي العظيم) قاله الشيخ ابن سعدي (١).

- ومعاني التعظيم الثابتة لله وحده نوعان:

أحدهما: أنه موصوف بكل صفة كمال وعظمة، وله من ذلك الكمال والعظمة أكملها وأوسعها، فهو:

عظيمٌ في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله.

وعظيمٌ في علمه ومشيتته ونفاذ أمره.

وعظيمٌ في رحمته ومغفرته.

وعظيمٌ في قدرته وقوته وانتقامه.

وعظيمٌ في لطفه وعفوه.

(١) [الحق الواضح المبين: ٢٦-٢٧]

وعظيم في عزته وحكمته.

وعظيم في عطائه وإحسانه.

وعظيم في حكمته وتدبير شؤون خلقه.

وعظيم في كرمه وجوده ... فله العظمة المطلقة.

وهو أعظم من كل شيء، وأعلى من كل شيء، وأجل مما يظن الظانون، أو يتوهم المتوهمون.

ما آمن عبدٌ بربه حقاً، وعرف صفاته الكاملة إلا أيقن أنه إله عظيم، وربٌ كريم ليس كمثل شيء في عظمته وجلاله وسلطانه، ولا يستحق العبادة أحد سواه.

وكلُّ صفةٍ عظيمةٍ فاللهُ متصفٌ بها، وله من تلك العظمة أكملها.

وعظمته ليس لها بداية أو حد، فالبشر - كل البشر - عظمتهم تأتي بعد ضعف، وتنتهي إلى عجز أما الله فعظمته أزلية، فهو عظيم ازلاً وأبداً.

ومظاهر عظمته في خلقه لا حصر لها.

- تأمل في خلقه للسموات والأرض، وكيف خلقهما وما فيهما بهذه العظمة والقوة، ومع عظمتها وسعتها

«إلا أنهما في كفه سبحانه وتعالى أصغر من الخردلة في يد أحدنا»^(١).

ومع قوتها وثقل ما فيهما فإنه لا يؤده ولا يثقله ولا يُعجزه حفظهما فهو العلي العظيم.

ولئن اغترَّ بعضُ الخلق بخلقهم وعظمتهم إلا أنهم لا يُساوون شيئاً أمام عظمة وخلق السموات والأرض، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [غافر: ٥٧]

ومن كمال عظمته تكاد السموات - مع عظم خلقهن - أن يتشققن من خشيته لعلو قدره، وكذلك الملائكة يُعظمون ربهم ويُسبحونه إجلالاً وتنزيهاً عن كل باطل يُنسب إليه،

(١) [ذكره الطبري عن ابن عباس رضي الله عنهما]

قال الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ
يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ ۗ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ
الرَّحِيمُ ﴿٥﴾ [الشورى: ٥]

قال ابن جرير الطبري: (تكاد السموات يتشققن من فوق
الأرضين من عظمة الرحمن وجلاله) (١).

وعظمته ظاهرة في ما خلق في البر والبحر، وظاهرة في
خلق الانسان والجان والملائكة.

ومن عظمته: أنه لا يفوته أحد ممن عصاه مهما بلغ في
القوة، ومهما اغترّ بجنده.

وتظهر عظمته في الآخرة بتغيير معالم الأرض والسموات
وأحوال الكون.

وتظهر عظمته في جمعه للخلائق كلهم فلا يقدر أحد
منهم أن يفوته مع كثرتهم، ولو تصوّرت هذا حق التصوّر
لأذعت لعظمته.

(١) [تفسير سورة الشورى]

وتظهر عظمته في حسابهِ للخلائق، وقدرته على جزائهم على أعمالهم مع تنوعها.

وتظهر عظمته في خلق الجنة وكثرة نعيمها وسعته وتنوعه ودوامه الأبدي.

وتظهر عظمته في خلق النار وعظمة خلقها ودوام عذابها... ومظاهر عظمته لا حصر لها.

النوع الثاني من معاني عظمته تعالى: أنه لا يستحق أحد أن يُعظم كما يُعظم الله.

والعناية بهذه القضية من أعظم الأمور، فتعظيم غير الله كتعظيم الله قد يُوصل صاحبه إلى الشرك وكبائر الذنوب، فالتعظيم المطلق لا يكون إلا الله.

والمؤمنون يُعظمون ربهم لما قام في قلوبهم من العلم به، فيؤمنون بكل صفة من صفاته ويثبتونها له من غير تحريف عن معناها الحقيقي بمعان لا تليق به، ويعتقدون عظمته وعدم مشابهتها لصفات المخلوقين.

ويُتبع هذا تعظيم شرعه، وعند ورود أوامره، فأوامر الله حقها أن تُعظَّم، وأن يُؤدِّيها العبدُ على وجه الإجلال، ويسعى لإدراك الإنس فيها، ومن تأمَّل في سير العلماء والعباد وجد صوراً عجيبة في الاستجابة التامة لربهم وتعظيم أوامره.

ويُعظّمونه عندما تدعوهم النفسُ الأمّارةُ بالسوء لمعصيته فلا يتساهلون بالجرأة عليها، فهم يُؤمنون أنّ الأمر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَظِيمٌ وهو عزيزٌ ذو انتقام.

ويُعظّمونه عند تسبيحه، وحمده والثناء عليه، فتجد الإجلال والخشية التي ملأت جوارحهم عند لهج اللسان بذكره.

وتعظيمهم لربهم - **تعظيم حُبِّ وإجلال** - وهذا أمرٌ عجيب، فهو مع عظمته وقوته محبوباً لأوليائه، وهذه العظمة تورث الاخبات له، والخضوع لكبريائه، والخوف منه، وامتلاء القلب بخشيته، والذل بين يديه، وانشغال اللسان بذكره، وشكره والثناء عليه، وقيام الجوارح بالعبودية الحقّة له، فأَيُّ عظمةٍ أعظَمُ من هذا؟!!

وهو العظيم الحليم، فلا تستعظم ذنباً أن يغفره إذا صدقت في توبتك، أو تستعظم همّاً لا يفرّجه عنك، فهذا من ظنّ السوء بالله.

فالله هو العظيم الذي بيده تفريج كل همّ وغمّ، فكلمات الفرج والتيسير من لدنه وحده، ففي الحديث يقول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «كلماتُ الفرج: لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ الْحَلِيمُ الْكَرِيمُ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ، لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ، وَرَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ»^(١).
ومن تعظيم الله: تعظيم كتابه.

وتعظيمه يكون بالإيمان به، والاعتقاد أنّه كلام الله تكلم به حقيقة، ومن تعظيمه العمل به، والتحاكم إليه، والعناية بمعرفة معانيه، وتلاوته وعدم هجره، وتعظيمه عند سماعه وعدم الانشغال عنه.

ومن تعظيم الله: تعظيم نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتعظيم سنته.

(١) أخرجه السيوطي في الجامع الصغير وهو حديث حسن

وذلك بالإيمان به، ومعرفة مكانته، واعتقاد أنه خير خلق الله، وأنه خاتم أنبيائه ورسله، وتوقيره وتعزيره، وتعظيم سنته وأقواله وأفعاله، والعمل بها ونشرها.

- إذا كاد لك أهل الأرض، واجتمعت عليك قوى الشر جميعاً، فعَلِّقْ قلبك بالله، وفوّضت أمرك إليك، فأيقن أنك لُذتَ بعظيم، وآويتَ إلى ركن شديد؛ حمايته لك تصرف عنك كيدهم ومكرهم، فقد كاد الظالمون على مرّ التاريخ لأولياء الله ورسله من النبيين - عليهم الصلاة والسلام - ومن تبعهم من الصادقين، فكانت العاقبة لأهل الإيمان لأنهم توكلوا على الله وهو ربّ العرش العظيم، فعظّم الله كما ينبغي يزول من قلبك تعظيم البشر.

اللهم ارزقنا تعظيمك وإجلالك الإجلال والتعظيم الذي يليق بك، وارزقنا خشيتك واملأ قلوبنا بحبك يا ذا الجلال والإكرام.

﴿ (١٤) اللطيف ﴾

ما أعظم وقع هذا الاسم على النفس، وما أجمل أثره عليها، وكم تعظم معه آمنيات، وتحيا معه آمال كادت أن تموت، تتعلق القلوبُ المؤمنة بربها إذا سمعته، وتستبشر خيراً عند وروده عليها، فلطف الله بعباده لا منتهى له، فقد أحاط بهم في حياتهم كلها.

وقد ورد ذكر هذا الاسم الجليل لربنا في كتابه سبع مرات.

فاللطيف هو: البرُّ بعباده، الذي يلطفُ بهم من حيث لا يشعرون، ويوصل إليهم منافعهم من حيث لا يحتسبون، ويحسن إليهم ببره وإحسانه بطرق خفية لا تخطر لهم على بال.

وهو اللطيف: (الذي يريد بعباده الخير واليسر)

تفضل على عباده بتعدد العطايا، وكثرة النوال والخيرات.
أعطاهم فوق الكفاية، وكلفهم دون الطاقة، وسهل لهم
الوصول إلى دار الكرامة لطفاً بهم ورحمة.

لو عَلِمَ العبد ما يُدبّر له اللطيف سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي الغيب
لذاب قلبه شوقاً إلى لقائه، ولأيقن بعظيم فضل ربه عليه
وإحسانه؛ فكم من بلية دفعها عنه وهو لا يعلم، وكم من
مصيبة كفّ عنه شرها وهو لم يشعر.

- يمرض المريض فيأس الأطباء من علاجه فيشفيه
الله ويعافيه ومن حوله في ذهول.

كان لي قريب قد حصل له حادثٌ قبل أكثر من ثلاثين
سنة فبُترت ساقه، ودخل في غيبوبة، وقال لنا الطبيب الذي
يعالجه سأقرصه من مكان فإن تحرك، فالأمل في حياته
ممكّن وإلا فاسألوا له الرحمة والمغفرة فستكون حياته شبه
ميؤوس منها، فقرصه قرصاً شديداً ولكنك كأنما تقرص
ميّتاً، فخرجنا من عنده ونحن ننتظر اتصالهم حتى ينزعوا

عنه الأجهزة ويُدفن، فإذا به بعد أيام يسترد العافية شيئاً فشيئاً، ويكبر ويعود لحياته الطبيعية، ويتزوج ويُرزق بأولاد وبنات زوج أكبرهم قبل أشهر وفرح به.

وآخر من أحببنا وأصدقائنا قضى الله عليه بحادث سير، ودخلنا عليه العناية المركزة أنا وصديق لي فلما رأيناه بكينا عليه بلا شعور من شدة الحال التي كان عليها، فخرجنا من عنده وإذا بالمدير المناوب - وكان سيء التقدير للأمر - فقال لنا: (مثل هذه الحالات غالباً لا يمضي عليها أربع وعشرون ساعة إلا وقد مات) فزادنا - والله - حزنًا، فإذا به يتعافى بعد أيام وينشط ويعود لحياته وكأنه لم يُمس بأذى؛ فأيقن بلطف اللطيف بك وأنت في أحلك الظروف التي تمرُّ بها.

- **يلطف الله بعبده بأن يخلقه من أبوين مسلمين فلا يعرف كفرةً ولا شركاً، أو يلطف به بعد ذلك فيشرح صدره للإسلام بعد أن كافرًا.**

– ويلطف بعبده بأن يهديه لطاعته ويُحبّب له الإيمان وشرائع الإسلام، ويوفقه لفعالها فتكون العبادات يسيرة وسهلة عليه.

– ويلطف بعبده بأن يحميه من الوقوع في المعصية، فيُبغّضها له أو يصرفه عنها بعد انعقاد أسبابها.

– ويلطف بعبده بأن يهيئ له صحبة سالحة تُعينه على فعل مراضيه، والإكثار من محابّه.

– ويلطف بعبده بأن ينشأ في بيئة تُحب العلم وتُجلّ أهله، فينشأ محباً له شغوفاً به.

– ومن لطفه بعبده أن يهيئ له عملاً صالحاً يبقى له صدقة جارية بعد مماته، فيوفقه لغرس زرع أو حفر بئر أو يبني مسجداً أو دارَ علمٍ يُنهل من معينها أو يوفقه لتعليم علم فيرثه طلبة ينشرونه فينتفع به زمناً طويلاً أو يسر له أدوات التأليف فيُخلف بعده كتباً تنتفع بها الأمة.

- **ويلطف بعبده بأن يرزقه القناعة،** فلا يُشغل باله بحطام الدنيا الفاني ليلتفت لمعالي الأمور من العلم النافع ونشر الخير لينال شرف الدنيا والآخرة.

- **ويلطف بعبده بأن يرزقه زوجةً صالحَةً** تُساعده على أمور الحياة وتعينه على طاعة ربه وعلى تقديم ما ينفع أمته.

- **ويلطف بعبده بأن يرزقه أبناءً بررة** تقرّ بهم عينه، وتفرح بهم نفسه وهو يراهم عباداً صالحين.

ولو فاتك ما فاتك من هذه الألفاظ فقد عوّضك أطفافاً غيرها، فأنت الآن في عافية بدن وغيرك طريح فراش مرض، وأنت الآن في عافية اجتماع بأهلك وغيرك مشرّد، وأنت الآن طليق وغيرك سجين، وأنت آمن وغيرك خائف، ولو لم تُرزق كثيراً من هذه الألفاظ كلها فأنت مسلم وغيرك كافر، ووالله لا أعظم من هذا اللطف، فاحمد الله عليه وعلى أطفاه عليك التي لا حصر لها.

ومن لطف الله سبحانه وتعالى بعباده أن يُقدّر لهم أرزاقهم بطرق خفية وبما هو أنفع لمصالحهم لا حسب مرادهم الذي ربما كان فيه هلاكهم.

- كم من مصدر رزقٍ لو وظيفة تمنيتَ أنها تكون من نصيبك، فحال بينك وبينها قدر الله، فحمدت ربك بعد زمنٍ أنك صُرفت عنها.

- وكم من تجارة وددتَ أنك واصلت فيها فإذا بعد فترة يأتيك رزق من غيرها أضعاف أضعاف ما كنت تُؤمل، ويحصل انهيار عام في تلك التجارة التي حزنت لفواتها.

- وكم من فتاة تمنيتها زوجة لك، وحزنت لفواتها، وإذا بك بعد فترة حمدت الله على ما قضى من صرفك عنها، وكذا يحصل لكثير من الفتيات من تمنى زوج بعينه، فإذا هي بعد زواجها من غيره تحمد الله على لطفه بها وتقديره هذا الزوج الذي ارتبطت به.

أحداث كثيرة في حياتنا جميعاً جاءت خلاف ما نتمنى،
فإذا العوض من الله أعظم، والخير منه أجل وأكثر، وربما
لا يرى البعض منا هذا العوض ولكن الأمل باللطيف
سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَرْجَى، وحسن الثواب عنده في الآخرة أوفى.

- ومن لطفه بعبد المؤمن أن يعافيه من البلاء الذي
يضعف سيره إليه، ويحفظه من نزعات الشيطان بسوء
ظنه بمولاه، فيقوي قلبه ويحيطه برعايته ليواصل في
طاعة ربه حتى يلقاه.

- ومن لطفه بعبد إخفاء أجله عنه لئلا تتعكر عليه
حياته، فيعيش بالأمل حتى يدركه الأجل.

- ومن لطفه أن ينسي عبده التائب ذنوبه لئلا يتنغص
عليه عيشه.

والطاف الله بخلقه لا منتهى لها ولا يستطيع أحد إحصاءها،
ولو استعرض العبد لطف الله به في نعمه الظاهرة لفنيت الأعمار
ولم ندرك لها عدداً، والخلق في هذه الألفاظ متفاوتون.

ومن معاني (اللطف): (أنه الذي دق علمه ولطف حتى علم بالسرائر، وأطلع على مكونات الصدور والضمائر، فهو عليم بالأمور الخفية والتي هي في غاية الخفاء واللطف).

فإذا عرفت هذا فلا يرى الله في قلبك إلا كل ثقة، ولا يسكن فيه إلا كل رضى عنه وعن أقداره.

يتلو المؤمن هذه الآية: ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ﴾

الْعَزِيزُ ﴿١٩﴾ [سورة الشورى: ١٩]

فيطمئن لرزقه، وتوقن نفسه بحصول الخير ووصوله لها، فلا يحمل هم رزق، ولا تتكدر له معيشة، فقد آمن وأيقن بلطف الله به - خصوصاً إذا فهم معنى الرزق الواسع - فلا يحصره بمال أو زوجة أو ولد، ويزداد يقيناً وهو يرى رزق ربه المتنوع، وألطفه عليه وعلى غيره تتوالى بعدد أنفاسه.

تمرُّ بِيُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ابْتِلَاءَاتٌ عَظِيمَةٌ مِنْ:

حسد نفوس

وكيد إخوة

ورمي ببئر

وفتنة امرأة

والم سجن

وفتنة ملك

وحرمان من حنان والدين

ومع ذلك يرى لطف الله به في حياته كلها فيلهج بهذا

الثناء: ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [يوسف: ١٠٠]

فعلق قلبك باللطيف، وأمل معه كل خير، وتحلى بهذه

الصفة الشريفة، وتخلق بخلق اللطف المنيف، فكن مع

الخلق لطيف المعشر، حسن التعامل، أديب الألفاظ ليسعد

من حولك بك، ويحبون مجالستك، ويأنسون بلقائك،

فالفظُّ الغليظُ منبوذ، والجاني لا يطيقه أحد.

اللَّهُ في رحاب العظمة اللَّهُ

فاللهم ارزقنا رحمةً من عندك تُغنيننا بها عمّن سواك،
ولطفاً من لدنك يُطمئنُّ قلوبنا، وعافية من خزائن جودك
ننال بها سعادة الدارين .



﴿ (١٥) التَّوَاب ﴾

لقد علم الله ضعف عباده، وغلبت شهواتهم عليهم،
وتسلط الشيطان على كثير منهم، وأنّ الذنب لا يكاد ينفك
عن كثير منهم، والعودة إليه بين الفينة والأخرى هو دأبهم،
ففتح لهم باب التوبة وجعله عريضاً يسع كل الداخلين،
يقول رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ اللَّهَ جَعَلَ بِالْمَغْرِبِ بَابًا،
عَرْضُهُ مَسِيرَةُ سَبْعِينَ عَامًا لِلتَّوْبَةِ لَا يُغْلَقُ؛ مَا لَمْ تَطْلُعِ
الشمسُ مِنْ قِبَلِهِ**»^(١).

- يُسْرِفُ الْعَبْدُ عَلَى نَفْسِهِ، فلا يدع ذنباً إلا فعله، ولا
خطيئةً إلا ارتكبها، فتأتيه ساعةٌ ندم بعد هذا الإسراف
وتلك الخطيئات، فيريد الإقبال على ربه فيقبل الله
إنابته، ويمشى الهويّنا ناحية ربه فيأتيه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى
هرولة، ويصبُّ عليه الرَّحْمَاتُ صَبًّا، وذلك لجودة
وكرمه وتمام رحمته.

(١) رواه ابن ماجه وحسنه الألباني.

والتوبة هي: الرجوع من الذنب، والأوبة إلى الحق،
وهي منزلة شريفة ينزلها العبد طيلة حياته كلها لشدة حاجته
إليها حتى يلقي الله، فهي كما قال ابن القيم: **(أول منازل**
السائرين وأوسطها وآخرها)^(١).

وقد كان نبينا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كثير التوبة والاستغفار في
حياته كلها حتى أنّ الصحابة -رضوان الله عليهم- كانوا
يعدّون له في المجلس الواحد: **«رَبِّ اغْفِرْ لِي وَتَبَّ عَلَيَّ**
أَكْثَرَ مِنْ مِئَةِ مَرَّةٍ»^(٢).

وكان آخر ما نزل عليه آيات الاستغفار والتوبة، قال الله
سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۖ وَرَأَيْتَ النَّاسَ
يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۗ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ
كَانَ تَوَّابًا ۗ﴾ [سورة النصر] ليعلم العباد بأهميتها وشدة
الحاجة لها.

(١) [انظر منزلة التوبة من كتاب مدارج السالكين]

(٢) رواه أبو داود

(والله تَوَّاب): أي كثير التوبة على العباد.

يقبل رجوعهم من المعصية إلى الطاعة، وإنابتهم إليه،
وندمهم بين يديه مهما نكثوا التوبة وأخلّوا بها.

هل تستطيع أن تُحصي عدد من أذنب وتاب من بني
آدم؟! يستحيلُ هذا.

وهل بإمكانك عدّ الذنوب التي غفرها للعباد؟! هذا
محال أبداً.

فملايينٌ من البشر كفروا بربهم ثمّ تابوا فقبل الله توبتهم
ومحاً جرّمهم ذلك.

وملايينٌ من أهل البدع قد ضلوا السبيل، فاستبان لهم
بعد ذلك طريق الحق وشرح الله صدورهم للهدى، فتركوا
ضلالهم، وهجروا بدعهم، وجعل التوَّاب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي
قلوبهم حُبّ السنة وأهلها.

وأعدادٌ لا حصر لهم قتلوا أنفسهم لا يعلمها إلا الله،

فندموا وتابوا، وقبِل الله توبتهم وعفا عن هذه الخطيئة الشنيعة منهم.

وكثيرون ارتكبوا جريمة الزنى والسرقه والغش، وغيرهم أكلوا مال اليتامى، وآخرون طففوا الميزان، وأبناء عقّوا آباءهم، وجمعُ من الخلق قطعوا أرحامهم، وأزواجُ ظلموا زوجاتهم، وجيرانُ آذوا جيرانهم في سلسلة من الذنوب والمعاصي لا يعلمها إلا من أحاط بعباده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَلَكِنْ بعد زمن يتوب القاتل، ويندم أشدّ الندم الزاني، ويبرّ العاق، ويصل القاطع، ويُقلع شارب الخمر وغيرهم من أصحاب المعاصي فيعلم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أحوالهم، ويُحيط بتوبتهم ولا يخفى عليه إخلاصهم فيها، فيتوب على من استحق التوبة منهم، ويزيده توفيقاً وتسديداً، ويعين من ضعف ليتوب، ويُمهل من لا زال متردداً لعله يعزم على التوبة، ذلك لأنّه تَوَّابٌ رَحِيمٌ.

ومن رحمته بالتائبين الصادقين أنهم إذا ما صدقوا وأخلصوا في توبتهم بدّل الله سيئاتهم حسنات، ولو عفا فقط عن التائبين مع كثرة ذنوبهم لكان هذا منه إحساناً ورحمة، ولكن انظر لإحسانه عليهم، فهو ليس فقط يغفرها لهم ويعفو عنهم بل يُبدّل سيئاتهم حسنات، فأى رحمةٍ أعظم من هذه الرحمة؟!!

وأي جود أوسع من هذا الجود؟!!

فهذا ربكم التواب الرحيم.

وتوبته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى عِبَادِهِ مَحْفُوفَتَيْنِ بِفَضْلَيْنِ مِنْهُ:

فضل التوفيق للتوبة أولاً، فيُحِبُّ للعبد التوبة والإنابة،

ويجعل في قلبه حبّ الطاعة بعد إن كان نافرأً منها.

فتجده قد سابق للمسجد بعد أن كان لا يعرف له طريقاً.

ويصير القرآن جليسه بعد أن هجره زمنأً طويلاً.

ويُحِبُّ مواطن العلم بعد أن كان نافرأً منها.

ويصير أقرب الناس دمة بعد أن كان قاسي القلب.

فمن الذي حبه بهذه الفضائل؟

ومن الذي سهلها له؟ إنه الله التواب الرحيم.

وثاني أنواع الفضل من الله على التائبين: قبولها منهم.

فيقبل منهم التوبة مهما عظمت ذنوبهم، ومهما زادوا فيها وأسرفوا؛ فصار فضله سابقاً ولا حقاً، فله الحمد والمنة لا نحصي ثناء عليه.

تكون بين الرجل وأخيه خصومة، فيندم الأول ويأتي أخاه تائباً نادماً طالباً العفو فيأبى عليه.

هذا مُخطئٌ واحد فقط لم تطاوعه نفسه أن يعفو عنه أمّا الله فلسعة رحمته، وعظيم توبته على العباد يعفو ويتوب على الملايين من الخلق في رحمة عظيمة وفضل كبير، فسبحانه من إليه تواب.

والله لا يخذل من أقبل عليه، ورغب في التوبة والإنابة إليه، فلا تظنّ بربك إلا خيراً، فالله يُقرب المعرضين عنه فكيف بالمقبلين عليه!!

وتوبة الله على العباد واسعة، ولسعتها مظاهر، منها: **أنهم ينقضونها كثيراً**، فيتوب العبد، ويعاهد الله على ذلك ثمّ ينقضها ويعود للذنب المرة بعد الأخرى، ومع ذافائه **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** يقبلها منهم مهما تابوا ورجعوا إلى ربهم، وذلك لسعة توبته، ورحمته بهم، وعلمه بضعفهم، وحاجتهم لعفوه ومغفرته.

ومن مظاهر سعة توبته على العباد: **توفيقه للتائبين** وتسديدهم وإعانتهم على فعل ما يُرضيه وإلهامهم **مصالحهم**، وهداية قلوبهم، ورزقهم آثار توبتهم من تيسير أمورهم، ورزقهم القناعة والحياة الطيبة.

ومن مظاهر سعة توبته على العباد: **فرحته بتوبة عبده** (وهو فرح إحسان وبرّ ولطف، لا فرح محتاج إلى توبة عبده)

كما قاله ابن القيم.

فأي رحمة أوسع من هذه الرحمة؟!

فالعبدُ هو الجاني والمتعدي على المحارم ولكن الله يفرح بتوبته وما ذاك إلا لكمال فضله على عباده.

ومن مظاهر سعة توبته على العباد، وكمال رحمته:

محبه للتائبين؛ وهنا يقف المرء متعجباً من هذه المحبة، فمع كثرة ذنوب المذنبين، وتعديهم على حرّماته إلا أنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فوق توبته عليهم وقبولها منهم، يحبهم ويقربهم منه، وهي محبة حقيقة تليق به، فأقبل أيها المذنب على ربك قبل فوات الأوان واغتنم هذا الفضل منه.

ومن مظاهر سعة توبته على العباد: **رزق عباده التائبين**

الجنة وإنزالهم أعلى المنازل في دار كرامته، ومستقر رحمته،

فقد جعلها الله دار التائبين المنيبين، فما أوسع كرمه، وكمال

جوده.

ومظاهر سعة توبته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى عِبَادِهِ لاَ مَمْتَهَى لَهَا،
فما أعظم صفة التَّوَابِ، وما ألطف صنيعه بالعباد.

والتوبة وغفران الذنوب محض حق الله وحده فقط، فلا
يجوز الاعتقاد أنّ لأحدٍ قبول توبة العباد كما يظنه كثير من
أهل الضلال من أحنبار ورهبان النصارى واليهود بما يُسمونه
زوراً وبهتاناً (**صكوك الغفران**) أو ما يفعله غلاة الصوفية
مع المریدين لهم، فكل هذا من الضلال البين الواضح.

واسم «التَّوَابِ» من الأسماء التي يُتوسل بها عند الدعاء
فهو من مظانّ أسباب الإجابة، وقد كان هذا منهج الأنبياء
عليهم الصلاة والسلام، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عن إبراهيم
وإسماعيل: ﴿وَتَبَّ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٨]
فالزم غرز التوبة، واثبت على طريق التائبين ففيه عزُّ الدنيا
وشرف الآخرة.

اللهم ارزقنا التوبة النصوح وتقبلها منا يا تَوَّاب يا رحيم،
اللهم اشرح صدورنا لها وحببها لنفوسنا.

﴿ (١٦) الودود ﴾

تعرّف الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لعباده بأوصاف عديدة، وأسماء كلها حسنى تحمل معاني لها أثرها على النفوس والسلوك، فمنها: ما يُورث الخوف والخشية والرهبّة كالقهار والقوي والجبّار والعزیز ذو الانتقام ليعلم العباد أنّ ربّهم قويٌّ شديد فيخشون عذابه وانتقامه، ويحذرون سخطه.

ومنها: ما يحصل معها الرقة والخشية، وتذرف عنده الدمعة، ويزيد معه الطمع بفضل الله، وهي أسماء إن لامست القلوب حقاً رأّت ربّاً رحيماً لطيفاً عَفْواً كريماً، تفيء معه النفوس لربها، وتُقبل عليه، وتجعله إلهها ومعبودها، وتتعلّق به وتتخلّص من رق العبودية لسواه، ومن هذه الأسماء التي لها أثرها على النفس - كبقية الأسماء -:

اسم (الودود) وقد ورد ذكره في كتاب الله مرتين فقط.

(والودود في حق الله، له معنيان:

الأول: أنه بمعنى واد، أي الذي: يُحِبُّ أوليائه، وعبادَه الصالحين.

الثاني: أنه بمعنى مودود، أي: المحبوب من عباده لاستحقاقه لأعلى درجات الحب^(١).

فالله من رحمته وسعة فضله يُحِبُّ عباده الصالحين - مع أنه المتفضل عليهم بصلاحتهم - ويجعل في قلوبهم محبته - التي هي أعلى المواهب والأعطيات - ويتودد لأوليائه بأنواع المودة من تحبيب الإيمان لهم، وتزيينه في قلوبهم، ومن الإنعام عليهم بأنواع النعم، ومن سترهم ومغفرة ذنوبهم، فلم تزل عطاياه عليهم تترى لا تنقطع، فصار الفضل منه محيطاً بالعباد من كل جانب وفي كلِّ حال.

- **أحبُّ الصالحين من عباده فأحبُّ:** الصابرين، والصادقين، والمتقين، والمتطهرين، والتوايين،

(١) [انظر جلاء الأفهام لابن القيم: ٤٤٧]

والمحسنين، والمتوكلين، والمقسطين ونحوهم من أهل الطاعات، وأخبرنا بهذا النسعى أن نتحلى بهذه الصفات ونفوز بأعظم الهبات، وهي: **محبتة**.

ومحبته ومودته - كبقية صفاته - لا نكيّفها ولا نمثّلها ولا ننفيها بل هي محبة ومودة لا ئقة به، وهي ثابتة بنصوص الكتاب والسنة، ولا يجوز تأويلها وصرّفها عن ظاهرها، قال الله عنها: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: ٥٤] وقال: ﴿وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ [هود: ٩٠] وقال: ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ﴾ [البروج: ١٤] قال ابن جرير: («ودود») ذو محبة لمن أناب وتاب إليه يودّه ويحبه^(١).

وقال أعراف الخلق به صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ خَيْبَرَ: «لَأُعْطِينَ هَذِهِ الرَّأْيَةَ غَدًا رَجُلًا يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ، يُحِبُّ اللَّهُ وَرَسُولَهُ، وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ...»^(٢).

(١) [تفسير الطبري: ٤٥٦/١٥]

(٢) رواه البخاري

- والله مودوداً محبوباً من عباده الصالحين يحبونه حُبّاً عظيماً، وهذا الحبُّ -والذي دونه بذل الغالي والنفيس لبلوغه- درجة رفيعة، ومنقبة شريفة من بلغها فقد بلغ الخير كله، ونال أساس الفضل وأعلاه، ومن حاز عليها فقد ربح البيع مع مولاه، وطابت له حياته، وكمل إيمانه.

- وحبّ الله من أوجب الواجبات، قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: (والقلب إنّما خُلق لأجل حب الله تعالى) (١).

ويقول رَحِمَهُ اللهُ: (وليس للقلوب سرور ولا لذة تامة إلا في محبة الله، والتقرب إليه بما يُحبه) (٢).

وحبّ الله انفراد عن حبّ الخلق بأنّه: (حُبٌّ من جنس حبّ العبادة المقرون بالذلة والخضوع والافتقار والطاعة المطلقة -حبّاً لا يشابه أي حبّ آخر-.. بل يُحبه العابد حُبّ العابد لربه، والمخلوق لخالقه، حبّاً مقروناً بالخشية..

(١) [مجموع الفتاوى: ١٠ / ١٣٤]

(٢) [مجموع الفتاوى: ٢٨ / ٣٢]

وانفرد عن حبّ الخلق أنّه لا يُحبّ شيئاً مثله معه، ولا تبقى
 مثقال ذرة من هذا الحبّ إلا صرفها لله وحده، فلا يُحب
 أحداً غير الله عزَّوجلَّ مثله في النوع وكذلك في الكمية) قاله ابن
 القيم رَحْمَةُ اللهِ (١).

ويقول ابن القيم رَحْمَةُ اللهِ: (وكما أنه ليس كمثلته شيء،
 فليس كمحبته محبة) (٢).

وحبّ الله والسعي لإدراكه هو ما كان عليه سادات
 الخلق، والكَمَل من البشر، فاجتهدت لبلوغه أنفس،
 وأُفْنيت في سبيل الوصول إليه أعمار.

يقول ابن تيمية رَحْمَةُ اللهِ: (وليس ما يستحق أن يكون هو
 المحبوب لذاته، المراد لذاته، المطلوب لذاته، المعبود
 لذاته، إلا: الله) (٣).

(١) [موسوعة الأسماء الحسنی: ٤٩٢]

(٢) [الفوائد: ١٨٣]

(٣) [درء تعارض العقل والنقل: ٥ / ١٦٩]

ويقول ابن القيم رَحْمَةُ اللَّهِ: (وَلَيْسَ فِي الْوُجُودِ مَا يُحِبُّ لِدَاتِهِ وَيُحْمَدُ لِدَاتِهِ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ، وَكُلُّ مَا يُحِبُّ سِوَاهُ فَإِنْ كَانَتْ مَحَبَّتُهُ تَابِعَةً لِمَحَبَّتِهِ سُبْحَانَهُ بَحِثْ يُحِبُّ لِأَجْلِهِ فَمَحَبَّتُهُ صَاحِبَةٌ وَإِلَّا فَهِيَ مَحَبَّةٌ بَاطِلَةٌ وَهَذَا هُوَ حَقِيقَةُ الْإِلَهِيَّةِ، فَإِنَّ الْإِلَهَ الْحَقَّ هُوَ الَّذِي يُحِبُّ لِدَاتِهِ، وَيُحْمَدُ لِدَاتِهِ فَكَيْفَ إِذَا انْصَافَ إِلَى ذَلِكَ إِحْسَانَهُ وَإِنْعَامَهُ وَحِلْمَهُ وَتَجَاوَزَهُ وَعَفْوَهُ وَبِرَّهُ وَرَحْمَتَهُ..)^(١).

أَحَبُّهُ أَوْلِيَاؤُهُ لِمَا لَهُ مِنْ صِفَاتِ الْكَمَالِ وَالْجَلَالِ وَالْجَمَالِ، يَقُولُ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: (مَنْ عَرَفَ رَبَّهُ أَحَبَّهُ)^(٢).
 وَأَحْبُوهُ لِعَظِيمِ إِحْسَانِهِ عَلَيْهِمْ، فَهَمَّ يَرُونَ أَنَّ كُلَّ نِعْمَةٍ هُمْ فِيهَا إِنَّمَا هِيَ مِنْ رَبِّهِمْ إِمَّا مِنْهُ مَبَاشَرَةً كَهَدَايَتِهِمْ وَحِفْظِهِمْ فِي دِينِهِمْ وَصِحَّتِهِمْ وَسَائِرِ نِعْمَةٍ الَّتِي تَحِيطُ بِهِمْ، وَإِمَّا أَنَّهُ سَخَّرَ لَهُمْ عِبَادَتَهُ لِيَقُومُوا بِخِدْمَتِهِمْ وَقِضَاءِ حَوَائِجِهِمْ فَرَجَعَتْ

(١) [الفوائد: ١٨٣]

(٢) [مختصر منهاج القاصدين: ٣٣٢]

جميع المنن له وحده دون سواه.

ومودةُ الله ومحبته ألدُّ ما في الدنيا، وإنَّما يجدها العبدُ كلما أخلص في الطاعات، وسعى في تطهير قلبه من الشرك والأخلاق الرديئة، وجاهد في إرضاء ربه.

ومن كمال رحمة الله بعباده أنه يتودد لهم مع كمال غناه عنهم وفقرهم وحاجتهم إليه، يقول ابن القيم رَحْمَةُ اللَّهِ: (ليس العجب من مملوك يتذلل لله، ولا يملُّ خدمته مع حاجته وفقره فذلك هو الأصل إنَّما العجبُ من مالك يتحبَّبُ إلى مملوكه بصنوف إنعامه ويتودد إليه بأنواع إحسانه مع غناه عنه)^(١).

ولقد جعل الله لنيل محبته أسباباً، من أعظمها:

بذل المجهود في زيادة معرفته، ومطالعة القلب لأسمائه وصفاته، فمن عرف الله حق المعرفة أحبه لا محالة، فهو سيرى رباً عظيماً جليلاً لطيفاً رؤوفاً رحيماً ودوداً محسناً

(١) [الفوائد: ٣٥]

جميلاً كامل الأوصاف كثير العطايا لا يستحق أحد أن يُحبّ كحبه، وكيف يستحق ذلك أو يدانيه ويقاربه وكل نعمة هو فيها من الله، وكل خير هو منه، وكل عطية هو وليها؟! فيُحبّ ربه لكمال صفاته وكثرة إحسانه.

ومن أسبابها: أتباع رسوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ حق الاتّباع، فهو أعظم سبيل لنيل محبته، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١]

ومن أسباب نيل محبته: التقرب إليه بالإكثار من النوافل بعد أداء الفريضة، ففي الحديث يقول تعالى: «وما يزالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ...» (١).

وتأمل قوله تعالى: «حَتَّى أُحِبَّهُ» لترى كم تحته من المعاني الجليلة والعطاء والفضل الذي لا يوازيه فضل وعطاء.

(١) رواه البخاري

ومن أسباب نيل محبته: تلاوة القرآن بتدبر وتأمل وحضور قلب؛ فالقرآن الكريم يُعرّف العباد بربهم وأسمائه وصفاته وجميل أفعاله، وفضله ونعمه عليهم، وما أعدّ لأوليائه في جنته ما يجعل القارئ يُحبه حباً عظيماً.

ومن أسباب نيل محبته: كثرة ذكره؛ فذكر الله مع حضور القلب له أثره العجيب في تقوية محبته في القلب، ففي الحديث القدسي يقول الله تعالى: **(وأنا معه إذا ذكّرني...)** (١).

فيجد الذاكر ساعة ذكره لذة وأنس لا نظير له.

وأما الخلوة به وقت النزول الإلهي، ومناجاته بالدعاء، وإظهار الفاقة له، وشدة الحاجة لفضله فهي لحظات يُعجز عن التعبير عنها لشرف حال أصحابها، وسعة عطايا الرحمن لهم، ووجدان لذة المناجاة فيها، ولقد أدرك الصادقون هذه اللذة يقول الحسن البصري رَحِمَهُ اللهُ: **«لم أجد من العبادة**

(١) رواه البخاري.

شيئاً أشدّ من لذة الصلاة في جوف الليل».

لقد وجدوا فيها من الأنس ما جعلهم يتعجبون من تفريط الناس فيها، قال طاووس بن كيسان رَحِمَهُ اللهُ: «عجبتُ للناس كيف ينامون ساعة السحر».

وقال بعضهم: «ما ظننتُ أن أحداً ينام وقت السحر».

ولمحة الله ثمرات جليلة يجدها المُحب لربه - الواحدة منها تعدل الدنيا بأسرها - فمن هذه الثمرات:

الاستبشار برحمة الله له عندما يرى العبد نفسه مطيعاً لربه، محبباً لمرضاة الله، قد شرح صدره لفعل الخير، وحببه إليه، وجعله أيسر ما يكون، فهذا من دلائل الرحمة والمحبة من الله، يقول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إنَّ الله قَسَمَ بَيْنَكُمْ أَخْلَاقَكُمْ كَمَا قَسَمَ بَيْنَكُمْ أَرْزَاقَكُمْ، وَإِنَّ الله يُعْطِي المَالَ مَنْ يَحِبُّ وَمَنْ لَا يَحِبُّ، وَلَا يُعْطِي الإِيمَانَ إِلَّا مَنْ يَحِبُّ، وَإِذَا أَحَبَّ اللهُ عَبْدًا أَعْطَاهُ الإِيمَانَ**»^(١)، ويرى بعضهم أنه موقف على ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(١) رواه أحمد.

ومن ثمراتها: وجدان حلاوة الإيمان؛ يقول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:
 «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ، أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولَهُ
 أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا...»^(١).

فحبُّ الله ورسوله أعظم المنن وخير العطايا، ويجد معه
 العبد الصالح حلاوة الإيمان والتي هي أجل ما في الدنيا.

وبحبِّ الله ورسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يذوق العبد طعم
 الإيمان -الذي نحن بحاجة إليه- يقول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «ذَاقَ
 طَعْمَ الْإِيمَانِ، مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ
 رَسُولًا»^(٢).

ومن ثمراتها: النجاة من النار؛ فالله إذا أحبَّ عبده لم
 يُعذِّبه بناره، قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَاللَّهِ لَا يُلْقِي اللهُ حَبِيبَهُ فِي
 النَّارِ»^(٣).

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) رواه مسلم

(٣) رواه أحمد وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة

ومن ثمراتها: الحماية من فتن الدنيا وشهواتها وملاذها الفانية، فإن الله إذا أحبَّ عبده حماه من الدنيا وشهواته، وتجده زاهداً فيها لما استقرَّ في قلبه من حتمية زوالها، وأنها لا تستحق الالتفات لها - فضلاً عن التعلق فيها - يقول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «إِذَا أَحَبَّ اللهُ عَبْدًا حَمَاهُ الدُّنْيَا كَمَا يَظُلُّ أَحَدُكُمْ يَحْمِي سَقِيمَهُ الْمَاءَ»^(١).

ومن ثمراتها: التوفيق لحسن الخاتمة، يقول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «إِذَا أَحَبَّ اللهُ عَبْدًا عَسَّلَهُ. قَالُوا: مَا عَسَّلَهُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: يُؤَفِّقُ لَهُ عَمَلًا صَالِحًا بَيْنَ يَدَيْ أَجَلِهِ حَتَّى يَرْضَى عَنْهُ جِيرَانُهُ أَوْ قَالَ: مَنْ حَوْلَهُ»^(٢).

وغيرها من الثمرات التي لا حصر لها .

(١) رواه الترمذي .

(٢) صحيح الترغيب .

وقيل من معاني (الودود): المتودد إلى أوليائه بالمغفرة.

وهذا معنى بديع فيه من الدلالة على سعة رحمته، وكمال مودته ما فيه، فمع غناه الكامل سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَنِ الْعِبَادِ إِلَّا أَنَّهُ يَتَوَدَّدُ لَهُمْ بِالْمَغْفِرَةِ، وترادف النعم، وكثرة الستر والإحسان ونحوها؛ فما أعظم فضله على عباده، وما أوسع إحسانه عليهم.

فاللهم لا تحرنا خير ما عندك بسوء ما عندنا، اللهم اجعلنا من أوليائك وأحبائك المخلصين.



﴿ ١٧ ، ١٨ ﴾ القوي، المتين ﴿﴾

ومن أسماء الله: القوي، وورد ذكر هذا الاسم في كتاب الله تسع مرات، قال الله - تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ [هود: ٦٦] والمعنى في حق الله أنه هو: (الذي لا يغلبه غالب، ولا يرد قضاءه راداً، ينفذ أمره، ويمضي قضاؤه في خلقه، شديد عقابه لمن كفر بآياته، وجحد حججه) (١).

قال الزجاج رَحْمَةُ اللَّهِ: (القوي هو: الكامل القدرة على الشيء) (٢).

وقوة الله ليس فيها عجز في حال من الأحوال، فله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الْقُوَّةُ الْكَامِلَةُ، والتي لا منتهى لها، ولا يمكن لبشر أن يتصورها على الحقيقة، فقوةُ الله صفة من صفاته، وصفاته لا يحيط بها أحد.

(١) [تفسير الطبري: ١١ / ٢٣٣]

(٢) [تفسير أسماء الله الحسنى: ٥٨]

ومن أسمائه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: **المتين**، وورد هذا الاسم في كتاب الله مرة واحدة، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٨]

قال الخطابي رَحْمَةُ اللَّهِ: ((**المتين**) هو: **الشديد القوي** الذي لا تنقطع قوته، ولا تلحقه في أفعاله مشقة)^(١).
(وهو يفيد في حق الله سبحانه: **التناهي في القوة والقدرة**)
قاله أبو اسحاق الزجاج رَحْمَةُ اللَّهِ^(٢).

وقوة الله قوة مطلقة لا حد لها ولا منتهى، فهي كما وصف بها نفسه: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ [هود: ٦٦] وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٧٤] فحصر القوة فيه بأقوى أنواع الحصر بتقديم الضمير «هو» وتعريف الاسم ﴿الْقَوِيُّ﴾ وبالجملة الإسمية الدالة على ثبوت هذه القوة؛ وأكدها في الآية الثانية بنون التوكيد، وباللام في قوله: ﴿لَقَوِيٌّ﴾.

(١) [شأن الدعاء الخطابي: ٧٧]

(٢) [المقصد الأسنى: ٨١-٨٢]

أما قوة غيره فهي مؤقتة، فكم من قويٍ ضعفت قوته،
فكل قوة - غير قوة الله - سبقها ضعف ويلحقها عجز
ويعترها فيما بين ذلك الوهن والفتور.

وقوته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى **فوق كل قوة**، بل جميع القوى تتصاغر
أمام قوته، وتتضاءل عندها.

وقوته صفة ذاتية له، فهو لا يحتاج لأعوان أو شركاء،
بخلاف قوة غيره فهي مستمدة من الأعوان، فلا يُفَاخِرُ أَحَدٌ
بقوته، فإنها مهما كانت فهي محدودة ومضمحلة.

وقوة الله ظاهره في كل ذرة من كونه، تُبصرها في خلقه
للمخلوقات العظيمة التي نراها والتي لا نراها.

- انظر في خلقه للسموات وما فيها من أجرام عظيمة

كالشمس والقمر والكواكب التي لا يعرف عظم

خلقها إلا الله تعالى، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَيْنَهُمَا

بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [٤٧] [الذاريات: ٤٧] ومعنى ﴿بِأَيْدٍ﴾

أي: **(بقوة)** قاله ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

- وتأمل في قوته في إمساك السماوات والأرض أن تزولا، فهي مستقرة بقوته، ثابتة بأمره.
- وانظر لقوته في خلق الجبال، وكيف هي راسية ثابتة شامخة في قوة عجيبة، ورسوخ استقرت به الأرض.
- وتأمل قوته في إمساك البحار وأمره لها أن لا تُغرق الناس بل جعل لها حداً معيناً في مدّها وجزرها.
- وانظر لقوته في الرياح العاتية وكيف يسيرها كيف شاء وبقوة كبيرة وبأنواع متعددة.
- وأنظر للأمواج العالية كيف تظهر فيها قوة الله وقدرته عليها.

وقوة الله ظهرت في عقوباته للأمم المتجبرة على مرّ التاريخ، فقد أهلك أقواماً آثار قوتهم باقية ليومنا هذا ليُستدل بها على قوة القوي المتين سبحانه.

فأين قوة عاد إرم ذات العماد التي لم يُخلق مثلها في البلاد؟

وأين قوة ثمود الذين قطعوا الجبال الصلاب ونحتوا
الصخر بالواد؟

وأين قوة فرعون ذي الأوتاد وجنوده الذين اعتز بهم،
وأمم لا يعلمهم إلا الله.

لقد أفتتهم قوة الله المتناهية، ودمرتهم جنوده المطيعة
لأمره، فأصبحوا لا ترى لهم باقية.

وأهلكهم سبحانه وتعالى بجنود له طائعة، فأرسل على عاد
رياحاً عاتية، وصاح جبريل بقوم ثمود فأرداهم بالهاوية،
وأغرق فرعون وجنده ببحره فصاروا لمن خلفهم آية باقية،
وعبرة لأولي البصائر العاقلة.

قال الله -مذكراً عباده بفعله بمن طغى وتجبّر، ومبيناً

قوته في إهلاكهم-: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ
الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَانَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ
بُدُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ ﴿٢١﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ

بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٢﴾ [غافر: ٢١-٢٢]

- وقوته وانتصاره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِأَوْلِيَائِهِ بَاقِيَةٌ بِقَاءِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، فَيُحَارِبُ دِينَ اللَّهِ وَشَرْعَهُ أَقْزَامَ مِنَ الْخَلْقِ فَيُظَنُّونَ - بظهورهم المخادع لهم، وما مكنهم الله من القوة المؤقتة - أنهم قادرون على إطفاء نور الله فيأتيهم (الله القوي) من حيث لا يحتسبون، ويغلبهم بأضعف جند من جنده، وبما لا يخطر لهم على بال لأنه قد كتب وقضى ليغلبن هو ورسله فهو القوي العزيز.

ولو سبرت التاريخ وجدت هذا واضحاً، ورأيت قوة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في نصر أوليائه مع قلة عددهم، وكثرة أعدائهم، وتوفر قوتهم المادية إلا أن الغلبة كانت لأولياءه ذلك أن الله قوي عزيز.

- وقوته العظيمة تظهر في الآخرة وذلك بما يحدثه من تغيرات في الكون من: إضعاف السماء بعد قوتها، وتشققها بعد صلابتها، وتغير أحوالها.

وإضعاف قوة الشمس وتكويرها، وهي التي قد بلغت من الضخامة ما بلغت إلا أنها أمام قوة الله وقدرته لا تساوي شيئاً، وهي جُرم صغير أمام بقية الكواكب ولكنها تفنى كلها وتضعف قوتها أمام قوة الله القوي العزيز.

وقوته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى تَظْهَرُ فِي نَسْفِ الْجِبَالِ، وتسييرها حتى تصير بعد صلابتها كالعهن المنفوش، فتراها ضعيفة هشة أمام قوة الله العظيمة.

- **وتظهر قوته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي الْآخِرَةِ** يوم يبعث الخلائق وقد مزقهم البلى، وتحللت أجسادهم ولم يبق لهم أثر، وتفرّقوا ولكنّ قوة الله العظيمة تجمعهم في صيحة واحدة فيقومون لربهم خاضعين ذليلين خاشعة أبصارهم، وعلى ركبهم جاثين لا يتكلم منهم أحد قد استسلموا القوة ربهم، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ، وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ [طه: ١٠٨] قال ابن عباس في قوله تعالى:

﴿هَمَسًا﴾ (هو صوت نقل الأقدام لأرض المحشر) (١).

– ومن مظاهر قوة الله: ما جعله في النار من قوة حارقة

قد بلغت من قوة العذاب أقصاها، ومن شدة الآلام

أفظعها، فيراها الكافرون يوم القيامة ويتيقنوا أنهم

واقعون فيها، وأنه لا مفر لهم منها، وتصل الحقائق

لقلوبهم، وأن القوة لله جميعاً، وأنه شديد العقاب،

قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿...وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ

أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا

مَنْ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأُوا الْعَذَابَ وَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾

وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّا كَرَّرْنَا فَتَبَرَّأْنَا مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّأْنَا مِنَّا

كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ حَسْرَتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ

﴿١٦٧﴾ [البقرة: ١٦٥-١٦٧] فيشاهدون تلك القوة الحارقة

لها والتي لا تنتهي لها وهي تُحيط بالعتاة والعصاة

والجبابرة، ولا يستطيع أحدهم دفع العذاب عنه،

(١) [تفسير الطبري: سورة طه].

وتصل الحقائق لقلوبهم وهم يُعيشون حسرات
التفريط، وسوء المآل، فيا ويل تلك النفوس المغرورة
الطاغية التي تكبرت على أمر ربها - أجارنا الله من
حالتها. -

فهذه بعض مظاهر قوة الله الدالة على عظمته وقوته .
- وكلما زاد يقين العبد بهذه القوة، ونصرة الله له على
قوى الشر كلها توكل عليه وتبرأ من حوله وقوته
وكان هجيره دوماً وأبداً: «**لا حول ولا قوة إلا بالله**»
لعلمه بقوة أثرها في دفع كل شر وجلب كل خير.
- وإذا خالط قلب المؤمن المعنى الحقيقي لقوة
الله اطمأن لها وسكنت نفسه بها لعلمه أنه يأوي
إلى ركن قوي شديد، فلا يخاف عدواً، ولا يخش
ظالماً، ولا يهاب أحداً إلا الله، فقد عرف عظمة قوة
ربه، فتصغر أمام ناظره كل قوة، ولذا سجل التاريخ
ثبات الصادقين أمام كل قوى الشر.

وتظهر هذه القوة للمؤمن في ثباته وتحمله الصعاب في سبيل الله، فيقتحم معالي الأمور بحكمة.

- **وقوة الله لا ظلم فيها ولا انتقام** كما هي عند كثير من الأقوياء من البشر، فكم من قوي من البشر طغى وبغى وجعل هذه القوة في غير موضعها أمّا قوة الله فهي في موضعها اللائق بها وهي أكمل ما يكون.

- **والقوة في دين الله وشرعه من مدائح الأنبياء والصالحين من بعدهم،** وممّا أحبه الله من عباده المؤمنين، فقد أمر سبحانه وتعالى يحيى عليه السلام بأخذ الكتاب بقوة فاستجاب عليه السلام، وأتمر بأمر ربه فأثنى عليه في كتابه إلى يوم الدين.

وأخبرنا نبينا عليه الصلاة والسلام فيما رواه مسلم: **«الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ»**^(١) لتطمع النفوس بمحبة الله وتفعل الأسباب التي توصلها للقوة في

(١) رواه مسلم.

الدين لأنها هي القوة الحقيقية، فكم من صحيح جسد لا يقوى على أداء فرض واحد، وكم من ضعيف جسد يبقى طول ليله قائماً بين يدي ربه.

فاعرف شرف هذه القوة، واحرص أن تكون من أهلها
واسأل ربك هذا الفضل.

اللهم إنا نسألك القوة في دينك، وأعنا على ذكرك
وشكرك وحسن عبادتك.



﴿ (١٩) العَفْوُ ﴾

الله عَفُوٌّ كَرِيمٌ؛ فمن أسمائه: (العَفْوُ)

وورد ذكر هذا الاسم في كتاب الله خمس مرات، قال الله

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ غَفُورٌ﴾ [المجادلة: ٢]

والعَفْوُ في اللغة: الترك.

(وعفو الله عن عباده: هو صفحه عنهم، وترك مجازاتهم على ذنوبهم، فلا يعاقبهم عليها تفضلاً منه وإحساناً) (١).

فالله عَفُوٌّ كَثِيرُ الصَّفْحِ، فهو الذي يستر على المذنبين التائبين، فلا يفضحهم بذنوبهم في الدنيا، ولا يعاقبهم عليها في الآخرة.

- وَعَفُوُّ الله يكون عاماً بدفع العقوبات المنعقدة أسبابها، والمقتضية لقطع النعم عنهم لكثرة ذنوب العباد، وإقامتهم عليها صباح مساء إلا أنه يعافهم

(١) [انظر تفسير الطبري: ٥/ ٧٤، شأن الدعاء للخطابي: ٩٠].

ويرزقهم، ويبسط لهم الدنيا، فيهنأون في معيشتهم،
ويمهلهم ولا يعاجلهم بالعقوبات لعلهم يتوبوا
ويُنبيوا إلى ربهم، فخيرُهُ إليهم نازل، وشرُّهم إليه
صاعد.

لقد قرأ المؤمنون قول ربهم: ﴿فَأُولَٰئِكَ عَسَىٰ اللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ﴾
[النساء: ٩٩] فطمعت نفوسهم في عفوهِ، ورجوا كمال مغفرته
ليقينهم بسعة رحمته، وكثرة عفوهِ عن العباد، فهو: ﴿الَّذِي
يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ﴾ [الشورى: ٢٥]

فالعفو صفة لازمة له، قال الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَفْوًا
عَفُورًا﴾ [النساء: ٩٩] وكما أتى العبدُ الأسبابَ التي ينال بها
عفوهِ من كثرة الاستغفار والتوبة وكثرة الأعمال الصالحة
نال من عفوهِ وكرامته ما تقرُّ به عينُهُ، فإنَّ ربه كما وصف
نفسه بقوله: ﴿وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا نَفَعَلُونَ﴾ [٢٥] وَيَسْتَجِيبُ
الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِّنْ فَضْلِهِ ۗ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ

- وعفوه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَيْسَ عَنْ عِجْزٍ - كما يحصل كثيراً من الخلق، وإنما هو رحمةٌ بالعباد وإحسانٌ إليهم.
- **ومن كَرِمَ اللهُ تعالى: أن محوه للذنوب محوٌ عام،** فيمحوها من صحف الملائكة فلا يبقى لها أثر، ويمحوها من قلوب المذنبين فلا تُعكّر عليهم حياتهم بعد توبتهم، ويمحو أثرها من حياة العبد إذا صدق في توبته، فلا يكون للذنوب أثرٌ في تشيطه وحرمانه من شرف الطاعة، والمضي قُدماً في حياته الدنيوية.
- **ومن سعة عفو الله: أن من عفا عنه في الدنيا لا يُؤاخذُه في الآخرة، فهو أكرم من أن يعود في عفوهِ يوم القيامة،** ومن عاقبه بذنبه في الدنيا لم يكرر عليه العقوبة في الآخرة، فهو أرحم من تكرير العقوبة.
- **ومن تأمل ثناء النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على عفو ربه، بقوله:**
«اللهمَّ إنك عفوٌّ تحبُّ العفوَ فاعفُ عني»^(١) عِلْمٌ سعة

(١) راوه الترمذي

عفو الله، وجميل إحسانه على العباد، فهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مع غناه عنهم، واستحقاق الكثير منهم للعقوبة إلا أن العفو إليه أحبّ من عقوبتهم، وعافيته لهم أوسع من مجازاتهم على ذنوبهم، وما ذاك إلا لكمال رحمته، وسعة عفوهِ وجودهِ، فمن عرف رباً بهذه الصفات أحبه لا محالة، وتعلّق قلبه به ولا يرب.

- ولولا كمال عفوهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ما ترك على الأرض من دابة تدبُّ، ولا نفس تطرف، ذلك أنّ من شأن العباد كثرة الذنوب والخطايا ولكنّ ربهم عفوٌّ غفور.

يتضجر أحدنا من الأقدار المؤلمة التي ربما كانت كفّارات، وتنبهات للعبد، وما علم أنّ ما عفا الله عنه أعظم وأكثر، ذلك أنّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عفوٌّ غفور، قال الله: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾

[الشورى: ٣٠]

- ومن آثار عفو الله تتابع الخيرات على عبده، قال بعض السلف: «إذا عفا الله عنك أتتك حوائجك من غير مسألة»

ومن مقتضيات اسمه العفو: أن يعفو الله عمن عفا عن إخوانه، وأن يتجاوز عمن تجاوز عنهم، ومن سامحهم سامحه، فإنَّ الجزاء من جنس العمل، قال الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ [الشورى: ٤٠] فهو يقابل عفو العباد بعفو أكبر وأوسع.

ومن جميل ما يُروى من دعاء: «اللهم إنك أمرتنا أن نعفو عمن ظلمنا، وقد ظلمنا أنفسنا فاعفُ أنت عنا».

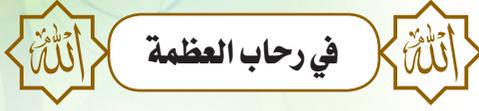
وسؤال الله العفو والعافية من الأدعية التي كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يلزمها على الدوام لشرفها، وحاجة العبد لها، يقول ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «لم يكن رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدعُ هؤلاء الكلمات حين يمسي وحين يصبحُ اللهمَّ إني أسألك العافية في الدنيا والآخرة، اللهمَّ إني أسألك العفو»

والعافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي، اللهم استر عوراتي
وآمن روعاتي، اللهم احفظني من بين يدي ومن خلفي وعن
يميني وعن شمالي ومن فوقي وأعوذ بعظمتك أن أغتال من
تحتي»^(١).

فألزمه في صباحك ومساءلك، فلعلك تصادف ساعة إجابة
تسعد معها سعادة لا تشقى بعدها أبداً.

- وينبغي للعبد ألا يتكل على عفو الله مع إقامته على
معصيته، فإن هذا من الغرور، ومن تلبس الشيطان،
بل عليه أن يتعد عن الذنوب والمعاصي، ويحذر من
آثارها، ومن العقوبات التي توعد الله بها من عصاه،
فإن الله غيب عفوهُ عن عباده ليحذروه وليكونوا بين
الرجاء والخوف، وعليه بتجديد التوبة على الدوام
مهما أذنب، ولْيُتَّبَع السيئة الحسنة تمحوها، وليرجو
عفو الله ومغفرته.

(١) رواه أبو داود



اللهم اعف عَنَّا وتجاوزنا عن خطيئتنا واجعلنا من
عبادك الصالحين.



﴿ (٢٠) العزيز ﴾

(العزيز) اسم من أسماء الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَرَدَ ذَكَرَهُ فِي اثْنَتَيْنِ وَتَسْعِينَ مَوْضِعًا فِي كِتَابِ اللَّهِ، مِمَّا يَدُلُّ عَلَى عِظَمَةِ هَذَا الْاسْمِ، وَسِعَةِ مَعَانِيهِ، وَحَاجَةِ النُّفُوسِ لِتَأَمُّلِهِ وَالْعَيْشِ مَعَهُ.

وَمَعْنَى الْعَزِيزِ فِي حَقِّ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:

(المنيع الذي لا يُنال ولا يُغالب) ^(١). الذي: (ذَلَّ لِعِزَّتِهِ كَلَّ عَزِيزًا) ^(٢).

وهو: **(العزيز في انتقامه فلا يقدر أحد أن يدفعه عنه) ^(٣).**
وهو الذي: **(قد عزَّ كل شيء فقهره، وغلب الأشياء فلا يُنال جنابه لعزته وعظمته وجبروته وكبريائه) ^(٤).**

(١) [تفسير القرطبي: ٢ / ١٣١]

(٢) [تفسير الأسماء الحسنى: ٤٣].

(٣) [تفسير الطبري: ٩ / ٩٣١]

(٤) [تفسير ابن كثير: ٨ / ٨].

وهو (الذي له العِزَّة التامَّة، ومن تمام عِزَّتِه براءتِه من كل سوء وشر وعيب)^(١).

- امتدح ذاته العلية بقوله: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾^(١٢٢)

[الشعراء: ١٢٢] ليعلم العبادُ عظمة ربهم وعِزَّتِه وقهره وغلبته لكل شيء، ولِيَعْتَزَّ كل مؤمن بمولاه، ويفرح بهذا الشرف المنيف، ويوقن أنه يعبدُ ربًّا جليلاً، وغيره يعبدُ صنماً ذليلاً، ويتوجَّه لوثن قد صنعه بيده.

والمؤمنُ قد علَّق قلبه بالله القوي العزيز الذي بيده تدابير الأمور، وغيره قد علَّقه بقليل الحيلة، ضعيف التدبير.

- واللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَهُ العِزَّة بأنواعها كلها: (فله عِزَّة القهر والغلبة، وعِزَّة القوة والقدرة، وعِزَّة الغنى والامتناع)

فالمخلوقاتُ كلُّها مقهورة خاضعة لإرادته، فكل ما في الكون قد أذعن واستسلم له، ولا يستطيع أحدٌ منهم أن يفوتوه، ومع عِزَّتِه وقوته وقهره إلا أنه غفور رحيم ليعلم

(١) [شفاء العليل: ١/ ١٨٠]

الخلق أن مغفرته ورحمته لهم عن عِزَّةٍ وَقُدْرَةٍ لا عن ضعف وعجز، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ﴾ [ص: ٦٦]

ذلت له المخلوقات كلها فعزّ وقهرها، وأتمرت بأمره طوعاً وكرهاً.

يتكبر بعض الخلق، ويعتزّ بقوته الظاهرة زمنناً فيصيبه المرض، فيبقى ضعيفاً مقهوراً ذليلاً لا يملك دفع هذا المرض عنه ولو اجتمع حوله أطباء الدنيا كلهم.

ويمضي بعض الجبابرة في غيّه متكبراً، ويسير في دنياه سادراً وكأنه مخلداً وباقياً، فيأتيه الموت فجأة، فيصير أضعف ما يكون، وأذل ما يرى.

فأين ذهبت تلك القوة؟

ولماذا تخلى عنه من حوله؟

وكيف أيقنوا جميعهم بهوانه وقهر الله له؟

إنها عِزَّةُ الله في قهره، وغلبته لهم، ونفاذ أمره وإرادته فيهم، والتي لا يقف أمامها أحد.

- **وعزُّته عَزَّجَلَّ بحكمة وعدل فلا ظلم فيها ولا جور،** فهو لا يُنزل عذابه إلا على من عصى وظلم وتجرَّب، وآذى وتعدَّى على العباد، فيكون انتقامه في موطنه اللائق به، فيقع بعتاة مجرمين استحقوا هذا العذاب ليكونوا عبرة لغيرهم، ولذا جاء اقتران اسمه العزيز باسمه الحكيم في نحو ستة وأربعين موضعاً لتأكيد هذا الأمر.

- **وهو عزيزٌ في هباته** يهب ما يشاء، لمن شاء، متى شاء، كيف شاء بدون منازعة أو اعتراض، فكم من مخلوق تمنى أموراً فلم تتحقق له لأنَّ المالك لكل أمر هو الله، وهو العزيز الوهاب.

- ويُقدِّر الله لبعض الخلق رزقاً فيحسده آخرون، ويرون عدم استحقاقه ذلك - بحسب عقولهم

القاصرة- وما علموا أنّ هذه الأمور بحسب تقدير العزيز الوهاب؛ فها هي قريشٌ تعترض على هبة النبوة لرسولنا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وكيف أنه خُصَّ بها من بينهم، فجاء الجواب من الله، وأنّ خزائن كل شيء بيده، وهو العزيز الوهاب، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿أَمْرٌ عِنْدَهُمْ

خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ ﴿٩﴾ [ص: ٩]

- والله بيده العزة يضعها حيث شاء، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:

﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

﴿٦٦﴾ [ال عمران: ٢٦]

فبعزته وقهره ينفذ حكمه في عبادته، وأقضيته تمضي فيهم، فيُعزّز من يشاء ويُذل من يشاء، ويرفع أقواماً ويضع آخرين.

- وهب العزة للمؤمنين دون غيرهم، فقال: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ

وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ [المنافقون: ٨]

فلا تُطلب العِزَّةُ إلا ممَّن يملكها - وهو الله - قال
 سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فاطر : ١٠]
 فمن أحبَّ أن يكون عزيزاً فليلزم عتبة العبودية،
 والذلة بين يدي مولاه، وليكن عبداً مُطيعاً لربه، فبقدر
 طاعته ينال هذه العِزَّةَ، وانظر لحال الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ
 وكيف أعزَّهم اللهُ، وانظر لحال الصحابة - رضوان
 الله عليهم - وكيف كانوا أدلة فأعزَّهم العزيز ورفع
 منزلتهم، وصارت الأمة تُترضى عليهم منذ مئات
 السنين، وأبقى لهم ذكراً حسناً في العالمين، فمن
 تبعهم في سلامة العقيدة، وحسن الأثر نال من العِزَّةِ
 بقدر هذا الاتِّباع.

(وعِزَّةُ كلِّ أحدٍ بقدر علو رتبته في الدين) (١).

(١) [شرح الأسماء (ص ١٩٦) نقلاً عن كتاب النهج الأسمى في شرح أسماء الله

وتأمل في حال العصاة الذين ارتكبوا ما نهاهم عنه ربهم،
وخالفوا أمره كيف أذلهم في الدنيا، وصاروا يُذكرون بأسوأ
الذكر، وخاب سعيهم وباؤوا بالخسران المبين.

- **وله سبحانه وتعالى العزة في قلب القلوب وتغييرها، فمن**

آمن بذلك علّق قلبه به، ولم يلتفت لسواه أو يركن
لنفسه، ولقد كان من دعاء النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللَّهُمَّ
إِنِّي أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَنْ تُضِلَّنِي، أَنْتَ
الْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ، وَالْجِنُّ وَالْإِنْسُ يَمُوتُونَ» (١).

- **وأعز الله كتابه،** فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ

لأنه كتاب عزيز منيع، ويُعز من اتبعه واتصل به، فمن

رام العزة فعليه باتّباع القرآن، ففيه عزّ الدنيا والآخرة.

- **وله سبحانه (عزة القوة)** فقد أهلك أمماً عاتية، كانت

لهم الصّولة، ونفاذ الأمر في الدنيا حتى قال بعضهم:

(١) رواه مسلم.

﴿مَنْ أَسَدٌ مِّنْ قُوَّةٍ﴾ فِجَاءُ الْجَوَابِ مِنَ اللَّهِ: ﴿أَوْلَمْ يَرَوْا آتِ

اللَّهِ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَسَدٌ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ [فصلت: ١٥]

وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ: ﴿وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النَّذِيرُ

﴿٤١﴾ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَآخَذْنَاهُمْ أَخَذَ عَزِيزٌ مُّقَدِّرٌ﴾ [القمر: ٤١، ٤٢]

- وَأَعَزَّ اللَّهُ نَبِيَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مَعَ اجْتِمَاعِ قَوَى الْكُفْرِ

كُلِّهَا عَلَيْهِ، فَقَدْ خَرَجَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مِنْ مَكَّةَ مَهَاجِرًا

طَرِيدًا وَمَا هِيَ إِلَّا سِنَوَاتٌ مَعْدُودَاتٌ حَتَّىٰ عَادَ فَاتِحًا

مُنْتَصِرًا لِأَنَّ رَبَّهُ قَوِيٌّ عَزِيزٌ قَدْ وَهَبَهُ الْعِزَّةَ، وَجَعَلَ

الذَّلَّةَ وَالصَّغَارَ لِمَنْ عَادَاهُ وَعَادَىٰ دِينَهُ الْقَوِيمَ.

- وَبِعِزَّتِهِ وَقُوَّتِهِ غَلَبَ الْيَهُودَ يَوْمَ حَاوَلُوا قَتْلَ عِيسَى

عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن

سُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا

أَنْبَاءَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ ﴿١٥٧﴾ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا

حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ [النساء: ١٥٧، ١٥٨]

– وبِعزته وقوته غلب الأحزاب لما تحزبوا على رسوله

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا

بِعِظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا

عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ [الأحزاب: ٢٥]

– وقد يقضي الله بالغلبة الظاهرة للكافرين فتكون فتنة

للخلق، وربما غرَّت أناساً فركنوا إليهم، وظنوا أن

العزة لا تأتي إلا من قبلهم، وكل هذا جهلاً بأمر الله

تعالى، فإنه ما ركن أحدٌ للكافرين فعزَّ، ولا تقوى

بهم مخلوق إلا خاب وذلَّ، ولذا أوضحت الآيات

حال من ركنوا إلى الكافرين طالبين منهم العزة فلم

ينالوا إلا الخزي والبوار، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿الَّذِينَ

يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيْبَنَعُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ

فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾ [النساء: ١٣٩]

وطمأن الله عباده المؤمنين ببقاء العزة لهم إذا كانوا كما

أراد الله، فقال سبحانه: ﴿وَلَا يَحْزَنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا

هُوَ السَّيِّعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٥﴾ [يونس: ٦٥] فاثبت على دينك وإن أرفج
المرجفون وتهوك المتهوكون، واعتزّ بدينك واستقامتك
على شرع ربك فهو مصدر العِزَّة الحقيقي، وكن عزيزاً
باتِّباعك سُنَّة سيد المرسلين في هديك وسمتك، واستغن
عن النَّاس تكن عزيزاً بينهم، واصبر على كل مظلمة فإنَّها
لا تزيدك عند الله إلا رفعة، واعف عمَّن ظلمك فما زاد الله
عبداً بعفو إلا عزّاً، واسأل ربك العِزَّة لك ولأمتك، واجعل
لك أثراً في الآخرين.

- وله (عِزَّة الامتناع) فهو عزيز الجناب أن يكيد له أحد،
أو ينفعه أحد، أو يضره أحد، ففي الحديث القدسي
يقول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: «يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضُرِّي
فَتَضُرُّونِي، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي» (١).

فهو عزيز بذاته قد استغنى عن العباد.

(١) رواه مسلم

وعِزَّة الامتناع هذه لا يشاركه فيها مشارك، فلا يحتاج
سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لأحد من خلقه، أمّا البشر كلهم، فمهما بلغت قوة
أحدهم ونفوذ سلطانهم إلا أنّ عزتهم ناقصة فلا يستغني أي
واحد منهم عن معين، ولا يملكون دفع الضر عن أنفسهم
استقلالاً، وأعظم الخلق قدراً ربما أذله أصغر الخلق خِلقه.
وكم من إنسان كان عزيزاً منيعاً فأصبح ذليلاً مُهاناً،
لأنّ العِزَّة الكاملة لله وحده.

فاللهم بعزك وذلنا، وغناك وفقرنا، وعلمك وجهلنا،
وقوتك وضعفنا، أعزنا بطاعتك ولا تذلنا بمعصيتك.
اللهم اجعلنا أعزنا في الدنيا وأعلى درجاتنا عندك وأنت
القوي العزيز.



﴿ (٢١ ، ٢٢) الْحَكَم، الْحَكِيم ﴾

من أسماء **(الحكم)** وقد ورد في كتاب الله مرة واحدة،
قال الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكْمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ
الْكِتَابَ مُفَصَّلًا ﴾ [الأنعام: ١١٤]**

وورد في السنة في قوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ هُوَ
الْحَكْمُ..»^(١).**

فالله هو **الْحَكْم**؛ الذي له **الْحُكْم** المطلق بين العباد
سواءً كان **حُكْمًا كَوْنِيًّا قَدْرِيًّا،** أو **دِينِيًّا شَرْعِيًّا،** أو **حُكْمًا
جَزَائِيًّا فِي الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ.**

وأحكامه **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** كلها كاملة شاملة عادلة، قال تعالى
- عن نفسه الشريفة - : **﴿ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴾ [الأعراف: ٨٧]**

و**حُكْمُهُ** نافذ في خلقه في الدارين، قال الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:**

(١) رواه أبو داود

﴿ وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾

[الفصص: ٧٠]

فالحكم القدري الكوني ماضٍ على العباد لا يتبدل ولا يتغير، وهو حكمٌ دائرٌ بين الفضل والعدل.

والحُكْمُ الديني الشرعي له وحده دون سواه لا يُشاركه فيه أحد، فلا مُشرِّع غيره، ولا حاكم سواه، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [يوسف: ٤٠] وقال مُنكَرٌ أَعْلَى من حكم بغير حكمه أو رضي بغير حكمه: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَهْلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠] فكلٌ من حكم بحكمٍ مخالف لحكم الله، فحكمه باطل لا اعتبار له.

وحُكْمُهُ الجزائي شامل لأحكامه في الدنيا بما قضى من أحكام، ويكون أظهر ما يكون يوم القيامة، فهو الحاكم بين عباده فيما كانوا فيه يختلفون، ويُجازهم على أعمالهم، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقُّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَصِّلِينَ﴾

[الأنعام: ٥٧]

وَحُكْمُ اللَّهِ نَافِذٌ، وَإِرَادَتُهُ مَاضِيَةٌ سِوَاءَ فِي أُمُورِهِ الشَّرْعِيَّةِ أَوْ الكونية، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ [المائدة: ١]
 فليس لأحد أن يُراجع الله في حكمه كما يُراجع الناس بعضهم بعضاً في أحكامهم، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ يَحْكُمُ لِمَا مَعَّ بَ لِحُكْمِهِ، وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [الرعد: ٤١]

والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: (حكيم) وقد ورد هذا الاسم في أربع وتسعين موضعاً من كتاب الله للدلالة على كمال حكمة الله وعظمة شأنها.

وأفعاله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى كلها محكمة، فلا يأمر أمراً كونياً ولا شرعياً إلا لحكمة، وهي حكمة بالغة في خلقه وصنعه، وفي قضائه وقدره، وفي دينه وشرعه وجزائه، لا يدخل في تدبيره خلل، ولا يتطرق لأفعاله خطأ، فهو لا يفعل شيئاً عبثاً، أو لغير معنى أو مصلحة، فلا يتوجه إليه سؤال لكمال علمه، ولا يلحق حكمته مقال لتمام عدله.

قال ابن القيم رَحْمَةُ اللَّهِ: (والْحِكْمَةُ تَتَضَمَّنُ كَمَالَ الْإِرَادَةِ وَالْعَدْلَ وَالرَّحْمَةَ وَالْإِحْسَانَ وَالْجُودَ وَالْبِرَّ، وَوَضَعَ الْأَشْيَاءَ فِي مَوَاضِعِهَا عَلَى أَحْسَنِ وُجُوهِهَا، وَتَتَضَمَّنُ إِرْسَالَ الرَّسْلِ، وَإِثْبَاتَ الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ) (١).

وهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى حَكِيمٌ عَزِيزٌ؛ عزٌّ فأحكم، وقضى فعدل، فعزته عن تمام قدرة، وحكمته عن كمال علم، ولذا يأتي كثيراً ذكر الحكمة مقرونة بغيرها من صفات الكمال كالعليم والعزيز والحميد وغيرها لبيان كمالها، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾ (٨٤) [الزخرف: ٨٤] فهو: الحكيم في تدبير خلقه وشرعه، العليم بمصالحهم وما يصلحهم.

وهو: ﴿الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ (١٨) [الأنعام: ١٨] فحكمته بخبرة كاملة بظواهر الأمور وبواطنها.

وهو: ﴿عَلِيُّ حَكِيمٌ﴾ (٥١) [الشورى: ٥١] فهو متعالٍ عن صفات النقص، والخطأ في أقضيته وأحكامه.

(١) [الرسالة التبوكية: ٦٩]

- حكمة الله تعالى تاهت معها عقول أقوام، وضلت معها أفهام لأنّ تلك العقول اغترت بعقلها المحدود، وحاولت إدراك دقائق الحكمة فضلت وانحرفت؛ وإلا فمن عرف كمال الله - وأنه ليس كمثل شيء، ولا تُقاس صفاته بصفات عباده، أو أقداره بعقول خلقه - أيقن أنّ حكمته عن علمٍ واسع، وعدلٍ تام؛ فسلك معها مسلك التسليم، والإيمان الكامل بكمال عدله، فاطمئنّ لكل أقضيته وأقداره.

والتسليم وعدم الخوض في تفاصيل الحكمة في الأوامر والنواهي من أظهر صفات المؤمن وكمال إيمانه، فما عرفه المؤمن من الحكمة حمد الله عليه، وما لم يعرفه استسلم، فبعض الأحكام لا تُدرك حقيقتها العقول إدراكاً كاملاً وربما كانت معرفة تفاصيلها أضرّ لها، ولذا كان الاستسلام لأحكام الله وأقداره من سمات أصحاب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي كان يربيهما على ذلك، واتباع نهجهم وطريقتهم في تلقي الأمور هو الأسلم نهجاً، والأصوب عقلاً.

وتفاصيل حكمة الله يستحيل أن يدرك كنهها وحقيقتها
أحد، فيُعبر عنها كاتب، أو يصفها مقال، أو تُحيط بها
عبارة، ومن يكتب فيها فإنما يكتب للتقريب لا غير، وإلا
فأني لعقل قاصر يؤمن إيماناً تام بضعف قواه كلها في سائر
جوارحه ثم يطمع أن يصل لتفاصيل هذه الحكمة، ولكن
غرور بعض النفوس يأبى إلا منازعة الله فيها مع اعترافه
بضعفه ومحدودية قدرته.

ومن طلبها ليزداد إيماناً بربه، راغباً في معرفة بعض
الحكم من وراء أحكامه -مع يقينه بعدم إدراكها كاملة-
ففعله محمودٌ، لأنه إذا ظهر له بعض أسرارها ازداد طمأنينة
وإيماناً، وتبين له كمال رحمة ربه، وتمام عدله، وسعة
علمه.

يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: (إنّ مبنى العبودية والإيمان بالله،
وكتبه، ورسله على التسليم، وعدم الخوض في تفاصيل
الحكمة في الأوامر، والنواهي، والشرائع، ولهذا لم يحك

الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَنْ أُمَّةٍ نَبِيٍّ صَدَّقَتْ نَبِيَّهَا، وَأَمَّتْ بِمَا جَاءَ بِهِ، أَنَهَا سَأَلَتْهُ عَنْ تَفَاصِيلِ الْحِكْمَةِ فِيمَا أَمَرَهَا بِهِ، وَنَهَاهَا عَنْهُ، وَلَوْ فَعَلَتْ ذَلِكَ لَمَا كَانَتْ مُؤْمِنَةً بِنَبِيِّهَا، بَلْ انْقَادَتْ، وَسَلَّمَتْ، وَأَذَعَنْتْ، وَمَا عَرَفَتْ مِنَ الْحِكْمَةِ عَرَفْتَهُ، وَمَا خَفِيَ عَنْهَا لَمْ تَتَوَقَّفْ فِي انْقِيَادِهَا، وَإِيمَانِهَا وَاسْتِسْلَامِهَا عَلَى مَعْرِفَتِهِ، وَلَا جَعَلَتْ طَلِبَهُ مِنْ شَأْنِهَا^(١).

وَمَنْ تَأَمَّلَ فِي شَرِيعَةِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَجَدَهَا شَرِيعَةً تَامَّةً كَامِلَةً فِي كُلِّ جَانِبٍ مِنْ جَوَانِبِهَا، وَفِي كُلِّ جُزْءٍ مِنْ أَجْزَائِهَا. وَكُلُّ حُكْمٍ شَرْعِيٍّ شَرَعَهُ الْحَكِيمُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فَهُوَ مُوَافِقٌ لِلْعَقْلِ السَّلِيمِ، وَالْفِطْرَةِ الْقَوِيمَةِ فِي بَرَاهِينِ تَوْحِيدِ نَاصِعَةٍ، وَأَحْكَامٍ شَرْعِيَّةٍ وَاضِحَةٍ لَا لَبْسَ فِيهَا وَلَا غَمُوضَ. أَحْكَامٌ تُشْفِي الْقُلُوبَ الْمُتَعَطِّشَةَ لِمَعْرِفَةِ الْحَقِّ، وَإِنْصَافٌ شَامِلٌ لَا لَبْسَ فِيهِ وَلَا غَمُوضَ.

تأملها في باب العقائد تجد عقيدة واضحة مطمئنة تأمر

(١) [الصواعق المرسله: ٤/ ١٥٦٠-١٥٦١]

النفوس بالتوجه لإله واحدٍ كاملٍ لا يستحق العبادة سواه
لكماله الذاتي، وكمال صفاته، وكمال أفعاله، أمّا عبادة
من دونه فبطلان ذلك يُدركه كل من أدنى له مُسكة عقل،
ويسفّرها الولدان الصغار قبل الكبار.

**وتأملها في أبواب الأحكام الشرعية في العبادات
والمعاملات وأحكام الأسرة والآداب ونحوها لترى كمالاً
لا مثيل له، وتماماً لا نقص فيه.**

عبادات تسمو بالروح، وتطهر البدن في أبواب الطهارة
والصلاة، وتكافل في أحكام المال من وجوب النفقة والزكاة،
وترغيب في الإحسان للفقراء والمحتاجين، وأحكاماً
تخصّ الأسرة وحفظ الأعراض والأنساب، وبناء مجتمع
متكامل في العلاقات الحسنة من الإحسان للقرابة والجار
وابن السبيل، ورعاية لحقوق العامة، وإصلاح علاقة بين
الحاكم والمحكومين في شريعة تامة لا يملك أمامها كل

منصف إلا الإذعان، والاعتراف بكمالها، وأنها من لدن حكيم عليم خبير.

وتأمل حكمته في قدره وقضائه في قضية الهداية والضلالة تجد كمالاً فيما قضى، وعدلاً فيما حكم، فهو قد بين السبيل للعالمين، وجعل في العقول خاصية معرفة الحق والباطل، وقدرة لاتخاذ القرار، وبصر النفوس لمعرفة ما ينفعها وإدراك ما يضرها لا يُنكر هذا إلا مكابر أو جاحد.

وجعل في الخلق مؤمناً وكافراً لتعرف الخليقة شؤم الكفر وضلال فاعله، وسفاهة عقله فتحذره وتجتنبه. وجعل في الناس مهتدٍ وضالاً ليُدرك الناس فضل الهداية، وسفاهة الضلالة، فيسعى العاقل لسلوك طريق المهتدين، ويتجنّب طرق الضالين.

ومن حكمته أنه تاب على أقوام وأضل آخرين بعلم وحكمة لأنه توّاب حكيم، فكم رأينا وسمعنا عن عتاة

مجرمين كانوا كفاراً أو منحرفين، فتاب الله عليهم فصاروا
أئمة هدى ومصابيح دجى، والتاريخ وواقع الناس مليء
بهذه النماذج.

ومن حكمته أنه قضى بخلق الدنيا مُكدّرة مليئة بالغصص
حتى لا تركز النفوس لها ولا تتعلق بها، بل يكون تعلقها في
الدار الآخرة، ولتوقن بقدرة الله على خلق الأضداد وحكمته
في تباين خلقه.

ومن تأمل أفضيته التي ظاهرها ألم وجد في باطنها خيراً
كثيراً.

يمرض المرء فيكون مرضه سبباً لبعده عن الغرور
الذي كان متلبساً به، ونسي معه ضعفه، ويرى قلة حيلته
عند هذا البلاء، ويتذكر معه فضل العافية التي كان عليها
زمناً طويلاً.

وتصيب المرء مصيبةٌ في نفسه أو أهله أو ماله فتكون سبباً
لإفاقة من سكرة الهوى، ولحظة الضياع التي ربما كانت

سترديه في الهاوية، فهي أقدارٌ مُليئةٌ بآلام ولكن عاقبتها خير للعبد، فلذا كثيراً ما تأتي الحكمة مقرونة بحمده، فما من قضاء يقضيه إلا ويحمده عليه الخلائق - ولو بعد حين - .

- إذا ادَّهَمَّتْ بِكَ الْخَطُوبُ، وَطَالَ بِلَاؤُكَ، وَضَاقَتْ عَلَيْكَ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ، وَظَنَنْتَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا، فَتَقِ بِاللَّهِ الْعَلِيمِ الْحَكِيمِ فَمَا تَأَخَّرَتْ مَطَالِبُكَ إِلَّا لِحِكْمَةٍ يَعْلَمُهَا وَتَجْهَلُهَا، وَلَعَلَّ فِي تَأْخِيرِهَا خَيْرٌ كَثِيرٌ لَكَ .

طال زمان صبر يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ على فقد فلذة كبده يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ ومع ذلك لم يتزعزع يقينه، ولم ييأس من رُوحِ رَبِّهِ لإيمانه العميق بتمام حكمة الله في كلِّ تأخير، وهو الأَعْلَمُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِاخْتِيَارِ الزَّمَانِ الْأَنْسَبِ لِلْفَرَجِ، فَيَكُونُ وَقُوعُهُ فِي أَحْسَنِهَا وَأَكْمَلِهَا، قَالَ اللهُ تَعَالَى - فِي بَيَانِ كَمَالِ

صبر يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ، واستسلامه لحكمة ربه - : ﴿ قَالَ بَلِّ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعاً إِنَّهُ

هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾ [يوسف: ٨٣]

- **وكتاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى كَلَهُ حِكْمَةً**، ففيه من الأحكام والإرشادات ما يدل على كمالها، وأنه من لدن حكيم عليم، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ۝١﴾ [يونس: ١] فما قرأ القرآن مؤمنٌ إلا اهتدى، وما تبعه مسترشدٌ إلا تبصر واطمأن.

- **وبعثته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى للرسول من تمام الحكمة والرحمة بالعباد**، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝٣﴾ [الشورى: ٣].

- وعلى العبد أن يسأل ربه أن يوفقه للحكمة وأن يرزقه الإصابة في أقواله وأفعاله، فإنه من يُؤتى الحكمة فقد أوتي خيرًا كثيرًا.

اللهم ارزقنا الحكمة والإيمان التام بشرعك والطمأنينة بحكمك.



﴿ (٢٣) الصمد ﴾

(الصمد): اسمٌ كريم من أسماء الله، وقد ورد ذكره في كتاب الله مرة واحدة في قوله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿الله الصَّمَدُ﴾** [الإخلاص: ٢]

ومعنى الصمد: أنه السيد الذي تصمد وتتوجه له الخلائق لكمال خيره وعطائه، وكثرة إحسانه وجوده، فتضطر له الأبدان لقضاء حوائجها كلها، وتفتقر له النفوس لفضله الذي لا غنى لهم عنه طرفه عين.

قال ابن جرير رَحِمَهُ اللهُ في معنى الصمد: (هو: السيد الذي يُصمد إليه، الذي ليس فوقه أحد؛ والعرب كذلك تسمي أشرافها) ^(١).

قال الحلبي رَحِمَهُ اللهُ: **(الصمد):** ومعناه المصمود بالحوائج، أي: المقصود) ^(٢).

(١) [تفسير لطبري: ٤٢ / ١٩٤]

(٢) [المنهاج في شعب الإيمان للحلبي: ١ / ١٠٢]

فانظر لهذا العالم الفسيح، ولهؤلاء الخلق الذين لا يحصيهم إلا من خلقهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وكيف أنهم كلهم يحتاجون إلى ربهم في حوائجهم كلها، فيتوجهون إليه ويصمدون نحوه، وحوائج الخلق - كما هو معلوم - لا تنتهي، بل لا ينتهي أحدٌهم من حاجةٍ إلا ويضطر لما بعدها فيقضيها لهم الله، فتتابع إحسانه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عليهم لا ينقطع.

وصمود الخلق له في صغائر حوائجهم قبل كبارها، ومهما عظمت مكانة المرء فهو مضطر لمولاه، فقير لفضله، محتاج لإحسانه.

ومن معاني (الصمد):

(أنه السيد الذي كُمل في سؤدده.

والشريف الذي قد كُمل في شرفه.

والحليم الذي قد كُمل في حلمه.

والعليم الذي قد كُمل في علمه.

والحكيم الذي قد كُمل في حكمته.

والعظيم الذي قد كُمل في عظمته.

والغني الذي قد كُمل في غناه) وهو مأثور عن ابن عباس

رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

فهو الذي قد كُمل بجميع أنواع الشرف والسؤدد؛ كُمل في ذاته وصفاته وأفعاله؛ وكمالُه وكمال صفاته لا منتهى له، وعظمته فوق كُلِّ عظمة، وإحسانه فوق كل إحسان.

ومن معاني: (الصد) الذي (لا جوف له) فقد (تنزه وتقدس وتعالى عن صفات المخلوقين كأكل الطعام ونحوه، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَنْ ذَلِكَ علواً كبيراً) قاله العلامة الأمين الشنقيطي رَحِمَهُ اللهُ (١).

ولذا ردَّ اللهُ على النصارى بما ذكر من وصف حاجة عيسى وأمه للطعام والشراب مما يدل على بطلان

(١) [أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: ١ / ٤٧٥]

ألوهيتهما، فالربُّ الحقُّ لا يأكل ولا يشرب، إذ الأكل حاجة، والربُّ منزّه عن الحاجة، ومن أكل احتاج لإخراج ما في جوفه، والإله الحقُّ يُنزّه عن ذلك أعظم تنزيه، فلو عقلوا لأيقنوا ببطلان ألوهيتهما، ووحدوا الله الغني الصمد، قال الله سُبحانه وتعالى: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَأَنَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ أَنْظُرْ كَيْفَ بَيَّنُّ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ أَنْظِرْ أَنِّي يُؤَفِّكُونَ﴾ [المائدة: ٧٥]

ومن معاني الصمود النفيسة ما أشار إليها ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ بقوله: (صمود القلوب إليه بالرغبة والرغبة، وذلك لكثرة خصال الخير فيه، وكثرة الأوصاف الحميدة)^(١).

وهو معنى لطيف فيه الإشارة لحاجة القلوب للتوجه لربها، والعيش مع صفاته الحميدة التي تملأ القلب طمأنينة وثقةً وأنساً وراحة.

(١) [مختصر الصواعق المرسلّة: ١٦٣]

وصمدية الله فيها إثبات الكمال المطلق له.

فهو الصمدُ الذي لم يحتاج إلى خالق، فهو الأوّل الذي ليس قبله شيء، وهو المُبتدئ وإليه المنتهى.

وهو الصمدُ الذي لم يحتاج للزوجة ولا للولد.

وهو الصمدُ الأحد الذي لا يحتاج لشريك أو وزير أو مُعين أو نصير.

وهو الصمدُ الذي لم يحتاج للطعام ولا للشراب.

وهو الصمدُ الكامل في حياته، فلا تأخذه سنة ولا نوم.

وهذه المعرفة لهذا الاسم الجليل تُثمر: التعلّق بالله وحده، فلا تتوجّه القلوب إلا إليه وحده في طلب الحاجات، فربُّ بهذه الأوصاف العظيمة ينبغي أن يُتوجه إليه دون سواه.

وكلما قصدت ربك في حوائجك كلها استغنيت به عمّن سواه، وأفاض عليك من عطاياه ما يُغنيك، فلا تلتفت لغيره بقلبك، وليسلم لسانك من سؤال الخلق.

لا تَصِقْ ذرْعًا بهمَّك أو بمرضك أو بدَيْنك؛ فالله الصمدُ
 جَلَّ جَلَالُهُ إِذَا التَّجَأْتَ إِلَيْهِ لَنْ يَخْذَلَكَ وَلَنْ يَضِيْعَكَ، فَقَطْ
 اصْدُقْ فِي لُجُونِكَ إِلَيْهِ، وَأَنْزِلْ حَاجَتَكَ بِهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ انْتِظَارَ
 الْفَرْجِ عِبَادَةٌ، وَدَوَامُ الْحَالِ مُحَالٌ، وَاللَّيَالِي حُبْلَى بِالْعَجَائِبِ،
 وَالْغَيْبُ مُسْتَوْرٌ، وَإِنَّ مَعَ الْعَسْرِ يَسْرًا، وَكَلِمَا كَانَ الْعَبْدُ
 صَادِقًا فِي اعْتِمَادِهِ عَلَى اللَّهِ (الصمد) وَاثِقًا بِهِ، حَسَنَ التَّوَكُّلِ
 عَلَيْهِ كَانَتْ الْإِعَانَةُ مِنْهُ أْتَمَّ.

وَإِنْ تَأَخَّرَتْ مَطَالِبُكَ فَأَيِّقَنَّ أَنَّهَا لِحِكْمَةٍ لَا تَعْلَمُهَا، فَكُلْ
 قِضَاءَ اللَّهِ خَيْرًا.

وَلِأَنَّ هَذَا الْاسْمَ الشَّرِيفَ مَعَانِيهِ عَظِيمَةٌ الْمَعَانِي، جَلِيلَةٌ
 الْقَدْرُ، فَقَدْ أَحَبَّهُ بَعْضُ الصَّحَابَةِ - رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ - فَكَانَ
 حُبُّهُ لَهُ سَبَبًا فِي الْفَوْزِ بِحَبِّ اللَّهِ لَهُ، فَمِنْ ثَمَرَاتِ الْمَعْرِفَةِ لِهَذَا
 الْاسْمِ الشَّرِيفِ: مَعْرِفَةُ عَظَمَةِ اللَّهِ الْمَوْصِلَةَ لِمَحَبَّتِهِ، فَعَنْ
 عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: **بَعَثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلًا عَلَى**
سِرِّيَةٍ وَكَانَ يَقْرَأُ لِأَصْحَابِهِ فِي صَلَاتِهِ فَيَخْتَمُ بِ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾

﴿١﴾ فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال:

«سلوه: لأي شيء يصنع ذلك؟» فسألوه، فقال: لأنها صفة

الرحمن، وأنا أحب أن أقرأ بها، فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

«أخبروه أن الله يحبه»^(١).

واسم: (الصَّمد) لم يأت ذكره إلا في موطن واحد وذلك في سورة الإخلاص التي أخلصها الله لنفسه وحده، فلم يذكر فيها شيئاً من أمر الدنيا والآخرة، بل عند التأمل يجد العبد فيها معاني خاصة انفردت بها ف(الأحد والصَّمد) فيه الدلالة على أحدية الذات الجامعة لأوصاف الكمال المطلق، وبأنه لم يلد ولم يولد فلا شبيه ولا مثيل.

و(الصمد) من الأسماء الذي كلما تأملته وجدت القلب قد اطمأن وخضع، وخشع لرب عظيم، وصدق في اللجوء إليه، ولهذا استحب للعبد أن يقرأ هذه السورة في مواطن عديدة، منها:

(١) رواه البخاري ومسلم

- * في الركعة الأخيرة من الوتر.
- * دبر الصلوات.
- * في الركعة الثانية من ركعتي سنة الفجر وسنة المغرب.
- * في الركعة الثانية من ركعتي الطواف.
- * عند النوم.

كل ذلك ليردد هذا المعنى على القلب فيزداد معه تعظيم الله، ويمتلأ القلب إجلالاً له وحباً.

واسم **الصمد** من الأسماء التي يتوسل بها في الدعاء، فعن بريدة رضي الله عنه قال: سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلًا يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، الْأَحَدُ الصَّمَدُ، الَّذِي لَمْ يَلِدْ، وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ» فَقَالَ: «لَقَدْ سَأَلَ اللَّهُ بِاسْمِهِ الَّذِي إِذَا سُئِلَ بِهِ أُعْطِيَ، وَإِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ»^(١).

(١) أخرجه أبو داود وأحمد وهو حديث صحيح.

قال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ: (ثم على العبد أن يتخلق بأخلاق
السيادة والسادة حتى يكون مصموداً وبابه مقصوداً) (١).

فيكون مقصوداً من الناس لقضاء حوائجهم، وسبباً لمن
ينتفع المؤمنون من علمه ورأيه ومعونته، فاجعل لك -يا
عبد الله - نصيباً من اسم الله الصمد، واحمد الله على هذا
الاصطفاء، فعن ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:
«أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ أَنْفَعُهُمُ لِلنَّاسِ» (٢).

اللهم فقهننا في أسمائك، واجعل حبك يسكن شغاف
قلوبنا.



(١) [مختصر النهج الأسنى: ٣٣٦]

(٢) رواه الطبراني وصححه الألباني

﴿ ٢٤ ، ٢٥ ﴾ الكريم، الأكرم

(الكريم، والأكرم) اسمان من أسماء الله تعالى .

وقد ورد ذكر اسم: (الكريم) في القرآن الكريم ثلاث مرات، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَإِنَّ رَبِّيَ عَنِّي كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٤٠] والله كريم بذاته، وصفاته، وأفعاله، فالكرمُ صفةٌ ثابتة له.

وكرمه أنفع الكرم وأحسنه وأفضله وأكمله وأوفاه، فهو كاملٌ في ابتدائه وامتداده وانتهائه.

انظر في كثرة إحسانه على العباد، فعطاؤه سابعٌ عليهم منذ وجودهم نطفٌ في بطون أمهاتهم، ويتواصل عليهم تواصلًا لا ينقطع عنهم طيلة حياتهم حتى تنتهي أعمارهم ويخرجون من الدنيا، ويمتد كرمه لأوليائه في الدار الآخرة في ثواب تامٍ وافر لا ينقطع ولا ينفد لاتصاله ودوامه، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا

أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٦]

ويقول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى في الحديث القدسي: «أَعَدَدْتُ
لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ، مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا
خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ»^(١).

واللهُ (كريم) كثير الخير والإحسان، إذا أعطى أجزل،
وزاد على منتهى الرجاء، وإذا أكرم أكفى وأقنع النفوس
بما وهب، فخيره وعطاؤه لا انقطاع له، وهو أنفع العطاء
وأكملة وأتمه وأحسنه.

وهو الوافي في كرمه؛ فإنه إذا وعد أوفى بوعده بخلاف
غيره ممن يحول بينه وبين وعده حائل أو مانع.

وهو المُكْرِمُ حقاً، فمن أكرمه الله صار مُكْرَمًا - ولو
كان وضيعاً بين الناس - ومن لم يُكْرَمْه صار ذليلاً مُهَانًا
- ولو كان ذا مكانة وعشيرة -.

تأمل في حال من أكرمهم الله كيف نالوا الرفعة والمكانة

(١) رواه البخاري ومسلم.

في الدارين، وبالمقابل تفكر فيمن أهانهم كيف صاروا أذلاء
صاغرين، ولا يُذكرون إلا بسوء وشر لتعلم أنه: ﴿وَمَنْ يُهِنِ
اللَّهُ فَمَالَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ [الحج: ١٨]

له علو الشأن في كرمه، يعطي ما يشاء، لمن يشاء، كيف
يشاء، ومتى شاء، فسبحان من هذا شأنه، وهذا عطاؤه وفضله.

يرزق العبد بلا سؤال، ويوهب له من الخير بما لا يخطر
على بال، فكم من عطاء جاءك بلا سبب، وكم من خير
رزقته بلا طلب.

واسم الله تعالى: (الكريم) من الأسماء الذي إذا قرأه
المؤمن استبشر وفرح بتوالي الخيرات عليه ليقينه أنه لا
كرم يُقارب كرم ربه، ولا إنعام يرقى إلى إنعامه، ولا عطاء
يوازي عطاءه.

ومع سعة كرمه فإنه لا ينفد عطاؤه، ولا تنتهي خزائنه
مهما امتد وكثر، فسبحان من هذه صفته وذاك شأنه.

وكرمُ الله جَلَّ جَلَالُهُ لا حدَّ له ولا عدّ، وهو متنوّع.

فمن كَرَمِه: أنّه يبدأ النعم قبل الاستحقاق.

ومن كَرَمِه: أنّه يُعطي لا لِعوض، ويرزق بلا انتظار مقابل، فلغناه لم يحتج لشكر أحد.

ومن كَرَمِه: أنّه لا يحتاج في كرمه لوسيلة حتى يُكرم عبده بل كرمه ابتداءً وتفضلاً.

ومن كَرَمِه: أنّه يُثني في العطاء، ويُتابع فيه بلا انقطاع.

ومن كَرَمِه: عفوه عمّن تجنّى، وتعدى الحدود، وخالف الأمر، فمع قدرته ونفاذ أمره في العباد كلهم إلا أنّه يعفو عنهم كرمًا منه وجوداً.

ومن كَرَمِه: إكرامه لأهل الطاعة بالحياة الطيبة فيعيشون حياة السعداء في الدنيا، وينالون الراحة والطمأنينة فيها.

ومن كَرَمِه: أنّه وعد من اتقاه بالرزق، والنجاة من المضائق، وتفريج الهموم والغموم، وتيسير الأمور ووفى

بذلك كله، ولا تنظر لبعض مواقف من حياتك فيها ضيق وهمّ وخرج، فهي لا تعدو فترات بسيطة بجانب حياة كاملة ممتلئة بالسلامة في البدن والمال والولد.

وانظر لكرمه ووفائه بوعدده لمن سلك طريق العلم كيف علمه.

ولمن سلك طريق الرزق كيف رزقه.

ولمن سلك سبيل الدعوة كيف رأى ثمرات دعوته.

ومن كرمه: أنه يعطي الخلق كلهم كافرهم ومؤمنهم، من أحسن منهم ومن أساء، من سأل ومن لم يسأل وهذا لسعة كرمه وجوده، فلا يُبالي من أعطى، وكم أعطى؟!!

أمّا الخلق كلهم إلا النزر اليسير منهم - وليس على الدوام - لا يُعطي من أساء إليه بل ربما حرّمه حاجته، ومنعه حقه تبيكياً له وعقوبة ونكالاً، ولكن انظر لكرم الله كيف يُعطي الكفار مع كفرهم، وينعم على الظلمة مع ظلمهم،

ويسبل الخير لمن آذاه وآذى أوليائه وما ذاك إلا لأن الكرم صفة ثابتة له، فهو الكريم صاحب العطاء الذي لا حدود له.

ومن كرمه: أن يُضاعف الحسنات -حتى وإن كانت قليلة- ويعظمها -وإن كانت صغيرة- انظر كيف يُنمي الصدقة لتعظم وتكبر حتى تصير كالجبل العظيم، ويذكر العبدُ الذكر اليسير فيتضاعف له الأجر، ويكون له شأن في ميزان الحسنات كرمًا منه ومنة وفضلًا وإحسانًا.

فهل عرفت عظمة ربك وأنت تدعوه «يا كريم»؟

ربك الكريم لو نظرت لتعداد نعمه عليك لأحبته، تأمل في صحتك التي أمدك بها، وبعضنا لا ينظر للصحة إلا عند المرض، وينسى الصحة التي ينعم بها طيلة حياته.

ربك الكريم قد أمدك بالمال وقد كنت فقيرًا، وتأمل في رزقك اليومي فأنت تأكل وتشرب وتهنأ بلا مُنغصات.

ربك الكريم وهبك نعمة لا تعدلها نعمة، ومنة لا تدانيها

منّة، وهي: نعمة الإسلام والهداية إلى ما ارتضى من الأديان،
فهل استحضرت كرمه عليك بها ونعمته لديك.

ربك الكريم قد وهبك الزوجة والولد وربما الحفيد،
فأي عطاء أعظم من هذا؟!!

إنّ الواحد منّا - والله - لو تفكّر في هذا الأمر متأملاً في
حاله قبل أن يتزوج ويولد له لأوجب له هذا التفكّر والتأمل
وجوب الشكر الدائم للمولى.

لقد كنت وحيداً - أيها الزوج - لا زوجة لك ولا ولد،
وإذ بالأبناء بين يديك وربما الأحفاد، ترى هذه النعمة تغدو
وتروح تحت نظرك فهلاً عرفت فضل هذه النعمة وشكرت
الواهب الكريم عليها.

ولئن حُرم المرء الزوجة أو الولد فليتفكر في باقي النعم
من ربه الكريم التي لا حصر لها.

وهو **(الأكرم)** **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: (الذي لا يوازي كرمه كرم،
ولا يُعادلُه نظير)**

واسم **(الأكرم)** لم يرد في القرآن إلا مرة واحدة معرّفًا بالألف واللام ليدل على كمال صفة الكرم له، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿أَقْرَأُ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ [العلق: ٣]

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: **(الأكرم)** الذي فيه كل خير وكل كمال، فله كل كمال وُضْفًا، ومن كل خير فِعْلًا، فهو **(الأكرم)** في ذاته وصفاته وأفعاله^(١).

فكرمه هو الأوسع كثرة، والأشرف مكانةً، والأعلى قدرًا.

يعصيه العصاة كل يوم فيُعطيهم ويُنعم عليهم، ويُذنب المذنبون صباح مساء ومع ذا يجود عليهم بعطائه الذي لا ينقطع عنهم.

فمن الذي دعاه - وإن كان قائمًا على معصية - فلم يستجب له؟!؟

ومن الذي سأله - وإن تعدى حدوده - فلم يُعطه؟!؟

(١) [مفتاح دار السعادة: ١ / ٣٤٢]

(فالخير كله بيده، والعطاء كله منه، والنعم كلها هو

مُولِيهَا)

تعرّف سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِعِبَادِهِ بِهَذِهِ الصِّفَةِ الْجَلِيلَةِ فِي أَوَّلِ آيَاتِ أَنْزَلَهَا عَلَى نَبِيِّ هَذِهِ الْأُمَّةِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا فِي قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:

﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ [العلق: ٣] وفيها إشارة لكثرة عطائه وكرمه

لهذه الأمة، وأنها ستنال من عطائه ما لم تنله أمة من الأمم،

وفي الحديث يقول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «إِنَّكُمْ تُتَمَوْنَ سَبْعِينَ أُمَّةً،

أَنْتُمْ خَيْرُهَا وَأَكْرَمُهَا عَلَى اللَّهِ» (١).

ووصف الله القرآن (بالكريم) وذلك لعظمة أوصافه

وكثرتها، فالقرآن كثير الخير، غزير العلم، يُخرج المتأمل

له من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان، ويهدي العباد إلى

مراضى الرحمن في الأعمال والأخلاق، ويدلهم للتي هي

أقوم في كل شيء، فكرمه وخيراته لا تنتهي لها.

(١) رواه الترمذي.

ووصف العرش **(بالكريم)** والعرش هو: أكبر المخلوقات وأعظمها، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَتَعَلَى اللَّهِ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَبِيرِ﴾ [المؤمنون: ١١٦]

قال ابن كثير: (ووصفه بأنه كريم أي: حسن المنظر بهي الشكل) (١).

ووصفه بالكريم لأنه: (مستوفٍ فضائل جنسه) قاله ابن عاشور (٢).

ووصف ثوابه **(بالكريم)** فقال: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال: ٤] وذلك لكثرة عطائه لأهل الجنة والذي لا ينقطع عنهم طرفة عين، وكريم لطيبه وشرفه الذي لا يُسَام منه لحُسنه وتنوعه.

فالله كريم، وكتابه كريم، وعرشه كريم، وعطاؤه واسع كريم، فما أعظم ربنا، وما أجلُّ صفة الكرم له، فاعرف

(١) [تفسير ابن كثير]

(٢) [التحرير والتنوير: تفسير سورة المؤمنون]

سعة كرم ربك الكريم الأكرم، وكثرة فضله وجوده لتُحبه
ولتعرف فضله عليك.

فاللهم ارزقنا من واسع كرمك وجودك ما تُغنيننا به عمّن
سواك.



﴿ ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ﴾ الغفور، الغفار، الغافر ﴿﴾

ورد اسم: **(الغفور)** في القرآن الكريم إحدى وتسعين مرة ليعلم قارئ كتاب الله سعة رحمة ربه، فيسألها كلما مرّ عليها، وهذا من ثمرات كثرة الاتصال بكتاب الله، وقراءته بتأمل.

وأما اسمه **(الغفار)** فقد جاء في خمس آيات، وجاء ذكر اسم **(الغافر)** مرة واحدة فقط.

وأصل مادة الغفر: الستر والتغطية (والغفار) صيغة مبالغة من كثرة المغفرة وسعتها.

والله يُغطي ذنوب المذنبين، ويُسدل عليهم ستره، ومع كثرة ذنوبهم إلا أنه لم يزل بالعضو معروفاً، وبالغفران والصفح موصوفاً، فلا يكشف أمر عبده للخلق، ولا يهتك ستره بالعقوبة التي تُشهره في عيون العباد.

وأسماءه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: **(الغفور، والغافر، والغفار)**
تدلّ على سعة مغفرته، وكثرة ستره، وعظيم إحسانه على
المدنّين، فكيف يكون عطاؤه للتائبين والمحسنين؟!
وقد أثنى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى على ذاته العلية بأنّه الغفور والغفار،
بل أمر نبيّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يُبلِّغ هذا ويعلنه على الملأ، وفي
هذا دلالة ظاهرة على حبه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى للمغفرة ورحمته
بالعباد، فقال عزَّوَجَلَّ: ﴿نَبِيٌّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾
[الحجر: ٤٩]

وانظر كيف جاء اسم: **(الغفور)** في كثير من الآيات
معرفاً بالألف واللام الدالة على الاستغراق لتؤمن بسعة هذه
المغفرة وشمولها، وتوقن برب كريم غفور رحيم لا يُعجزه
ذنبٌ أن يغفره، ولا خطيئةٌ أن يمحوها، فهو ذو المغفرة
الكثيرة، والرحمة الواسعة الجليّة، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:
﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ﴾ [الكهف: ٥٨]

فالمغفرةُ صفةٌ ثابتةٌ لله، وهي من الصفات الذاتية الفعلية له، فهو غفور بذاته، ويغفر لعباده متى شاء، قال -جل شأنه-: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ١٠٦] وقال: ﴿وَهُوَ

الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [يونس: ١٠٧]

- والمغفرةُ حقٌّ خالصٌ لله تعالى، فلا يملكها لا ملكٌ مقرب، ولا نبيٌّ مرسل، بل تجدهم يسألونها ربهم لحاجتهم لها، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ

إِلَّا اللَّهُ﴾ [آل عمران: ١٣٥]

- ومغفرته متعلقة بمشيئته وحده دون سواه، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَعْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ

مَنْ يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الفتح: ١٤]

- وتأمل هذا النداء الرباني اللطيف المليء بالرحمة

لتعرف سعة مغفرة ربك، يقول الله سبحانه وتعالى في

الحديث القدسي: «يَا ابْنَ آدَمَ، إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي

وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ مِنْكَ وَلَا أُبَالِي، يَا

ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء، ثم استغفرتني،
غفرت لك ولا أبالي..» (١).

- نادى ربنا الغفور الغفار المسرفين على أنفسهم،
والمكثرين من الذنوب والخطايا بأرق الأسماء فقال:
(يا عبادي) فكم تحت هذا النداء من لطف خفي،
ورحمة ومودة، وتحفيز للإجابة، فقال سبحانه وتعالى:
﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ
اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣] فما
أوسع هذه الرحمة الشاملة، والمغفرة الكبيرة التي
تسع ذنوب العباد جميعاً مهما كثرت وعظمت.

ومن تمام مغفرة الله وسعة جوده: أنه ينزل إلى السماء
الدنيا - نزولاً يليق بجلاله - ليغفر للمستغفرين، ويتوب
على التائبين، ويُجيب دعوات الداعين.

(١) رواه الترمذي وصححه الألباني.

ولسعة هذا العطاء فإنه يكون ذلك منه كل ليلة، فما
أوسع جوده، وما أكثر فضله، ولكن أين المتعرضون لهذه
الرحمات؟!

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
«إِذَا مَضَى شَطْرُ اللَّيْلِ، أَوْ ثُلَاثُهُ، يَنْزِلُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِلَى السَّمَاءِ
الدُّنْيَا، فَيَقُولُ: هَلْ مِنْ سَائِلٍ يُعْطَى؟ هَلْ مِنْ دَاعٍ يُسْتَجَابُ
لَهُ؟ هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ يُغْفَرُ لَهُ؟ حَتَّى يَنْفَجِرَ الصُّبْحُ»^(١).

وَلَمَّا قَسَا قَلْبِي وَضَاقَتْ مَذَاهِبِي
جَعَلْتُ الرَّجَا مِنِّي لِعَفْوِكَ سُلْمًا
تَعَاظَمَنِي ذَنْبِي فَلَمَّا قَرَنْتُهُ
بِعَفْوِكَ رَبِّي كَانَ عَفْوُكَ أَعْظَمًا

والله لا يُعجزه ذنب أن يغفره، ولا معصية أن يتجاوز
عنها، فمع كثرة ذنوب المذنبين، وتراكم معصية العاصين،

(١) رواه مسلم.

فإنه يغفر ذنوبهم جميعاً، وهذا - لعمر الله - أمر عظيم جليل لا يقدر عليه إلا الله الكريم.

وإذا أردت أن تعرف عظمة هذه المغفرة من الله فانظر لعدد المذنبين، ولعدد ذنوبهم في كل لحظة منذ بدأ الله الخليقة إلى آخر آدمي منهم، ومع ذاك فالله يغفرها لهم ويسترحمهم ويعفو عنهم.

ومغفرة الله لعباده عن قوة لا عن عجز، بل هي تفضل ورحمة، ففي الحديث القدسي يقول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: «يا عبادي، إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَأَنَا أَغْفِرُ الذَّنُوبَ جَمِيعًا، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ...»^(١).

ومن كمال جوده وسعة مغفرته: أنه هو الذي يدعو لهذه المغفرة مع كمال غناه عن العباد، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٢١].

(١) رواه مسلم.

فخلق جنّته وزيّنها لعباده ثم دعاهم لها، ويسّر لهم الوصول لها، وهياً لهم الأسباب لبلوغها، وجعلها أكمل ما تكون داراً، وأعظم ما تكون منزلاً، فهل رأيت مثل هذه المغفرة والرحمة والكرم؟!

وجعل سبحانه وتعالى مغفرته سبباً لبلوغها، فإذا دخل أهل الجنة الجنة حمدوا الله على هذه النعمة، وأيقنوا أنّ دخولهم إنّما كان بفضل الله لأنّه غفور رحيم، فلولا رحمته ومغفرته ما دخلها أحد: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ

شكور﴾ [سورة فاطر: ٣٤]

والله خير الغافرين ذلك أنّ مغفرة غيره كثيراً ما تكون لمصلحة الغافر كحب الشاء، وطلب المنزلة والرفعة عند الآدميين، أمّا مغفرة الله فهي عن كمال ذات، وليست لطلب عوض أو غرض، بل هي محض فضل وكرم.

والمغفرة احتاجها سادات الخلق من الأنبياء والمرسلين، وهم أعبد الخلق لربهم، وأعظم من أطاع

وأَناب ولكنَّهم لعلمهم بعظيم حق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى سَأَلُوها ربهم، فسَجَّل القرآن دعواتهم بطلب المغفرة ليعلم الخلق أجمعين أهميتها وحاجتهم إليها.

واحتاجها العباد في سائر عباداتهم، فاحتاجها المصلي بعد صلاته، والحاجُّ بعد انقضاء حجه، وقائمُ الليل في محراب تعبده، فمع شرف هذه العبادات إلا أن المصلي يختم صلاته بالاستغفار ثلاثاً، والحاجُّ بعد إفاضة من عرفات بعد ذلك الوقوف الشريف يستغفر ربه عند المشعر الحرام، وأهل قيام الليل بعد أن شرفهم الله بالوقوف بين يديه إلا أنهم يختمون مناجاتهم لربهم بالاستغفار، وما ذاك إلا لعظمة الله، وعظيم حقه، فمهما عبَد العابدُ فيبقى مقصراً فيها، ولما يعترى العبادة - في العادة - من نقص وخلل، فجعل سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى علاج ذلك الاستغفار، رحمة بالعباد.

والله يُحِبُّ عبْدَه المستغفر على الدوام، ولذا مدح الله أنبياءَه بهذا الفعل منهم.

ومن تأمل في دعوات النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وجد التنوع في طلب المغفرة، وكثرة الاستغفار، فليتأس العبدُ بنبيه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وليكن كثير الاستغفار على الدوام.

يَا رَبِّ إِنَّ عَظَمَتَ ذُنُوبِي كَثُرَةً
 فَلَقَدْ عَلِمْتُ بِأَنَّ عَفْوَكَ أَعْظَمُ
 إِنْ كَانَ لَا يَرْجُوكَ إِلَّا مُحْسِنٌ
 فَمَنْ الَّذِي يَدْعُو وَيَرْجُو الْمُجْرِمُ
 أَدْعُوكَ رَبِّ كَمَا أَمَرْتَ تَضَرُّعًا
 فَإِذَا رَدَدْتَ يَدَيَّ فَمَنْ ذَا يَرْحَمُ
 مَا لِي إِلَيْكَ وَسِيلَةٌ إِلَّا الرَّجَا
 وَجَمِيلُ عَفْوِكَ ثُمَّ أَنِّي مُسْلِمٌ

اللهم اغفر لنا ذنوبنا كلها، دقها وجلها، صغيرها وكبيرها، أولها وآخرها، اللهم عاملنا بفضلك وإحسانك، وجودك وكرمك وفضلك يا ذا الفضل والجود والكرم.

﴿ ٢٩ ، ٣٠ ﴾ الواحد، الأحد ﴿﴾

من أسماء الله: (الواحد، الأحد)

وجاء ذكر اسم (الواحد) في القرآن الكريم في اثنتين وعشرين آية، أمّا اسمه (الأحد) فورد ذكره مرة فقط.

والواحدُ: (هو الفردُ الذي لا نظير له ولا مثل) قاله الزجاج رَحْمَةُ اللَّهِ^(١).

فهو واحدٌ في ذاته لا ندَّ له ولا مثل، وواحدٌ في أسمائه التي لا مثل له فيها، وقد جمعت كل حسن، وواحدٌ في صفاته التي لا شبيه له فيها، فلا يماثله أحد فيما يختصُّ به، وواحدٌ في أفعاله لا شريك له (فتوحد بجميع الكمالات التي لا يُشاركه فيها مُشارك).

وهو واحدٌ في ربوبيته فلا ربّ سواه، وواحدٌ في ألوهيته فلا معبود بحق إلا هو.

(١) [اشتقاق الأسماء: ٩٠]

والأحدُ، هو: (الفرد الذي لم يزل وحده، ولم يكن معه
آخر) قاله الإمام الخطابي رَحْمَةُ اللَّهِ (١).

تفرّد بكل كمال، ومجد، وجلال، وجمال، وحمد،
وحكمة، ورحمة وغيرها من صفات الكمال.
ولعظّمته فقد استأثر الله بهذا الوصف فلا يُقال لغيره
(أحد).

(فالأحد) ينقطع معه العدد فلا يُقال أحد اثنان ثلاث،
فكان اسم (الأحد) خاص بالله وحده، بخلاف الواحد.
و(الأحد) في النفي أعمّ، فإذا قيل ليس في الدار أحد فهو
نفي وجود، والله أحد ليس له مثل أو شبيه، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:
﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾﴾ [الإخلاص: ١] وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ
سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾ [مريم: ٦٥]

وأحديّةُ الله أحديّةٌ مطلقة، فلا تذهب بعقلك أو تتصوّر

(١) [شأن الدعاء: ٥٦ / النهاية: ١ / ٣٥]

أو تظنّ أنك ستُدرك حقيقة ذات الله أو حقيقة صفاته لأنّ كل كمال يخطر ببالك، فالله أكمل منه، بل لا يدانيه أو يقرب منه، وكل تصوّر يتصوّرهُ عقلك له، فالله أعظم منه، ويكفيك أن تتفكّر في آياته ومخلوقاته، ومعاني أسمائه وصفاته، وتتأمّل في بعض حكم أفعاله لتحظى ببعض معاني العظمة التي يستحقها.

وضع دائماً بين ناظريك، ونصب عينك قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] وقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ [الروم: ٢٧] فكل وصف كمال فهو لله - وله من ذلك الكمال أكمله - بما لا يستطيع أحد إدراك كنهه وحقيقته.

فالله هو الواحدُ الأحدُ في ذاته المقدّسة، بائن عن خلقه، مستوٍ على عرشه، ليس له صاحبة، ولم يتخذ ولداً، وليس له شريك في الملك، ولا مُعين ولا ظهير، ولا ولي من الذل.

وهو الواحدُ الأَحَدُ بأولّيته المطلقة في الوجود، فهو

أوّل بلا ابتداء، ففي الحديث يقول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كَانَ اللهُ

وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ قَبْلَهُ»^(١) وفي رواية: «كَانَ اللهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ

غَيْرُهُ»^(٢).

وهو الواحدُ الأَحَدُ المتفرّد في صمديته، وقصد الخلائق

جميعها إيّاه في حوائجهم كلها، فهو المقصود في كل ملمة،

والملجأ في كل حاجة مهمّة، والمستعان والمُستغاث في كل

نائة ومدلهمّة.

وهو الواحدُ الأَحَدُ المتفرّد في كمال علمه الجليل قد باين

علم العالمين وأنفرد بعلمه المطلق، فهو عليمٌ بكل شيء لا

يعزب عنه من العلوم شيء - لا الحاضر ولا الماضي ولا

المستقبل ولا المستحيل - يعلم مثاقيل البحار، وعدد قطر

الأمطار، ويعلم ما أسرّ العبد وما أظهر وأبطن بل تأمل

(١) رواه البخاري

(٢) رواه البخاري.

كمال علمه بقوله: ﴿يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾ [طه: ٧] لترى تحتها قدرة في العلم لا مثل لها، فالسرُّ ما أخفاه العبد، والأخفى ما لم يخطر له على بال ومع ذلك فالله يعلمه.

وهو الواحدُ الأحدُ المتفرد في حكمته، فله كمال الحكمة وأسرارها وتفصيليها، وكم يجهل العباد الحكمة من وراء بعض الأفضية المحيرة لهم، والأقدار التي لا تستوعبها عقولهم وبعد زمانٍ تظهر بعض علل تلك الأحكام الإلهية، والأقدار الكونية للمتأملين، وما غاب عنهم أضعاف أضعاف ما أدركوه.

وهو الواحدُ الأحدُ المتفرد في رحمته الواسعة التي يقف عندها العبد حائراً في جوانب كثيرة منها، فيرى رحمته للظالم، ولطفه بالجبّار، ورزقه للمتغطرس وما استحضر أنّها رحمته العامة التي اقتضتها مشيئته ليمتعه قليلاً فإذا أخذه لم يفلته.

وهو الواحدُ الأَحَدُ المتفردُ في صبره وحلمه على من آذاه
وآذى أوليائه وآذى عباده وعذبهم، وكيف يمهلُه ولا يعاجله
بالعقوبة - صبراً وحكمة - يجهلها الكثير من الخلق، ولكن
من تأمل في عواقب من انتقم منهم يجد انتقاماً عظيماً،
وعذاباً أليماً يحل بهم.

وصبرُ الله على الظلمة فيه إشارة لعجز البشر، وأن ربهم
الجبار هو الذي يأخذ لهم حقوقهم، فتتعلق قلوبهم به،
ويرضون بِقَدْرِهِ لعلمهم بتمام حكمته، فكم في تأخر نزول
العقوبة بالظالمين من مصالح تظهر للعباد بعد حين، ومن
الحِكم التي أشار لها القرآن في إمهال الله للظلمة هو زيادة
الإثم حتى ينالون من العذاب أشده، ومن الألم أفضعه فتشفى
قلوب المؤمنين منهم، ومن الحِكم زيادة أجر الصابرين...
وغيرها من الحِكم.

وهو الواحدُ الأَحَدُ المتفردُ في سعة سمعه بالمسموعات،
وبصره بالمبصرات، وإحاطته بكل شيء، فهو قد أحاط

بالمسموعات كلها لا يعزب عنه شيء في الأرض ولا في السماء، ولا يُشغله صوت عن صوت، ولا حاجة عن حاجة في سعة سمع وبصر لا تصفها عبارة.

وهو الواحدُ الأَحَدُ المتفرد في رزقه للمخلوقات كلها وقدرته على ذلك، وكفايته لهم، وإغنائه إياهم ليوقن الخلق بربِّ كريم، رازق عظيم قد كفى الخلق في معاشهم وتكفل في حياتهم.

وهو الواحدُ الأَحَدُ المتفرد في قدرته على كل شيء، وهي القدرة الكاملة المطلقة الشاملة التي عمّت الخلائق، فلا يُعجزه شيء، ولا يخرج عن قدرته أحد، فسبحانه من رب عظيم وإله جليل قد استحق العبادة واتّصف بالأحدية والصدمية.

هذه بعض معاني الأحدية لله، والكمال المطلق له لتوقن -أيها المؤمن- أنك تعبد رباً كريماً، وتتنسب بصفة العبودية تشريفاً لرب جليل.

ومن آمن بربِّ له هذا الكمال المطلق في صفاته توجّه له بالعبادة بإخلاص ومحبة، فيستريح ويطمئن لأنه أسلم وجهه وقلبه لله وحده، وصار عبداً لله الإله العظيم، الجليل الكبير، الذي له الصفات العلى، والسؤدد الذي لا منتهى له، فعندما يدعوه يتذكّر عظّمته، وعندما يسجد ويركع له، ويقوم بين يديه يتذكّر جلالته وكبريائه وأحديته وتفردّه، وعندما يسأله يتذكّر كرمه وفضله، وعندما تهّم نفسه بمعصيته يتذكّر سمعه وبصره وإحاطته به.

تتعجب من عقل كل مشرك وكافر، كيف عبدَ غير الله؟! وكيف يتذلل لبشر وأصنام هم أحقر ما يكونون؟! وكيف يتوجّه بدعائه وطلباته لمربوبين مثله مخلوقين، بل هم أدنى وأحقر منه كمن يعبد حيواناً، أو صورةً أو صنماً، وتراه يعيش في وحشة وهمّ وغمّ ونكد لأنّ معرفة الله حق المعرفة سرّ السعادة، ولذة النفس، وسلوان الفؤاد، وجنة الدنيا المعجّلة التي من دخلها تهيء لجوار الرحمن في جنّات النعيم.

قال بعضُ العلماء: أن اسم الله (الأحدُ) هو اسم الله الأعظم، فيدعو به المؤمن متذكراً قدرة ربه على استجابة دعائه، وتفريج كربه وهمّه؛ سمع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رجلاً يقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ اللهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، الْأَحَدُ الصَّمَدُ، الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ» فقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ سَأَلَ اللهُ بِاسْمِهِ الْأَعْظَمِ، الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أُعْطِيَ»^(١).

فاللهم ارزقنا معرفتك حق المعرفة وإجلالك حق الإجلال.



(١) رواه ابن ماجه وهو حديث صحيح.

﴿ (٣١ ، ٣٢ ، ٣٣) الملك ، والمالك ، والمليك ﴾

من أسماء الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: (**الملك** ، **المالك** ، **المليك**)

فاسم: (**الملك**) ورد ذكره خمس مرات في القرآن الكريم، وأما اسم (**المليك**) فقد ورد ذكره مرة واحدة فقط، وأما اسم (**المالك**) فجاء مرتين مضافاً لله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

وهذه الأسماء تدل على ملكه التام المطلق، فالله هو الملكُ الحقُّ المبينُ.

فهو: (**الملك الذي لا مُلكُ فوقه، ولا شيء إلا دونه**)^(١).

وهو (**الملكُ**) : النافذُ أمره في ملكه، فالعالمُ العلوي والسفلي تحت ملكه وقدرته وأمره وقضائه، فهو: ﴿ **الَّذِي**

لَهُ، **مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ** ﴾

[الزخرف: ٨٥]

(١) [تفسير الطبري: ٣٦/٢٨]

قَدْرُهُ فِي الْعِبَادِ نَافِذٌ، وَقَضَاؤُهُ عَلَيْهِمْ مَاضٍ، وَلَا يَكُونُ فِي مُلْكِهِ إِلَّا مَا يَرِيدُ.

وَهُوَ (الْمَلِكُ) الَّذِي لَهُ التَّدْبِيرُ الْكَامِلُ لِشُؤْنِ خَلْقِهِ، وَتَصْرِيفِ الْأُمُورِ بِيَدِهِ فَلَا يَخْرُجُ عَنْهَا شَيْءٌ.

وَمُلْكُ اللَّهِ لَخَلْقِهِ، مُلْكٌ عَالِمٍ عَلِيمٍ بِكُلِّ جَلِيلٍ وَحَقِيرٍ، وَمَشَاهِدٍ وَغَائِبٍ فِي إِحَاطَةٍ بِالْغَةِ، وَرَحْمَةٌ عَامَةٌ، قَالَ

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عِلْمُهُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ

الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ ﴿[الحشر: ٢٢، ٢٣]

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: (هُوَ الْمَالِكُ لِجَمِيعِ الْأَشْيَاءِ، الْمَتَصَرِّفُ فِيهَا بِلَا مَمَانَعَةٍ وَلَا مَدَافِعَةٍ) (١).

وَهُوَ ﴿الْمَلِكُ﴾ الَّذِي تَنْزَهُ مِنْ كُلِّ نَقْصٍ، فَكُلُّ آفَةٍ تُصِيبُ مَلُوكَ الدُّنْيَا فَاللَّهُ مَنْزَهُ عَنْهَا، فَهُوَ: ﴿الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ﴾ [الحشر: ٢٢]

وَمَنْ عَرَفَ رَبَّهُ بِصِفَةِ الْمَلِكِ لَمْ يَخَفْ مَخْلُوقًا، وَلَمْ

(١) [تفسير سورة الحشر]

يخش بشراً ليقينه أن نواصي العباد بيده، وليس لأحد الخروج عن مُلكه وسلطانه، فكيف يخافهم؟! وتجده قد علّق قلبه بالله - فقط - خوفاً ورجاءً وخشيةً ومهابةً، ولاذبه، وصار هو مفزعه عند الشدائد والنوائب، واستعاذ به ولجأ إليه في كل أمر.

وإثبات صفة المُلك لله تستلزم إثبات سائر صفات الكمال له؛ إذ من المحال ثبوت الملك التام لمن ليس له حياة ولا قدرة ولا علم بشؤون ملكه، ولا إرادة ولا سمع ولا بصر ولا كلام ولا فعل اختياري يقوم به.

ف(حقيقة الملك: إنما تتم بالعطاء والمنع، والإكرام والإهانة، والإثابة والعقوبة، والغضب والرضا، والتولية والعزل، وإعزاز من يليق به العز، وإذلال من يليق به الذل... فهو المتصرف في الممالك كلها وحده؛ تصرف مَلِكٍ قادر قاهر، عادل رحيم، تام الملك؛ لا ينازعه في ملكه منازع، ولا يُعارضه فيه مُعارض، فتصرفه في المملكة دائر بين العدل

والإحسان، والحكمة والمصلحة والرحمة، فلا يخرج
تصرفه عن ذلك^(١).

- **وَمُلْكُ اللَّهِ ظَاهِرٌ فِي أَحْكَامِهِ الْقَدْرِيَّةِ**، فما شاء الله كان
وما لم يشأ لم يكن، فهو القاهرُ والقادرُ، والباسطُ
والقابضُ، والمحيي والمميتُ، والمذل والمعزُ.
تأمل في نفاذ ملكه وكيف يُعزُّ من يشاء ويُذلُّ من يشاء،
يرفعُ الوضيعَ، ويخفضُ الرفيعَ، يُغني الفقيرَ، ويُفقر الغنيَ،
و﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [٢٣: الأنبياء: ٢٣]

- **ويظهر مُلْكَهُ فِي شَرْعِهِ**: فهو الذي يشرع للعباد
التشريعات المحكمة من العقائد الواضحة،
والأحكام الكاملة، والآداب الشاملة.

ويقضي بالأحكام التي تصلح للعباد، فأوامره كلها عدل
وحكمة ونفع للعباد، وبها صلاح الدنيا، فتتظم بها حياة
الخلائق، وتستقيم بها شؤونهم، وتُحفظ بها حقوقهم.

(١) [بتصرف من كلام ابن القيم / طريق الهجرتين: ١١٥-١١٦]

- لقد عَلِمَ المؤمنون بعظمة هذا الاسم الكريم، فرضوا بشرعه، وآمنوا أنّ التشريع ليس إلا لربهم فآتمروا بأمره استجابة له، وأيقنوا أنّ الجزاء لا يملكه أحدٌ غيره فلم ينازعوه في حكمه وملكه.

- **ومن تمام ملكه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ترتيب العقوبة والجزاء على أحكامه، فوعد أهل الطاعة بالجنة والحياة الطيبة في الدارين، وتوعد من عصاه بالعذاب والنكال، فأذعن المؤمنون لعظمة ربهم وقدرته، وعرفوا قدر أنفسهم، وأنهم عبيدٌ أذلاء بين يدي ربِّ ملكٍ عظيم، فعبدوه وخضعوا له، وآمنوا بقدرته على الجزاء.**

- ولقد أنكر الله على من صرف العبادة لغيره **(وهو المَلِك)** فأين ذهبت عقول المشركين!؟

قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ

فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴿٦﴾ [الزمر: ٦] فهو لاء المعبودين من دون الله لا

يملكون مثقال ذرة، فكيف يُعبدون!؟

ولا يملكون نفعاً لأنفسهم أو لغيرهم، ولا يدفعون عنهم شراً، ولا يكشفون ضرراً، فأين عقول عابديها؟!

ونزّه نفسه عن جهل الجاهلين الذين لم يفقهوا عن الله أمره، وظنّوا أنّهم إنّما خلّقوا بلا غاية أو مقصدٍ، وهو ما تأباه حكمته البالغة - فالله مَلِكٌ عَلِيمٌ، وَرَبُّ حَكِيمٌ - لا يخلق شيئاً في كونه عبثاً، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَتَعَلَى اللَّهِ الْمَلِكُ الْحَقُّ ط

لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ [سورة المؤمنون: ١١٦]

- ملوك الدنيا كلهم ملكهم قاصرٌ - زماناً ومكاناً وأمراً ونهياً - يعترهم ما يعترى البشر من النقص، فيمرضون ويتألمون، ويجوعون ويعطشون، يحتاجون لغيرهم فهم ضعفاء مثلهم أمّا الله فهو الغني الحميد.

مَلِكُ الْأَرْضِ مَلُوكًا لَا حَصْرَ لَهُمْ وَلَا عَدَدَ، كَانَتْ الْجُمُوعُ تَهَابُ ذِكْرَ أَسْمَائِهِمْ، وَيَخَافُونَ سَطْوَةَ أَعْيَانِهِمْ، وَكَانُوا أَمْرِينَ نَاهِينَ مَالِكِينَ مُتَصَرِّفِينَ كَيْفَ شَاءُوا، فَقَبْضُ

أرواحهم ملك الموت - الذي هو عبدٌ من عباد الله - فأرداهم صرعى، وألقاهم هلكى، فأصبحوا خيراً من أخبار الناس، وحديثاً من أحاديثهم.

فأين الجبّارة من ملوك الأرض؟

وأين الأمرون الناهون ممن كانت لهم السطوة وكان لهم الأمر النافذ الذي لا يُرد، لقد مضوا كما مضى من قبلهم، ويمضي من بعدهم ليقن العباد أنّ المُلْك الحق المطلق الكامل لله فقط، وأنّ ملوك الأرض إنّما ملكوا بأمر الله، ويُنزع الملك منهم بأمره - أيضاً - فهو المَلِك الذي بيده ملكوت كل شيء، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمُلْكِ

تُوْفِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتُنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ

بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ [سورة آل عمران: ٢٦]

وأظهر ما يكون مُلْكُه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يوم القيامة؛ يوم يفصل بين العباد، ويقضي بين الأنام، فالكل بين يديه في ذلك اليوم خاضعون، والجميع عنده ذليلون، قد خضعت رقابهم

للملك العلام، وذلت أنوفهم للربّ العزيز الجبار.

استحضر ذلة ملوك الدنيا وقد خضعوا لربهم، واعتراهم
الذل في ذلك اليوم، كل واحد منتظرٌ جزاء عمله، فأين هي
أملاكهم وجنودهم؟

وأين الذين وتَدُّوا لهم ملكهم في الدنيا، وعززوا سطوتهم
فيها؟

لقد ذهب الرسوم، وطارت الألقاب، وانتهت الأسماء
الظاهرة، وتبين لهم معنى المُلْك القاصر، فصاروا هم وبقية
الخلق سواسيه، وغدوا وعامة الناس في درجة واحدة.

ولذا إذا قرأت في كل ركعة قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿مَلِكِ يَوْمِ
الْدِّينِ﴾ [الفاتحة: آية ٤] تذكر ذلك المُلْك العظيم لله، والتفرد
المطلق له، وظهور عظمته، واستحضر يوم ينادي الملك
العلام سبحانه: ﴿لَمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾ [غافر: ١٦] فلا يجيبه أحد،
فيجيب نفسه بنفسه جل في علاه: ﴿لِلَّهِ الْوَحْدُ الْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦]

- ويظهر مُلكه في قبض السموات والأرض - وهي العظيمة في خلقها - يقول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَقْبُضُ اللهُ الْأَرْضَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيَطْوِي السَّمَاءَ بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ مُلُوكُ الْأَرْضِ؟» (١).

ويقول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «يَطْوِي اللهُ عَرْجَلَ السَّمَاوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِيَدِهِ الْيُمْنَى، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ، ثُمَّ يَطْوِي الْأَرْضِينَ بِشِمَالِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟» (٢).

هذا ربنا الملك المالك العظيم، فاستحضر عظمته، واعرف قدره، وليخشع قلبك إجلالاً له، واملاه محبةً له، ولا يفتر لسانك من الثناء عليه، إذ اصطفاك على العالمين، ووفقك لتعرفه وتعبده وتسجد له، فاجعل جوارحك تخشع له، وعينك تدمع من خشيته، فلا أطيب عيشاً في الدنيا من

(١) رواه البخاري

(٢) رواه مسلم

الله في رحاب العظمة

معرفته، ولا آنس للعبد من مناجاته، والتأمل في أسمائه
وصفاته، فاللهم زدنا علماً في هذا الباب وأنت الجواد
الكريم.



﴿ (٣٤) السميع ﴾

من أسماء الله: **(السميع)** وقد ورد هذا الاسم في القرآن الكريم خمسا وأربعين مرة.

قال الخطابي رَحِمَهُ اللهُ: **(السميع)**: بمعنى السامع، إلا أنه أبلغ في الصفة، وبناء فعيل: بناء المبالغة كقولهم: عليم من عالم، وقدير من قادر، وهو الذي يسمع والنجوى سواء عنده الجهر والخفوت والنطق والسكوت...^(١).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: **(وهو الذي)**: قد استوى في سمعه سرّ القول وجهره^(٢).

والمعنى في سَمِعِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَكُونُ عَلَى مَعْنَيْنِ:

الأول: سَمِعُهُ لَجْمِيعِ الْأَصْوَاتِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ، الخفية والجلية، وإحاطته التامة بها.

(١) [شأن الدعاء: ٩]

(٢) [طريق الهجرتين: ٨٢١]

الثاني: **سَمِعُ الإِجَابَةَ لِلسَّائِلِينَ وَالدَّاعِينَ وَالْعَابِدِينَ،**

فِيَجِيبُهُمْ وَيُشِيبُهُمْ، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ [٣٩] أي: **مجيب الدعاء.**

- وصفةُ السمع لله صفةٌ ثابتة له تليق به سبحانه، فسمعُه ليس كسمع البشر كما أن ذاته ليست كذواتهم.
- يسمع سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الْأَصْوَاتِ كُلِّهَا باختلاف لغاتها، وتباين حاجتها، وتنوع ألفاظها، وتفنن طلباتها؛ فلا يُشغله سمعٌ عن سمع، ولا تزدهم عليه الأصوات، ولا تُغلطه كثرتها، الخفيّ منها والجهر عنده سيات، والسرّ والعلانية عنده سواء؛ يجتمع الملايين في صعيد عرفات فتلهج ألسنتهم بالدعوات، وترتفع لربهم المطالب والحاجات، وكل واحد منهم قد كثرت مسأله، ونفسه قد امتلأت بالأمنيات، فتنوع مطالبهم، وتباين حوائجهم، وقد اختلفت لغاتهم، وتمايز حالهم من الصدق والإخلاص، فيسمع

الله دعواتهم كلها وكأنها دعاء رجل واحد لعظمة سمعه، وكمال إحاطته، وسعة علمه بإخلاصهم، واستحقاقهم للإجابة، وأيُّ الدعوات أنفع لصاحبها فيحققها له، وأيّها منعها أولى له، فسبحان السميع العليم، هذا موقفٌ واحد من ملايين المواقف للبشر، وكلها في سمع الله وعلمه وإحاطته كحديث رجل واحد وذلك لكمال سمعه وسعة علمه.

- المرء منا لو تحدّث عنده اثنان لقال لأحدهم اسكت حتى أنصت للآخر، ولكن انظر لسمع الله تعالى وكيف قد أحاط بخلقه، فأعرف عظمة ربك السميع، واعترف بعجزك وضعفك.

- سمع صوت عبده يونس عَلَيْهِ السَّلَامُ في قاع البحر وظلماته، فلم يخفَ عليه حاله، ولم يرغب عنه ما ألمّ به من ضيق، فسمع نداءه في تلك الظلمات وهو ينادي: ﴿...لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾

الظالمين ﴿سورة الأنبياء: ٨٧﴾

- وتأتي المجادلة شاكيةً أمرها لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولم يخطر ببالها أن يُنزل اللهُ في شأنها آياتٍ تُتلى إلى يوم القيامة، ولكنه الإعلام من الله لجميع عباده أنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَسْمَعُ شِكَايَتِهِمْ، ومطلع على أحوالهم وهمومهم، فلا يُشغله عن شأن عبده شيء لكمال سمعه، وقربه من عباده، وتمام رعايته لهم، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللهِ وَاللهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [سورة المجادلة: ١]

وتأمل كيف جاء ذكر لفظ الجلالة (الله) في هذه الآية أربع مرات ليطمئن المؤمن بلطف الله بعبده وعنايته بشأنه.

- وفي أشرف بناء على وجه الأرض، لأعظم عمارة قام بها بشرٌ، يرفع إبراهيم وإسماعيل القواعد من البيت، فيسألان ربهما القبول لعملهما ولا يجدان أعظم من هذين الاسمين: **(السميع العليم)** فيتوسلان لله بهما

لعلمهما بسعة سمعه، وإحاطة علمه بكل عمل، وإجابته للسائلين، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [سورة البقرة: ١٢٧] فما أوسع سمعه، وما أقرب إجابته لمن صدق في دعائه.

- إن تأخر رزقك في إنجاب الولد، وتاقت نفسك لرؤية الذرية، وتألم قلبك من الوحدة، ناج ربك، وناده باسم: **(السميع المجيب)** ليؤمن عليك بما تمنيت، ولا يقف طلبك على الذرية فقط بل ليتمدد إلى طلب صلاحها فهو المقصد النفيس من وجودها.

- يدخل زكريا عَلَيْهِ السَّلَامُ على مريم فيجد كرامة الله لها برزقها من غير حول منها ولا قوة، فيطمع بفضل ربه **(السميع المجيب)** الذي لم يزل على عباده محسناً، فيناديه: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ [آل عمران: ٣٨] فيهبه الله يحيى مصدقاً بكلمة من الله وسيداً وحصوراً ونبيّاً من الصالحين.

- وَيُثْنِي إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى رَبِّهِ (السَّمِيعُ الْمَجِيبُ)

فقد وهب له على الكبر الولد ويجعله خير ولد، ولو تأملت في هذا لرزق لوجدته عَجَبًا عَجَابًا، فقد حُرِّمَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ الذرية فترة طويلة حتى بلغ الكبر، وضعفت قوته وقرب الموت منه، فإذا بالبشرى بهذا الرزق ولكن أي رزقٍ كان، وأي ذرية هي؟!!

لقد رُزِقَ بعد هذا الحرمان بذرية كانوا هم الأنبياء في بني البشر، فجعلها الله في عقبه وولده وولد ولده حتى خُتِمَتْ بسيدهم محمد صلى الله وسلم عليهم أجمعين.

فمهما تأخرت أمنياتك فلعلها تأتيك - وإن أبطأت كأكمل ما يكون - قال تعالى - حاكياً شكر إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ وثناؤه على ربه - : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ

وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٩﴾ [إبراهيم: ٣٩]

- وإن أحاطت بك الفتنة، وخفت من الوقوع في الحرام، وزين لك الشيطانُ الشهوات، وضعفت نفسك أمام

المغريات، فالجأ لربك الرحيم، وأظهر له ضعفك، واعترف بعجزك، فربك لطيف سميع يُنجِّيك من هذه المهالك، ويحفظك من كل سوء.

- أيقن يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ بحاجته لربه، واضطراره لمولاه،

فاستغاث به، وناداه بهذه الكلمات الخالدات: ﴿وَإِلَّا

تَصْرِفَ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصَبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ ٣٣ فاستجاب له ربه،

فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾ [يوسف: ٣٣-٣٤]

فأغاثة ربه ونجّاه، وحفظه من كل مكروه وحمّاه.

- ويمضي موسى وهارون عَلَيْهِمَا السَّلَامُ إلى فرعون،

فيخافا بطشه وانتقامه، فيبثان هذا لربهما: ﴿قَالَ رَبَّنَا إِنَّا

نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى﴾ ٤٥ [سورة طه: ٤٥] فيطمئنهما

بحفظه ورعايته: ﴿قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى

﴿٤٦﴾ [سورة طه: ٤٦] فأي قوة وبطش كانت أعظم من

قوة وبطش فرعون في ذلك الزمان؟!

وأي ضعف كان عليه موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ حتى أنه طلب وزيراً ومعيناً له، ولكن عندما ارتفعت دعواته سمعها **(السميع)** فقوّاه ونصره.

فاطمئن أيها الداعي، فربك قريب سميع مجيب، يسمع دعواتك الصادقة في مطالبك كلها خصوصاً أشرفها وهو: **(طلب الهداية)** فيستجيب للصادقين في طلبها ولمن سلك سبيلها.

- أيقن - أيها المؤمن - أنّ ربك سميعٌ لك في كلِّ أحوالك، فكن راجياً عند عباداتك، طامعاً في فضله وإحسانه، فإذا قمتَ مصلياً بين يديه تأمل قربه منك وأنت واقفاً تتلو كتابه، أو راکعاً تُسَبِّحُه وتُعَظِّمُه، أو ساجداً تسأله وتدعوه.

وإذا زينت صوتك بتلاوة كتابه، وفرغت وقتك لقراءة آياته، فافرح بهذا الفضل والتوفيق، فما استمع الله لأحدٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى كاستماعه لنبي يقرأ القرآن، فأَيُّ شرفٍ أعظم من هذا الشرف لتالي القرآن!

- يسمع دعائك وأنت تناجيه بصوتٍ خافت، وقلبٍ حاضر، وعينٍ دامعة، وفؤادٍ وجلٍّ، ويعلم حاجتك - وإن لم تُفصح بها - فأحسن الظنّ به، وإن لم ترَ أمامك إجابة حاضرة، فلعلها أُخّرت في الوقت الأنفع لك.

- يرى ويسمع لطفك مع الخلق، وأدبك مع والديك وطلبك لمرضااتهم، وسعيك في خدمتهم.

- يسمع جهرك بالحق، وصدعك به، ودلالتك على الخير، ونشرك للمعروف، ونصحك للخلق سرّاً وجهاراً، وهو عليم سميع بإرشادك لأعمال البر؛ كل ذلك وغيره يسمعه، ويعلمه السميع العليم، فاطمئن لأعمالك وأخلص فيها، وأيقن أنّها لن تضيع عليك ابداً.

- بكاؤك ودقائق مطالبك قد أحاط بها، فهو عليم بكل حوائجك، فيقضيها لك - وإن تأخرت - لأنه سميعٌ عليم، فحقق إيمانك، وكن عظيم الثقة به، فإنه لا تخفى عليه خافية، وهو قريب ممن دعاه وسأله.

- تمرّ بنا أحداث، وتغشانا هموم وغموم، فنوقن أن لا ملجأ من الله إلا إليه فنرفع شكائنا إلى الله فيسمعها **(السميع)** ويفرّج عنا كل همّ. فهو قريبٌ ممن دعاه وسأله.

- إن هممت بغيبة أو نميمة، أو نزغك شيطانك أن تتهم بريئاً، أو تمضي بفتنة فاعلم أن الله سميعاً لأقوالك، عليمًا بمكرك، فاحذر السقطة من اللسان فربما تهوي بك في النار سبعين خريفاً.

- توّعد الشيطانُ بني آدم بأن يغويهم ويقعد لهم كل سبل الخير، ويسعى في إفساد العبادات عليهم، ويوسوس لهم في شؤونهم كلها حتى يُنكّد عليهم حياتهم، فيأمر الله عباده بأن يستعيذوا بالله منه فإنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هُوَ الْمَلْجَأُ وَالْمَلَاذِ، وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَمَا يَزْعَمَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ

بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ [سورة فصلت: ٣٦]

- يكيّد الأعداء لدين الله، فالحربُ بين الحق والباطل في سجال لا ينتهي، وهي باقية بقاء الليل والنهار -سُنَّةٌ قضاها الله تعالى في كونه- فيظلُّ جمعهم بوراً، ومكرهم غروراً فقد كتب الله لهذا الدين البقاء، وقضى بالنصرة لأوليائه، وليس في صدور الأعداء إلا الكبر والظنون الفاسدة، فلذا أمر الله رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأتباعه الإعراض عنهم والاستعاذة بربهم، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُمْ بِبَلِّغِيهِ فَاستَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾

[سورة غافر: ٥٦]

فتأمل في عظمة وسعة سمع ربك لتوقن أنك تعبد رباً عظيماً له الصفات العلى، والكمال المطلق.

فاللهم يا سميع يا عليم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا .

الله في رحاب العظمة الله

اللهم - وأنت السميع العليم - بصّرنا السبيل، ودلّنا
الطريق، وخذ بنواصينا لكل ما يُرضيك عنا يا رحيم.



﴿ (٣٥) البصير ﴾

من دلائل وحدانية الله تفرّده بالكمال في الصفات التي دلت عليها أسماؤه الحسنی، وصفاته العلی، ومن هذه الأسماء: **(البصير)** وقد ورد ذكر هذا الاسم في كتاب الله اثنين وأربعين مرة.

وصفة البصر من صفات الكمال، فالمتصف به أكمل - ولا شك - ممن لا يتصف بها، قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي

الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ﴾ [الرعد: ١٦]

وبصرُ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قَدْ بَايَنَ بَصَرَ الْمَخْلُوقِينَ، فبصر المخلوق محدود وقصير، وماله إلى الضعف والزوال، أما الله فهو البصير الذي أحاط بصره بجميع المُبْصِرَاتِ والمرئيات، فبصره نافذ، وقدرته في الإحاطة عظيمة، يرى أفعال العباد كلهم مع كثرتها وكثرتهم، وتباينها واختلافها.

فمن كان منهم في برٍ فسيح، أو عُباب بحر عميق، أو تحت أطباق الأرض، أو في فضاء سماء عالية، أو تحت سفوح جبال شاهقة فجميعهم لا يخفى عليه أمرهم، ولا يغيب عنه شيءٌ من حالهم.

الظلام والضياء عنده سواء، والمرئيات عنده واحدة، فلا تغطه كثرة الصور، ولا يُحجب عن علمه حال أحد، فمهما أخفى العبدُ من شأنه، فعمله ظاهر للخبير، وحاله حاضرة بين يدي البصير، فسبحانه من إله قدير، وجل جلاله من ربِّ عليم.

تأمل في أعداد من خلق من الآدميين، فإنه يرى سبحانه مبيتهم ومقيلهم، وذهابهم ومجيئهم، وحركاتهم وسكونهم، وأين ذهبوا، ولماذا ذهبوا، وما هم صانعون.

وتأمل في ما خلق في الأرض من جبال وهضاب وسهول ووديان وما يحصل فيها من شؤون مما لا يحيط به أحدٌ إلا الله تعالى، فهو يرى ما فيها من مجيء وذهاب آدميين،

وانتشار حيوانات، وعدد أحجار، وتنوع تضاريس، ونزول مطر، وغير ذلك مما يكون فيها.

ويرى ما يكون في البحر من أحوال متنوعة من ركوب آدميين، وما يحصل منهم، وما يعيش على سواحلها، وداخل أعماقها من مخلوقات لا يعلم عددها وأنواعها وحياتها وولادتها وموتها إلا من خلقها سبحانه.

وتأمل فيما خلق من النبات والأشجار فإنه سبحانه وتعالى يعلم وقت ابتداء خلقها وحياتها، ويرى سريان المياه في أغصانها وعروقها، ويعلم وقت نضوج ثمارها، وذبولها ومكان تساقط ورقها، وموتها وفناءها.

ويرى سبحانه وتعالى الحيوانات باختلاف أصنافها، وهو عليم بأفعالها ومآلها؛ يرى الطير وهي صافات تُسبح ربها بالغدو والآصال، ويرى ديبب النملة السوداء على الصخرة الصماء في ظلمة الليل، ويرى سريان القوت في أعضائها، ويسمع ديبب مشيها، ويرى نياط عروق النملة والنحلة

والبعوضة وأصغر من ذلك، فسبحان من أبصر كل شيء،
وجلّ عن المثل من تحيّرت العقول في عظمته، وسعة
متعلقات صفاته، وكمال عظمته ولطفه، وتعالى عن الشريك
من يستوي عنده الغيب والشهادة، والحاضر والغائب، فهو
يرى خيانات الأعين وتقلبات الأجفان.

ويرى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَهْلُ الْعِبَادَاتِ وَالطَّاعَاتِ:

يراك أيها الراكع الساجد وأنت تعبده وتدعوه.

ويراك أيها التالي وأنت تتلذذ بتلاوة كتابه وتحمده على

هذا الاصطفاء.

يراك وأنت ذاكرٌ له قد خلوت به وأنستَ نفسك بذكره،

وتلذذ قلبك بمناجاته.

يراك أيها الصائم وقد بلغ التعب منك مبلغه، وآثرت

مراضيه، وصبرت لأجل ما عنده من العطايا.

يراك وأنت حاجٌ ومعتمرٌ، ولا يخفى عليه طوافك

وسعيك، وقد أحاط بخفقان قلبك وهو فرح بهذا الاصطفاء، ويسمع دعواتك وأنت ترفعها من هذه الأماكن المباركة رجاء إجابتها، ويعلم بحال وقوفك ومبيتك في محل الرحمات، وتقلّبك في هذه الطاعات.

يرى صدقك وأنت تدعوه، وترجو إجابة الدعوات، ويعلم بضعفك وخشيتك وخضوعك وذلك بين يديه... وغيرها من القربات .

يرى هذه الطاعات منك فافرح بها وزد منها، فهي نعم الزاد. **ربك البصير** يراك - أيها المحسن المتصدق - ويعلم بحالك وقد أنفقت مالك في سبيل مرضاته، ونفعت عباده، فيحفظ لك ذلك الصنيع، ويضاعف لك المثوبة.

ربك البصير يراك أيها الساعي سعيًا حثيثًا في خدمة والديك أو ذوي رحمتك ترفع نوال عملك وثوابه، فقد سعت لردّ الواجب فكنت خير بار، وأحسن لرحمتك فصرت أنصح واصل، فافرح بهذا المعروف.

رُبُّكَ البصير يرى جهدك - أيها الداعي - في سبيل إنقاذ الناس من ظلمات الكفر، ومن حمأة الذنوب وشؤم المعصية، يراك وأنت تبذل من وقتك ومالك وجهدك وفكرك لنفع عباده، فيحفظ لك عملك وسيجازيك عليه أعظم الجزاء، فاطمئن لصنيعك

رُبُّكَ البصير يراك أيها المشفق على الضعيف والمحسن للمسكين، وقد امتلأ قلبك رحمة بهم فسعيت لنفعهم، فيرحمك بمثل هذه الأعمال المباركة، فافرح بهذا الاصطفاء.

رُبُّكَ البصير يرى إحسانك - حتى للحيوان - فيشيك عليه لأنه رب رحيم شكور «تمرُّ زانيةٌ بكلب يلهث فتحملها الشفقة على الإحسان إليه، فيشكر الله لها صنيعها ويغفر لها ذنوبها ويدخلها الجنة»^(١).

(١) رواه البخاري.

هذه الأعمال ونحوها الكثير الكثير يراها الله، ويُعينُ عليها، ويُسدّد أهلها، وتسطرّ الآيات الكريّمات صورها لتُبشّر أهل هذه الأعمال الصالحة ومثيالاتها بأنّ الله لا يخفي شيئاً منها لتطمئنّ قلوبُ المؤمنين الموحدين، وأنّ سعيهم لن يضيع عليهم، فربهم جواد كريم، وهو بهم وبحالهم بصير، يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿١١﴾﴾ [يونس: ٦١]

- وتأمل في هذه الآية فهي تعم كل شيء، صغيراً كان أو كبيراً، جليلاً كان أو حقيراً لتوقن - أيها المؤمن العابد - أنّ عملك الصالح ربك به بصير، وهو محفوظ لك عنده، يقول الله عَزَّجَلَّ: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا نُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَحَدُّوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٠﴾﴾ [البقرة: ١١٠]

ومن علم أنّ ربه به بصير، وبعمله خبير، سعى لإتقان العبادة، وتقرّب لربه بها على أحسن وجه ليعظم أجره فيها، ولذا أرشد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمته لهذا المعنى المهم وذلك عندما سُئِلَ عن الإحسان، فقال: «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه - وهو مقام المشاهدة - فإن لم تكن تراه فإنه يراك - وهذا مقام المراقبة -» (١).

وقد أشار القرآن لهذا المعنى كثيراً، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿الَّذِي يَرِيكَ حِينَ تَقُومُ ۖ وَتَقْلُبُ فِي السَّجْدِ ۖ﴾ [الشعراء ٢١٨-٢١٩]

وكلما استحضر العابدُ نظر الله إليه أثناء عبادته أتقن تلك العبادة، وهذا ثمرة من ثمرات المراقبة والإيمان بهذا الاسم الجليل؛ فهو يخشى أن يتقرّب لربه بعبادة لا روح فيها ولا حضور قلب؛ فعزّز في قلبك معاني هذا الاسم الجليل لتؤدي عبادةً كاملةً صالحةً تنال بركتها ويعظم لك أجورها.

(١) رواه مسلم.

وتقوية الإيمان باسم الله - البصير - يورث العبد الحياء من ربه، فكيف يتجرأ على معصيته، أو يُقيم على ما يُسخطه عليه وهو يوقن باطلاع الله عليه؟!!

ولذا يأتي التهديد والوعيد من الله (البصير) لمن يُلحدون في آياته، ويتعدون حدوده، ويتجرؤون على محارمه، فيقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِيءَ إِمَانًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾

[فصلت ٤٠]

فليحذر العبد من غضب ربه وعقابه، وليوقن أن الله لا يخفى عليه شيءٌ فيبتعد عن سخطه وانتقامه.

ومهما استخفى العاصي عن أنظار الناس فإن الله يراه، وهو بصير بعمله، محيط بشؤونه، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:

﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّنُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾ [النساء: ١٠٨]

فأين سيعصيه وهو مطلع عليه في أي مكان كان؟!!

وكلما قوي إيمان العبد بهذا الاسم العظيم نفعه إيمانه به؛ فابتعد عن الذنب، وإن ضعف ووقع فيه دعاه الخوف من اطلاع ربه لتجديد التوبة وإخلاق الإجابة.

ولولا رحمة الله بنا وستره علينا لهلكنا لضعف النفوس أمام الذنوب والمعاصي والشهوات.

ومن معاني البصير: (العليم بأحوال العباد، الخبير

بمصالحهم) فهو بصير بمن يصلح حاله الغنى فيغنيه وبمن يفسد حاله ذلك فيضيّق عليه، فأيقن أنه ما ضيق عليك إلا

رحمة بك، يقول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا

فِي الْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنزِلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ [الشورى: ٢٧]

وهو عليم بمن يستحق الهداية فيهديه ويوفقه بفضله

ومنته ويسرها له، وعليم بمن لا يستحقها فيضله بعدله

وحكمته، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ

مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [التغابن: ٢]

قال ابن كثير رَحْمَةُ اللَّهِ: (والله بصير بالعباد؛ أي: هو عليم بمن يستحق الهداية ممن يستحق الضلالة، وهو الذي لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون، وما ذاك إلا لحكمته ورحمته) (١).

وهو بصير بخفيات الأمور، وبالمستور والمنظور، وخبير بالنوايا ودرجات الصادقين، ﴿هُم دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٣] فلا يرى في قلبك إلا الإخلاص، وابتغاء وجهه في كل عمل عمله، ولا يطلع على قلبك إلا ويرى فيه محبة المؤمنين، وتمني الخير لهم، فالله عليم بذات الصدور.

هذا بعض معاني هذا الاسم العظيم وبعض آثاره وثمرات العلم به، فاللهم اشملنا برحمتك واغفر لنا كل زلل وتقصير.



(١) [تفسير سورة التغابن لابن كثير]

﴿ ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨ ﴾ الأَعْلَى ، العَلِيِّ ، المُتَعَالِي

اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هُوَ الْعَلِيُّ الْأَعْلَى الْمُتَعَالِي عَنْ كُلِّ نَقْصٍ .
 وَقَدْ وَرَدَ ذِكْرُ اسْمِ اللَّهِ (الْعَلِيِّ) ثَمَانِيَةَ مَرَّاتٍ ، وَذُكِرَ اسْمُ
 (الْأَعْلَى) مَرَّتَيْنِ ، وَأَمَّا اسْمُ (الْمُتَعَالَى) فَوَرَدَ مَرَّةً وَاحِدَةً فَقَطْ .
 وَاللَّهُ لَهُ الْعُلُوُّ الْمَطْلُوقُ بِجَمِيعِ أَنْوَاعِ الْعُلُوِّ : (فَلَهُ عُلُوُّ
 الذَّاتِ ، وَعُلُوُّ الْقُدْرِ وَالصِّفَاتِ ، وَعُلُوُّ الْقَهْرِ وَالْغَلْبَةِ)

قَالَ ابْنُ سَعْدِي رَحِمَهُ اللَّهُ : (هُوَ الَّذِي لَهُ الْعُلُوُّ الْمَطْلُوقُ مِنْ
 جَمِيعِ الْوُجُوهِ : عُلُوُّ الذَّاتِ ، وَعُلُوُّ الْقُدْرِ وَالصِّفَاتِ ، وَعُلُوُّ
 الْقَهْرِ ، فَهُوَ الَّذِي عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ، وَعَلَى الْمَلِكِ احْتَوَى ،
 وَبِجَمِيعِ صِفَاتِ الْعِظَمَةِ وَالْكِبْرِيَاءِ وَالْجَلَالِ وَالْجَمَالِ وَغَايَةِ
 الْكَمَالِ اتَّصَفَ ، وَإِلَيْهِ فِيهَا الْمُنْتَهَى) (١) .

فَهُوَ عَالٍ (بِذَاتِهِ) فَوْقَ عِبَادِهِ ، بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ ، مُسْتَوٍ عَلَى
 عَرْشِهِ ، اسْتَوَاءً يَلِيقُ بِجَلَالِهِ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِ خَلِيقَتِهِ .

(١) [تفسير السعدي: ٥/ ٤٨٧]

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ

فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ...﴾ [الأعراف: ٥٤] وقال سبحانه:

﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ [الأنعام: ١٨]

قال ابن القيم رحمه الله: (وأنه فوق جميع العالم عال عليه

بجميع أنواع العلو ذاتا وقهرا وعظمة)^(١).

وعُلُوّه (بذاته) ثابتاً ثبوتاً لا مرية فيه، دلت عليه نصوص

الكتاب والسنة، ودلّ عليه العقل السليم، والنفوسُ تشعر

بذلك عند دعائه والحاجة إليه، والفطرة السوية تؤيّد ذلك،

فالله لا يكون إلا في العلوّ، ويُنزّه عمّا دون ذلك، ومع عُلُوّه

وفوقيته إلا أنه قريباً من عباده، قد أحاط بهم علماً وقدرةً،

فهو عليّ في قربه، قريبٌ مع عُلُوّه لا يخفى عليه شيء من

أمور العباد، ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا

خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا وهو

معهم أينما كانوا.

(١) [الصواعق المرسلّة: ٤/ ١٢٧٨]

وله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عُلُوُّ (القدر والصفات)

قال ابن القيم: (العلي الذي علا عن كل عيب وسوء
ونقص) (١).

فصفاته عظيمة لا يقدرها حق قدرها إلا هو.

وهو **عليّ في نفوس أوليائه**، فقد امتلأت قلوبهم حباً
وتعظيماً وخشية له.

فقد أيقنوا بعظمة أوصافه، وكمال المطلق، فتوجّهوا
بأعمالهم إليه وحده، وأخلصوا له العبادة، وصرّفوها له
دون سواه.

فيُعظّمونه حال العبادة له فتبدوا عليهم السكينة
والخشوع والخضوع عند أدائها، فيخشع المصلي القانت
وهو واقفٌ بين يديه، وكذلك الحاجّ والمعتمر الحق عند
أداء المناسك تراه معظماً ربه جَلَّ جَلَالُهُ، مُقَدِّراً هذه المقامات
العلية للعبادات.

(١) [شفاء العليل: ١ / ١٨٠]

وتجد التقدير منهم والتعظيم له عند ورود أوامره
فيسارعون لأدائها حُبًّا وإجلالاً لمن أمر بها .

وتجد التعظيم له عند ذكره، فيستحضرون تنزيهه عند
التسبيح، وتذكر النعم عند الحمد، ويكبرونه في قلوبهم قبل
التكبير والتهليل بألسنتهم وهكذا في سائر الأذكار، فيقولونها
بقلوب حاضرة معظمة لربها .

ويُجلّونه عند ورود النهي أو عندما تدعوهم نفوسهم
الأمارة بالسوء بمعصيته، فيتذكرون سطوته وقوته، وانتقامه
وشدة عذابه، فيبتعدون عنها .

ويستغفرونه في كل وقت وحين لعلمهم بتواتر فضله
عليهم، وأنهم لن يوفوا شكر نعمة، وتمام فضله إلا بحمده،
وكثرة الاستغفار على تقصيرهم .

وهكذا في حياتهم كلها ترى منهم التقدير والتعظيم
والإجلال لربهم فهو العليُّ القدير في نفوسهم .

ومن عرف ربه بعُلُوِّ القَدْرِ لم يعظّم أحداً مثله (فهو يُنزه قلبه أن يساكن سواه، أو يطمئن لغيره، فهو لاء قلوبهم قد قطعت الأكوان، وسجدت تحت العرش، وأبدانهم في فرشهم...) قاله ابن القيم رَحْمَةُ اللَّهِ (١).

والله هو الإله العليّ الأعلى المتعالي عن جميع النقائص والعيوب المنافية لألوهيته وربوبيته.

فهو متعالٍ في أحديته عن الشريك والمثيل والند والنظير.
ومتعالٍ عن الحاجة للظهير والمُعِين والولي والنصير.
ومتعالٍ في عظمته عن الشفيع دون إذن منه.
ومتعالٍ في صمديته عن الصاحبة والولد وأن يكون له كُفُوًّا أحد.

ومتعالٍ في كمال حياته وقيوميته عن السنّة والنوم والتعب.

(١) [طريق الهجرة: ٤٤٩]

ومتعالٍ عن العبث في خلقه وشرعه لكمال حكمته.

ومتعالٍ عن الضعف لكمال قوته.

ومتعالٍ عن ظلم العباد لكمال عدله.

ومتعالٍ عن الغفلة والنسيان والعزوب لكمال علمه.

ومتعالٍ عن ترك الخلق سدىً دون غاية أو أمر.

ومتعالٍ في كمال غناه، فهو يُطعمُ ولا يُطعم، ويرزق ولا

يُرزق، وهو على كل شيء قدير، وكل شيء إليه فقير، وكل

أمر عليه يسير، لا يحتاج إلى شيء ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ

السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]

فكل قدرٌ وعُلُوٌّ في كلِّ شأن، فالله متصف به، وله من ذلك

الكمال أكمله وأعلاه.

وعُلُوُّ الله عُلُوٌّ مطلقاً، أمّا عُلُوٌّ غيره فعُلُوٌّ ناقصاً (زماناً،

ونوعاً، وحالاً) فمن علا وارتفع في علم ما انخفض في آخر

أمّا الله فعلوه مطلقاً في علمه الكامل الشامل.

ومن علا في زمن شبابه بقوته ونشاطه ضعف في شبابه أما
الله فقوته دائمة باقية.

ومن علا في ملكه، وصارت لأوامره نفوذاً فهي مؤقتة ثم
تضعف وتضمحل أو يُذل بعد ذلك... وهكذا في كل نوع
يعلوه بشر.

فَالْعُلُوُّ الْمَطْلُوقُ مِنْ جَمِيعِ الْوُجُوهِ، وَفِي كُلِّ الْأَحْوَالِ لِلَّهِ
عَزَّجَلَّ دُونَ سِوَاهُ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى هُوَ الْعَلِيُّ الَّذِي لَا أَعْلَى مِنْهُ،
وَلَا يُعْلَى عَلَيْهِ، وَلَا يَدَانِيهِ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِهِ فِي عُلُوِّهِ.

فَعُلُوُّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عُلُوُّ عَمُومِ مَلِكٍ وَكَمَالِ سُلْطَانٍ، قَالَ

اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ ﴿٤﴾

[سورة الشورى: ٤]

وَعُلُوُّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عُلُوُّ قُوَّةٍ مُطْلَقَةٍ، وَقُدْرَةٌ لَا نَظِيرَ لَهَا،

قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَلَا يُؤَدُّهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ ﴿٢٥٥﴾

[سورة البقرة: ٢٥٥]

وَعُلُوّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عُلُوّ نفاذ أوامر، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:

﴿قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [سورة سبأ: ٢٣]

وَعُلُوّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عُلُوّ بسعة علم، وكمال إحاطة، قال

الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿عَلِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرِ الْمُتَعَالِ﴾ [سورة الرعد: ٩]

[سورة الرعد: ٩]

وَعُلُوّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بحق بين، وظهور لا يخفى، وإحسان
وتدبير لا خلل فيه، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ

هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ

الْكَبِيرُ﴾ [سورة الحج: ٦٢]

وعلا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عن كل عيب ونقص، فهو منزّه عن كل

النقائص، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ

﴿١٨٠﴾ وَسَلَّمْ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [سورة

الصفات: ١٨١ - ١٨٢]

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى في تفسير هذه الآية: (يُنزّه

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى نفسه الكريمة، ويقدّسها ويرثها عمّا يقوله

الظالمون المكذبون المعتدون).

وله علو: (القهر)

فقد قهر جميع الخلائق بقوته وسلطانه، فما شاء في كونه وعلى عباده كان، لا يمانعه فيه ممانع، ومالم يشأ ولو اجتمع العالم كله لم يكن.

تجبرت أممٌ فقهرها وأبادها، فصارت خيراً بعد عين، وأثراً بعد ذات، وتغطرس أفرادٌ فقصم ظهورهم فصاروا أذلاء، وكانوا للناس آية، فسبحان العليّ القهار.

والله يحب المعالي من الأمور ويكره سفاسفها، فإذا عرفتَ هذا فلتعلّ همتك ولتكن عالي الآمال والأهداف، والمقصد والغاية، ترنو للملكوت الأعلى، وتتطلع نفسك لِمَا عند الله من المنازل العالية، والخيرات الباقية، وتسمو بهمتك فلا تلتفت للدينا، ولا تعلق قلبك بها، فهي لا تستحق أن تلتفت لها -فضلاً أن تكون هي أكبر الهموم- ولو أنزلنا الدنيا المنزلة اللائقة بها، ووضعنا الأمور على حقيقتها لكان حالنا غير هذا الحال.

ولتكن غايتك العظمى جنّة النعيم فهي الدار التي تستحق
منّا الجهد والعمل، وكلما زادت كرامة المؤمن عند ربه
كلما علا شأنه وارتفعت درجته فيها.

**عَلِّقْ قَلْبَكَ بِالْعَلِيِّ الْأَعْلَى وَكُنْ غَنِي الْقَلْبِ بِهِ، عَزِيزِ
النَّفْسِ عَنِ الذِّلَّةِ لِلخَلْقِ، فَالْخَيْرُ كُلُّ الْخَيْرِ إِنَّمَا يَأْتِيكَ مِنْ
رَبِّ السَّمَاءِ، وَأَيُّقِنَنَّ أَنَّ مَنْ تُعَلِّقُ قَلْبَكَ بِهِمْ نَوَاصِيَهُمْ بِيَدِ
اللَّهِ، فَلَا يَلْتَفِتُ قَلْبَكَ إِلَيْهِمْ.**

تذكّر أنّ أعمالك ترتفع إليه إلى الله العليّ الكريم كأحسن
ما يكون، وأوفر ما يُدّخر - إذا كانت صالحة وقصدت بها
وجهه - وتسبيحاتك وذكرك له دويّ كدويّ النحل حول
عرشه تذكّر بك.

حسانتك الباقية محفوظة عنده.

إحسانك في عبادة الله، وإلى خلقه لا يضيّعه عليك.

صبرك على البلاء، وانتظارك لفرجه من أعظم أسباب
رفع الضرّ والبلاء عنك.

أنيك يسمعه من فوق سبع سماوات، فهو العليم
بشكواك، فأحسن الظنّ به، وأيقن بنزول رحماته إليك.

وقيل في معنى **المتعالي** أنه: (الرّفع القدر، المُستعلي
على كلّ شيءٍ بقدره وقوته) (١).

ومن معانيه أيضًا: (المتنزه عن صفات المخلوقين،
المتعالي عمّا يقول المشركون) (٢).

فهو قد جلّ عن إفك المفتريين، وتنزه عن وساوس
المتحيرين، فلا يبلغ معرفة حقيقة كنه ذاته أحدٌ من البشر.

كُمّل في ذاته، وتم في صفاته، وعلا في أفعاله وأقداره،
فتعالى عن أوهام المتوهمين، وجلّ وعزّ على عقول

(١) [انظر تفسير سورة الرعد للطبري]

(٢) [زاد المسير: تفسير سورة الرعد]

المتفكرين؛ وسبيل المؤمنين في هذا: الإيمانُ التامُ بكمال
الله تعالى، وأنَّ له كل صفة كمال، وله من ذلك الكمال
أكمله، وتنزيهه عن كل صفة نقص، والاعتقاد أنه ليس له
شبيه أو مثل أو نظير، وإثبات ما أثبتته لنفسه بدون تعطيل
أو تشبيه أو تمثيل أو تكييف، فإنه ليس كمثل شيء وهو
السميع البصير.

فاللهم ارزقنا معرفتك حق المعرفة، وإجلالك حق
الإجلال، وتعظيمك حق التعظيم.



﴿ (٣٩) الْحَيِّ ﴾

من أسماء الله: **(الحيّ)** وورد ذكره في كتاب الله خمس مرات، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [سورة البقرة: ٢٥٥] وورد في السنّة في دعائه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث)**^(١).

و﴿الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ هما الاسمان الجامعان لمعاني الأسماء الحسنی.

فاسم الحيّ: **هو الجامعُ لكَمال الأوصاف** كالسمع والبصر والعلم والحياة وغيرها من صفات الكمال الذاتي، فحياةُ الله كاملة وهي مستلزمة لجميع صفات الكمال.

واسم القيوم: **هو الجامع لكَمال الأفعال** كالخلق والرزق والإحياء والإماتة والتدبير ونحوها من صفات الأفعال والتي اتصف بكمالها الله سبحانه.

(١) رواه الترمذي.

قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ عن هذين الاسمين: (فهما جامعان لكمال الأوصاف والأفعال، فكمال الأوصاف في الحي، وكمال الأفعال في القيوم لأن معنى الحي: ذو الحياة الكاملة، ويدل على ذلك (أل) التي تفيد الاستغراق، وكمال الحياة من حيث الوجود والعدم، ومن حيث الكمال والنقص، فحياته من حيث الوجود والعدم: أزلية أبدية، لم يزل ولا يزال حياً؛ ومن حيث الكمال والنقص: كاملة من جميع أوصاف الكمال: فعلمه كامل؛ وقدرته كاملة؛ وسمعه، وبصره، وسائر صفاته كاملة...) (١).

وتأمل كيف عرّف أهل السنة والجماعة اسم الله (الحي) لتعلم سلامة منهجهم في هذا الشأن الذي ظلت فيه أفهام، وتاهت فيه عقول، ولتوقن بصحة عقيدتهم، واتّباعهم لآثار السلف الصالح، فقالوا في معنى اسم (الحي) هو: (الذي له الحياة الكاملة التي لم يسبقها عدم، ولا يلحقها زوال،

(١) [تفسير آية الكرسي للشيخ ابن عثيمين]

وهي حياة مستلزمة لكمال الصفات من: العلم، والقدرة، والسمع، والبصر ونحوها من صفات الكمال^(١).

فهذا التعريف الكامل والشامل لصفة الحياة لله تعالى يوضح ويجلّي كمال حياة الله تعالى التي لا تشابهها حياة أحد؛ فحياة أيّ أحد في الوجود غير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مسبوقة بعدم، ومُستَمدة من غيرها، ويلحقها زوال بعد وجودها، ويعتريها نقص وعيوب كثيرة من مرض وألم ومنغصات أمّا حياة الرحمن -جلّ وعزّ - فهي حياةٌ كاملةٌ من كل الوجوه، فله الحياة الذاتية التي لم تُستمد من مصدر آخر، وهي الحياة الباقية الدائمة التي ليس لها انقطاع ولا زوال، السالمة من كل عيب، وبذا يعرف المسلم كمال ربه من كل وجه، ونقص غيره من كل وجه، فيتعلق القلب به، ويشعر بالطمأنينة والعِزَّة والكرامة وهو يعبد هذا الإله العظيم والرب الكريم.

(١) [انظر التعليق على القواعد المثلى للشيخ عبدالرحمن البراك: ١٩]

وحياة الله حياةٌ أزلية وأبدية.

والأزلُّ هو: دوام الوجود في الماضي.

والأبدُّ هو: دوام الوجود في المستقبل.

فهو أوّل قبل شيء، وآخر بعد كل شيء.

ولكمال حياته وقيوميته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَدْبُرُ أَمْرَ الْخَلَائِقِ فِي الْعَالَمِ الْعُلُويِّ، وَالْعَالَمِ السُّفْلِيِّ، وَيَدْبُرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ، يُحْيِي وَيُمِيتُ، وَيُعِزُّ وَيُذِلُّ، وَيُثَبِّتُ وَيُعَاقِبُ، وَيَنْصُرُ وَيَخْذُلُ.

يَخْلُقُ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ مَا لَا يَحْصِي مِنْ نَبَاتٍ وَحَيَوَانَاتٍ وَبَشَرٍ، وَيَتَكَفَّلُ بِتَدْبِيرِ مَعَاشِهِمْ، وَيَقْدِرُ لَهُمْ أَقْوَاتَهُمْ، وَيَسُوقُ إِلَيْهِمْ أَرْزَاقَهُمْ، وَتَحْتَ أَمْرِهِ بَقَاؤُهُمْ وَفَنَاؤُهُمْ، وَفِي كُلِّ لَحْظَةٍ يَمُوتُ بِأَمْرِ اللَّهِ مَا لَا يَحْصِي مِنَ الْأَحْيَاءِ، فَسُبْحَانَهُ كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ.

وحياته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَا يَعْتَرِيهَا نَقْصٌ مِنْ سِنَةٍ أَوْ نَوْمٌ أَوْ

تعب أو مرض ونحوها من صفات النقص، وتأمل معي هذا الحديث قال أبو موسى الأشعري: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَرْبَعٍ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَنَامُ وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ، يَرْفَعُ الْقِسْطَ [وهو العدل] وَيَخْفِضُهُ، وَيُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ النَّهَارِ بِاللَّيْلِ، وَعَمَلُ اللَّيْلِ بِالنَّهَارِ» (١).

كيف ينام سبحانه وتعالى وتدبير العالم بيده؟!

وكيف ينام وأمر الكون تحت سلطانه؟!

وكيف ينام وملكوت كل شيء تحت إرادته؟!

وكيف يُتصوَّرُ جريانُ النومِ عليه، وَلَا قِيَامَ لِلسَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا بِهِ، قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [فاطر: ٤١]

(والحي) سبحانه وتعالى هو واهب الحياة للخلق، فالحياة لا يملكها أحد غير واهبها، ولا يسلبها أحد غير معطيها.

(١) رواه مسلم.

والحياة سرٌّ لا يعلمه إلا الله، فلا يملك أحدٌ أن يحدثها في غيره، فسبحان الذي: ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الحديد: ٢]

وقد ذكر الله اسم **(الحيّ)** في موطنين من كتابه وذلك بعدما ذكر ألوهيته واستحقاقه للعبادة، فلا يكون الإله الحق إلا حيّاً كامل الصفات، لا يموت ولا يغيب وإلا فلا يستحق أن يكون إلهاً، ولذا أنكر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَلَىٰ مِنْ عِبَادِهِ مِنْ غَيْرِهِ مِنَ الْآلِهَةِ الصَّمِّ الَّتِي لَا تَعْقِلُ وَلَا تَسْمَعُ وَلَا تَرَىٰ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَلُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [١٩٤] أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلْ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُوا فَلَا تُنظِرُونَ﴾ [الأعراف: ١٩٤-١٩٥]

ولو فكّر الكافر والمشرك -أدنى تفكير- لأيقن أنّ الذي يفعله من عبادة هذه الآلهة سفه ليس بعده سفه، وضلال ليس

أسوأ منه ضلال، فالعبادة هي غاية الذل والطاعة والاستجابة للمعبود، وهذه الآلهة لا تستحق شيئاً من ذلك، وهي أدنى من أن يُتوجه لها، وأحق من أن تُعبد، فأى سفاهة أعظم من سفاهة من يعبد من كان غائباً ثم يكون غير موجود، وهو ضعيف وحقير ذليل محتاج لغيره؛ إن هذا هو الضلال المبين، ولذا قال تعالى - في تقرير هذه الحقيقة : ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [غافر: ٦٥]

- والله هو الحي الباقي الدائم الذي لا يموت، ولا يلحقه فناء، فالجنُّ والإنس يموتون، وكل شيء هالك إلا وجهه، ولا يستحق أحد أن يُؤله ويُعبد ويُحبَّ الحبَّ المطلق إلا الله، فهو الباقي سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الوارث للأرض ومن عليها، وإذا كان ما سواه هالكاً فعبادة الهالك باطلة، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصاص: ٨٨]

- التوكل عبادة قلبية محضة لا يصلح إلا أن تكون
 لمن اتصف بصفة الحياة الكاملة - وهو: (الله) فإنه
 هو الحافظُ وغيره محفوظ، وهو الرازقُ وغيره
 مرزوق - يرزق عبده من حيث يحتسب ومن حيث
 لا يحتسب - أكفى عباده كل هم، وحماهم من كل
 شر بلطفه ورعايته، فلذا جاء الأمر بالتوكل عليه دون
 سواه، فقال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ
 وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٨]

- واسم (الحي القيوم) قال عنه جمعٌ من أهل العلم هو:
 اسمُ الله الأعظم الذي إذا دُعي به أجاب، وإذا سُئِلَ به
 أعطى، وينبغي أن يستحضر معه الداعي كمال حياة
 الله وكمال صفاته، فالحيُّ سميع وبصير، والحيُّ
 قريب ومجيب، والحيُّ لطيف ومحيط، والحيُّ قادر
 وأمره نافذ، فاستحضر هذه المعاني في القلب وأنت
 تسأل الله من أعظم أسباب حضور القلب، ومن

أرجى أسباب الإجابة.

- سُبِّعَتْ كُلُّ الْخَلِيقَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَتَخْضَعُ وَتَذَلُّ بَيْنَ يَدَيِ الْحَيِّ الْقَيُّومِ.

استحضر مشهد تلك الجموع وهي تزحف لأرض المحشر وقد خرجت من قبورها وعليها الذلة والخضوع لرب العالمين، وقد بان استسلام الخلائق للجبّار القادر، وعنت الوجوه للإله القاهر، وذلل له كل عزيز، وسيق الجميع حيث شاء الله العظيم، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَعَنْتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ [طه: ١١١] فسبحان الله القوي العزيز الذي جمعهم وأحاط بهم.

- ومن كمال ربنا (الْحَيِّ) أَنَّهُ يَهَبُ أَهْلَ الْجَنَّةِ الْحَيَاةَ الدَّائِمَةَ الْبَاقِيَةَ الَّتِي لَا تَفْنَى وَلَا تَبِيدُ، وَلَا مِثْلَ لَهَا فِي الدُّنْيَا، قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ﴾ [العنكبوت: ٦٤] (أَي: الْحَيَاةُ الدَّائِمَةُ الْحَقُّ الَّتِي لَا زَوَالَ

لَهَا وَلَا انْقِضَاءَ، بَلْ هِيَ مُسْتَمِرَّةٌ أَبَدَ الْأَبَادِ (١).

ويقف المرء - والله - متعجباً في تعجب لا ينتهي، وتفكير لا يمكن تصوّره، وهو يتذكر حياة أهل الجنة والنار، والخلود الذي لا انتهاء له ولا انقضاء، وربما زال عجبه بعض الشيء عندما يؤمن أنّ الواهب لهذه الحياة هو الله الحيّ القيوم القادر على كل شيء، الذي إذا أراد شيئاً فإنما يقول له كن فيكون.

وكان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يناجي ربه بهذا الاسم العظيم، فقد روى مسلمٌ عن ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ لَكَ أَسَلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنْبَتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ؛ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَنْ تُضِلَّنِي، أَنْتَ الْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ، وَالْجِنُّ وَالْإِنْسُ يَمُوتُونَ» (٢).

(١) [تفسير سورة العنكبوت ابن كثير]

(٢) رواه مسلم.

وهنا تنبيه مهم، وهو: أنّ حياة أهل الجنّة والنّار دائمةٌ بإدامة الله لها، لا أنّ الدوامَ وَصْفٌ لازمٌ لها لذاتها، بخلاف حياة الرّبِّ تَعَالَى فحياته صفة ذاتية له، كما هو في سائر صفاته، فصفات الخالق كما يليقُ به، وصفات المخلوق كما يليقُ به، وكل حي سوى (الحيّ سبحانه) ليست حياته بذاته، إنّما هو بسبب إمداد الله له بالحياة.

فاللهم يا حي يا قيوم نسألك الفقه في أسمائك، اللهم إنّنا نسألك الحياة الطيبة والنعيم الذي لا يحول ولا يزول في جنات الخلود.



﴿ (٤٠) القِيَوْم ﴾

ومن أسماء الله: **القِيَوْم**، وورد هذا الاسم ثلاث مرات في كتاب الله، منها قوله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: ﴿ **وَعَنْتِ أَلْوَجُوهُ لِلْحَيِّ الْقِيَوْمِ** **وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا** ﴾ [طه: ١١١]

وهو: القائم بنفسه لكمال غناه، فلا يحتاج في قيامه لأحد، والمقيم لغيره، فلا قيام لأحد إلا به.

قال الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: ﴿ **أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ...** ﴾

[الرعد: ٣٣]

قال ابن جرير: (القِيم بحفظ كل شيء ورزقه، وتصريفه فيما شاء وأحب، من تغيير وتبديل، وزيادة ونقص) (١).

قال القرطبي: ((**القِيَوْم**) أي: القائم بتدبير أمر ما خلق) (٢).

(١) [تفسير آية ٢ سورة آل عمران للإمام الطبري]

(٢) [تفسير القرطبي]

وهو: (القائم الذي لا يزول) (والقيّم على كلّ شيء
بالرعاية له) قالهما الخطابي رَحْمَةُ اللَّهِ (١).

قال ابن القيم: (وأما (القيوم) فهو: متضمن كمال غناه،
وكمال قدرته فإنه القائم بنفسه لا يحتاج إلى من يُقيمه بوجه
من الوجوه وهذا من كمال غناه بنفسه عمّا سواه، وهو
المُقيم لغيره فلا قيام لغيره إلا بإقامته وهذا من كمال قدرته
وعزته) (٢).

قد تولى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أُمُورُ الْعِبَادِ فِي مَعَاشِهِمْ، وَدَفَعَ الشَّرَّ
عَنَّهُمْ، فَكُلٌّ مِنْ فِي الْوُجُودِ مَحْتَاجٌ لِرِعَايَتِهِ وَحِفْظِهِ وَرِزْقِهِ،
وَلَا يُتَصَوَّرُ قِيَامُ شَيْءٍ وَلَا وَجُودُهُ وَلَا دَوَامُهُ إِلَّا بِهِ.

ويعظم إيمانك بالله وأنت تتأمل هذه الصفة الجليلة له
وقيامه على مخلوقاته وهم بهذه الأعداد الهائلة.

أنشأهم من عدم، وخلقهم في أحسن تقويم، وأمدهم بما

(١) [شأن الدعاء: ٤٥]

(٢) [بدائع الفوائد: ٢/٤١٠]

يحتاجونه وبما تقوم بها حياتهم، فالخلق لا تنفك حاجتهم للطعام والشراب والزوجة والولد ويحتاجون للطبيب والصانع ونحوهم فأمدهم الله بهذا ونحوه وأنعم عليهم به وتفضل بتسخيره.

- قام على كل نفس فأمدّها بالصحة والعافية، وصرف عنها ما يُعكّر عليها صفو حياتها، وقام على نفوس المرضى فجعل فيها الصبر والرضا، ورزقها العافية بعد المرض.

- وقام على كل نفس فعلمها ما ينفعها، فهذا علمه علم الشريعة، وذاك علمه علم الطب، وثالث علمه علم الصناعة وهكذا في رعاية تامة للخلق ليكتمل أمر الكون.

- وقام على كل نفس فجعل في قلبها الرحمة، وأسكن في قلبها العطف، وجعل في حياتها الرفق، فقامت على ذلك ساق الحياة على أكمل ما يكون، واستقرت شؤون الأسر كأحسن ما ترى.

- وقام على النفوس فهداها، ووفقها واجتباها، وحبّب إليها الإيمان وزيّنه في قلوب أوليائه، حماها من الفتن، ودفع عنها الشرور في رعاية تامة، وحفظ كريم.

- وقام على أحوال أهل القبور فحفظ آثارهم، وحفظ أعمالهم فلا يضيّع منها شيء، ومهما امتدّ بقاء الأموات في قبورهم فربهم قائم عليهم وهو بهم خير.

- ويقوم على النفوس يوم القيامة فلا يفوته أحد، فيحاسبهم على القطمير والنقير وما دون ذلك، فهو قائم على كل نفس ومجازيها بعملها لكمال علمه، وقدرته على جزائها.

- ويقوم على أهل الجنة فيمدّهم بالنعم التي لا انقطاع لها ولا انتهاء ولا زوال، فسبحانه من إله عظيم قيوم كامل الملك والصفات.

- تأمل كيف قام على أمر كونه، فقامت بأمره السماوات

ولا يستطيع أحدٌ في الوجود إقامتها سواه، وقام على أمر الأرض وما فيها من جبال وأنهار ورياح، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ...﴾ [الروم: ٢٥]

وقام على أمر البحار فجعلها مستقرة هادئة، ولو أذن لها لأغرقت أهل الأرض، وتذكر تغير أحوالها أهوال يوم القيامة لتوقن بعظمة الله وقدرته.

- إن قيومية الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى على هذا الكون وما فيه من كائنات جعلته يسير بهذا النظام المتقن، والترتيب الدقيق، فالأفلاك تدور في مدار محدد منذ خلقها الله وإلى يوم القيامة لا تحيد عنه ولا تميد، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:

﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا الْيَلُّ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: ٤٠]

- وقيوميته عَزَّوَجَلَّ مستمرة دائمة باقية؛ فكما أنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى حي لا يموت فهو جَلَّ جَلَالُهُ لا تنقطع قيوميته ولا تنتهي، ولا يغفل عن مخلوقاته طرفة عين، وما

استقام أمر الكون إلا بقيوميته.

- وقيام الدنيا والآخرة على العدل والقسط فلا تظن أن قضاءه بلا حكمة، أو أن أمر تدبير شؤون العباد بدون علم، فهذا من الجهل العظيم بالله.

- وهذان الاسمان الكريمان: **(الحي والقيوم)** لهما الشأن الأجل والمكانة العظمى في تحصيل كل خير، ودفع كل شر، وقد علم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمته أن يتوسلوا إلى ربهم ويسألوه بهما كل صباح ومساءً، فالدعاء بهما من أسباب الحفظ والرعاية، فعن أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِفَاطِمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: **«ما يمنعك أن تسمعي ما أوصيك به؟ أن تقولي إذا أصبحت وإذا أمسيت: يا حيُّ يا قيُّومُ برحمتك أستغيثُ، أصلح لي شأني كله، ولا تكلني إلى نفسي طرفة عينٍ»** (١).

(١) رواه النسائي في السنن الكبرى

وجعل صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الاستغفار والتوسل باسم الحي القيوم من أسباب المغفرة، ففي حديثِ بِلَالِ بْنِ يَسَارِ بْنِ زَيْدِ مَوْلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي يُحَدِّثُنِيهِ عَنْ جَدِّي أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ قَالَ: أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ، غُفِرَ لَهُ وَإِنْ كَانَ فَرًّا مِنَ الرَّحْفِ» (١).

ولأن الحياة لا تنفك من المصاعب، ولن تكون كلها كما يريد العبد، بل لا بد فيها من آلام ومنغصات، ويلقى المرء فيها ابتلاءات، وتمرُّ به كربات - فهذه سُنَّةُ اللَّهِ التي جرت بها الأقلام - وليس للعبد المؤمن في ذلك كله إلا الالتجاء إلى ربه العظيم القدير، والتوكل على الله وحده، والاعتماد عليه في كل نازلة وعند كل أمر، فهو قد أيقن بقيوميته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فَلَـمْ يَفْتَقِرْ لِأَحَدٍ سِوَاهُ، وَقَطَعَ التَّعَلُّقَ بِالْمَخْلُوقِينَ، وَلَهُ التَّدْبِيرُ وَحَدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، فَعَلَّمَنَا نَبِيْنَا

(١) رواه أبو داود.

عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كَيْفَ نَسْتَغِيثُ بِاللَّهِ عِنْدَ الْمُلَّمَّاتِ بِهَذِينَ
الْأَسْمِينَ الشَّرِيفِينَ، فَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ سَوَّلَ
اللَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا نَزَلَ بِهِ هَمٌّ أَوْ غَمٌّ قَالَ: «يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ
بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ»^(١).

فهذه بعض معاني اسم الله (القيوم) وبعض آثاره، فافقه
هذه المعاني وتعبّد لله به، فهو اسمٌ عظيمٌ قد جعله طائفة من
أهل العلم - كما تقدّم - مع اسم الله (الحيّ) الاسم الأعظم
لله الذي تكون به إجابة الدعاء؛ فادعُ ربك به، وألظّ به في
مسألتك، وتوسّل به فهو من أعظم أسباب الإجابة.

اللهم يا حي يا قيوم برحمتك نستغيث أصلح لنا شأننا
كله ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين، اللهم ارض عنا وأغننا
بفضلك عمّن سواك.



(٤١) الأول

ومن أسماء الله الثابتة في الكتاب والسنة اسم: **(الأول)**.
وجاء ذكره في كتاب الله مرة واحدة فقط، في قوله
سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ

[الحديد: ٣]

وأعظم من عرف الأمة معنى هذا الاسم هو رسولها
عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ حيث قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «اللَّهُمَّ أَنْتَ الْأَوَّلُ
فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ...»^(١).

وَأَوْلِيَّتُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بلا ابتداء، وآخريته بلا انتهاء.

قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرُهُ»^(٢) وفي
رواية: «وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ قَبْلَهُ»^(٣).

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه البخاري.

(٣) رواه البخاري.

فالله له الأولية المطلقة، والعظمة التي لا منتهى لها،
جمع كل كمال، وباين خلقه بصفات لا مثيل ولا نظير ولا
شبيه لها، فهو أوّل قبل كل شيء، وآخر بعد كل شيء،
وظاهر فلا شيء فوقه، وباطن فلا شيء دونه، وهي صفات
لا تجتمع إلا له عزَّجَلَّ.

ولعلنا نتفيء ظلال هذا الاسم الشريف.

قال ابن جرير: (هو **الأوّل**) قبل كل شيء بغير حد،
و**الآخر**) بعد كل شيء بغير نهاية، وإنما قيل ذلك كذلك،
لأنه كان ولا شيء موجوداً سواه، وهو كائن بعد فناء الأشياء
كلها، كما قال جل ثناؤه ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: آية
[٨٨](١).

وقال البيهقي: **(الأوّل)** هو: (الذي لا ابتداء لوجوده) (٢).
وقال الخطابي: **(الأوّل)** هو: السابق للأشياء كلها،

(١) [تفسير سورة الحديد]

(٢) [الاعتقاد: ٦٣]

الكائن الذي لم يزل قبل وجود الخلق، فاستحق الأوليّة إذ كان موجوداً ولا شيء قبله ولا معه) (١).

وقال ابن القيم: (فأوليّة الله سابقة على أوليّة كل ما سواه، وأخريّته ثابتة بعد أخريّة كل ما سواه، فأولّيّته سبّقه لكل شيء، وأخريّته بقاؤه بعد كل شيء) (٢).

فكل موجود في الكون له أوليّة يسبقها عدم، وله فناء ينتهي به إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فَأُولِيَّتُهُ أَزَلِيَّةٌ، وَأَخْرِيَّتُهُ أَبَدِيَّةٌ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَىٰ﴾ [النجم: ٤٢]

قال ابن أبي العز في شرح الطحاوية: (والعلم بثبوت هذين الوصفين -الأوّل والآخِر- مستقرٌّ في الفطر، فإنّ الموجودات لا بد أن تنتهي إلى واجب الوجود لذاته قطعاً للتسلسل) (٣).

(١) [شأن الدعاء: ٨٧]

(٢) [طريق الهجرتين: ٢٤]

(٣) [شرح الطحاوية: ٧٥]

واسم الله: **(الأول)** يدلُّ باللزوم على الحياة والقيومية، والسمع والبصر والعلم، والمشية والقدرة والعلو والغنى والعظمة، فمن فقه هذا المعنى حاز علماً كبيراً يُعرفه بربه.

وأولية الله المطلقة تدلُّ على تقدمه على غيره تقدماً مطلقاً في كل وصف كمال، وهذا معنى الكمال في الذات والصفات في مقابل العجز والقصور لغيره من المخلوقات، فلا يدانيه ولا يساويه أحد من خلقه لأنه سبحانه منفردٌ بذاته ووصفه وفعله، فالأولية وصف لله وحده وليست لأحدٍ سواه.

وهو الأول والآخِر الذي أحاطت أوليته وآخريته بالأوائل والأواخر، فما من أولٍ إلا والله قبله، وما من آخرٍ إلا والله بعده، فالأول قدمه، والآخِر دوائمه وبقاؤه؛ فسبَق كل شيء بأوليته، وبقي بعد كل شيء بآخريته، فهو الأول في آخريته، والآخِر في أوليته، فلم يكتسب وصفاً كان مفقوداً أو كمالاً لم يكن موجوداً كما هو حال غيره، بل كماله سبحانه وتعالى أزلي وبقاؤه أبدي.

ومن عرف الله بهذا الوصف أسند له كل فضل هو فيه، واعترف بكل منّة يعيشها، فالله هو المبتدئ بالنعيم بلا سبب ولا وسيلة، فكلُّ نعمة ابتداءؤها من الله، وكل إحسان أساسه من الله، **فله الفضل في إسلامك** حيث اصطفاك له وأنت في عالم الذر، وفي القضاء الأوّل عنده، وهذا أوّل فضل وأعظمه عليك.

وله الأوّل في الحفظ حين خلقك نطفة، وحفظك وأنت في بطن أمك تتقلّب في ظلمات ثلاث حتى خرجت للدنيا، ولم يزل حفظه لك حتى تلقاه.

وله الأوّل في الرعاية لك في طفولتك، والإحسان إليك برزقك، وتحنين والديك عليك، وجعل في قلوبهم المحبة لك.

وله الأوّل في بدأ التعليم، والهداية لمصالحك الدنيوية والتوفيق لكل خير ودفع الشرور عنك.

وله الأوليّة في الرزق، فكم من خلقٍ هم أشدُّ منك قوة،
وأذكى منك عقلاً، وأكثر منك نشاطاً إلا أنّ الله جعل رزقك
أكثر منهم، وخصّك بالخيرات دونهم.

فالأوليّة في كل نعمة أنت فيها إنّما هي من الله، ولو
اجتمع الخلق على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء
قد تفضّل به عليك وكتبه.

إذا عرفتَ هذا فعليك بالاعتراف بفضل الله عليك،
وليتمتلي القلبُ شكراً و عرفاناً له.

ومن كان هذا شأنه حقيقاً على النفوس ألا تتعلق بأحدٍ
غيره، وأن يُسند الفضل له وحده.

ولكمال غناه لم يحتج في أوليّته لأحد، فهو غنيٌّ في بقائه
عن كلِّ أحد، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿... وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾

[فاطر: ١٥]

والمعرفة بهذه المعاني لاسم -الأوّل- لها آثار على
النفس، فمن آثارها:

اكتسابك الهمة العالية في محبة الأولوية في الخير، والأسبعية
 في التزام الأمر، والحرص على المزيد من العمل الصالح،
 قال تعالى في وصف سادة الخلق: ﴿أُولَئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا
 سَابِقُونَ ﴿٦١﴾ [المؤمنون: ٦١] وقال عنهم: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي
 الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رِعَابًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ ﴿٩٠﴾ [الأنبياء: ٩٠]

وعليك بتقديم محبة الله على كل محبة، فما أحسن
 إليك أحد كإحسان الله إليك، وإحسانه شامل للأولية
 والفضل والإسباغ والإتمام، وكل إحسان يصل إليك من
 البشر فأصله من الله فهو الذي حنن قلوبهم عليك.

ومن آثارها: سمو مطالبك بأن تكون عالية ترنو بها
 للمراتب السامية ببذل الأسباب لبلوغها، وهذه لا تُنال إلا
 بطاعته، ولزوم عتبة العبودية، والانطراح الصادق بين يديه
 وسؤاله بإخلاص وفقر.

ومن آثارها: معرفة ما يستحق أن يؤثر على غيره، والتي
 من أهمها: إشار مرضاته على مرضاة كل أحد، وحقه على

جميع الحقوق، وتقديم محبته على كل محبوب، ومنها: معرفة حقيقة الدنيا والآخرة، فمن عرفهما أثر الآخرة الباقية على الدنيا الفانية، وأثر مرضيه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى مَرَضِي غَيْرِهِ، فهذا الإيثار هو شأن العقلاء الذين لم يغتروا بدار الغرور بل كان همّهم الآخرة ونعيمها فعملوا لها.

فاللهم فقّهنا بأسمائك وصفاتك، اللهم أعطنا ولا تحرمنا، وزدنا ولا تنقصنا، وآثرنا ولا تُؤثر علينا، وأرضنا وارض عنا، اللهم أنت الأوّل فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء اقض عنا الدين وأغننا من الفقر.



﴿ (٤٢) الآخر ﴾

وجاء ذكره في كتاب الله مرة واحدة، وكان من ثناء رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على ربه: «اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، والآخر فليس بعدك شيء»^(١).

فالله (هو): «الآخر» بعد كل شيء بغير نهاية.. وهو الكائن بعد فناء الأشياء كلها)^(٢).

وهو (الآخر) (الباقى بعد فناء الخلق)^(٣).

قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: آية ٨٨]

قال البيهقي رَحِمَهُ اللهُ: (الآخر: هو الذي لا انتهاء لوجوده)^(٤).

(١) رواه مسلم.

(٢) [تفسير الطبري: ٢٧/ ١٢٤]

(٣) [شأن الدعاء: ٨٨]

(٤) [الاعتقاد: ٦٣]

وما أجمل كلمة ابن القيم رَحْمَةُ اللَّهِ: (سبق كل شيء بأوليّته، وبقي بعد كل شيء بأخريته) (١).

فأوليّته لا ابتداء لها، وبقاؤه بقاءً واجباً سرمدياً لا انتهاء له. والله هو (الأخر): الذي ترجع إليه الأمور والحاجات والمطالب.

خلق الخلق فأحصاهم عدداً، وكلهم آتية يوم القيامة فرداً، لا يسبقه أحد، ولا يتخلف عن أمره مخلوق، وبين يديه اجتماعهم كما بدأ خلقه أوّل مرة، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:

﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ﴾ [سورة العلق: ٨]

فهو الذي إليه المآب، وتنتهي إليه العلوم والأقضية، وكل أمور الدنيا والآخرة تعود إليه، في عظمة لا منتهى لها، وقوة في القدرة على ذلك قد بلغت أقصاها، وإحاطة قد شملت كل شيء، وأتت على كل حي.

(١) [مدارج السالكين: ٣/ ١١٣]

وهو الذي جعل لأهل الجنة الدوام والبقاء، وهذا من العطاء الذي لا يدرکه الشکر، ولذا كان تسبیح أهل الجنة الحمد.

- من آمن بربه (الآخر) تعلق قلبه به، فأيقن أن الأمور كلها إليه، وبیده مقالید كل شیء، وخزائن كل شیء في ملكه، فكل الأمنیات والمطالب لا یهبها إلا الله، ولئن فاته شیءٌ ممّا یحب فإنه یؤمّل من ربه العوض، فمآلات الأمور كلها إليه، ورحمته قد سبقت غضبه - وهي أوسع ممّا یظنّ الظانّون - فآمن - یا عبدالله - بالیسیر بعد العسر، والفرج بعد الكرب، والسعة بعد الضیق، فهو الذي قضی أنّ مع العسر یسراً، وأنّ الشدة یعقبها انفراج.

- ومن آمن بربه (الآخر) - حق الإیمان - لم يتعلّق بالأسباب الظاهرة ولم یرکن إليها، بل یكون تعلّقه بربه الذي بیده إمضاء الأسباب أو إبطالها.

ركن قوم إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى النَّارِ فَكَانَ سَعِيهِمْ خَائِبًا، وَكَانَتْ إِرَادَةُ اللَّهِ وَأَمْرُهُ فَوْقَ إِرَادَتِهِمْ، وَكَيْدُهُ أَعْظَمُ مِنْ كَيْدِهِمْ لِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْأَمْرُ النَّاهِي.

وَرُكْنُ أَصْحَابِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى الْأَسْبَابِ الظَّاهِرَةِ فَأَيَقِنُوا بِإِدْرَاكِ الْعَدُوِّ وَخَافُوا الْغُرُقَ، وَلَكِنَّ مُوسَى -النَّبِيَّ الْعَالِمَ بِصِفَاتِ رَبِّهِ- وَأَنَّ كُلَّ الْأُمُورِ تَرْجِعُ إِلَيْهِ أَيْقِنَ بِالنَّجَاةِ، وَحُصُولِ الْفَرَجِ، وَأَنَّ رَبَّهُ سَيَهْدِيهِ، فَفَلَقَ اللَّهُ لَهُ الْبَحْرَ، فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ طَرِيقٌ كَالطُّودِ الْعَظِيمِ.

وَظَنَّ أَعْدَاءُ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُمْ هَالِكُوهُ، فَنَجَّاهُ مِنْهُمْ وَأَغْشَى أَعْيُنَهُمْ فَهَمَّ لَا يُبْصِرُونَ، فَحَفِظَهُ لِأَوْلِيَائِهِ بِسَبَبٍ وَبِدُونِ سَبَبٍ، يَقُولُ ابْنُ الْقَيْمِ: (وَعِبُودِيَّتُهُ بِاسْمِهِ الْآخِرِ تَقْتَضِي عَدَمَ رُكُونِ الْعَبْدِ، وَوَثُوقَهُ بِالْأَسْبَابِ وَالْوُقُوفَ مَعَهَا، فَإِنَّهَا تَنْعَدُ لِمَحَالَةٍ وَتَنْقُضِي بِالْآخِرِيَّةِ، وَيَبْقَى الدَّائِمُ الْبَاقِي

بعدها، فالتعلّق بها تعلّق بعدم وينقضي، والتعلّق
بالآخر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى تعلّق بالحي الذي لا يموت ولا
يزول^(١).

- و المؤمنُ المُخلصُ لربه لا يتوجّه بالعمل إلا لربه
الآخر، فالأعمال والنوايا لا تُصرف إلا له لأنّه هو
الباقي، فالله أنيسُ المخلصين، وهو المقصد في
طلب الثواب للعابدين، فلا غاية للصادق إلا رضاه
- فكما انتهت إليه الأواخر، وكان هو بعد كل آخر -
فكذلك اجعل نهايتك إليه، فهو المستحق للعبادة،
وهو الأوفى في الإثابة.

وقال السعدي: ((والآخر): يدل على أنه هو الغاية،
والصمد الذي تصمد إليه المخلوقات بتألهاها
ورغبتها، ورهبتها وجميع مطالبها)^(٢).

(١) [طريق الهجرتين: ٢٥]

(٢) [الحق الواضح المبين: ٢٥]

- ومن آمن بربه (الآخر) جعله المرجع والمنتهى في الحب والتعظيم والإجلال، فلا يُعظَّم أحداً كتعظيم ربه، ولا يُجلُّ أحداً كإجلال خالقه، ولا يُحبُّ أحداً كحب مولاه - فهو صاحب الفضل عليه - فقد أيقن هذا المؤمن أن ربه قد بلغ الغاية في العظمة فعظمه - وعسى أن يُقارب - وأيقن بفضله عليه في كل شيء فأحبه حباً عظيماً، وامتلاً قلبه شوقاً إلى لقائه، وهذا أنفع أمر للقلوب، وحاجتها له فوق كل حاجة.

ولقد كان نبينا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يناجي ربه بأذكار عظيمة، ويختم يومه بدعوات جامعات تتضمن اعترافه بربوبية ربه للسموات والأرض، وملكه لكل شيء، ويثني عليه بأوليته التي لا ابتداء لها، وآخرته التي لا انتهاء لها، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْمُرُنَا إِذَا أَخَذْنَا أَحَدُنَا مَضْجَعَهُ أَنْ يَقُولَ: «اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ وَرَبَّ الْأَرْضِ وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، فَالِقَ

الْحَبِّ وَالنَّوَى، وَمُنْزَلِ التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ، أَعُوذُ بِكَ
 مِنْ شَرِّ كُلِّ شَيْءٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهِ، اللَّهُمَّ أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ
 قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ
 فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ، اقْضِ
 عَنَّا الدَّيْنَ، وَأَغْنِنَا مِنَ الْفَقْرِ» (١).

فمعرفة اسمه الآخر موجب للتوجه إليه، وتفويض
 الأمور إليه، وإخلاص الحب والقصد له والثقة به.
 فاللهم ارزقنا حُسن التعبّد لك بأسمائك الحسنى
 وصفاتك العلى كما ينبغي لجلال ووجهك وعظيم
 سلطانك.



(١) رواه مسلم.

﴿ (٤٣) الظاهر ﴾

من أسماء الله عزَّجَلَّ (الظاهر).

وجاء ذكره في كتاب الله مرة واحدة، وأعلم من فسره رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقوله: «وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فليس فوقك شيء...»^(١).

فهو: (الظاهر على كل شيء، وهو العالِي فوق كل شيء، فلا شيء أعلى منه)^(٢).

فهو ظاهرٌ عالٍ على كل شيء، يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: (ومن لوازم اسمه (الظاهر) أن لا يكون فوقه شيء)^(٣).

فاللهُ عالٍ على خلقه بذاته، مستوٍ على عرشه استواءً يليق بجلاله لا نمثله ولا نكيّفه، ولا نعطله، ولا نشبهه،

(١) رواه مسلم

(٢) [تفسير سورة الحديد للطبري]

(٣) [مدارج السالكين: ١ / ٣١]

ظهوراً لا يخفى معه عليه شيء من أمور خلقه، يدبر الأمر من السماء إلى الأرض، قد آمن المؤمن بهذا إيماناً مطلقاً، فتوجه إليه بكلّيته، وجمع قلبه عليه، وصار له إلهاً يتوجه إليه، ورباً يقصده في عبادته، وصمداً يصمد إليه في حوائجه، وملجأً يلجأ إليه في دعواته، ويفرّ إليه كل وقت، فاستقامت له عبوديته، ولم يعلق قلبه بسواه؛ بخلاف من لا يدري أين ربه فإنه ضائع مشتت القلب، فليس لقلبه قبلة يتوجه إليها، ولا معبود يقصده فصار في دياجير الظلمات.

ومن معاني **(الظاهر)**: **(أنه القاهرُ الغالب)**(^١).

فالله قد غلب كل معاند، وقصم كل جبار ظالم، فهو ربٌّ قديرٌ قاهر، وظهوره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ظهوراً عاماً، وغلبته غلبة كاملة.

ومن معاني **(الظاهر)**: **(أنه الظاهر بحججه الباهرة، وبراهينه النيّرة، وبشواهد أعلامه الدالة على ثبوت ربوبيته،**

(١) [انظر تفسير سورة الحديد للبعوي].

وصحة وحدانيته^(١).

فأظهر سبحانه وتعالى وجوده بالأدلة العقلية والكونية، وما فطر النفوس على وحدانيته والاعتراف به، وخلق كل الكائنات والموجودات لتظهر آثار قدرته فيها.

أبان بحججه الواضحة على كماله المطلق، واستحقاقه للعبادة دون سواه، فهو الخالق الرازق المحي المميت، له كمال السمع والبصر وسائر الصفات بخلاف الآلهة التي تُعبد من دون الله فهي ناقصة من كل وجه، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهَا مِنْ شَرِكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أذِنَ لَهُ، حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾ ﴾ [سبأ: ٢٢-٢٣]

فمن كان له الكمال المطلق استحق العباداة الخالصة، واستحق التعظيم المطلق، والحب المطلق، والإجلال

(١) [انظر زاد المسير لابن الجوزي / تفسير سورة الحديد]

المطلق، وتوجّهت القلوب له بكلّيتها، وأذعنت له النفوس
وذلت بين يديه.

- أقام الحجاج الواضحة على صدق رسله عَلَيْهِ السَّلَامُ

بتأييدهم ونصرتهم على أعدائهم، فصار دين رسله
ظاهراً، وغلبتهم على أعدائهم قاهرة.

- وأقام الحجاج بظهور أوليائه الصالحين على

أعدائهم، فمن قرأ التاريخ رأى كيف نصر الله أئمة

الهدى على من عاداهم وكاد لهم، فصار ذكرهم

حسناً بين العالمين، وأظهر الحق الذي قالوا به،

وما خبر نصره إمام أهل السنة الإمام أحمد بن حنبل

ونصرة شيخ الإسلام وظهور الحق الذي ناصرته

عن دارس التاريخ ببعيد.

- وأظهر الحق في النفوس، فتجد المرء يشعر بأنّ هذا

حق، ويرى الظالم بأنّ ما عليه ظلماً وجوراً ولكنّه

يستكبر ويستنكف، ولذا قضى الله على الكافرين

والظالمين بالعذاب لظهور الحق في أنفسهم ولكنهم
 جحدوه فاستحقوا العذاب، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:
 ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ
 عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾ [سورة النمل: ١٤] وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى
 مسلماً نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَمَّنْ كَذَّبُوهُ: ﴿فَاتِمُّم لَّا
 يُكذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾
 [الأنعام، ٣٣]

وكل ذلك من معاني وآثار اسمه: (الظاهر).

فمن أعطى هذا الاسم حقه، وتفقه فيه، وعرف أسرارهِ،
 وجد حلاوة الإيمان، وعظم الله حق التعظيم، فيا لله كم
 جهلت النفوس حقيقته وكم فاتها من معانيه.

فاللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وارنا الباطل باطلاً
 وارزقنا اجتنابه.



﴿ (٤٤) الباطن ﴾

ومن أسماء الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى اسْمُهُ: **(الباطن)**

وجاء ذكره في كتاب الله مرة واحدة، وأعلم من فسره وبين معناه - كما تقدّم باسم الظاهر - هو رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقوله: **«وأنت الباطن فليس دونك شيء...»** (١).

فهو الباطن القريب، قال ابن جرير رَحِمَهُ اللهُ فِي تعريفه: **(وهو: الباطن لجميع الأشياء فلا شيء أقرب إلى شيء منه)** (٢).

ولا أخفيك - أيها القارئ الكريم - أنني وقفت كثيراً أمام هذا التعريف لابن جرير رَحِمَهُ اللهُ لِمَعْنَى هذه الصفة، أُعِيدُ قراءته لأرى بلاغته؛ فتأمله وكرّر قراءته لترى عمق معناه.

(١) رواه مسلم.

(٢) [تفسير سورة ق للطبري]

فهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى (أقرب إلى كلِّ شيء من كلِّ شيء) فهل يخفى على من كان هذا شأنه أيُّ شيء؟!

ومع قربهِ هذا فهو عالٍ على عرشه، بائن من خلقه لا تواري منه سماء سماء، ولا أرض أرضاً.

وعندما تجتمع هذه الصفات العظيمة في وصف الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يعلم العبد حينها عظمة الله المطلقة، فهو قريبٌ في علوه، وعليٌّ في دنوّه، وأوّل قبل كل شيء، وآخر بعد كل شيء، واجتماع هذه الصفات فيه (وإن لم يتصف بها غيره فلعجز المخلوق أن يجمع بين هذا وهذا كما يعجز أن يكون هو الأوّل والآخر والظاهر والباطن) قاله شيخ الاسلام^(١).

فإذا علم المؤمن هذا أيقن حينها أنه عاجزٌ عن إدراك كنه هذه الصفات، فسليم من الوقوع في المحذور من ردّ أو إنكار صفةٍ ثابتةٍ لله، أو تكييفها بعقله، أو تمثيلها بشيء، أو تشبيهها،

(١) [مجموع الفتاوى: ١٦/ ٤٢٤].

فالله ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، ويطمئن القلب مع التسليم فإنه كما قرر علماء الملة في أنه: **(لا تثبت قدم الإسلام إلا على ظهر التسليم والاستسلام)**(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (الذي اتفق عليه سلف الأمة وأئمتها أن يُوصف الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من غير تحريف، ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل، فإنه قد عُلِمَ بالشرع مع العقل أنّ الله تعالى ليس كمثله شيء لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله)(٢).

وقيل في معنى **الباطن**: العارف ببواطن الأمور وظواهرها. (فهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الْمَطَّلَعُ عَلَى السَّرَائِرِ وَالضَّمَائِرِ وَالْخَبَايَا وَالْخَفِيَّاتِ، وَدَقَائِقِ الْأَشْيَاءِ) قاله ابن سعدي رَحِمَهُ اللهُ(٣).

(١) [انظر العقيدة الطحاوية ١٣٧].

(٢) [شرح العقيدة الأصفهانية: ٤١].

(٣) [تفسير الأسماء الحسنی: ٧١].

وقيل في معنى الباطن: (هو: المحتجب عن خلقه، فلا يرى في الدنيا، ولا يُدرك في الآخرة)^(١). فلئن كان المؤمنون يرون ربهم في الآخرة إلا أنهم لا يُدركون حقيقته، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْظَمُ وَأَجَلُّ مِنْ أَنْ يُحِيطَ بِهِ أَحَدٌ^(٢).

والإيمان باسم الله (الباطن) يدلُّ على قربهِ وهو أنواع، فمنه القرب العام بعلمه وإحاطته.

وهناك قرب خاصٌّ خصَّ اللهُ به عابديه وسائليه، وهو ثمرة من ثمار التعبد باسمه (الباطن) وهو: قرب الحفظ والرعاية وتحقيق المطالب، قال اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ﴾ [البقرة: ١٨٦] فَهَذَا قُرْبُهُ مِنْ دَاعِيهِ وَسَائِلِهِ.

وهناك قرب لأهل المقامات العالية، وهو: قرب النصر والتأييد والمعونة يناله أهل العبادات التي يُحبها اللهُ

(١) [موسوعة فقه القلوب للتويجري: ٢٧٥]

(٢) [انظر شرح العقيدة الطحاوية للشيخ عبدالرحمن البراك: ١١٢-١١٨]

كالإحسان، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ

الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦] ومثلهم التائبين والمستغفرين،

قال تعالى: ﴿فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ [هود: ٦١]

ونحوهم من أهل المقامات العالية في الدين.

ومن القرب الخاص: قربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى من الساجدين،

ففي الصَّحِيحِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَقْرَبُ مَا يَكُونُ

العَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ»^(١).

وهو كذلك قريب من أهل الخلوة به في جوف الليل،

يقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَأَقْرَبُ مَا يَكُونُ الرَّبُّ مِنْ عَبْدِهِ فِي

جَوْفِ اللَّيْلِ»^(٢).

فهذا قرب خاص غير قُرب الإحاطة وقُرب البُطون.

والإيمان باسم الله **(الباطن)**: يستشعر معه المؤمن معية

الله له، وحفظه ورعايته له وعنايته به ما يُسكب معه في القلب

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه مسلم.

الطمأنينة والراحة والأمان في حياته كلها.

والإيمان باسم الله (الباطن): يحقق معه العبد مراقبة الله

له في كل حركاته وسكناته، مما يورث خشية الله وتقواه في

السر والعلن، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلْنَاهُ

أُسْوَىٰ بِهِ نَفْسَهُ، وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ [ق: ١٦]

فسبحان ربنا العظيم الذي له الصفات العلى والأسماء

الحسنى، وتعالى عن الشريك والمثيل والنظير والشبيه.

ويا سعادة عبد عرف ربه، وآمن بكماله وجلاله، وركن

إليه، وأحبه وعلم حقه.

فاللهم ارزقنا معرفتك حق المعرفة، وإجلالك وإجلال

أمرك ونهيك كما ينبغي، ومتعنا بطاعتك يا أرحم الراحمين.



﴿ (٤٥ ، ٤٦) الْقُدُّوسُ ، السُّبُّوحُ ﴾

ومن أسماء الله الثابتة: **الْقُدُّوسُ** و**السُّبُّوحُ**.

وجاء ذكر القدوس في آيتين من كتاب الله، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:

﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ... ﴾ [الحشر: ٢٣]

وجاء اسم السبوح في السنة فقط.

ومعنى اسم: **(الْقُدُّوسُ)** في حق الله تعالى: (الظاهر من

العيوب) قاله البيهقي^(١).

قال ابن كثير: **(القدوس)** المنزه عن النقائص،

الموصوف بصفات الكمال^(٢).

فهو: (المنزه من كل شر ونقص وعيب)^(٣).

عرفت الملائكة الكرام كمال صفات ربهم فوصفوا

(١) [الاعتقاد: ٥]

(٢) [تفسير ابن كثير: / ٣٦٣]

(٣) [شفاء العليل: ٢ / ٥١٠]

تقدّيسهم له كما في قوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ [البقرة: ٣٠] قال ابن جرير: (أي ننسبك إلى ما هو من صفاتك من الطهارة من الأدناس) (١).

ف(الْقُدُّوسُ) جَلَّ جَلَالُهُ (هو: الْمُطَهَّرُ من كل ما لا يليق بالخالق) (٢).

ومعنى (السُّبُّوحُ): المنزّه عن كل سوء وعيب، وعمّا لا يليق به ممّا يُضيفه إليه المشركون، فهو المبرأ من النقائص. والفرق بين السُّبُّوحِ والقُدُّوسِ:

أنّ التسبيح تنزيه الله، وتبرئته ممّا أضافه إليه المشركون من النقائص، ومن أشنعها: صرف العبادة لغيره.

والتقدّيس نسبته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إِلَى ما هو من صفاته من الطهارة والكمال.

(١) [تفسير سورة البقرة للطبري]

(٢) [مسلم بشرح النووي: ٤/٢٠٤-٢٠٥]

وقال بعضهم: التَّسْبِيحُ بمعنى: التَّنْزِيهِ، والتَّقْدِيسُ:
تطهيرٌ مع التَّعْظِيمِ، فهو طاهرٌ من كل عيبٍ، ومُنَزَّهٌ عن كل
نقصٍ وما يُسْتَقْبَحُ.

فالله عَزَّوَجَلَّ لِكَمالِهِ مَنْزَهِهٌ عَن كُلِّ نَقْصٍ فِي أَسْمائِهِ وَصِفَاتِهِ
وَأَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ وَأَقْدَارِهِ، فَصِفَاتِهِ كُلُّهَا صِفَاتُ كَمالٍ،
وَأَسْمائِهِ كُلُّهَا حَسَنِي، وَقَوْلُهُ الْحَقُّ، وَخَبْرُهُ الصِّدْقُ،
وَفِعْلُهُ مَنْزَهِهٌ عَنِ الْخَطَأِ وَالنِّسْيَانِ، وَأَقْدَارُهُ تَدْوِيرٌ بَيْنَ الْعَدْلِ
وَالْفَضْلِ.

يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بِمُخْتَلَفِ اللُّغَاتِ،
وَأَنْوَاعِ الْأَصْوَاتِ، حَتَّى قَالَ بَعْضُهُمْ: **(إِنَّ صَرِيرَ السَّقْفِ،
وَصَرِيرَ الْبَابِ مِنَ التَّسْبِيحِ).**

- ولعظمة هذين الاسمين كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
يقولهما في ركوعه وسجوده، فكان يقول فيهما:
«سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ، رَبُّ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ»^(١).

(١) رواه مسلم.

فهو قدوسٌ في خلقه، منزّهٌ عن أن يخلق شيئاً عبثاً، فخلقُه للمخلوقات - وإن صغرت في نظر الناظر - لحكمة لا تدركها العقول.

وهو منزّهٌ عما يصفه الجاهلون من النقص فقد وصفته اليهود - لعنهم الله - بالبخل والتعب - تعالى الله عن قولهم - فأخزاهم وقضى عليهم بما وصفوه به - ظلماً - فجعلهم بخلاء شحيحين بكل شيء، وعاقبهم بإلقاء العداوة بينهم إلى يوم القيامة.

وهو منزّهٌ عما يصفه به أهل الشرك من نسبة الصاحبة أو الولد أو الشريك له - تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً - قال سبحانه وتعالى: ﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴾ [المؤمنون: ٩١]

وهو الذي قد تنزه عن كل صفة نقص مع ثبوت كمال ضدها.

فهو منزّهٌ عن الموت والفناء والنوم والسِنَّة وله الحياة المطلقة الكاملة.

وهو منزّهٌ عن الجهل والنسيان والغفلة وله كمال العلم.

وهو منزّهٌ عن العجز والتعب وله كمال القوة والقدرة. وهو منزّهٌ عن العبث في خلق الخلق أو إيجادهم بلا غاية لكمال حكمته.

وهو منزّهٌ عن الفقر لكمال غناه.

وهو منزّهٌ عن البخل لكمال كرمه وسعة جوده وكثرة عطائه، فسبحان من كُمل في كل كمال، وتنزه عن كل نقص.

وهو منزّهٌ عن كل صفات الحَدَث التي يتصف بها المخلوق، فهو لم يزل خالقاً عليمًا رازقاً قديرًا بصيرًا سميعًا إلى غيرها من صفات الكمال، فمن معاني (القدوس): (الطاهرُ عن الحوادث).

فهو خالقٌ قبل وجود الخلق، فإنه لم يكتسب صفة الخلق بعد خلقهم، بل لم يزل خالقاً أزلاً وأبداً.
وهو رازقٌ قبل رزقه للعباد، فإنه لم يكتسب صفة الرزق بعد رزقهم، بل هو رازقٌ أزلاً وأبداً.
وهو غفور قبل وجود المذنبين، فلم يكتسب صفة المغفرة بعد مغفرة ذنوبهم، بل هو غفور أزلاً وأبداً.
وهو العليم بكل معاني العلم وأعلى مما نتصوره أو نظنه.
وهو الحي الذي له الحياة الكاملة وأعظم مما يتصوره العقل لصفة الحياة، وهكذا في كل صفة كمال، فالله متصف بها قبل وجود مقتضياتها وآثارها، وله من ذلك الكمال أكمله.

– **أعظم قضية في الوجود هي: قضية التوحيد وتنزيه**
الله عن الشريك والمثيل؛ فإذا وحّد العبدُ ربه ونزّهه
عن النقص سلّم وعوفي، ونجا من أعظم المهالك،
أمّا إذا وقع في الشرك فقد وقع في أشنع الذنوب،

وأعظم أنواع والظلم، ولم ينفعه أي عمل، وكان في الآخرة من الخاسرين، ولذا كان أعظم بنو آدم ذنباً هم المشركون، ومنهم: النصارى فهم من أشنع الناس جرماً، وأضلهم منهجاً، فقد نسبوا لله الزوجة والولد، وجعلوا له شريكاً - تعالى الله عن قولهم - فأقوال النصارى اليوم واعتقاداتهم كلها باطلة وهي من اختلاق قساوستهم، وتبعهم على ذلك الهمج الرعاع منهم، وإلا فالحق أبلج، وهو أوضح من الشمس في رابعة النهار.

- أمّا مشركو العرب فقد جعلوا الملائكة بنات الله - تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً - ونسبوا له اتخاذ الولد ظلماً وجهلاً، ولشناعة قولهم يكاد الكون يخرب ويتغير ناموسه، فعظمت هذه المخلوقات قولهم وهي جامدة، وخشعت إجلالاً لربها، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ۗ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا

الله في رحاب العظمة

إِذَا ٨٩ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطَرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ
 الْجِبَالُ هَدًّا ٩٠ أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ٩١ وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ
 وَلَدًا ٩٢ إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا ٩٣
 لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ٩٤ وَكُلُّهُمْ أَتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا
 ﴿٩٥﴾ [سورة مريم: ٨٨-٩٥].

أما أهل التوحيد فقدروا ربهم حق قدره، وقدسوه
 وسبحوه وعظموه ونزهوه عن كل نقص، فمدح سبحانه وتعالى
 سادتهم (وهم الرسل) لسلامة ما قالوه، فقال الله سبحانه وتعالى:
 ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾
 وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾ [الصفات: ١٨٠-١٨٢]

وسلك سبيلهم (أهل الإيمان الحق والتوحيد الخالص)
 فهم يُقدسون ربهم، ويُنزهونه عن كل نقص، ويعتقدون
 اعتقاداً جازماً بوحدانيته، فلكمال له لم يلد ولم يولد ولم
 يكن له كفواً أحد، وهم يقرأون دوماً سورة الإخلاص:
 ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾

وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾ [سورة الإخلاص] ونحوها من
السور والآيات المقررة للتوحيد، ويؤمنون ويعتقدون ما
دلّت عليه من التنزيه المطلق لربهم.

والملائكة تُسَبِّحُه وتُقدِّسه لأنهم قد عرفوا عظمته
وجلاله، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَنْهُمْ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا
يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ، وَهُمْ لَا يُسْجَدُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٦] بل
لا ينقطع ثنائهم لربهم، ويُدأومون على تقديسه، ويسبحون
ربهم ليلاً ونهاراً لا يفترون، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَنْهُمْ: ﴿وَلَهُ
مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ
﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ [الأنبياء: ١٩ - ٢٠]

**عظمت طهارة جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ ظاهراً وباطناً، فسماه الله
بروح القدس** فهو أعرف الملائكة بالله، وأعظمهم تسبيحاً
وتنزيهاً وعبادة له.

والصالحون من الجن نزهوا ربهم عن الشرك وعمّا لا
يليق به، فقد عرفوا عظمته، وأنه ليس له مثل أو شبيه أو

نظير، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَنْهُمْ: ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً
وَلَا وَلَدًا ۝۳﴾ [الجن: ٣]

بل الكون كله بأرضه وسماؤه وما فيهما يُنَزَّهُه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى
عن كل نقص، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿تَسْبِحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ
وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِّنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لَّا نَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا
غَفُورًا ۝۴۴﴾ [الإسراء: ٤٤]

فسبّحته وقدسته الجبال الرواسي والحجارة، وخشعت
له على صلابتها، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ
مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَقُّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ
خَشْيَةِ اللَّهِ ۝﴾ [البقرة: ٧٤]

وسبّحه وقدسته الرعد بحمده، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَيُسَبِّحُ
الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ
وَهُمْ يُجَدِّدُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ ۝۱۳﴾ [الرعد: ١٣]

وسبّحه الطير، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَالطَّيْرُ صَفَّتْ كُلُّ قَدْعِلِمٍ
صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ۝۴۱﴾ [النور: ٤١]

وتسبحه الدوابُّ والهوام، أخرج البخاري من حديث

أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**قَرَصَتْ نَمْلَةٌ نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، فَأَمَرَ بِقَرْيَةِ النَّمْلِ، فَأُحْرِقَتْ، فَأَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ: أَنْ قَرَصَتْكَ نَمْلَةٌ أُحْرِقَتْ أُمَّةً مِنَ الْأُمَّمِ تُسَبِّحُ**» (١).

وسبِّحه الحصى والحجر، فصار كل من في الوجود له مسبِّحًا خاضعًا خاشعًا لله، وملاً تسبيحه كل مكان وزمان وبكل لسان ولا ينقطع تسبيحهم صباح مساء لاستحقاقه لذلك.

- ويقدِّسه عباده عن فعل السوء أو خلق الشر، فالشر ليس إلى الله، ففي ثناء النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على ربه: «**والشرُّ ليس إليك**» (٢).

ففعله وقضاؤه كله خير.

(١) رواه أبو داود.

(٢) رواه مسلم.

- وأعظم ما قدّس الله به نفسه من الألفاظ كلمة: سبحان الله، وهي: (كلمة أحبّ الله أن يُذكر بها) كما هو منقول عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، فنزّه سبحانه نفسه بها، وذكرها كثيراً في كتابه ليتأس بها العباد، وحثّ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على قولها في مواضع كثيرة ليعيش المؤمن مع هذا التسبيح والتنزيه طيلة حياته.

- وكان هديه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عجبياً معها، جاء في صحيح الترغيب من حديث ربيعة بن كعب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يقول: كنتُ أخدم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نهاري، فإذا كان الليل أويتُ إلى باب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فبتُّ عنده، فلا أزال أسمعه يقول: «سبحان الله، سبحان الله، سبحان ربي، حتى أملّ أو تغلبنى عيني فأنام»^(١).

- والتسبيح له لذة من بلغها فقد بلغ الخير، ولذا جعل الله أهل الجنة يُلهمون التسبيح كما يُلهمون النفس،

(١) رواه الطبراني وهو في صحيح الترغيب.

قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿دَعْوَتُهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ۗ وَأٰخِرُ دَعْوَتِهِمْ اَنْ الْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعٰلَمِيْنَ﴾

[يونس: ١٠]

- ومن معاني **القدوس**: (المبارك) قاله قتادة رَحِمَهُ اللهُ.

فهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مبارك؛ يُبَارِكُ المكان والزمان والأشخاص، وإذا أنزل بركته على شيء كانت الخيرات والرحمات تُحيط به.

انظر لبركته على الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وكيف هي آثار دعوتهم في أقوامهم، ونجاة أتباعهم، وهلاك عدوهم؛ وأعظم الخلق بركة نبينا محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي نال الخلق من بركة دعوته ما لا يمكن حصره من معرفة الله تعالى ومعرفة فضائل الأعمال الصالحة التي يتقربون فيها لربهم، وبركة دعوته مُكِّنْ لأمته فسادت الأمم، وبركته على أمته لا يجمعها مقالٌ بأبي هو وأمي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

والله يُباركُ الأماكنَ الفاضلة، وبركته ظاهرة فيها، فانظر لبركته في مكة والمدينة وأرض الشام، وكيف جعل الطاعات تُضاعفُ فيها، والبركة فيها ظاهرة في مآكلها ومشاربها.

ومن بركته: بركته على الأزمنة الفاضلة، كرمضان وعشر ذي الحجة ويوم الجمعة وساعات السحر ونحوها من الأزمنة، فتضاعف فيها الحسنات، وينال العابد فيه أجور عظيمة في أزمنة يسيرة (بركة من الرحمن) وزيادة فضل منه. فاللهم نسألك بركة من عندك تأتي على أمورنا كلها وحياتنا كلها وذرياتنا كلهم وعقبنا يا رحمن يا رحيم. اللهم آمنا بك ونزّهناك عن كل نقص، وسبّحناك بكرة وعشياً، فاللهم طهر قلوبنا من النفاق والشك، ومن كل خلق مدموم، وطهر جوارحنا من كل خطيئة، واغفر لنا وأنت أرحم الراحمين.



﴿ (٤٧) السلام ﴾

من أسماء الله: **(السلام)**

وورد ذكره في كتاب الله مرة واحدة، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:

﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ ... ﴾ [الحشر: ٢٣]

ويقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّلَامُ**»^(١).

فهو: سلامٌ في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله.

يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (فهو سلامٌ في أسمائه، و سلامٌ

في ذاته فتنزهه عن كل نقص وعيب، و سلامٌ في أوصافه من

مشابهة صفات المخلوقين، و سلامٌ في أفعاله وشرعه

وقدره، فأفعاله سالمة من الظلم وخلاف الحكمة وهي

بين العدل والفضل، وهو سلامٌ في شرعه فشريعته ميسرة،

وأوامره لا مشقة فيها ولا عنت، بل كلها صلاح و سلام

للعباد والبلاد.

(١) رواه البخاري.

وهو سلامٌ في حكمه وحسابه للعباد، فالخلق سالمون من ظلمه، فقد تنزه عن الظلم وحرّمه على نفسه، فلم يحتاج لظلمهم أو تعذيبهم بلا موجب للعذاب (وهو) الذي سلّمت حياته من الموت والسنة والنوم والتغيّر.

وكذلك قيوميته وقدرته سلام من التعب واللغوب. وعلمه سلامٌ من عزوب شيء عنه أو عرض نسيان أو حاجة إلى تذكّر وتفكّر.

وإرادته سلامٌ من خروجها عن الحكمة والمصلحة. وكلماته سلامٌ من الكذب والظلم بل تمّت كلماته صدقاً وعدلاً.

وغناه سلامٌ من الحاجة إلى غيره بوجه ما، بل كل ما سواه محتاج إليه وهو غني عن كل ما سواه.

وملكه سلامٌ من منازع فيه أو مشارك أو معاون مظاهر أو شافع عنده بدون إذنه. وإلهيته سلام من مشارك له فيها، بل هو الله الذي لا إله إلا هو.

وحلمه وعفوه وصفحه ومغفرته وتجاوزه سلام من أن تكون عن حاجة منه أو ذل أو مصانعة كما يكون من غيره، بل هو محض جوده وإحسانه وكرمه، وكذلك عذابه وانتقامه وشدة بطشه وسرعة عقابه سلام من أن يكون ظمًا أو تشفيًا أو غلظة أو قسوة... وقضاؤه سلام من العبث والجور والظلم...^(١).

- وهو: **(السلام)** الذي جعل الكون سالمًا من الآفات في الجملة، فهو مستقرٌ صالحٌ للمعيشة، ولئن أصاب جهةً منه اضطراب أو كارثة فهي لا تُذكر أمام استقراره الاستقرار العام.

وكلُّ سلامة في الدين أو الدنيا فإنها من الله عزَّجَلَّ فهو الذي يقي عباده كل أنواع الأذى والشروع، فحقُّ على القلب أن يمتلئ شكرًا وثناءً على ربه الكريم الذي يُحسن إليه، ويسلِّمه من كلِّ شرٍّ وسوءٍ في كلِّ وقتٍ وحين، وكم

(١) [انظر أحكام أهل الذمة: ١/٤١٤، وبدائع الفوائد: ٢/٥٠].

من سلامة أحاطت بالعبد طيلة حياته، ونجى بفضل ربه
وتسليمه له وهو لم يشعر بها.

- وهو: **(السلام)** ويهدي من أتبع هداه سبل السلام،
ويشرح صدره للإسلام، ويهديه لأعمال البر لأنه
رغب وبادر باتباع الهدى، فجزاه الله أن سلمه من
الهوى، وأتباع الباطل، ومن سخطه وعذابه، قال الله
سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ
السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ
وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة: ١٦]

- وهو: **(السلام)** الذي يقي عبده الفتن ويُسلمه منها،
فكم من فتنة تُحيط بالناس، فتأتي الحماية والحفظ
من الله لهذا العبد الصالح الذي سلم قلبه من فساد
الاعتقاد، وسلمت جوارحه من الآثام، فيُجازيه الله
بالسلامة التامة.

ولقد عرف المرسلون عليهم الصلاة والسلام عظمة ربهم، فَقَدَرُوهُ حَقَّ قَدْرِهِ، وَسَلِمَتْ قُلُوبُهُمْ وَأَعْمَالُهُمْ وَأَقْوَالُهُمْ، فَأَبْقَى لَهُمُ الثَّنَاءَ الْحَسَنَ وَالذِّكْرَ الْجَمِيلَ فِي الْعَالَمِينَ، وَسَلَّمْ عَلَيْهِمْ فِي الْآخِرِينَ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَنْهُمْ: ﴿سَلِّمْ عَلَيَّ نُوْحًا فِي الْعَالَمِيْنَ ۗ﴾ [الصفات: ٧٩] وقال: ﴿سَلِّمْ عَلَيَّ إِبْرَاهِيْمَ ۗ﴾ [الصفات: ١٠٩] وقال: ﴿سَلِّمْ عَلَيَّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ۗ﴾ [الصفات: ١٢٠] وهذا من دلائل وحدانيته فقد ثبت لهم هذا الثناء في العالمين، وجعله باق لهم بقاء الليل والنهار.

- وهو (السلام) الذي دعا عباده إلى دار السلام، وبين لهم صفاتها لتتوق نفوسهم إليها، وليجتهدوا لبلوغها، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [يونس: ٢٥]

وقال تعالى - مُبَشِّرًا أَوْلِيَاءَهُ بِهَا - : ﴿لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ ۗ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٧]
وقال تعالى: ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَكَّهُونَ ۗ﴾ [٥٥] هُمُ

وَأَزْوَجُهُمْ فِي ظِلِّ عَلَى الْأَرْبَابِ مُتَّكِنُونَ ﴿٥٦﴾ هُمْ فِيهَا فَكِهِةٌ وَهُمْ

مَا يَدْعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ ﴿٥٨﴾ [يس: ٥٥ - ٥٨]

فدار الجنة سالمة من كل شر، وجامعة لكل خير، يسلم أهلها من الموت والمرض، ومن المنغصات والمكدرات ومن كل سوء، وتسلم أجسادهم من الآفات، وقوتهم من الضعف، وعقولهم من الخرف، ونفوسهم من آلامها وغمومها وأحزانها، وفوق هذا يناديهم ربهم بالسلام، وينالون منه السلام، ويسلمون من سخطه وغضبه عليهم، فهم في أمان وسلام، وتحيتهم فيها سلام، فاللهم ارزقنا دار السلام وارض عنا وسلّمنا من كل شر.

- وهو **(السلام)** الذي يُسلم أوليائه في أصعب المواقف التي تكون في حياة الإنسان، وهي: (يوم ولادته ويوم موته ويوم يبعث حياً) ف(أوحش ما يكون الخلق في ثلاثة مواطن: يوم يولد فيرى نفسه خارجاً مما كان فيه، ويوم يموت فيرى قوماً لم يكن عاينهم، ويوم

يُبعث فيرى نفسه في محشر عظيم) (١).

فيكرم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى كل مؤمن ومؤمنة فيها، وينال السلامة من شدتها ويكون في عافية تامة عندها، قال

الله تعالى - عن يحيى عَلَيْهِ السَّلَامُ -: ﴿وَسَلِّمْ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ

وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ [مريم: ١٥] وقال عن عيسى

عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ

حَيًّا﴾ [مريم: ٣٣] فأكرمهما الله في هذه الساعات،

والكرامة نائلة كل مؤمن ومؤمنة مستقيماً على شرع

ربه، فالملائكة تسلم على عباده الصالحين عند قبض

الارواح، وتطمئنهم بأن السلامة مصاحبة لهم هذه

اللحظات، قال الله تعالى - عن حال المؤمن في هذه

ساعة الاحتضار- ﴿الَّذِينَ نُوَفِّهِمُ الْمَلَائِكَةَ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ

سَلِّمْ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٣٢]

فينالون السلامة من كل شرٍّ، والنجاة من كل عذاب.

(١) [انظر تفسير سورة مريم للطبري]

- وإذا سلم العبدُ من الشبهِ سَلِمَ من جميعِ المُهلِكَاتِ
 وكان في سلامة تامّة منها. وإذا سَلِمَ من الشهواتِ
 عاش الحياة الطيبة، وكان له الذكر الحسن.
 وإذا حافظ على أمر ربه، وأدّى ما أوجب الله عليه
 سَلِمَ من الانتكاسة والضلالة بعد الهدى.
 وإذا كان متبّعاً ما عليه سلف الأمة في أعظم أمور
 الدين (وهي: العقيدة) سَلِمَ من الانحراف، وكان
 على جادة الصواب.
 وإذا جاهد نفسه، وراقب ربه سلّمَتْ جوارحه من
 الآثام والخطيئات.
 وكل عبد سَلِمَ قلبه من الغش والحقد والحسد
 وإرادة الشر لغيره ناله من العطايا والخيرات بقدر
 هذه السلامة، فإنّ الجزاء من جنس العمل، فمن
 سلم منه المسلمون، وأمنه الناس كان خيرهم، وفاز
 بفضائل هذه الخيرية، ففي الحديث الصحيح يقول

عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده»^(١).

فاللهم احفظنا من كل شر، واجعل السلامة سبيلنا في كل شأن، وبصّرنا بمعان هذا الاسم الشريف .



﴿ (٤٨) المؤمن ﴾

من أسماء الله: **(المؤمن)** وقد ورد ذكره في كتاب الله مرة واحدة.

وكم في هذا الاسم الشريف من معانٍ جليّة، وآثار عظيمة على النفس، فمعه تنزل السكينة والطمأنينة على القلب، ويشعر من أحاط ببعض معانيه بالأمن المطلق التام، فدلالته لها الأثر الكبير في نفوس المؤمنين، ذلك أنّ الله هو الركن الآمن الذي إليه يأوون في كل حين، ولهذا الاسم معان جليّة ذكرها أهل العلم رَحْمَهُمُ اللهُ:

فمن معاني اسم **(المؤمن)**: المصدّق.

وهذا التصديق أنواع: فمن معانيه: المصدّق رسله بإظهارهم ونصرتهم ونجاتهم وإهلاك أعدائهم ممّا يقوي الإيمان بصدق وعده لهم، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ثُمَّ صَدَقْنَاهُمْ

الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ ﴿١﴾ [الأنبياء: ٩]

فمن عرف هذا حق المعرفة آمن بهم، واعتقد صدقهم وأمانتهم وقيامهم بما أمرهم الله به، وهذا الاعتقاد يورثه محبتهم وتعظيمهم، وهو من أعظم ثمرات تصديق المرسلين.

ويُصدّق رسله -أيضاً- إذا سأل الأمم عن تبليغ الرسالة، فيُصدّقهم بقيامهم بذلك، وتظهر الحقائق للجميع بأظهر صورها لتصدق الله لها.

وميز الله هذه الأمة بشهادتها على الأمم السابقة، وصدق شهادتها، وهذا شرف رفيع لها.

ومن أنواع التصديق: أنه صدق أولياءه المؤمنين بتمكينهم في الأرض كما وعدهم سبحانه وتعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ

الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾ [النور: ٥٥]

وقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «بَشِّرْ هَذِهِ الْأُمَّةَ بِالتَّيْسِيرِ، وَالسَّنَاءِ وَالرَّفْعَةِ بِالدِّينِ، وَالتَّمَكِينِ فِي الْبِلَادِ وَالنَّصْرِ، فَمَنْ عَمِلَ مِنْهُمْ بِعَمَلِ الْآخِرَةِ لِلدُّنْيَا، فَلَيْسَ لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ»^(١).

- ومن معانيه: أَنَّهُ الْمُصَدِّقُ عِبَادَةَ الْمُؤْمِنِينَ فَيُصَدِّقُهُمْ بِإِيمَانِهِمْ، وَيَقْبَلُهُ مِنْهُمْ، وَيُثَبِّتُهُمْ عَلَيْهِ، وَهَذَا التَّصَدِيقُ هُوَ أَحْوَجُ أَمْرٍ يَحْتَاجُهُ الْعَبْدُ، وَهُوَ سَبِيلُ النِّجَاةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

- ومن معاني اسم (المؤمن): أَنَّهُ يُصَدِّقُ عِبَادَةَ وَعَدَهُ، وَيَفِي بِمَا ضَمَّنَهُ لَهُمْ مِنَ الثَّوَابِ فِي الْآخِرَةِ، فَاللَّهُ أَعْظَمُ وَأَجَلُّ مِنْ أَنْ يَفْعَلَ خِلَافَ مَا وَعَدَ بِهِ عِبَادَهُ لِأَنَّهُ غَيْرُ مُحْتَاجٍ لَذَلِكَ، فَلَمْ يُوجِبْ عَلَيْهِ أَحَدٌ أَنْ يُكْرِمَ أَوْلِيَاءَهُ أَوْ يَمْنَعَهُ أَحَدٌ مِنْ تَعْذِيبِ أَعْدَائِهِ لِكَمَالِ مَلِكِهِ، وَنِفَازِ أَمْرِهِ وَلَكِنَّهُ حَكَمٌ عَدْلٌ يُكْرِمُ مَنْ أَطَاعَهُ، وَيُذَلُّ مَنْ عَصَاهُ.

(١) أخرجه أحمد.

وإذا كان المرءُ إذا عمل عند رجل أمين معروف
بالوفاء وأداء حق غيره اطمئن لجزاء عمله فكيف الله
سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَلَهُ الْمِثْلُ الْأَعْلَى!؟

والمؤمنُ يتعامل مع ربه من حين أن يعي ويُدرك فيعبده
ويطيعه، فإذا بلغ وزاد فقهاً بنصوص الشريعة، وأفنى
عمره في طاعته، وآثر مرضيه، زاد ثقة بوعده لأنه قد
صدّق تصديقاً جازماً بالجزاء والثواب، وتبين له
من نصوص الوحيين ما يدل على وفاء الله بوعده،
ولذا ذكر الله عطاءه لعباده بألفاظ متعددة كلها تدل
على الصدق في الوعد، والوفاء فيما قال، فمن ذلك
أنه: سمي ما وعد به أهل طاعته جزاءً.

وسماه أجراً.

وسماه ثواباً.

وسماه قرضاً.

وسماه عطاءً.

وسماه رزقاً كريماً، وفضلاً عظيماً.. وغير ذلك من الألفاظ التي تُطمئن العامل ليثق ثقةً تامّةً بموعد ربه الصادق في وعده، الوافي في جزائه.

وتأتي النصوص من الوحيين للتأكيد على هذه القضية ليزداد المؤمنون إيماناً بهذا الموعد، ويطمئنون لمعاملة الله لهم، فلا يخافون من ضياع حسناتهم، وسائر طاعتهم، ولا يخشون فوات أجرها، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَمَنْ

يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾ [طه: ١١٢]

فسيجدونها كاملةً موفورةً قد ضاعفها لهم، وسيرون من ثواب العمل ما لا يخطر لهم على بال، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عن ثناء أهل الجنة على ربهم: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ

﴿٧٤﴾ [الزمر: ٧٤] وتعزيز هذه القضية في النفس وزيادة الإيمان

بها تجعل العبد يُسارع ويُسبق لطاعة ربه ومولاه بنفس منشرحة، وطمأنينة تامّة، وهذا ما كان عليه المُصدّقون

بوعد ربهم من السابقين ومن تبعهم فعملوا بمقتضى هذا التصديق ففازوا فوزاً عظيماً.

- ومن معاني هذا الاسم: **(أنه الذي أمن خلقه من أن يظلمهم)** قاله ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فكل من لا يستحق عذاب الله فهو في أمن من عذابه، فلا يخاف عبداً أن يناله عذاب الله وقد كان مقيماً على طاعة ربه مجتنباً معاصيه **(لا يكون هذا أبداً)** فالله ليس بظلام للعبيد، ولا يُحتاج للظلم -لكمال عدله- وقد حرّمه على نفسه، وما قامت السموات والأرض إلا بالعدل والقسط، وهو لا يظلم مثقال ذرة وما فوقها.

- وهو: **المؤمن عباده المؤمنين التامين الشامل لمراحل حياتهم كلها**، فيؤمنهم سبحانه وتعالى من عذابه وبأسه في الدنيا فلا ينالهم هلاك عام أو عذاب دائم، وإن أصابهم كرب أو ضيق أو شدة أو تسلط عليهم عدو فإنما هو تكفير لذنوبهم، وإيقاظ لهم من غفلتهم، ورفعة لدرجاتهم ومنازلهم في الجنة.

وَيُؤَمِّنُهُمْ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى سَاعَةَ خُرُوجِ أَرْوَاحِهِمْ، وَهِيَ أَشَدَّ حالات المرء حرجاً في الدنيا، وآخر الشدائد على المؤمن فيها، ولكن الله يهونها عليه، ففي حديث خروج روح المؤمن، يقول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعِ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالَ مِنَ الْآخِرَةِ، نَزَلَ إِلَيْهِ مَلَائِكَةٌ مِنَ السَّمَاءِ بِيضُ الْوُجُوهِ، كَأَنَّ وُجُوهُهُمْ الشَّمْسُ، مَعَهُمْ كَفَنٌ مِنْ أَكْفَانِ الْجَنَّةِ، وَحَنُوطٌ مِنْ حَنُوطِ الْجَنَّةِ، حَتَّى يَجْلِسُوا مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلِكُ الْمَوْتِ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَيَقُولُ: أَيَّتَهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ أَخْرَجِي إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ.. فَتَخْرُجُ تَسِيلٌ كَمَا تَسِيلُ الْقَطْرَةُ مِنْ فِي السَّقَاءِ، فَيَأْخُذُهَا فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدْعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةً عَيْنٍ حَتَّى يَأْخُذُوهَا فَيَجْعَلُوهَا فِي ذَلِكَ الْكَفَنِ وَفِي ذَلِكَ الْحَنُوطِ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَطْيَبِ نَفْحَةٍ مَسْكٍ وَجَدَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ..» (١).

(١) أخرجه أحمد

وإذا دخلوا قبورهم - حيث الوحشة والوحدة والفتنة العظيمة بسؤال الملكين، وشدة القبر - يكونون في أمان تام، كما جاء في الحديث: «فَيُنَادِي مُنَادٌ مِنَ السَّمَاءِ أَنْ صَدَقَ عَبْدِي، فَأَفْرِشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ، فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا وَطِيبِهَا، وَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدًّا بِصَرِّهِ، وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ حَسَنُ الْوَجْهِ، حَسَنُ الثِّيَابِ، طَيِّبُ الرَّيْحِ، فَيَقُولُ: أَبَشِرْ بِالَّذِي يَسُرُّكَ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوَعِّدُ، فَيَقُولُ لَهُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَوْجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالْخَيْرِ، فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ، فَيَقُولُ: رَبِّ أَقِمِ السَّاعَةَ، رَبِّ أَقِمِ السَّاعَةَ حَتَّى أَرْجِعَ إِلَى أَهْلِي وَمَالِي»^(١).

«ثم يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا فِي سَبْعِينَ، ثُمَّ يَنْوِّرُ لَهُ فِيهِ ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: نَمِّ فَيَقُولُ: أَرْجِعْ إِلَى أَهْلِي، فَأَخْبِرْهُمْ فَيَقُولَانِ: نَمِّ كَنُومَةَ الْعُرُوسِ الَّذِي لَا يُوَقِّظُهُ إِلَّا أَحَبُّ أَهْلِهِ إِلَيْهِ، حَتَّى يَبْعَثَهُ اللَّهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ»^(٢).

(١) أخرجه أحمد

(٢) أخرجه أحمد.

وإذا كان يوم القيامة - حيث الخوف والأهوال العظام-

أمنهم الله من الفزع الأكبر، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَهُمْ مِنْ فِزَعٍ

يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ﴾ [النمل: ٨٩]

- ومن معاني المؤمن: أنه الذي يصدق ظنون عباده به،

ولا يخيب آمالهم بجنابه، فيُنزلُ في قلوبهم السكينة،

والطمأنينة في المدلهمات، فيُحقق رجاءهم فيه،

ويفتح عليهم من أبواب النصر والهبات والأرزاق،

والمخرج من المضايق، وتحقيق الأمنيات ما

تتعجب له عقولهم، فيكونون في أمان وثقة - حتى

وإن كان ظاهر الأمر خوف وهلع - إلا أنّ الله يرعاهم

ويحفظهم، وكم في تاريخ المؤمنين من عبر وأثار

تُبَيِّن كيف كان أثر أمان الله عليهم في الصبر والثبات.

- ويصدق ظنهم به عن نزول الهموم والكروب

بهم، فمهما أُغلقت في الوجوه الأبواب، ووصدت

السدود يبقى الظنّ الحسن بالله هو بلسم المؤمن،

وأنيس المستوحش، ومنفس المهموم (والله عند ظنّ عبده به) كما صح بذلك الحديث وهو عند الإمام البخاري، فظنّ بربك أحسن الظنون، وثق بفرجه وقرب رحمته.

وبعد/ فهذه بعض معاني هذا الاسم العظيم، وبعض آثاره وهي - كما ترى - معان جليلة عظيمة لسعة كل اسم من أسمائه، وما ذكر هنا من هذه المعاني إنّما هو غيض من فيض، وقليل من كثير، فزد نظراً وتبصرة في الفقه بأسمائه، فهو السبيل الأعظم لمعرفة وزيادة الإيمان به، ووجدان لذة الطاعة وحلاوة المناجاة، فاللهم زدنا معرفة بها يا أرحم الراحمين.



﴿ (٤٩) المهيمن ﴾

من أسماء الله تعالى: **(المهيمن)** وجاء ذكره مرة واحدة في كتابه، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ...﴾ [الحشر: ٢٣]

وفيه أربعة معان: المعنى الأول: قيل في معناه: **الرقيب الحفيظ لأعمال العباد، المُطلع عليها.**

قال الطبري رَحِمَهُ اللهُ: (وأصل الهيمنة: الحفظ والارتقاب)^(١). فهو الرقيب المسيطر على كل شيء.

وقال ابن عاشور رَحِمَهُ اللهُ: **(المهيمن: الرقيب بلغة قريش، والحافظ في لغة بقية العرب)**^(٢).

وقال ابن سعدي رَحِمَهُ اللهُ: **(المهيمن: المُطلع على خفايا**

(١) [تفسير سورة الحشر للطبري]

(٢) [تفسير سورة الحشر / التحرير والتنوير]

الأمور، وخبايا الصدور، الذي أحاط بكل شيء علماً^(١).

المعنى الثاني: **(الشهيد)** فهو شهيد على كل شيء، ومن ذلك: شهادته بصدق كتبه، وشهادته على خلقه بأعمالهم.

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: قال ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا وغير واحد **(المهيمن)** أي: الشاهد على خلقه بأعمالهم، بمعنى هو رقيب عليهم، كقوله: ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [البروج: ٩]^(٢).

قال ابن جرير رَحِمَهُ اللهُ: وقوله: ﴿الْمُهَيْمِنُ﴾ اختلف أهل التأويل فيه في تأويله، فقال بعضهم: **الشهيد**، قاله مجاهد وقتادة وغيرهم^(٣).

المعنى الثالث: قيل في معناه: القائم على أمر خلقه بالرعاية والحفظ.

(١) [تفسير السعدي]

(٢) [تفسير ابن كثير]

(٣) [تفسير سورة الحشر للطبري]

قال بعض أهل اللغة: الهيمنة: القيام على الشيء والرعاية له، فهو مهيمنٌ على مخلوقاته، فلا يخرج عن أمره شيء، يحفظها ويرعاها بقدرته.

مَلِيكَ عَلَى عَرْشِ السَّمَاءِ مَهِيْمِن

لِعِزَّتِهِ تَعْنُو الْوُجُوهُ وَتَسْجُدُ

المعنى الرابع : قيل معناه : **المؤمن المصدق**؛ فهو قد صدق كتابه بإظهاره، وتصديق أخباره عمّا مضى، وما بقي من أمور الدنيا، وما حدث عن الآخرة، وصدق رسله بظهور المعجزات على أيديهم، وظهورهم على أعدائهم، وصدق عباده بإكمال الثواب لهم، فهو لا يُنقص الطائعين شيئاً من حسناتهم لأنّ الثواب لا يُعجزه، ولا يزيد العصاة على ما اجترحوه من السيئات شيئاً لأنّ الظلم منتفٍ عنه، وهو غير محتاج إليه، وقد سمى عقوبة أهل النار جزاءً لاستحقاقهم جزاء عملهم السيء.

فالله هو المهيمُن الحفيظ الذي لا يخرج عن هيمنته شيء في الكون، فبهيمته حفظ الكون من الخلل والاضطراب، فالسماوات والأرض قد استقرت وثبتت بأمره، والخلق تحت هيمنته، وحياتهم واستقرارهم بأمره، وتحت إرادته.

وبهيمته شهد على خلقه بجميع أعمالهم فلا يخفى عليه شيء من أمرهم، ولا يغيب عنه شيء من أحوالهم - فمن كان منهم مستخفٍ بليل، أو سارٍ في وضوح نهار، أو كان خاليًا من العباد، أو بينهم يسترق سمعًا أو ينظر لحرام، أو يلفظ بقول لا يرضي ربه - كلهم تحت هيمنته وإحاطته.

وهو المهيمُن الرقيب على كل شيء، المطلع على كل عمل، فلا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر، وهو بصير بخفايا الأمور، وخبايا الصدور، أحاط بكل شيء علمًا، قال الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**:

﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ﴾ [الرعد: ٣٣]

وهو القائم على خلقه بالحفظ والرعاية، فالكون كله مفتقراً لقيامه وحفظه ورعايته، ولولا حفظ الله له ورعايته له لا اضطرب واختلّ.

ومن تأمل في هذه القدرة والإحاطة، وهذه الهيمنة والقوة أيقن برّب جليل عظيم لم يقدره حق قدره من أشرك به أو نسب له النقص.

ومن أيقن بهذه الهيمنة لله علّق قلبه به، فكل شيء تحت سلطانه، وقلوب العباد وإراداتهم وتصرفاتهم وأفعالهم تحت أمره، فكيف يخافهم ويرجوهم؟!

ولو صحّت القلوب كما ينبغي لكان تعلّقها برّبها أعظم ممّا هي عليه الآن.

ومن عرف ربه المهيمن حق المعرفة: حقق التوكل عليه، وصدق في الاعتماد عليه، وعاش مطمئن النفس، هادئ الطبع.

ومن تأمل في سيرة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وجد هذا ظاهراً في مجمل حياته كلها، وذلك لكمال إيمانه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بهيمته ربه على كلِّ شيء؛ فعودة صادقة لمعرفة معاني الأسماء الحسنى لله عَزَّجَلَّ فَإِنَّهَا تورث النفس الإجلال والتعظيم، وتعلّق المتأمل بربه، وتجردّه عن ملاحظة المخلوقين، والالتفات لهم.

والمعرفة الحقّة بأسماء الله الحسنى تزيد في إيمان العبد، وتجعله يذوق حلاوة الحياة الدنيا، ويدرك لذة الطاعات ويجد الأنس به.

ومن التصديق الكامل بالقرآن العظيم: الإيمان بهيمته على الكتب السابقة، فالقرآن أمينٌ على ما سبق من الكتب التي أنزلها الله على رسله السابقين قد صدّق أصولها.

وهو حاكمٌ على كلِّ الكتب قبله، فقد جاء بأحسن ما فيها، ونسخ منها ما نسخه، وبيّن تحريف أصحاب الكتب

السابقة لها بعد وفاة رسلهم، وقد قام في أنفسهم الاعتراف بذلك بين يدي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

والإيمان بهذا يُورث في النفس الطمأنينة به، واليقين بصدقه، وتعظيمه وإجلاله، والفرح به أعظم الفرح، ويثمر العمل به، والتحاكم إليه، ورفض ما سواه من الأحكام والأهواء.

قال الله تعالى - عن كتابه المجيد-: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ...﴾ [المائدة: ٤٨] وقوله ﴿وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ﴾: (بمعنى: أمينٌ على كل كتاب قبله، وقيل معناه: شهيداً، وقيل معناه: حاكماً على ما قبله من الكتب، قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: وهذه الأقوال كلها متقاربة المعنى، فإن اسم «المهيمن» يتضمن هذا كله، فهو أمينٌ وشاهدٌ وحاكِمٌ على كل كتاب قبله، وجعل الله هذا الكتاب العظيم الذي أنزله آخر الكتب وخاتمها أشملها وأعظمها وأحكمها حيث جمع فيه محاسن ما قبله، وزاده

من الكمالات ما ليس في غيره؛ فلهذا جعله شاهداً وأميناً
وحاكماً عليها كلها^(١).

فاللهم ارزقنا إيماناً كاملاً بك، وتصديقاً بأمرك، وثقة
لموعدك، وتصديقاً بكتابك ورسلك.



(١) [انظر تفسير سورة المائدة لابن كثير]

﴿ (٥٠ ، ٥١) الخالق، الخلاق ﴾

ورد اسم **(الخالق)** في القرآن الكريم ثمان مرات، أمّا اسم **(الخلاق)** فورد ذكره مرتين.

والله هو **(الخالق)**: أي: المبدعُ للخلق المخترعُ لهم، الذي خلق المخلوقات وأوجدها من عدم، وعلى غير مثال سابق.

ومعنى **(الخلاق)**: الخالق خلقاً بعد خلق، فهو من أفعال المبالغة الدالة على كثرة خلق الله، فكم يحصل في اللحظة الواحدة من خلق بلايين المخلوقات، قال الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**:

﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴾ [الحجر: ٨٦]

واسمه سبحانه **(الخالق والخلاق)** ممّا أقرت به جميع الأمم مؤمنهم وكافرهم.

وخلقُ الله للكون وما فيه، تظهر فيه عظمته وقدرته وقوته وإتقانه وحكمته؛ فهو قد قدر وجود الخلق في الأزل،

وأخرجهم إلى الوجود بعد العدم، ونوع خلقه ما بين عاقل وغير عاقل، ومتحرك وساكن.

خلق إنساً في تنوع ظاهر لا يعلم عددهم إلا من خلقهم، وملائكة أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد في خلقهم ما يشاء بأعداد لا حصر لهم، فإذا كان البيت المعمور فقط يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه مرة أخرى، بل يأتي سبعون ألفاً آخرين في اليوم الذي يليه، وهكذا كل يوم، فكم عدد الأيام التي خلقها الله؟!

وكم يكون عدد الداخلين لهذا البيت؟

وكم يكون عدد بقية الملائكة؟ فسبحان **(الخالق)**

(العظيم)

وخلق جاناً قد ملئوا الأرض والبحار والفضاء، وحيوانات لا يعلم عددهم إلا الله، ونباتاً وزروعاً، وجبالاً وبحاراً وأنهاراً وغيرها من المخلوقات التي لا يُحيط بها إلا من خلقها **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**.

- **والله خالق كل شيء، فلا خالق سواه،** قال الله عزَّوَجَلَّ:

﴿اللَّهُ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الزمر: ٦٢] فكل ما في الكون

خَلَقَهُ اللهُ تَعَالَى، وهذا يدلُّ دلالةً ظاهرةً على قوته

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَقدرته على كل شيء.

خلقهم على ما يشاء من الصفات والهيئات، فجعل

بعضهم قوياً وبعضهم ضعيفاً، وحسَّن في أشكال بعض،

وخلق بعضهم في صورة دون ذلك في تفاوت عظيم تظهر

معه قدرته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى على الإتيان، وعلى خلق ما يشاء،

كيف شاء - وخلقَه كله حسن - قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿الَّذِي

أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ...﴾ [السجدة: ٧]

- **انظر إلى السماء** وسعتها وجمالها وارتفاعها وثباتها

بلا عمد، لا ترمي ببصرك في جهة إلا وجدت سماءً

صافيةً قد بلغت من الجمال أبهأه، ومن الصورة

أجملها، ومن العظمة أنصعها وأعلاها. وانظر ما

جعل فيها من مخلوقات عظيمة، فقد جعل اللهُ

فيها شمساً عظيمة الخِلقه، ونوراً يخرج منها يملأ الأرض، وقوة حارقة ولو قربت من الأرض يسيراً لأحرقت ساكنيها، وجعل فيها قمراً بديعاً قد بلغ من الجمال أسنانه، ومن النور أبهائه، وجعله سراجاً منيراً. وخلق فيها نجومًا زين بها السماء، وجعلها علامات ودلائل للمهتدين، وجعل فيها كواكب سياراً لا يعلم عددها أو كنهها إلا هو **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**.

وانظر كيف خلق الليل والنهار، وجعلهما يسيران بانتظام عجيب بلا خلل أو تغيير، فسبحان من خلق فأبدع، وصنع فأتقن.

- **وتأمل في خلقه للأرض** وما عليها من مخلوقات متنوعة، وكيف بسطها ومهداها حتى وسعت الخلائق ولو تضاعفت أعدادهم أضعافاً مضاعفة، وجعلها صالحة للمعيشة ومستقرة للعباد، ولو اضطربت لحظات كما يحصل ساعة الزلازل والبراكين لكان

من المستحيل العيش عليها ولكن من رحمة الله أن جعلها بهذا الثبات.

- وانظر ما جعل الله فيها من سهول وطرق وفجاج لتنظم حياتهم وينتقلون من مكان لمكان بيسر وسهولة، فكم في هذا التنوع من مصالح للإنسان.

- **وانظر كيف خلق البحر** بهذه الصورة العجيبة، وجعل فيه آيات بينات دالة على قدرته التامة، فحبسه أن يُغرق الأرض، ومنعه أن يؤذي الخلق، وسخره لبني آدم، وجعله مذلاً لهم، وسبباً في أرزاقهم، وبث فيه من المخلوقات المتنوعة التي لا يحصيها إلا الله، وأباح لهم أكل مخلوقاته، فانتفعوا به أيما انتفاع.

خلق فيه هذه الحيتان في الماء لتعيش بصورة عجيبة تحت الماء، وتلد بهذه الطريقة الغريبة حيث تنتج مئات البيض فيموت أغلبه ولا يبقى منه إلا القليل، فيحيا ويتوالد مرة أخرى، والناس يأكلون منه بيسر وسهولة وهم لا يرون كيفية هذا الخلق.

- **وانظر لخلق الجبال** وما فيها من آيات واضحات تدلّ على قدرة الله وقوته، وتمام صنعه، وتأمل كيف جعلها في أحجام متغايرة، وألوان متنوّعة، فمنها أحمر، ومنها أسود، ومنها أبيض وغير ذلك. وخلقها بأشكال متباينة، فمنها ما هو حجري صلب، ومنها ما هو حصى صغير، ومنها ما هو رملي ممّا يدل على عظمة خلق الله.

- **وانظر إلى السهول والوديان والجداول والأنهار** وكيف يجري بعضها من آلاف السنين بلا توقف أو نضوب لتتفع بها الأرض ويتنفع بها -أيضاً- الأدميون والبهائم، وانظر كيف نوع خلقه فيها، وجمل منظرها، وحسن صورتها حتى غدت أنساً للمتأملين.

- **وانظر لهذه الزروع والأشجار** وما فيها من آيات دالة على عظمة الله وقدرته التامة، فمن هذه الأشجار ماله

ساق، ومنها ما هو بلا ساق، ومنه ما هو معروش،
 وآخر غير معروش، ومنها ما يسبح في الأرض ومنها
 ما يصعد في السماء، ومنها ما هو حلو، ومنها ما هو
 حامض، ومنها ما بين ذلك، يُسقى بماء واحد، وفي
 أرض واحدة ومع ذاترى هذا التباين والاختلاف،
 وجعل هذه الزروع والشجار بهجة للناظرين، وأنسًا
 للمشاهدين.

- **وتبصر في خلق بني آدم** وما فيه من عبر وآيات، وانظر
 لاختلاف ألوان الناس وصورهم وألوانهم ولغاتهم
 ولهجاتهم، فقد جعل الله ذلك من جملة آياته الدالة
 على وحدانيته، وعظيم قدرته، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:
 ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْلَافُ السِّنِّكُمْ
 وَالْوَنُكْمِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٢٢﴾ [الروم: ٢٢] وتأمل
 أصل خلقتهم، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ
 خَلَقَكُمْ مِّنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْشُرُونَ ﴿٢٠﴾ [الروم: ٢٠]

وبنو آدم من أعقد الخلق سواء في خلقهم أو خلقهم، وما في داخلهم من عجائب صنع الله وقدرته، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:

﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢١]

وانظر كيف باين سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في خلق ذوات الأرواح، فهذا قائم على رجلين بأحسن هيئة - وهو الإنسان - وآخر يمشي على أربع، وذاك يزحف، وآخر يسبح، وخامس يطير، وخلقهم بهيئات مختلفة في الحجم واللون والشكل، قال الله - عن بديع صنعته -:

﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ۗ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [لقمان: ١١]

تنوّعت مخلوقات الله في تعدادها وهيئاتها وصورها وحيكمتها ويجمعها أمر واحد وهو: **(عظمة الله، وكمال قدرته، وسعة علمه، وإتقان صنعته).**

- **ومن دلائل عظمة الله في خلقه: أن خلقه لا يتوقف ولا ينقطع فكل يوم، بل هو في كل لحظة يخلق ما يشاء،**

بأي كيفية شاء، في أي وقت شاء، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:

﴿يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ [النور: ٤٥]

وهناك من العوالم ما لا يعلمه إلا الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى قال سبحانه:

﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٨] ومن تدبّر هذا الأمر أذعن

لقدرته التامة، فيستحيل أن يُحيط أحدٌ بعدد خلق الله بل هو متعذّر وممتنع، وتزيد عظمة الله في خلقه حين يستحضر

المتأمل كثرة الخلق وتنوعه ومع ذلك هو يسير عليه بل خلق هذه النفوس بهذه الكثرة كخلق نفس واحدة بغاية الإتقان،

قال تعالى: ﴿مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَفِّسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ

بَصِيرٌ﴾ [لقمان: ٢٨] **فما أعظمك يا الله.**

- ولا تتوقف عظمة الله عند خلقه للخلق بل يخلقهم،

ويعلم أسرار خلقهم، وتدبير أمورهم، ويتكفل

برزقهم، ويتولى محاسبتهم، فسبحانه ما قدره العباد

حق قدره، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ

طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ﴾ [المؤمنون: ١٧]

وجميع المخلوقات لم تُخلق لهواً ولا عبثاً، قال الله
 سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا ذَٰلِكَ ظُنُّ
 الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ﴿٢٧﴾ [ص: ٢٧]

بل أبان عن مقصد خلق أشرف المخلوقات - وهو
 الإنسان - بقوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾
 [الذاريات: ٥٦]

وأبان عن حكمته من خلق السموات والأرض بقوله:
 ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِنَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ
 عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾ [الطلاق: ١٢]
 فتأمل المقاصد من خلق الخلق لتوقن بعظمة ربك،
 واستحقاقه للعبادة.

- وكل ما سوى الله مخلوق ومحدث، وكل المخلوقات
 سبقها العدم، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عن أشرف مخلوقاته
 - وهو الإنسان - : ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ
 شَيْئًا مَّذْكُورًا ﴿١﴾ [الإنسان: ١]

﴿هَلْ هُنَا بِمَعْنَى: قَدْ. أَي: قَدْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ وَقْتًا لَمْ يَكُنْ مَوْجُودًا ثُمَّ خَلَقَ اللَّهُ أَبَا الْبَشَرِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَتَنَاسَلَتْ مِنْهُ هَذِهِ الذَّرِيَّةُ بِهَذِهِ الْأَعْدَادِ الْهَائِلَةِ. وَجَعَلَ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ مَا هُوَ أَكْبَرُ مِنَ الْإِنْسَانِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿لَخَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [غافر: ٥٧]

وَمَعَ كِبَرِهَا وَعَظَمَتِهَا فَقَدْ أَذْعَنْتْ لِرَبِّهَا وَخَضَعَتْ لِعَظَمَتِهِ، قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ أُنْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ [فصلت: ١١]

- وَخَلَقَ اللَّهُ عَظِيمٌ، يَعْجُزُ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ وَغَيْرُهُمْ أَنْ يَخْلُقُوا مِثْلَهُ أَوْ مَا هُوَ دُونَهُ بِكَثِيرٍ، وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا، قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٍ فَاَسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ﴾ [الحج: ٧٣] وَفِي هَذَا تَحَدُّ لِكُلِّ مَخْلُوقٍ مِنَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ وَغَيْرِهِمْ أَنْ يَخْلُقُوا

مثل خلقه، وهذا التحدي قائم وسيبقى شاهداً على قوة الله، وانفراده بالخلق، ودليلاً على ضعف البشر وقلة حيلتهم.

- **وخلق الله كامل مهما صغر في نظر الناظر، فقد خلقه عن علم بما يخلق، وكيف يخلقه، ومتى يخلقه، وما الحكمة من خلقه، ولمقاصد لا تدركه الأفهام.**

ومن أراد النصح لنفسه فليكثر من التفكير في مخلوقات الله، فإن التفكير فيها يزيد في إيمانه ويقوي يقينه.

- **ومن آمن أن الله هو الخالق وحده أيقن أنه لا يستحق العبادة إلا هو، فكيف يخلق ويُعبد غيره؟! وكيف يرزق ويُشكر سواه؟! قال سبحانه وتعالى: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأنعام: ١٠٢] فاللهم ارزقنا التفكير في خلقك وآياتك واجعلنا لك خاضعين عابدين.**



﴿ (٥٢ ، ٥٣) الباري، المصور ﴾

ومن أسماء الله: **الباري، المصور**.

وورد اسم **(الباري)** مرة واحدة في كتاب الله، وكذلك اسم **(المصور)**

قال ابن جرير رَحِمَهُ اللهُ فِي معنى هذا الاسم: **(الباري: الذي بَرَأَ الخَلْقَ فَأَوْجَدَهُمْ بِقُدْرَتِهِ)**^(١).

وقيل: **(الباري: المبدع المحدث)**^(٢).

(واسم الباري له ارتباط باسم الخالق؛ لأن الخلق والبرء صفتان متصلتان والفارق بينهما يسير ودقيق، فإذا كان الخلق هو التصميم والتقدير، فإن البرء هو التنفيذ والإخراج.

وإذا قلنا: **إِنَّ اللهَ عَزَّجَلَّ خَلَقَ الإنسانَ، فمعنى ذلك أَنَّهُ استحدثه وأوجده من العدم المطلق، وإذا قلنا: بَرَأَ اللهُ**

(١) [تفسير سورة الحشر للطبري]

(٢) [شأن الدعاء للخطابي: ٥١]

الإنسان، فمعنى ذلك أنه استحدثه وأوجده من العدم المطلق في خِلْقَةٍ تناسب المهمة والغاية التي خُلِقَ من أجلها^(١).
قال الزجاج: (البراء: خلقٌ على صفة..)^(٢).

و(البارئ) هو الذي فصل بعض الخلق عن بعض؛ أي: ميّز بعضه عن بعض، فالبراءُ أصله من البرء الذي هو القطع والفصل.

وقيل في معنى البارئ: قَالِبُ الأعيان، أي أنه أبداع الماء والتراب والنار والهواء لا من شيء، ثم خلق منها الاجسام المختلفة، فخلق الإنسان من بين الصلب والترائب من الماء الدافق، فكانت هذه النطفة من الماء المهين، ثم جمعها في الرحم في قرار مكين، ثم صرّف تلك النطفة طورًا بعد طورٍ، وطبقًا بعد طبق، حتى كَمُلَ في ظلمات الخلق، وهكذا خلقه في بقية المخلوقات من ذوات الأرحام يخلقها في مراحل

(١) [انظر تفسير سورة الحشر لابن كثير]

(٢) [تفسير الأسماء: ٢٧].

يتبع بعضها بعضاً حتى تكتمل، كل ذلك بعلمٍ وحكمةٍ وإتقان.

وقيل في معنى الباري: الذي خلق الخلق بريئاً من التفاوت؛ أي: خلقاً مستويّاً لا نقص فيه ولا عيب ولا خلل.

وقيل في معنى الباري: الموجد لما كان في معلومه من أصناف الخلائق، وهذا هو الذي يُشيرُ إليه قوله تعالى:
 ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾ [الحديد: ٢٢] وليس معناه أنه أبدعه بغته من غير علم سبق له، وإنما أبدعه وأظهره^(١).

قال بعض العلماء: إن اسم الباري يُدعى به للسلامة من الآفات، وأنّ من أكثر من ذكره نال السلامة من المكروه.
 ولما أرادت الجنُّ أذية رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَحَدَّرَتْ عَلَيْهِ مِنَ الْجِبَالِ، وَفِيهِمْ شَيْطَانٌ مَعَهُ شُعْلَةٌ مِنْ نَارٍ يُرِيدُ أَنْ

(١) [انظر فتح الباري: ١٣ / ٣٩١]

يُحْرِقُ بِهَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَرَعِبَ وَجَاءَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَ: «يَا مُحَمَّدُ قُلْ، قَالَ: مَا أَقُولُ؟ قَالَ: قُلْ أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ الَّتِي لَا يُجَاوِزُهُنَّ بَرٌّ وَلَا فَاجِرٌ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، وَذَرَأًا وَبَرًّا، وَمِنْ شَرِّ مَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ، وَمِنْ شَرِّ مَا يَعْرُجُ فِيهَا، وَمِنْ شَرِّ مَا ذَرَأَ فِي الْأَرْضِ، وَمِنْ شَرِّ مَا يَخْرُجُ مِنْهَا، وَمِنْ شَرِّ فِتْنِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَمِنْ شَرِّ كُلِّ طَارِقٍ إِلَّا طَارِقًا يَطْرُقُ بِخَيْرٍ يَا رَحْمَنُ، فَطَفِئَتْ نَارُ الشَّيَاطِينِ، وَهَزَمَهُمُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى» (١).

وهو **المصوّر**: الذي صوّر الموجودات في صنع عجيب متقن، وترتيب كامل، وهيئة تتميز بها عن غيرها، فأعطى كل شيء منها صورة خاصة به.

تأمل في تصويره لبني آدم فقط؛ يعيش فوق الأرض حالياً قرابة ثمانية مليار نسمة (ثمانية آلاف مليون شخص) هل تصوّرت العدد؟!

(١) أخرجه أحمد، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب.

كل واحد منهم صورته تُغايِر صورة غيره في قدرة عجيبة على التصوير والتباين، فسبحان من غاير وباين بين بني الإنسان وهم أبناء رجل وأمّ واحدة، فالخلق كلهم لأدم وآدم من تراب؛ هذا في بني الإنسان فكيف بغيره من المخلوقات؟! فسبحان الخالق المصور.

وخلَق الإنسان في أحسن صورة، كما قال تعالى:

﴿وَصَوَّرَكُم مَّا أَحْسَنَ صُورَكُمْ﴾ [غافر: ٦٤]

وقد دعانا الله للتأمل في خلقنا وتصويرنا، فقال مُبَحِّثُهُ وَتَعَالَى:

﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢١]

فمن التأمّلات في تصويرك: أن تتذكر نعمة الله عليك بهذه الصورة وأنت ترى غيرك قد تشوّهت صورته، وأنت في عافية وسلامة، وبعض الناس يرى أنّ صورته ليست حسنة ولكنّه لو نظر لمن هو دونه ممّن تشوّهت صورته تشوّهاً ظاهراً حمد الله على ما منّ عليه من صورة.

ومن التأمّلات في تصوّيرك: أن تعترف بالضعف أمام إرادة الله الذي اختار لك صورتك التي لا تستطيع تغييرها، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّنَكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ

رَبِّكَ ﴿٨﴾﴾ [الانفطار: ٨،٧]

ومن التأمّلات في تصوّيرك: أن ترى التغيّر الذي يعترى صورتك وأنت لا تملك منعاً له، فبينما الصورة حسنة تفتن من رآها، والكمال فيها ظاهر إذ التغيّر يعترىها، وتجاعيد الزمان قد بدّلتها.

ومن التأمّلات في تصوّير بني آدم: أنك تجد الأخوين -وهم أبناء رجل واحد وأم واحدة- ومع ذا ترى التباين والاختلاف بينهم ظاهراً وكأنّه لا يجمعهم دم أو نسب، وبالمقابل تجد بعض الإخوة صورتهم واحدة أو متقاربة إلى حد كبير، فسبحان من فرّق وجمع، وسبحان من ساوى وفاوت.

ولئن أوتي المرء صورة حسنة - رجلاً كان أو امرأة -
 فليعلم أنها نعمة وبلاء، وفتنة ينبغي له شكرها، وأن لا يغتر
 بها أو يعصي الله بها، فكم كان حُسن الصورة وبالاً على
 صاحبه أوردته المهالك وأعقبته العطب، وهل كانت فتنة
 يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ إلا بصورته الحسنة؟!!

وإبداع تصوير الله ليس في الإنسان فقط، بل هو في
 المخلوقات كلها، فانظر كيف فاوت الله بين صورها
 وأشكالها في الخلق كله لترى تباين عجيب، وتصوير متقن
 يدل على عظمته وجلالة صنعه.

وتأمل في تصويره فيما بث في الكون من مخلوقات
 من أرض وسماء وجبال وأشجار وبحار وأنهار وصخور
 وهضاب، صنع عظيم وتصوير بديع.

وهذه الأسماء الثلاثة (الخالق، الباري، المصوّر) ليست
 مترادفة بل كل اسم قد تميّز عن غيره، فالعطف في اللغة
 يقتضي التغاير.

ولقد جمع الله بين هذه الأسماء الثلاثة في آية واحدة،

فقال: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ﴾ [الحشر: ٢٤]

(قال بعض العلماء:

الخلق: هو الإيجاد والتقدير.

والبرء: هو إظهار الخلق، وإبرازه وفق ما أراد.

والتصوير: هو إعطاء كل شيء صورته كيف شاء)^(١).

فسبحان من خلق وبرء وصور كيف شاء بقدره عظيمة،

وإتقان محكم، ولمقصد جليل.

فاللهم ارزقنا التأمل والتدبر في خلقك وصنعك

وإحكامك، اللهم اجعلنا لك خاشعين خاضعين مخبتين.



(١) [انظر أضواء البيان: ٨ / ١٢٤].

﴿ (٥٤) الوارث ﴾

ومن أسماء الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: **الوارث**.

وورد ذكر هذا الاسم في القرآن الكريم ثلاث مرات كلها بصيغة الجمع، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنَمِيتُ وَنَحْنُ

الْوَارِثُونَ ﴿٢٣﴾ [الحجر: ٢٣]

فالله هو: **(الوارث)** الباقي بعد فناء خلقه، الدائم الذي لا يزول؛ يفنى الخلاق ويبقى الحي الذي لا يموت.

تنتقل الأملاك من خلقٍ إلى خلقٍ، يُورثها الله من شاء من عباده، وتتعاقب الأجيال جيلاً بعد جيل، وكأن الأول لم يعيش ولا لحظة واحدة حتى يرثها الوارث الباقي سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

كم سكن الأرض من خلقٍ، وعمروا دوراً، كانت قراهم عامرة بالصخب والأسواق والرائحين والغادين، وإذ بها غدت خراباً لا تسمع لأهلها صوتاً ولا همساً.

وأباد أمماً لا حصر لها كانت تعيش في دعة وسعة من العيش، فأصبحت منازلهم بوراً، وجمعهم غروراً، وعادت تلك المنازل خاوية لا يسكنها إلا المارة يوماً أو بعض يوم؛ ولم يبق إلا الذي له ميراث السموات والارض، وإليه مآب ومرجع كل شيء، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾

[الحديد: ١٠]

فلا تتعلق القلوب بالدنيا فمصيرها إلى زوال، وعاقبة أهلها الرحيل، فلينتقل المرء منها بخير حال، وليجعل زاده العمل الصالح ليوم التناد، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرِيْبَةٍ بَطَرَتْ مَعِيْشَتَهَا فَنِلَّكَ مَسْكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيْلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِيْنَ﴾ [القصص: ٥٨]

عاش خلق كثير على هذه الأرض لا يحصيهم إلا الله ثم ماتوا - كما هي سنة الله في خلقه - وصار الملك لله وحده أولاً وآخراً، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِيْهِ وَنَمِيْتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُوْنَ﴾ [الحجر: ٢٣] وقال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ

وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾ [مريم: ٤٠]

فتفى الدنيا ومن عليها، ويبقى الوارث الديان، فقد
قضى ألا يبقى إلا وجهه، قال الله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٤٦﴾﴾

وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ [الرحمن: ٢٦، ٢٧]

وقال سبحانه وتعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ

﴿٨٨﴾ [القصص: ٨٨]

– **أعظم ما يُعظم الخلق: الملك، والأرض، والأموال؛**

وكلها يرثها الله تعالى، فالأموال في أيدي الناس على
سبيل الوديعة والاستخلاف، قال الله سبحانه وتعالى:

﴿وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْفِينَ فِيهِ﴾ [الحديد: ٧]

– ووصف سبحانه وتعالى حال أرباب الأموال، وكيف

سيأتون ربهم فرادى قد تركوا الأموال وحاشيتهم:

﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرْدَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ

ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءَ لَقَدْ

تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾ [الأعراف: ٩٤]

- كفر بعض الطغاة، وأنكر المرجع والمآب لله، فأخبر الله بمقالته الشنيعة، وبيّن مآله، ووصف حال رجوعه إليه، وكيف سيأتي ربه فرداً ذليلاً، ذلك أنّ الله هو **(الوارث)** وأنّ إليه الرجعى والمآب، فقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:

﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّكَ مَا لَمْ يَكُنْ لَكَ وَلَا لَوْلَا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمْ آتَاهُ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾ وَنَرْتُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِنَا فَردًا ﴿٨٠﴾﴾ [سورة

مريم: ٧٧-٨٠]

- ويظنّ بعض الكافرين والمفتونين بهم وقد آلت الغلبة لحزب الشيطان في بعض الأزمنة، وصارت السلطة ونفاذ الأمر لهم، فيظنون لفرط جهلهم أنّ هذا ملك ثابت لهم، وأنّها غلبة مُطرّدة، وكأنّهم لم يقرؤوا التاريخ، ولم يروا ما صنع الله في الأمم الكافرة الطاغية، وكيف جعلها خاسرة، ونالهم خزي الدنيا مع الوعيد بعذاب الآخرة؛ ذلك أنّ مرجع الأمور إلى الله، ومآبها إليه، وأنّ ظهور هؤلاء إنّما هو ظهور

مؤقت، وفي حال ضعف من المؤمنين، فالحقيقة كما قال الله: ﴿إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ [الأعراف: ١٢٨] وهم العباد الصالحون، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥] فالصالحون من عباده هم من يرث الأرض - حتى وإن طال الزمان بهم، وإن تأخر النصر عليهم - إلا أن العاقبة لهم، وميراث الأرض من نصيبهم، ذلك أن الأرض لله يُورثها من شاء من عباده، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَأُورَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ مَشْرِقَ الْأَرْضِ وَمغربَهَا أَلَيْسَ بَرَكْنَا فِيهَا﴾ [الأعراف: ١٣٧]

- وأورث الله نبيه والمؤمنين أرض اليهود في المدينة والتي كان المسلمون لا يستطيعون أن يطؤها ولكن الله أورثهم إياها لأنه هو: **(الوارث)** والنافذ أمره وقضاؤه في عباده، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَأُورَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِينَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَّعُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢٧]

- وأورث سبحانه وتعالى المؤمنين أراضٍ لم يخطر ببالهم يوماً من الأيام أن يطوها فضلاً أن تكون للمسلمين، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾

[النور: ٥٥]

فانظر لرقعة الإسلام اليوم وكيف بلغت المشارق والمغرب بعد أن كانت يوماً من الأيام لا تتجاوز دار الأرقم ابن أبي الأرقم.

وأشرف ميراث يرثه العبد: **ميراث النبوة**، ولذا سألته يعقوب عليه السلام لبيته، فقال تعالى - حاكياً دعاءه-: ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ ۖ وَاجْعَلْهُ رَبِّي رَضِيًّا ۖ﴾ [مريم: ٦]

وأورث الله هذه الأمة الميراث الباقي: وهو القرآن العظيم، فكان فضلاً من الرحمن عليهم، ورحمةً سابعة

من عنده لديهم، وورثوا به علم الأولين والآخرين، ونالوا بهذا الكتاب شرف الدنيا وعز الآخرة، وفتحوا به البلاد، ودانت لهم الدنيا بأسرها، وأعزهم الله به، وانفتح لهم من العلوم والمعارف ما صاروا به قادة الدنيا، فبحسب أتباع العبد لكتاب ربه عز وجل يكون شرفه وكرامته في الدارين، قال سبحانه وتعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ [فاطر: ٣٢]

وأعظم ميراثٍ أورثه نبي الأمة صلى الله عليه وسلم لأُمَّته: العلم النافع، يقول عليه الصلاة والسلام: «وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظٍّ وافرٍ»^(١).

فينبغي أن يكون تحصيل هذا الميراث هو همّ العبد الأعظم، ومقصده الأهمّ لأنه الباقي والنافع له لا متاع الدنيا

(١) رواه أبو داود.

الزائل، ولذا أبقي الله تعالى الشاء على من ورثوه، وصار لهم لسان صدق في الآخرين.

ومن الميراث المبارك الذي يورثه الله عبده: **الولد الصالح**؛ فمن نعم الله عليه أن يرزقه ولداً يؤنس له حياته، ويعينه على مشاقها، وتحمل متاعها، قال الله سبحانه وتعالى:

﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٩]

ومن مطالب المتقين أن يجعلهم الله أئمةً يقتدى بهم، ويكونون قادة في عمل الخير، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَجَعَلَهُمْ أئِمَّةً وَجَعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ [القصص: ٥] وهذا لا يتأتى إلا بالاجتهاد في تحصيل العلم، ونشره ونفع الناس بجميع أنواع النفع ليكونوا قدوة لغيرهم، وأئمة لمن جاء بعدهم.

- ومن أيقن بزوال الدنيا وانتهائها وفناء أهلها علق قلبه بالله والدار الآخرة، فهي الباقية التي لا تزول، ولا يفنى أهلها، وهي الدار الحقيقة التي تستحق العمل، وبذل الجهد للفوز بخيراتها، ولا سبيل إلى

ذلك إلا باستفراغ الجهد في العمل الصالح، والسعي في طلب مرضاة الله تعالى.

- ويحسن بالعبد أن يسأل ربه أن يورثه ما ينفعه اقتداءً برسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي كان كثير الدعاء بهذا، فعن ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: قلما كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقوم من مجلس حتى يدعو بهؤلاء الكلمات: (اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا يَحُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعَاصِيكَ، وَمِنْ طَاعَتِكَ مَا تُبَلِّغُنَا بِهِ جَنَّتِكَ، وَمَنْ الْيَقِينِ مَا تَهَوَّنُ بِهِ عَلَيْنَا مُصِيبَاتِ الدُّنْيَا، وَمَتَّعْنَا بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوَّتِنَا مَا أَحْيَيْتَنَا، وَاجْعَلْهُ الْوَارِثَ مِنَّا، وَاجْعَلْ ثَأْرَنَا عَلَى مَنْ ظَلَمَنَا، وَانصُرْنَا عَلَى مَنْ عَادَانَا، وَلَا تَجْعَلْ مُصِيبَتَنَا فِي دِينِنَا، وَلَا تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّنَا، وَلَا مَبْلَغَ عِلْمِنَا، وَلَا تُسَلِّطْ عَلَيْنَا مَنْ لَا يَرْحَمُنَا) (١).

(١) رواه الترمذي.

وأعظم ميراث يرثه العبدُ ويفوز به: **ميراث الجنة التي يرثها المؤمنون**، فيسعدون بها سعادة لا شقاء معها، ويحيون بها أكمل حياة، قال تعالى: ﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا﴾ [٦٣: مريم: ٦٣] وقال: ﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الزخرف: ٧٢]

وبيّنت الآيات دعاء خليل الرحمن إبراهيم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في طلب هذا الميراث لنقتدي به، قال تعالى: ﴿وَجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ﴾ [الشعراء: ٨٥]

فاللهم نسألك ميراث كل خير في ديانا من العلم النافع والعمل الصالح والذرية الطيبة والذكر الحسن، ونسألك يا ربنا ميراث الجنة ونعيمها الذي لا يحول ولا يزول في مقعد صدق بجوارك يا أرحم الراحمين.



﴿ (٥٥) المجيد ﴾

ومن أسماء الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: المجيد.

وقد ورد هذا الاسم في القرآن الكريم مرتين.

والمجد في اللغة: (الكثرة والسعة والشرف) ^(١).

قال الراغب: (المجد: السعة في الكرم والجلال) ^(٢).

والله هو: ((المجيدُ): الشريفُ ذاته، الجميلُ أفعاله،

الجزيلُ عطاؤه ونواله) ^(٣).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: (وصف نفسه بالمجيد، وهو

المتضمن لكثرة صفات كماله وسعتها، وعدم إحصاء

الخلق لها، وسعة أفعاله، وكثرة خيره ودوامه) ^(٤).

(١) [تفسير الأسماء: ٥٣]

(٢) [المفردات: ٤٦٣]

(٣) [مختصر النهج الأسنى: ٢٥٩]

(٤) [التبيان في أقسام القرآن: ٩٤]

فصفاته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لا تدخل تحت الحصر، ولا تُحدّد بعدد، فهو كثير المجد، كثير الخير، دائم الفضل والإنعام، واسع الإحسان؛ له من الصفات أكملها وأوسعها، ومن الأسماء أحسنها وأجملها، ومن الأفعال أتمها وأحكمها، فصفاته لا تنتهي لها، وفضله لا حدّ له.

له المجد الأعلى، والشأن الأجلّ، فلا مجد على الحقيقة إلا مجده، ولا عظمة على الكمال إلا عظمته - ولكثرة مجده، وسعة خيره، ودوام فضله، وكمال أوصافه - لا يستطيع أحدٌ إحصاء الثناء عليه، بل هو كما أثنى على نفسه، وفوق ما يُثني عليه خلقه، كما قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عنه: «... لا أحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك»^(١).

أسماءه كلها مجد، فهي أشرف الأسماء وأكثرها معنى، قد بلغت من الحسن منتهاه، ومن الكمال أقصاه، ومن المعنى أوسع وأكمل، وهي ذات دلالة ثابتة لأسمى المعاني.

(١) رواه مسلم.

وصفاته صفات عظيمة، له أكمل الأوصاف منها وأتمها وأعلاها، فلا نقص فيها ولا عيب ولا خلل، بخلاف صفات المخلوقين ففيها من النقص ما لا يخفى ولا ينحصر.

فحياته حياة كمال لم يسبقها عدم ولا يلحقها فناء ولا زوال، ولا يعترها نقص ولا ضعف.

وعلمه قد بلغ الكمال في متناه، فهو علم لم يسبقه جهل ولا يلحقه نسيان.

وأفعاله أفعال مجد وحمد، وهي دائرة بين الفضل والإكرام، والعدل في قضائه وقدره ليس فيها ظلم أو شطط، بل مشتملة على الكمال والرحمة في شرعه وجزائه وثوابه وعقابه.

وأقواله أقوال مجد وصدق وعدل، قال سُبْحَانَہُ وَتَعَالَى:

﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدَّلَ لِكَلِمَتِهِ ۗ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾

قد امتلأت قلوبُ عباده العارفين به من تعظيمه وإجلاله،
وانشغلت ألسنتهم بتسبيحه وتحميده وتكبيره، وأكثروا من
المديح له والثناء عليه، ذلك أن ربهم قد كمل فضله وعطاؤه
وإحسانه، والنفوس تُحِبُّ وتُجَلِّ من كمل في ذاته، وتم في
إحسانه، ولا أكمل من ربهم في هذه الخصال.

وهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يُحِبُّ المدح والثناء «فلا أحد أحبُّ إليه
المدح من الله، فلذلك مدح نفسه» كما صح بذلك الحديث
عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو في صحيح البخاري.
وجاء في الأدب المفرد: أن الأسود بن سريع، قال: كنتُ
شاعراً فأتيتُ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقلت: ألا أنشدك محامد
حمدتُ ربي بها؟ فقال: «إن ربك يحب الحمد»^(١).

فمن عرف الله حق المعرفة مجّده بما يليق بكماله
وجلاله، ولهج لسانه بكثرة ذكره وشكره والثناء عليه.

(١) حديث حسن.

وكثرة الشاء على الله لها أثرها على القلب، فبها يحصل الخشوع والخضوع والذلة والاستكانة، وهي التي تُعلي العبد عند ربه؛ وبكثرة تمجيد الله تزداد المحبة في القلب له، وهي أرفع المقامات التي ينتفع بها العبد في الدارين.

- ومن أعظم المواضع التي تخضع فيها النفس لله ويجتمع على القلب حضوره: **(الصلاة)** فيستحضر المصلي عظمة الله، ومجده وسعة صفاته، وكمال أوصافه وهو يُثني على ربه في ابتداء صلاته بدعاء الاستفتاح، ولذا اختار الإمام أحمد رَحْمَهُ اللهُ الاستفتاح بدعاء **«سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ وَتَبَارَكَ اسْمُكَ، وَتَعَالَى جَدُّكَ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ»** ^(١). لأن فيه التمجيد والثناء على الله.

ومن مواطن التمجيد في الصلاة: الركوع والسجود وما يكون فيهما من التسبيح لله، وكذلك الرفع بعد الركوع كما

(١) رواه أبوودود وأحمد [مسائل الإمام أحمد رواية أبي داود السجستاني: ٤٦]

جاء في حديث الرفع من الركوع: «أهل الثناء والمجد، أحق ما قال العبدُ وكلنا لك عبد..» ويختتمها بالصلاة على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في ختام الصلاة الإبراهيمية «إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ» فلا يخرج من صلاته إلا وقد سكن قلبه إجلال الله المستحق للثناء والتمجيد، فينجو من الشرك والرياء، وطلب المحمدة عند الناس، ويستقرّ في نفسه تعظيم الله وإجلاله؛ فيا لله كم لهذا الاسم من أثرٍ على قلب المسبِّح والداعي به.

والقرآن الكريم: كتابٌ مجيدٌ لشرف أوصافه وسعتها، فهو كلام الله؛ وتعظيمه يكون بالإيمان أنه كلام الله، وتعظيم من أنزله، واعتقاد مباينته لكلام البشر، وكثرة تلاوته، وإجلال أوامره، وحضور القلب عند التلاوة وسماعه، والتأدّب بأدابه، ونشره وتعريف الناس بمكانته ومنزله ونحوها، فمن عظم القرآن حق التعظيم ناله من الشرف والرفعة في الدارين بقدر تعظيمه لكتاب الله.

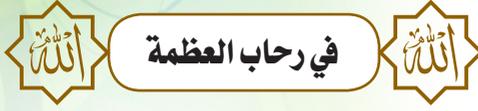
ومن سبل تعظيم الله وتمجيده: كثرة ذكره والثناء عليه
مستحضراً عظمته عند الذكر.

وسمى الله -أيضاً- **عرشه بالمجيد** لعلو مكانته
ومنزله، فالعرش أكبر المخلوقات، وأعظمها وأجلها؛
وإذا كانت السماوات السبع والأراضين السبع -على
سعتها وعظمتها- بالنسبة للكرسي كحلقة ملقاة في فلاة،
والكرسي بالنسبة للعرش كحلقة ملقاة في فلاة، فكيف هي
عظمة العرش!؟

وكيف هي عظمة خالقه سبحانه!؟

وكل مجدٍ يناله العبد إنما هو عطاءً وتفضلاً ومنّة من ربه
المجيد، فليعرف العبد فضل ربه عليه، وليُسند الإحسان له
في كلِّ شؤونه.

فاللهم ارزقنا معرفتك حق المعرفة، وتمجيدك حق
التمجيد.



اللهم اجعل في قلوبنا محبتك وتعظيمك، وفي ألسنتنا
ذكرك يا حميد يا مجيد.



﴿ (٥٦) النور ﴾

من أسماء الله: **(النور)** على ما اختاره جمعٌ من أهل العلم، منهم ابن تيمية وابن القيم، ومن المعاصرين الشيخ ابن عثيمين رحمهم الله جميعاً.

قال ابن تيمية: (والنصوصُ التي سُمي اللهُ فيها نفسه **(نوراً)** جاءت بثلاثة:

الأول: اتصافه بصفة النور في قوله تعالى: ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ [الزمر: ٦٩].

الثاني: كونه تعالى نوراً، قال تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [النور: ٣٥].

الثالث: حجابُه النور كما صحَّ به الحديث «حجابُه النور...»^(١).

وقال رحمه الله: (وقد أخبر الله في كتابه أن الأرض تشرق

(١) [مجموع الفتاوى: ٢/ ٣٨٦]

بنور ربها، فإذا كانت تشرق من نوره، كيف لا يكون هو نوراً؟! (١).

قال الإمام ابن سعدي رَحِمَهُ اللهُ: (النور من أوصافه على

نوعين:

نورٌ حسي: وهو ما اتصف به من النور العظيم، الذي لو كشف حجابَه لأحرقَتْ سُبُحاتُ وجهه ما انتهى إليه بصرُه من خلقه... وهو الذي استنارت به العوالم كلها، فبنور وجهه أشرقت الظلمات، واستنار العرش، وجميع الأكوان.

النوع الثاني: النور المعنوي، وهو النور الذي نور قلوب أنبياءه وأصفياه من أنوار معرفته، وأنوار محبته، فإنّ لمعرفة في قلوب أوليائه أنواراً بحسب ما عرفوه من نعوت جلاله، وما اعتقدوه من صفات جماله) (٢).

(١) [مجموع الفتاوى ٢/ ٣٩٢]

(٢) [الحق الواضح المبين: ٢٤٠]

وكان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُثْنِي عَلَى رَبِّهِ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ، فيقول: «اللهم لك الحمد، أنت نور السموات والأرض ومن فيهن - الحديث-»^(١).

وفي حديث جابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: «بينما أهل الجنة في نعيمهم إذ سَطَعَ لَهُمْ نُورٌ..»^(٢).

فالنورُ يُطْلَقُ عَلَى اللَّهِ اسْمًا، وَيُطْلَقُ عَلَيْهِ وَصْفًا، وَهُوَ نَوْعَانِ: أَحَدُهُمَا: **صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِ الرَّبِّ** سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَهَذَا كَسَائِرِ صِفَاتِهِ لَا يُدْرِكُ كُنْهَهُ أَحَدٌ، وَلَا مِثِيلَ لَهَا، فَتَوْمُنٌ بِهِ عَلَى ظَاهِرِهِ كإِيمَانِنَا بِسَائِرِ صِفَاتِهِ، فَلَا نَكَيْفَهُ وَلَا نَمَثِّلُهُ وَلَا نَعْطِّلُهُ أَوْ نَنْفِيهِ أَوْ نَشْبِهُهُ بِالْأَنْوَارِ الْمَخْلُوقَةِ -تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً-.

والثاني: خلقٌ من خلقه، فكما أنَّ الرحمة نوعان الأول: صفة من صفاته، والثانية: خلق من خلقه، فكذلك النور.

(١) الحديث في الصحيحين.

(٢) ذكره الذهبي في العلو.

ومن النور المخلوق: (الحجاب الذي احتجب به عن خلقه) فعن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قام فينا رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بخمسِ كلماتٍ قال: «إِنَّ اللهَ لَا يَنَامُ، وَلَا يَنبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ، وَلَكِنْ يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ، يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ، وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ، حِجَابُهُ النَّورُ، لَوْ كَشَفَهَا لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ»^(١).

ولمَّا سئل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هل رأيت ربك؟ قال: «نور أنى أراه»^(٢).

فلو كشف ذلك الحجاب - وهو: النور المخلوق؛ غير نور الذات الإلهية لأحرقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ وَمَحَاسِنُهُ وَجَمَالُهُ وَجَلَالُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ حَتَّى الْمَلَائِكَةُ الْمَخْلُوقَةُ مِنْ نُورٍ سَتَحْتَرِقُ لِأَنَّهُ يَرَى كُلَّ

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه مسلم.

شيء؛ ولولا أنّ الله يمكّن المؤمنين في الجنة من النظر إليه، ويجعل في عيونهم القوة والقدرة على رؤيته ما استطاعوا النظر إليه على الإطلاق لكنه يُنعم عليهم بأن ينظروا إليه وهم على الأسرة في جنات النعيم على الأرائك ينظرون.

ولمّا كان من أسمائه: **(النور)** كان شرّعه نوراً، ورسوله نوراً، وكلامه نوراً، ودارُ كرامته لأوليائه نوراً يتلألاً، والنور يتوقّد في قلوب عباده المؤمنين، قال الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿اللَّهُ نُورٌ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾** [النور: ٣٥] وهو نوره في قلب عبده المؤمن؛ وهو نور الفطرة ونور الإيمان والهداية والاستقامة.

وإنّ من ألمع الأنوار توهجاً: قناديل العلم؛ فالعلم نور، والجهل موت وظلمة، قال الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿أَوْمَنَ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾** [سورة الأنعام: ١٢٢]

فهذا النور هو: نور الإيمان والعلم الذي يحيي الله به القلوب، وكلما زاد العبد إيماناً وتقوى زاد نوره ورأى جميع الأمور على حقائقها، فعرف الدين الحق فاتبعه، وفرّق بينه وبين الدين الباطل، وأبصر السبيل الواضح، والمنهج البين الأبلج، فسلكه وابتعد عن البدعة وصار من أهل السنة، وزاد نوراً في معرفة أوامر ربه، فعرف مواطن رضاه فأقبل عليها، وأبصر طرق سخطه فاجتنبها، فقد بان له السبيل، واتضح له الطرق، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَءَامِنُوا بِرَسُولِهِ ءِ يُوْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ ءِ وَيَجْعَلَ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾ [الحديد: ٢٨]

فيسير المؤمن في هذه الدنيا بهذه الأنوار، فإذا ما قضى الله عليه بالموت، ودخل قبره كان معه ذلك النور، فقد ورد في حديث نعيم المؤمن في قبره «ثُمَّ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا فِي سَبْعِينَ ثَمَّ يَنُورُ لَهُ فِيهِ»^(١).

(١) رواه الترمذي.

فيبقى في نعيم كامل وهو يرى آثار طاعته حتى إذا ما بقي في قبره ما شاء الله أن يبقى ثم قضى الله بخروج الأجساد ليوم الحساب والجزاء، وقُسمت الأنوار على الخلائق، وأُطِفَّتْ أنوار أهل الشرك والنفاق والضلال أتم الله له نوره، وأكمل له سعادته فبقي نوره معه الذي اقتبسه من الدنيا بطاعة ربه، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ تُشْرِكُمْ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ

[الحديد: ١٢]

وتشتدّ حاجة المؤمنين لهذا النور، فيسألونه ربهم فيتمّه عليهم قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا آتِنَا لَنَا نُورَنَا وَأَغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

[التحریم: ٨]

ويكون هذا النور مع المؤمنين في أشدّ المواقف وأعظمها حَرَجًا وهي ساعة المشي على الصراط، فوق الدار المظلمة الموحشة (جهنم) فتقسم الأنوار هناك، ففي حديث ابن

مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يُجْمَعُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ - إِلَى أَنْ قَالَ - : فَيُعْطُونَ نُورَهُمْ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ، فَمِنْهُمْ مَنْ يُعْطَى نُورَهُ مِثْلَ الْجَبَلِ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُعْطَى نُورَهُ فَوْقَ ذَلِكَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُعْطَى نُورَهُ مِثْلَ النُّخْلَةِ بِيَمِينِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُعْطَى دُونَ ذَلِكَ بِيَمِينِهِ، حَتَّى يَكُونَ آخِرُ مَنْ يُعْطَى نُورَهُ عَلَى إِبْهَامِ قَدَمِهِ، يُضِيءُ مَرَّةً وَيُطْفِئُ مَرَّةً، وَإِذَا أَضَاءَ قَدَمَ قَدَمَهُ، وَإِذَا طَفِئَ قَامَ، قَالَ فَيَمُرُّ وَيَمُرُّونَ عَلَى الصِّرَاطِ...» (١).

ولقد جعل الله لنيل هذا النور أسباباً من أجلها:

(التوحيد) فهو أساس مصدر النور للعبد في الدنيا

والآخرة، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ

عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ ۗ فَوَيْلٌ لِلنَّفْسِيَّةِ قُلُوبُهُمْ مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ ۗ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ

﴿الزمر: ٢٢﴾ وكما قوي التوحيد في القلب ازداد نوراً

وانشرح وأقبل على الطاعات.

(١) رواه الحاكم، وهو في صحيح الترغيب.

ومن أسباب نيل هذا النور: **الأعمال الصالحة**، فهي نور لصاحبها في الدنيا والآخرة، والعبء أفقر ما يكون لهذا النور الذي يُضيء له حياته ويستنير بها دربه، فكم فات من فاته هذا النور من خيرات، وكم خسر من مكرمات، وإذا أردت أن تعرف عظيم خسارة هذا النور، فانظر لحال من يكون معه النور يوم القيامة وكيف ينجو من مهالك الظلام هناك.

ومن أعظم هذه الأعمال الصالحة: **الصلاة - خصوصاً صلاة الفجر والعشاء، وصلاة الليل** - فهي نورٌ للقلب والوجه، وكل ما يتعلق بالصلاة نور، فالوضوء نور لأعضاء المتطهر، والمشي إلى المسجد في الظلم يقتبس منه المؤمن نوراً في الدنيا ويكون له نوراً يوم القيامة.

ومن مصادر النور: **كتاب الله** الذي يهدي به من اتبع رضوانه، ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه، ويهديهم إلى صراط مستقيم، قال الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم**

بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾ [النساء: ١٧٤]

وفي وصية رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأبي ذر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ
«وعليك بتلاوة القرآن وذكر الله فإنه نورٌ لك في الأرض،
وذخرك في السماء»^(١).

وقراءة سورة الكهف نوراً لصاحبها، والشيب في الإسلام
نوراً يوم القيامة، ورمي الجمار في الحج نور، ومن رمى في
سبيل الله بسهم كان له نوراً يوم القيامة، والمتحابون في الله
على منابر من نور يوم القيامة، وبكل لك وردت الأحاديث
الصحيحة عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وإذا دعا العبدُ ربه بأن يهبه نوراً يُنير له قلبه وسائر
جوارحه ويُحيط به من جميع الجهات رزقه ذلك الفضل،
وجعله في عظمه ولحمه ودمه وبشرته ومن رُزق هذا فقد
رُزق خيراً كثيراً.

وإذا سأل العبدُ ربه كل صباح خيراً يومه وفتحته ونصره

(١) رواه ابن حبان.

ونوره وبركته ناله من خيرات هذا اليوم ما لا يخطر له على بال، فالزم -يا عبد الله- مثل هذه الدعوات واقتبس النور من كتاب ربك تنال بركات يومك وسائر حياتك.

ودين الله نوره الذي لا ينقطع، ولئن حاول أعداؤه إطفاء ذلك النور فيبقى سعيهم خائبًا، وجمعهم خسارة عليهم ويُغلبون، فقد قضى الله ببقاء هذا النور إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

ومن معاني النور: الهادي.

قال ابن جرير الطبري: معنى ﴿نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [النور: ٣٥]: (أي: هادي من في السماوات والأرض، فهم بنوره إلى الحق يهتدون، وبهداه من حيرة الضلالة يعتصمون)^(١).

فاللهم ارزقنا هذا النور، ونور به بصائرنا وقلوبنا وطريقنا ودينانا وآخرتنا يا نور السماوات والأرض.

(١) [تفسير سور النور للطبري]

﴿ (٥٧ ، ٥٨) الشاكر، الشكور ﴾

وهما من أسماء الله، وقد ورد اسم **(الشاكر)** في القرآن الكريم مرتين، وورد اسم **(الشكور)** أربع مرات.

فالله شاكرٌ لعباده وشكورٌ لهم؛ رغب عباده في الطاعات - وإن صغرت في نظرهم - ليُشبههم عليها.

ويذنبُ العبدُ الزمنَ الطويلَ ثمَّ يفعل الطاعة اليسيرة فيشكرها اللهُ له، ويغفر له ذنوبه بسببها مع يسرها، ويدخله الجنةَ لأنه ربُّ شكور.

قال الخطابي في معنى **(الشكور)**: (هو الذي يشكر اليسير من الطاعة، فيُثيب عليها الكثير من الثواب، ويُعطي الجزيل من النعمة، ويرضى باليسير من الشكر)^(١).

ومظاهر شكره لعباده لا حصر لها:

(١) [شأن الدعاء: ٥٦]

فمن شُكِرَ لعباده: أن يُضاعف لهم الحسنه عشرة
أضعاف - وهذا أقلُّ تضعيف - إلى سبعمئة ضعف إلى
أضعاف كثيرة، ولا يُضاعف السيئة بل يعفو ويصفح
ويتجاوز.

ومن شكره لعبده: أن يُشبهه على نية العمل الصالح، فلو
همَّ العبدُ بالحسنة كتبها عنده حسنة كاملة لأنَّه كريم شكور.
ويشكرُ من شرع بعمل صالح ثم حال بينه وبين إتمامه
حائل، فيجازيه عليه وكأنَّه قام به على أكمل وجه لأنَّه جواد
شكور.

ومن شكره لعبده أن يجمع لعبده الصادق ثواب أعمال
تزامت في وقتها ولم يمنعه عنها إلا انشغاله بأحدهما كمن
تزام عليه برّ الوالدين وصلاة النافلة، أو طلب علم ورعاية
أهل ونحو ذلك، فيُكرمه بالثواب عليهما لعلمه بالمانع،
فسبحان ربنا الشكور الغفور.

ومن شُكْرِهِ لعبده توفيقه للطاعات، وشرح صدره لها،
وتيسيرها له، والتلذذ بها، فيوفقه لها ابتداءً ثم يشبه عليها
انتهاً، فضله سابقٌ ولاحق، فهو الموفق ابتداءً المثيب
انتهاً.

وكلما أخلص العبد في طلب الطاعة وحرص على عدم
فواتها، كلما زاده توفيقاً، فتراه من طاعة لأختها، ومن عمل
صالح لآخر قد امتلأت حياته بالقربات وتري البركة محيطة
به.

ومن شُكْرِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِعَبْدِهِ: أن يكتب له محبته، ومحبة
الملائكة الأُعلى له، ويجعل له القبول في الأرض، فتجده
محبوباً مقبولاً عندهم قد صار له ذكراً حسناً بينهم، وهذا
عطاء لا يملكه إلا الله، فقلوب العباد بيده، وكم سعى إنسانٌ
أن يكون له قبولاً ومكانةً في نفوس الخلق فلم يحصل له ما
أراد لأن هذا الأمر بيد الله وحده.

ومن شُكْرِهِ لِعِبَادِهِ: أن يرزقهم جنة عرضها السموات والأرض في مقام سرمدي أبدي بأعمال محدودة منهم - يشوبها ما يشوبها من التقصير والخلل - ولكنه جوادٌ شكور، وتأمل معي هذا الحديث العجيب المتعلق بهذا لترى عظيم فضل الله على أهل جنّته، يقول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «لَوْ أَنَّ رَجُلًا يُجَرُّ عَلَى وَجْهِهِ مِنْ يَوْمٍ وُلِدَ إِلَى يَوْمٍ يَمُوتُ هَرَمًا فِي مَرْضَاةِ اللَّهِ تَعَالَى لِحَقَرِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» (١).

فأعمال العبد - وإن بلغت آلاف السنين - لا تعدل شيئاً أمام نعيم الجنة العظيم ولو لحظة واحدة، فكيف وهي ثواب لأعمارٍ محدودةٍ جداً لا تتعدى سنوات معدودات، بل ربما أقل من ذلك بكثير ومع ذلك يُشبهه المقام الأبدي في خير دار.

ومن شُكْرِهِ وَوِاسِعِ فَضْلِهِ، تَفَضَّلَهُ عَلَى طَائِفَةٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ بِالْخُرُوجِ مِنْهَا، يَقُولُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ

(١) رواه الإمام أحمد.

مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَفِي قَلْبِهِ وَزَنْ شَعِيرَةً مِنْ خَيْرٍ، وَيَخْرُجُ
مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَفِي قَلْبِهِ وَزَنْ بَرَّةً مِنْ خَيْرٍ،
وَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَفِي قَلْبِهِ وَزَنْ ذَرَّةً مِنْ
خَيْرٍ» (١).

وهذا شكر عظيم منه سبحانه، بل من شكره وإحسانه أنه
يخلق للجنة خلقاً لم يعملوا خيراً قط، فعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَلَا يَزَالُ فِي الْجَنَّةِ فَضْلٌ
حَتَّى يُنْشِئَ اللَّهُ لَهَا خَلْقًا، فَيَسْكِنُهُمْ فَضْلَ الْجَنَّةِ» (٢).

فإذا عرف العبد شُكْرَ الله للطائعين، وكثرة ثوابه للعاملين
تطلعت نفسه لفعل المزيد منها رجاء زيادة الثواب من الله،
وهذا ما فقهه الصالحون من العباد فسعوا لكثرة القربات،
وأفنوا أعمارهم في مرضات ربهم لمعرفة حسن صنيعه
سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِعَبْدِهِ الْعَابِدِ، وشكره وثوابه للمحسن الناسك.

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) متفق عليه.

ومن شُكْرِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ثناؤه على عباده الصالحين وإبقاء ذكْرِهِمْ، فإذا قام العبدُ مقاماً يحبه ربُّه شكره وأحسن إليه كما شكر لمؤمن آل فرعون عمله وجهاده وصدعه بكلمة الحق، وأبقى له ذكراً حسناً في آيات تُتلى إلى يوم القيامة، وشكر لصديق الأمة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عمله وجهاده ونصرته لنبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم قام المقامات العالية في الدين من تصديق نبيه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وبذله حياته وماله في سبيل مرضاة الله، فأثنى عليه في آيات تُتلى إلى يوم القيامة، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ ۖ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [الزمر: ٣٣] قال بعضهم: الذي جاء بالصدق رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وصدق به: هو أبو بكر الصديق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (١).

وأبقى الله ذكر الصحابة رضوان الله عليهم والصالحين من بعدهم ممن أفنوا أعمارهم في طاعته، فجعل لهم ذكراً حسناً في العالمين، ومن قبلهم الأنبياء الكرام - عليهم

(١) [انظر تفسير سورة الزمر للطبري]

الصلاة والسلام - فبقيت سيرتهم وأعمالهم قرآناً يُتلى،
وأحاديث تروى ليوقن العبدُ أنّ أشرف العطايا: **الصلاح**
والاستقامة، فيحرص عليها حياته كلها، وليوقن أنّ أعظم
الشكر: **شكر الله**.

ومن شكره لعبده: أن يعوّضه عمّا ترك لأجله، ويُعطيه
أفضل منه (فمن ترك شيئاً لله عوّضه الله خيراً منه).

وانظر كيف عوّض الله نبيه يوسف عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لعفته
وصبره على السجن وسائر الفتن، فجعل له المُلْك والمكانة،
والرِّفعة في الدارين.

وشواهد العوض من الله لعباده لا تُحصى، يترك العبد
المعصية فيعوّضه الله إيماناً يجد حلاوته في قلبه، ويترك
المال الحرام فيرزقه الله رزقاً واسعاً في حياته، وغيرها من
أنواع العوض، وليس شرطاً دوماً أن يجد العبد العوض في
الدنيا بل يكفيه الأجر والثواب في الآخرة.

ومن كمال غناه: أنه غني عن شكر العباد ولا ينفعه شكرهم، بل هو شكور قبل شكرهم وعبادتهم.

وينبغي للعبد أن يُكثر من الطاعات التي جاءت النصوص بذكر شكر الله لأهلها - على الخصوص - لأنها في المقام الأعلى، والمكان الأسمى، ومن أعظمها:

شكر الله على الدوام، والإقامة على طاعته فقد جعل الشكر طريقاً للمزيد فحثهم على ذلك لِمَا لهذا الشكر من آثار على العباد، مع المداومة على الاستغفار عند التقصير، فالعبد لا يزال بخير مادام أنه قائم على طاعة ربه، مؤدياً فرضه لا يتخلف عن مواطن رضاه، ولا تشغله دنياه عن القيام بحقه.

ومنها: المتابعة بين الحج والعمرة، فمن تطوَّع خيراً بهما فإن الله لأصحابها شاكرٌ عليمٌ.

ومنها: تلاوة القرآن على الدوام، فالله يشكر صاحب

القرآن الملازم له ويرزقه الأنس به والاستغناء به عن الناس، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ لِيُوفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر: ٢٩-٣٠]

وفي الجملة فإن من تأمل في ثواب جميع الأعمال الصالحة وجد شكراً من الله لأهلها، يوقن معه بسعة رحمته وإحسانه للعباد، فانظر لثواب الوضوء وكيف يكون سبباً لتكفير الذنوب والخطايا مع يسره، وتأمل في فضل صلاة الفجر والعشاء وبقية الصلوات وصلاة النافلة، وكثرة ثواب الذكر اليسير، ومضاعفة أجر الصدقة بالقليل، وثواب التبسّم والكلمة الطيبة.. فكم فيها من حسنات مضاعفة كل ذلك مقابل أعمال يسيرة.

وكذلك صوم رمضان فإنه مكفّر للذنوب، وصوم يوم عاشوراء يُكفّر ذنوب عام، وصيام يوم عرفة يُكفّر ذنوب

عامين، ويعود الحاج المخلص من حجّه كيوم ولدته أمه...
كل ذلك فضلاً من الله ورحمة.

وأهل الجنة عندما يرون ثواب أعمالهم يوقنون بفضل
الله عليهم ورحمته بهم، حيث هداهم، ويسر لهم دخول
الجنة، وأثابهم داراً جمعت كل نعيم، قال الله سُبحانهُ وتعالى:
﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾

[فاطر: ٣٤]

فافرح أيها المؤمن الموحّد بهذا الفضل من ربك،
وتعرّف عليه بهذا الاسم الذي يُوجب محبته والثناء عليه.
فاللهم هب لنا شكراً لأعمالنا على تقصيرنا، وثناءً منك
ندرك به التوفيق، ورحمة من لدنك ننال بها أعلى الدرجات.



﴿ (٥٩) الحق ﴾

من أسماء الله **(الحق)** وقد ورد هذا الاسم في كتاب الله عشر مرات.

قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ

مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [الحج: ٦٢]

(فالله عَزَّجَلَّ حق في ذاته وصفاته، وهو واجب الوجود، كامل الصفات والنعوت، وجوده من لوازم ذاته، ولا وجود لشيء من الأشياء إلا به، فهو الذي لم يزل، ولا يزال، بالجلال، والجمال، والكمال موصوفاً، ولم يزل ولا يزال بالإحسان معروفاً) ^(١).

قال الخطابي: **(الحقُّ هو: المُتَحَقِّقُ كونه ووجوده، وكلُّ شيءٍ صحَّ وجوده وكونه فهو حق)** ^(٢).

(١) [الثمر المجتبي مختصر شرح أسماء الله الحسنی: ١٠٣]

(٢) [شأن الدعاء: ٧٦]

وهو: **(الحق: الذي لا يسع إنكاره، ويلزم ثبوته والاعتراف به)** (١).

فهو **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى حَقُّ**، وقوله حق، وفعله حق، ولقاؤه حق، والنبيون حق، والكتب التي أنزلها حق، ودينه حق، ووعدته بالجنة حق، ووعيده بالنار حق **(وكل شيء يُنسب إليه حق)**.

ولو تجرّد طالب الحق لدلّه هذا التجرّد على الله، ولساقه هذا للإيمان به، وأتباع شرعه، ولزال عنه كل شك، واضمحلت عنه كلّ شبهة.

فالدلائل على الله ووحدانيته وعظمته لا حصر لها، فهذه الآيات المخلوقة بإبداع دليل على أنّ خالقها إلهٌ حقٌ عليمٌ قديرٌ، فيستحيل أن يكون الكون قد وُجد صدفة، أو أن ينتظم هذا الانتظام بدون مُدبّر.

وفي يوم القيامة تظهر حقائق كلّ ما أخبر الله به أو أخبرت

(١) [مختصر النهج الأسمى: ٢٧٢]

به رسله، فينتفع من آمن بها بالغيب - وإن لم يرها في الدنيا -
 أما الشاكون في إيمانهم بها يوم القيامة لا ينفعهم لأنه قد فات
 وقت الإيمان، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ
 كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ ﴿٥٤﴾ [سبأ: ٥٤] قال
 الحسن البصري: (حيل بينهم وبين الإيمان) (١).

(والله هو (الحق) الذي بين كل شيء) وأوضحه وجلّاه،
 فلم يعد للخلق عليه حجة، فقد جعل في الحق شواهد ظاهرة
 تدلّ عليه، وجعل في النفوس معرفته.

وهو (الحق) في بقاءه وسرمديته، فالله لا يحول ولا يزول،
 وحياته أزلية أبدية، فهل يستقر الكون بدون رب قوي قادر
 مالك؟! هذا أمر مُحال.

وهو (الحق) في ربوبيته وتدبير أمور العباد، وتصريف
 شؤونهم بمقتضى حكمته وإرادته، قد تولى رزقهم، وكفاية
 شؤونهم.

(١) [تفسير سورة سبأ للطبري]

وهو (الإله الحق) المستحق للعبادة دون سواه، قام على ثبوت إلهيته أدلة لا حصر لها، منها: ما قام في النفوس من الاعتراف بربوبيته، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا نُنْقِونَ ﴿٣١﴾﴾ [يونس: ٣١]

فعبادة من هذا وصفه حق، وعبادة ما دونه -ممن لا يملك ضراً ولا نفعاً، ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً- باطلة واضحة البطلان.

وقد فطر الخلق على وحدانيته، فالمشرك قد خالف الفطرة، وتنكب الطريق، واستكبر عن كل دليل يدل على وحدانية الله، واستحقاقه للعبادة.

ومن دلائل استحقاق أفراد الله بالعبادة: انفراده بالكمال المطلق في الصفات والأسماء والأفعال، فمن تأمل في أسمائه، وعرف معانيه على الوجه الصحيح، وتأمل في

صفاته وما دلت عليه من معانٍ جليته، وتأمّل في أفعاله الدالة على كماله وعظمته دلّه ذلك كلّهُ على إله حق مستحق للعبادة دون سواه.

والنظر بإنصاف للآلهة التي تُعبد من دون الله، والتي جمعت كل نقص تدلّ على بطلانها، فكيف يكون الإله لا يسمع ولا يُبصر ولا يدفع عن عابده ضرراً أو يجلب له نفعاً كحال الأصنام، أو يكون الإله آدمي يأكل ويشرب، ويحتاج لما يحتاجه سائر البشر فهذا لا يصلح أن يكون إلهاً... وشواهد هذا الحق لا حصر لها.

وهو: الملك الحق الذي له الملك المطلق، ومن مقتضيات ملكه: أنه لم يخلق خلقه عبثاً بل خلقهم لغاية جليته، وحكمة عظيمة وهي: (العبادة) كما أبان عن ذلك في كتابه المجيد، وسيحاسبهم ويجازيهم على أعمالهم واستجاباتهم له، وسيختلف جزاؤهم لاختلاف أعمالهم، وهذا مقتضى عدله الحق، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ

أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَلَىٰ اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ [المؤمنون: ١١٥-١١٦]

وهو الحق: في كلماته الشرعية والقدرية، فأخباره كلها حق وصدق، وأحكامه كلها عدل وكمال، وهي دائرة بين العدل والفضل، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدَّلَ لِكَلِمَتِهِ ۗ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾﴾ [الأنعام: ١١٥]

خلق السماوات بالحق، ودليلاً على عظمة خالقها، وأنه مستحق للعبادة، وجعلها برهاناً على وجوب الحساب والجزاء، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ۗ تَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣﴾﴾ [النحل: ٣]

وهو الحق: في بيان السبيل والطريق لئلا يكون للعباد حجة عليه، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَعَلَىٰ اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَايِزٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩﴾﴾ [النحل: ٩]

وأنزل الكتب بالحق كاملة محكمة لا خلل فيه ولا عوج ليعلم العباد أنها حق، وجعلها حاكمة بين الناس

بالحق حتى لا يُظلم أحد، قال الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ [آل عمران: ٣] وقصّ فيها من أحوال الأمم السابقة بصورة واضحة بيّنة لا تناقض بينها ولا اختلاف ليعتبر العباد وليعلموا أنّها: **(القصص الحق)** فينتفعوا بها، ولتكون لهم نبراساً في الحياة، فالتاريخ يُعيد نفسه ومن لم يتعظ بغيره فماذا يتعظ؟!.

وأرسل الرسل **(بالحق ودين الحق)** وكان من دلائل صدقهم - وأنّهم رسل الله حقاً، وما جاؤا به هو الحق - أن جعل الغلبة لهم، والعاقبة لهم ليعتبر العباد بصدقهم، وتأييد الله لهم، فقامت الدلائل الواضحة على وحدانيته، قال الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٣] ودلائل صدقهم لا حصر لها.

وهدى النفوس لمصالحها وما ينفعها في أمور دنياها وأخرتها، وجعل فيها معرفة الحق والباطل، فتبين بهذا أنّ

كُلُّ مَا قَضَاهُ عَلَيْهِمْ لَا ظُلْمَ فِيهِ، بَلْ كَانَ ظَلَمَهُمْ لِأَنْفُسِهِمْ ظَاهِرًا، وَعِنَادَهُمْ بَيِّنًا، وَلِذَا كَانَ الْإِنْتِقَامُ مِنْهُمْ هُوَ عَيْنُ الْعَدْلِ وَالْحَقِّ.

وَوَعَدَ اللَّهُ عِبَادَهُ - **وَكَانَ وَعْدُهُ حَقًّا** - فَقَدْ أَقَامَ مِنَ الدَّلَائِلِ عَلَى صِدْقِ هَذَا الْوَعْدِ بِمَا تُدْعَنُ لَهُ النُّفُوسُ، وَتَتَعَطَّى بِهِ الْقُلُوبُ الْمَتَبَصِّرَةُ، وَتَسْتَدِلُّ بِهِ عَلَى صِدْقِ وَعْدِهِ بَعْدَ الْمَوْتِ.

وَيَصِدِّقُ الْمُؤْمِنِينَ بِنَعِيمِ الْجَنَّةِ، فَيُنَالُونَهُ وَيَتَنَعَّمُونَ بِهِ، وَيَصِدِّقُ وَعْدَهُ الْكَافِرِينَ فَيَذُوقُونَ عَذَابَ النَّارِ.

وَمَنْ عَرَفَ أَنَّ اللَّهَ حَقٌّ، وَشَرَعَهُ حَقٌّ، وَكَلَامَهُ حَقٌّ، وَرَسُولَهُ حَقٌّ، وَكِتَابَهُ حَقٌّ، وَوَعْدَهُ حَقٌّ، وَوَعِيدَهُ حَقٌّ، سَلَّمَ وَاسْتَسَلَّمَ لَهُ، وَأَيَّقَنَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَظْلِمُ أَحَدًا.

وَمَنْ عَرَفَ رَبَّهُ حَقًّا تَوَكَّلَ عَلَيْهِ صِدْقًا، فَهُوَ الَّذِي بِيَدِهِ أُمُورُ كُلِّ شَيْءٍ، وَهُوَ يَجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ، فَاللَّهُ هُوَ الْحَقُّ، وَيَنْصُرُ الْحَقَّ، وَيُؤَيِّدُ أَهْلَ الْحَقِّ، وَيُعِينُهُمْ وَيَسُدُّهُمْ وَيَنْصُرُهُمْ،

ويكفيهم أعداءهم فمن كان هذا شأنه توكلت القلوبُ عليه،
وتعلقت النفوسُ به، ولذا جاء الأمر بالتوكل عليه بقوله
سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾ [النمل: ٧٩]

والتوكل على الله هو هدي أنبيائه ورسله عليهم الصلاة
والسلام قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عنهم: ﴿وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ
وَقَدْ هَدَانَا سُبْحَانَ لِنَصْرِكَ عَلَى مَاءٍ أَذْيَمُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ
﴾ [إبراهيم: ١٢]

فإذا عرف العبدُ هذا، وأيقن بهذه الأمور شكر ربه أن
هداه لدين الحق، ورضي بكل أقضيته القدرية لأنها حق،
وسلم لأحكامه الشرعية وفعالها بصدر منشرح لأنها حق
وخير للعباد، ووثق بوعدته لأوليائه فهو حق وصدق لا مرية
فيه.

وعلى العبد أن يُدْعِنَ للحق إذا ظهر له، وظهرت علاماته،
وبانت آثاره، وتبين صوابه، فالتواضع له وقبوله هو سبيل

النجاة، فقد تكبر خلق عليه فأذلهم الله، وخسروا خساراً مبيناً، وصاروا للناس آية، وجعلهم الله أحاديث يعتبر بها المعبرون.

وكلما زاد إيمان العبد بوعد الله الحق حملة هذا التصديق على الاستجابة التامة لأمر ربه، والاستعداد للقائه، لأن لقاءه حق لا مرية فيه ولا شك، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ

مَوْلَاهُمْ الْحَقِّ آلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَسِيبِينَ ﴿٦٢﴾ [الأنعام: ٦٢]

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدُوَ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٤﴾ [يونس: ٤]

فمن أيقن بذلك استعد له الاستعداد الكامل، وأيقن أنه سيقف بين يدي ربه ومولاه، وكلما زاد يقينه بهذا، واستحضر قربه، أكثر من العمل الصالح، وابتعد عن العمل المشين فكانت النجاة بين يدي ربه.

أَمَّا الْمُكذِّبُونَ بِهَذَا فَسَيُنَالُونَ عَاقِبَةَ تَكذِيبِهِمْ، وَتُدْرِكُهُمْ
مِنَ الْحَسْرَاتِ مَا تَنْقَطِعُ لَهُ قُلُوبُهُمْ، قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿قَدْ
خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا لَوْ أَنَّا حَسَرْنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا
فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلْسَاءَ مَا يَرِزُونَ﴾ [الأنعام: ٣١]

فاللهم ارزقنا الايمان الحق بك، والاذعان لشرعك،
وارزقنا الاستعداد للقاءك، وأحسن وقوفنا بين يديك.



﴿ (٦٠) الوهّاب ﴾

ومن أسماء الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: **الوهّاب**.

وقد ورد هذا الاسم في كتاب الله ثلاث مرات، قال الله

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿أَمْرٌ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ ﴿٩﴾﴾ [ص: ٩]

وهو الكثيرُ المواهب، المصيبُ بها مواقعها، الذي يقسمها على ما تقتضيه حكمته.

وهو المتفضّلُ بالهبات - تفضلاً منه لا عن استحقاق عليه - يجودُّ بالعطاء من غير طلبٍ للثواب من أحد.

كثُرَ إحسانه على الخليقة، وعمّ فضله البريات، وأفاض عليهم بالنعم والخيرات، وشمل رزقه أهل الأرض والسموات.

انظر لكثرة هباته وتنوعها على عباده، فالعباد - وإن وهب بعضهم بعضاً عطايا - فهي في حال دون حال، وفي زمان دون زمان، ولا يملكون الهبات الشاملة المطلقة،

فلا يملكون شفاءً لسقيم، ولا ولدًا لعقيم، ولا هداية لضال؛
أما الله فهو من يملك جميع ذلك.

**وسِعَ الخلقَ جودُهُ، فدامت مواهبُهُ، واتصلت مِنْهُ
وعوائدُهُ.**

وإذا تأمل العبدُ واستحضر كثرة مواهب ربه أحبه لا
محالة، فما من نعمة عليه إلا وهي من الله، وهباته ونعمه
سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى نوعان:

هبة دينية: وهي الأشرف، والأسمى، والأبقى، والأنفع
للعبد، يختص بها طائفة من خلقه، وهي دليل لمحبة الله لمن
وهبه هذه النعمة، وهي التي ذكرها الله على نبيه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ
بقوله: ﴿وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ۝١١٣﴾ [النساء: ١١٣] فمع أنه
كان في ضيق من دنياه، وفي قتر من العيش فيها حتى أنه خرج
من الدنيا ودرعه مرهونة عند يهودي (ويمرّ الهلال، والهلال،
والهلال ثلاثة أهلة في شهرين ولا يُوقد في بيته نار) إلا أن فضل
النبوة لا يعدله فضل، وهبة الهداية لا تعدلها هبة.

فمن رُزق هداية واستقامة، وتوفيقاً للطاعات، أو رُزق
 علماً نافعاً، وقبولاً عند الخلق وغيرها من الهبات الدينية،
 فعليه أن يحمد ربه الوهاب، وأن يشكره عليها، وأن يسعى
 جاهداً في المحافظة عليها، ويشكره أن خصّه بها من بين
 العالمين، وأن لا يخذش استقامته خلل، أو يُؤثر على سيره
 إلى ربه فتنة، بل يهرب منها هرّوبه من الأسد، ويجعل بينه
 وبين ما يحول عن امتداد هذا الفضل من الله خندقاً من
 التقوى والورع حتى لا تُسلب منه.

ومن الهبات الشريفة: أن يهب الله عبده العلم النافع
 الذي ينفع به الخلق، ويدلهم به على ربهم، وانظر لآثار أهل
 العلم قديماً وحديثاً وكيف نفع الله بعلومهم، وأبقى لهم
 ذكراً حسناً في العالمين.

ومن الهبات الخاصة: أن يهب الله عبده حبّ السعي
 لخدمة عباده، والعمل على تفريج همومهم، وتنفيس
 كربهم، فتجد هذا الموفق يسعى سعيّاً حثيثاً لخدمة

الخلق، ويمضي وقته كله في نفعهم، ويبدل ساعات عمره لهم.

ومن الهبات العظيمة والرزق الوفير للعبد: **الزوجة الصالحة والولد الصالح البار**، فهي خير هبات الدنيا، وإذا أردت أن تعرف فضلها، فانظر لمن يعاني من زوجة ناشز أو ولد عاق، فإنه يصطلي بالعذاب بهما أو بأحدهما طيلة حياته ما داموا على هذه الحال، فلذا اجعل أكثر دعائك:

﴿رَبَّنَاهِبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا

[الفرقان: ٧٤]

فهم الذين تقرّ بهم العين في الدنيا، وتطيب بهم الحياة، ولا تياس من طلب الذرية الصالحة فقد وهبها الوهاب سبحانه وتعالى أنبياءه بعد كبر سنهم، ورقة عظمهم، واشتعال رؤوسهم شيباً، قال الله تعالى: -عن زكريا عليه السلام-:

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ

رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾ [مريم: ٤] فوهبه يحيى نبياً من الصالحين.

وأثنى إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ على ربه بهذه النعمة: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ
الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾
[إبراهيم: ٣٩]

ومن الهبات التي لا يستحضرها كثير من الخلق:

هبة العافية؛ بجميع صورها وأنواعها؛ فالعافية نعمة
جليلة، وهبة عظيمة.

وهذه العافية لا يُدرك حقيقتها إلا من اصطلح بضدها،
أو رأى بعض من فقدوها في أوطانهم أو أنفسهم أو أموالهم،
فرأى ما يعانونه من آلام، وما يذوقونه من ويلات، ولذا أرشد
النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كثيراً من الصحابة والأمة من بعدهم إلى
طلب العافية وسؤالها على الدوام.

ومن الهبات النفيسة: هبة الرحمة من الله، فتسكن
الطمأنينة قلبه، ويرى فضل ربه عليه في حياته كلها حتى وإن
كان الألم فيها أغلب، والشدة أكثر إلا أنك تراه يرى رحمة
الله في أنه عافاه ممّا هو أكبر منها، يوم يرى المصائب التي

نزلت بغيره، من فقد عزيز، وفوات عافية، وارتحال مال وعزٌّ كان فيه، فيعلم بعظيم رحمة الله به، وهباته الخاصّة
سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَا حَصْرَ لَهَا

واعلم أنّ هذه الهبات الربانية لا تأتي إلا بعد ابتلاءات وامتحانات كبيرة يمرّ بها العبد الصالح حتى ينالها، فهذا إبراهيم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يوهب الذرية الصالحة بعد ابتلاءات تنوء بحملها الجبال ولكنه صبر وجاهد في سبيل الله حتى توالى عليه الخيرات من ربه، ونال العطايا من مولاه، قال
الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَلَمَّا أَعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾﴾ [مريم: ٤٩-٥٠]

والنوع الثاني من الهبات: الهبات الدنيوية، وهي عامة
للخلق كلهم من الآدميين - مؤمنهم وكافرهم برهم وفاجرهم - وهي ليست دليلاً على المحبة، فكم يرفل الكافر بنعم الله التي وهبه إيّاها مع إقامته على كفره، وكذا

العاصي والفاجر، يهبهم الوهاب سبحانه وتعالى الأرزاق
والعطايا، وكثرة المال وسعة الجاه، ويمدهم بالصحة
والعافية، وهذه المواهب ليست دليلاً لكرامتهم على الله،
بل فيها دليل واضح على أن الدنيا وما فيها لا تساوي عند
الله جناح بعوضة، ولذلك يهبها الكافر والفاجر.

وهبات الله الدنيوية - أيضاً - لا حصر لها وذلك لسعة
كرمه وكثرة إحسانه.

وعلى العبد أن يُعلق قلبه بالله، ويسأل كل الخيرات منه
وحده، ويعظم رجاءه به، فخرائن كل شيء بيده، وكان
النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كثير الدعاء له بأن يهبه الخيرات التي لا
تنقطع - معلماً أمته هذا السبيل - يقول سلمة بن الأكوع
رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «ما سمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يستفتح دعاءً

إلا استفتح به: «سبحان ربي الأعلى العلي الوهاب»^(١).

(١) رواه أحمد.

ولتكن همّك عالية في المطالب، فتطلب من ربك
أشرفها وأدومها، من الإيمان الكامل، والعلم النفع، والخُلُق
الحسن، والرزق القانع ونحوها من المطالب العالية، واسأله
وأنت واثقاً من سعة جوده، وكثرة إحسانه وهباته.

وحقُّ على من وهبه الله أي نعمة أن يؤدي شكرها وأن
يحافظ عليها، وأن يُسند الفضل فيها لله وحده - حتى وإن
جرت على أيدي بعض الخلق - فإنّما هم أسباب فقط،
وساق الله هذه النعم على أيديهم.

وليسعَ في المحافظة عليها بكثرة شكر الله، واستدامة
الطاعة، والبعد عن المعصية، فما فُقدت النعم إلا بالكفران،
وكثرة المعاصي والآثام، فمما ورد من الدعوات: **(اللهم
إني اعوذ بك من زوال نعمتك ...)**^(١) فالنعم ثباتها بالطاعة،
وصدق الدعاء.

(١) رواه مسلم.

وإذا سُلِب العبد نعمة دنيوية، فليصبر وليحتسب فإنه لا يدري ما موطن الخيرة له، وأي النعم أفضل له، وهل بقاؤها له أنفع أم ذهابها عنه.

وعلى المؤمن أن يتخلق بهذه الصفة فيُعطي ويهب عباد الله، فالجزاء عند الله من جنس العمل، فمن أحسن للعباد أحسن الله إليه، ومن نفعهم فتح له أبواب الخيرات، ومن أفادهم بالعلم زاد علمه، ومن كان سبباً في رزقهم رزقه، ومن دفع عنهم الشرّ دفع الشر عنه.. وهكذا شأن هبات الله ونعمه تصل العبد، وتُصبُّ عليه صباً كلما أحسن ونفع عباده.

فاللهم هب لنا من الخيرات ما تقرّ به أعيننا، وهب لنا من العطايا ما تفرح به نفوسنا، وارزقنا جنتك ونعيمها المقيم.



﴿ (٦١) الشهيد ﴾

وقد ورد هذا الاسم في كتاب الله ثمان عشرة مرة، قال
الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ
بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ [الإسراء: ٩٦]

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: (من أسمائه: **الشهيد**) الذي لا
يغيب عنه شيء ولا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا
في السماء؛ بل هو مطلع على كل شيء، مشاهد له، عليم
بتفاصيله^(١).

قال الزجاجي: **(فالله عَزَّوَجَلَّ لما كانت الأشياء لا تخفى
عليه، كان شهيداً لها وشاهداً لها، أي: عالماً بها وبحقائقها،
عِلْمُ المشاهدة لها؛ لأنه لا تخفى عليه خافية)**^(٢).

وشهادة الله لأعمال عباده بكمال علم، وإحاطة شاملة.

(١) مدارج السالكين (٣/ ٤٣٣).

(٢) [النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنی]

يفعل العبد المعصية فينساها، ولا تخطر له ببال، ولكن
الله قد أحصى عليه كل صغير وكبير، وجليل وحقير، قال
الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ
اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المجادلة: ٦]

وشهادته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عامّة لا يغيب معها أيُّ شيء من
حال العباد، فهي شهادة بصير سميع خبير.

فيا أيّها العابدُ في محرابِ تعبده.

وأيّها الداعيةُ في ميادين الدعوة.

وأيّها المحسنُ المتصدق بماله.

وأيّها البارُّ بوالده والواصل لرحمه.

وأيّها العفيفُ المتعفف.

وأيّها الباكي ذلّةً وخضوعاً بين يديه.

وأيّها الصابرُ على كل بلاء، والصابر عن كل دعوة سوء

تدعوك إليها النفسُ الأمّارة بالسوء.

يا كل هؤلاء وغيرهم من أهل الطاعات، أيقنوا أنّ أعمالكم حاضرة بين يدي ربكم (الشهيد) فلا تخافوا ضياع حسنة، ولا تخشوا ذهاب قربة، وليكن أنيسكم فيها، قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ

[يونس: ٦١]

ويا أيها العاصي المستخفُّ بنظر الله إليك.

ويا أيها المستتر وقد انتهكت حرمة مولاك.

ويا أيها المبارز لربك بالكبائر.

ويا أيها المتجري على الحرمات ... أيقن أنّ الله مطّلع

عليك، ولا يخفى عليه شيءاً من شأنك، قال البصير الشهيد

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ

[الزخرف: ٨٠]

- وشهادته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى الْكُونِ وَمَنْ فِيهِ تَدُلُّ عَلَى عِزِّهِ وَجَلَالَةِ صِفَاتِهِ، فَاَنْظُرْ لِهَذَا الْكُونِ وَسِعَتِهِ وَكَثْرَةَ مَنْ فِيهِ، وَاخْتِلَافَ أَعْمَالِهِمْ وَأَحْوَالِهِمْ، وَمَعَ ذَلِكَ فَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَيْهِمْ جَمِيعًا لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أُمُورِهِمْ، وَشَهَادَتُهُ عَلَيْهِمْ جَمِيعًا كَشَهَادَتِهِ عَلَى الْفَرْدِ مِنْهُمْ، وَذَلِكَ لِكَمَالِهِ وَكَمَالِ قُدْرَتِهِ، وَسِعَةِ إِحْاطَتِهِ بِخَلْقِهِ، فَسُبْحَانَ: ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۝٩﴾ [البروج: ٩] وشهادته هذه تدلُّ أَنَّهُ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، وَأَنَّ صِفَاتَهُ تَبَايَنُ صِفَاتِ عِبَادِهِ، فَتَأْمَلْ كَثْرَةَ هَذِهِ الْأُمَمِ وَتَبَايَنَ أَعْمَالِهَا، وَاخْتِلَافَ أَحْوَالِهِمْ وَمَعَ ذَلِكَ فَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَيْهِمْ جَمِيعًا، وَيَفْصَلُ وَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ.

- تَكُونُ بَيْنَ الْعِبَادِ مِظَالِمٌ وَحَقُوقٌ، فَتَذْهَبُ الدُّنْيَا، وَيَمُوتُ الظَّالِمُ وَالْمُظْلَمُ، وَتَنْتَهِي آجَالُ الْمُتَخَاصِمِينَ، وَلَكِنَّ اللَّهَ لَا تَغِيبُ عَنْهُ غَائِبَةٌ فِي الْأَرْضِ

ولا في السماء، فتكون يوم القيامة الشهادة من الله على العباد حاضرة، ويفصل بينهم إقامة للعدل، وإعطاء لكل ذي حق حقه، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ

يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [الحج: ١٧]

- وهو **(الشهيد)** الذي شهد لنفسه بأعظم شهادة في الوجود، وهي: **الشهادة له بالتوحيد**، فقال سبحانه وتعالى:

﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا

إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨]

وهي الشهادة التي عليها مدار السعادة والشقاء، والشهادة التي متى ما عرفها المرء على حقيقتها وأقر بها، وقام بمقتضاها سعد سعادة أبدية، وعرف مقصد وجوده، وعمل لأجله.

- وهو **(الشهيد)** الذي شهد لكتابه بالصدق، وأنه منزل

من عنده، ولو كان مختلقاً من النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كما يفترى الكافرون لكذبه الله بين الخلائق، ولكن

شهادته له صارت دليلاً على صدقه، وصدق من جاء به، وصدق ما جاء به، ومن تأمل كتاب الله عرف ذلك، وأيقن من هذه الحقيقة التي لا يُنكرها إلا مكابر، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَكُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ١٦٦]

فلتفرح الأمة بهذا الخير والاصطفاء، وليزدد فرحاً المهتم بكتاب ربه فقد خصّه بنعمة هي خير من الدنيا وما فيها يوم صار القرآن أنيسه وصرف وقته وجهده للقرآن -تعلماً وتعليماً ومدارسة ونشراً- فانتسب لأهل القرآن (الذين هم أهل الله وخاصته).

- وشهد الله لرسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالصدق في تبليغ الرسالة، وأيده بنصره، وإظهار دينه، وهزم أعداءه، وجعلهم للناس عبرة وآية ولكن أكثر الخلق غافلون. ولما أنكر الكفار نبوة ورسالة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جاء الرد عليهم من الله بأنه يشهد له -وكفى به

شهِيداً - يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ [الرعد: ٤٣]

وشهادته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أعظم وأرفع وأجل شهادة، لا غلط فيها ولا ظلم ولا محاباة، فمن شهد الله له، فشهادته كافية على صدقه، ولا يحتاج إلى شهادة غيره، ولذلك أمر الله رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُعْلِنَ هذا للمشركين والكافرين الذين يُكذِّبونه وينازعونه ويعترضون على ما جاء به بيان أن أعظم الشهداء هو الله تعالى - وهي أكبر شهادة وأصدقها - قال تعالى:

﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَتَيْتُكُمْ لِتَشْهَدُونَ أَتَىٰ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا أُخْرَىٰ قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ اللَّهُ وَاحِدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ١٩]

- فلو كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كاذباً - وحاشاه - لكذبه الله، وبين افتراءه وكذبه - فلما جاء التصديق

من الله له بهذه الشهادة والتأييد والنصرة على الأعداء والحفظ والرعاية له، وبقاء دينه، وانتشاره هذا الانتشار، وإقبال العقلاء والمنصفين لاتباعه، وتأيد الله له، ونصرته والدفاع عنه - دل هذا دلالة واضحة على صدقه وصدق ما جاء به .

- **ويُصدّق الله شهادة الرسل عَلَيْهِمُ السَّلَامُ على أممهم بالبلاغ،** قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بَيِّنَاتٍ لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ [النحل: ٨٩]

- **ولشرف هذه الأمة جعلها شهيدة على سائر الأمم،** قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة: ١٤٣]

- **ومن معاني (الشهيد): أنه يشهد على الخلق يوم القيامة، ويقيم عليهم الشهداء، فلا أحد أحب إليه**

العدر من الله، فلذا بعث الرسل -عليهم الصلاة والسلام- وأنزل الكتب، وأقام الدلائل على العباد، ومن تمام هذا: إقامة الشهداء عليهم؛ فمع أن شهادته **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَكْبَرُ شَهَادَةٍ وَكَفَى بِهَا إِلَّا أَنَّهُ مِنْ كَمَالِ إِظْهَارِ حُجَّتِهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ جَعَلَ الرَّسُلَ -عَلَيْهِمُ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ- يَشْهَدُونَ عَلَى أُمَّمِهِمْ، وَتَشْهَدُ الْمَلَائِكَةُ، وَيَشْهَدُ الْعِبَادُ، وَتَشْهَدُ الْأَرْضُ، وَتَشْهَدُ الْجَوَارِحُ وَالْأَعْضَاءُ، وَفَوْقَ هَؤُلَاءِ كُلِّهِمْ يَشْهَدُ اللَّهُ عَلَى الْعِبَادِ حَتَّى لَا يَبْقَى لِأَحَدٍ عَذْرٌ، وَيُوقِنُ كُلُّهُمْ أَنَّهُمْ لَمْ يُظْلَمُوا، قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِئَتْ بِالسَّاعَةِ وَالشُّهَدَاءُ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ [الزمر: ٦٩]** وقال **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ [النور: ٢٤]** وقال تعالى: ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ [ق: ٢١] فمن عرف هذا استحضر عظمة الشهادة عليه، وأيقن أن الله شهيدٌ عليه ومُحَاسِبُهُ على عمله،

فلا يخطو خطوة، ولا يلفظ بقول إلا وهو يراقبه،
واجتهد أن لا يصدر منه إلا الأعمال الصالحة،
واستحي من ربه أن يراه على معصيته.

إِذَا مَا خَلَوْتَ الدَّهْرَ يَوْمًا
فَلَا تَقُلْ خَلَوْتُ وَلَكِنْ قُلْ عَلَيَّ رَقِيبٌ
وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ يُغْفِلُ مَا مَضَى
وَلَا أَنَّ مَا يَخْفَى عَلَيْهِ يَغِيبُ
لَهُونًا لَعَمْرُ اللَّهِ حَتَّى تَتَابَعْتَ
ذُنُوبٌ عَلَى آثَارِهِنَّ ذُنُوبٌ
فَيَا لَيْتَ أَنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ مَا مَضَى
وَيَأْذَنُ فِي تَوْبَاتِنَا فَتَنْتَوِبُ

- الأرض التي تطيع الله فيها تشهد لك بين يدي الله
كأحوج ما تكون للشهداء، والبقعة التي تسجد عليها
تبكي عليك عند فقدك، وتكون شاهدة لك بين يدي
الله، فهي تشهد لكل صالح، وعلى كل معتد.

قال بعضُ السلف: (إنَّ في دوام الذكر في الطريق والبيت
والحضر والسفر والبقاع تكثيراً لشهود العبد يوم القيامة)

ومن المعاني اللطيفة لهذا الاسم الشريف (الشهيد): أنه
سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الشاهد للمظلوم الذي لا شاهد له ولا ناصر على
الظالم المعتدي، والذي لا مانع له في الدنيا ليتصف له منه.

فاطمئن - أيها المظلوم - حتى وإن لم يشهد لك أحد
في الدنيا لتنال حَقَّك، فالله شهيدٌ لك - ونعم الشهيد هو -
فحقك محفوظ، ومظلمتك لا تذهب سدى.

فاللهم فوضنا أمرنا إليك، واعترفنا بذنوبنا، فاغفر لنا
إنك أنت الغفور الرحيم.



﴿ ٦٢ ، ٦٣ ﴾ القاهر، القهار

ومن أسماء الله - تعالى - : **القاهر والقهار**.

وورد اسم **(القاهر)** في الكتاب العزيز مرتين، قال الله
سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ۚ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [١٨] [الأنعام:

١٨] وورد اسم **(القهار)** ست مرات؛ منها: قوله تعالى: ﴿قُلِ
اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ الْوَّاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [١٦] [الرعد: ١٦]

فالله هو الذي قهر كل شيء، وغلب كل مُتَكَبِّرٍ، وخضعت
له رقابُ العباد، ودانت له أعناق الجبابرة، وذلت له جميع
الأنفس، واستكانت له الخلائق، وتواضعت لعظمة جلاله
وكبريائه الأشياء.

(والقهار) صيغة مبالغة من القاهر لكثرة قهره للعباد.

وقهره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى **عَامٌّ لِلْعَالَمِ الْعُلُويِّ وَالسَّفَلِيِّ**، فكلهم
تحت قبضته، وأمورهم تحت إرادته، عزّ فقهر، وتمّ سلطانه
فحكم، وكملت قوته فدان له كل شيء وخضع.

قاهرٌ كامل القهر، فلا يخرج عن أمره شيء طرفه
عين، ولذا خضعت له الجبال الصلاب، واستجابت لأمره
السموات والأرض، فمع ضخامتها وقوتها أتته طائعة،
وذلت بين يديه، وانظر لقهره في تسير الليل والنهار بانتظام
تام يقف أمامه كل البشر عاجزين عن تغييره أو تبديله.

ولقهره وقوته كان مستحقاً للعبادة، أما ما سواه من
الآلهة فهي مخلوقات مغلوبة مقهورة عاجزة، فكيف يُعبد
المقهور الذليل!؟

كم من آلهة تُعبد من دون الله، فيذلها الطفل الصغير،
ويتلاعب بها، وتكون صاغرةً بين يديه، فبأي عقل يكون
هذا إله!؟

وأتصافه بصفة القهر من دلائل وحدانيته، فلا يكون
(القهار) قاهراً قهراً مطلقاً إلا إذا كان واحداً، إذ لو كان معه
كفوٌ ولم يقهره لم يكن قهراً على الإطلاق، أما إذا قهره
فدلّ هذا على تفردّه بالقوة والكمال، ولذا جعل سبحانه وتعالى

قهره المطلق دليلاً عقلياً على وحدانيته، قال الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى:
 ﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ
 بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴾ [المؤمنون: ٩١]

وهو القاهرُ القهارُ في نفاذ قضائه وقدره في خلقه، فما شاء الله عليهم كان، وما لم يشأه لم يكن؛ كم يسعى الواحد منا في تدبير شؤون معيشته، ويلهث خلف غاياته ورغباته ولكنه لا يُحصّل كلّ ما يريد لأن الله ما أَرادَه ولا قضاه. وكم من إنسان سعى لعِزّة نفسه، وقد جمع حوله الأعوان، وبذل كل سبب لذلك ولم يتحقق له ما أراد لأن إرادة الله فوق إرادته، ومشيتته قبل تدبيره.

وهو القاهرُ فوق عباده، فكم من ذليل أعزّه الله، وأعلى مكانته وإن ظنّ الناس أنّه لا ينال هذه الرفعة والكرامة.

وهو الذي قهر المعاندين بما أقام عليهم من الآيات والدلائل والحجج على توحيدِهِ، وصِدق رسلِهِ، وإظهار دينِهِ، فمهما حاول أعداء الدين إبطاله وتشويه صورته، فالله

يُعليه ويُظهره على جميع الأديان.

وقَهْرٌ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى **الجبابرة** فذلوا أمام سلطانه، وخضعوا لإرادته، فما من أحد من عتاة البشر إلا وقد قهره الله، فهزمه وصار لمن بعده آية تدل على ضعفه أمام قوة الله لأنه لا يقف أمام قهره أحد.

فها هو فرعونُ يسعى في تقتيل أبناء بني إسرائيل حتى لا يكون نهاية ملكه على أيديهم، فيقهره الله ويُذله ويُريه أن هذا الذي تقتل من أجله الآلاف، وتكاد تبعد أمته خوفاً منه نربيه في بيتك، وتحت نظرك، ونُلقي عليه حنانك ورعايتك، فتحفظه وتغذيه ليكبر ويشب ثم يكون هلاكك على يديه لتعلم - ويعلم العالمون من بعدك - أن الله هو الواحد القهار وإذا أراد شيئاً مضى كما أراد.

وحاول إخوة يوسف قتله وأبعدوه عن أبيه ومكروا به مكرًا كِبَارًا، فخيب الله سعيهم، وأبطل كيدهم، وأعزّ يوسفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ حتى جاءه إخوته يطلبون إحسانه، ويرغبون بنواله

ليعلم الخلق كلهم **أَنَّ الله واحدٌ قهارٌ**.

وهؤلاء اليهود أرادوا قتل عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وصلبه، وسعوا وخططوا لجرمهم هذا ولكنَّ قوة الله كانت أعظم، وقهره كان أقوى، فرفعه اللهُ إليه في معجزة ظاهرة وقهر لأعدائه، وأذلهم وأهانهم، وضرب عليهم المسكنة، وتتابعت عليهم اللعنات إلى يوم القيامة، وكُتِّبوا عند الله قتلة مجرمين بعزمهم ذلك، فنجَّاه اللهُ منهم ليعلم العالمُ أجمع **أَنَّ الله واحدٌ قهارٌ**.

وهذه قريش تسعى في قتل نبي الأمة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتُجمِّع الجموع، وتعدُّ بالمكافآت لمن قتله، ولكنَّ إرادة الله القاهرة تُذلهم وتجعل تدبيرهم تدميرهم، ومكرهم يحور عليهم وبهم يحيق... في سلسلة لا تنتهي لها من قوة وقهر الله للعباد، ومُضِيَّ إرادته، ونفاذ مشيئته فيهم.

وكم من ظالم سعا ضد عبد من عباد الله يكيد له ويمكر به، ولكنَّ الله يرفع ذلك العبد ويحفظه من كيدِه **لأنَّه الواحد القهار**.

وكم من مرض ينزل بكبار القوم فيجمعون له الأطباء،
 ويسعون في علاجه بكل وسيلة، ولكن إرادة الله القاهرة
 تحول بينهم وبين ما أرادوا ليعلم الخلق جميعاً **أن الله هو**
الواحد القهار، قال الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: ﴿وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا
 كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ
 مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [يونس: ١٠٧]

ومن نظر في حال نفسه أيقن أنه مقهور وليس له من أمره
شيء، فهو يود أن لا يمرض فيصاب به رغماً عنه، ويتمنى
 الولد - لو كان عقيماً - ويبدل في سبيله كل سبب فلا يُرزقه،
 ويودُّ تحقيق أمنيات في نفسه وولده ومن يعزُّ عليه فلا يقدر
 على تحقيق كثير منها لأنَّ الأمور كلها بيد الله الواحد القهار،
 فإذا استحضر العبدُ هذا علم مقدار نفسه، وحدود طاقته،
 وأذعن وتواضع واعترف بقهر الله له وللعالَمين حوله.

وهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الذي قهر العالمين بالموت، فلا يحيد
 عنه ملك، ولا يهرب منه قوي عزيز، فسبحان من قهر عباده

بما لا يستطيعون دفعه عنهم، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفِرُّونَ﴾ [٦١] [الأنعام: ٦١]

فيبعث الله ملك الموت فيتوفي الأنفس وإن كانت أشرف النفوس، وإن كان أهلها وحاشيتها محيطون بها، ويقبض روحها، والكل ينظر إليها، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ نُّنْظَرُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَنْ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ عَيْرَ مَدِينٍ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [الواقعة: ٨٣-٨٧]

والله عز وجل لا يحتاج في قهره لمعين كحال ملوك الدنيا الذين لا يقهرون إلا بالجنود والأعوان، بل هو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قوي بلا معين، نافذ أمرهم بلا ظهير، مستغن عن كل أحد. **وقهر الله ليس فيه ظلم لأحد** كحال من قهروا العباد ظلماً وعدواناً، بل هو قهر لمن استحق القهر والنكال، فيكون نزول العقوبة لائق بهم.

والله يقهر العالمين بذلتهم بين يديه يوم القيامة، فلا

تسمع لأحدهم فيه همساً ولا ركزاً يتخافتون بينهم يوم
القيامة خضعاناً وذلة لله الواحد القهار، فتتلاشى أملاكهم،
وتذهب رسوم سلطانهم، وتمحي تيجانهم، وتزول أسماء
رهبتهم، ويبطل نفاذ أمرهم لأن الكل قد خضعوا لله الواحد
القهار، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿يَوْمَ هُمْ بَرْزُورٌ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ﴾

لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿١٦﴾ [غافر: ١٦]

وتظهر الذلة على الظلمة كأوضح ما يكون، وترى
الصغار يُحيط بهم، فقد حلَّ بهم تبعات ذنوبهم وظلمهم،
وأيقنوا بالعذاب، ففي ذلك اليوم: ﴿تَبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ
وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقْرَنِينَ
فِي الْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُمْ مِّنْ قَطْرَانٍ وَتَعَشَىٰ وُجُوهُهُمْ النَّارُ ﴿٥٠﴾
لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٥١﴾ هَذَا بَلَاغٌ
لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٥٢﴾

[إبراهيم: ٤٨-٥٢]

فلتطمئنّ النفوسُ المظلومة فإنّ ربها قاهر قهار، يقهر
من ظلمهم لاطلاعاً على كلّ أعمالهم، ومحيط بجرائمهم،
ولئن أحرّ عنهم العذاب برهة من الزمان، فإنّما هو لحكمة
تغيب عن الأذهان، ولا تُحيط بها العقول، بل إنّ تأخيره
عن هؤلاء الظلمة ليكون - إذا نزل بهم - أنكى وأوجع
لهم، ويبقى دائماً مستمراً عليهم، فحقت محفوظ - أيها
المظلوم - وستأخذه حتماً، ودعواتك مسموعة، قضى
بذلك الملك العدل الحكيم.

اللهم إنا نعوذ بك أن نضلّ أو نُضل، أو نزلّ أو نُزل، أو
نظلم أو نُظلم، أو نجهل أو يُجهل علينا.



﴿ (٦٤) الرؤوف ﴾

ومن أسماء الله: الرؤوف.

قال ابن جرير: **(والرأفة: أعلى معاني الرحمة)** (١).

وورد هذا الاسم عشرَ مرات في كتاب الله تعالى.

قال القرطبي رَحْمَةُ اللَّهِ: **(الرأفةُ شِدَّةُ الرحمة، فهو بمعنى:**

الرحيم مع المبالغة) (٢). وقال بعضهم: **الرأفةُ أبلغُ الرحمةُ وأرقُّها.**

فالله عظيم الرحمة بعبادة، عطفٌ عليهم بألطفه، قد بلغت رحمته ورأفته العباد كلهم في الدنيا، ويخص بها أوليائه في الآخرة.

قال الخطابي: **(الرؤوف هو: الرحيم العاطفُ برأفته**

على عباده، وقال بعضهم: الرأفةُ أبلغُ الرَحمة وأرقُّها) (٣).

(١) تفسير الطبري (٢ / ١٢)

(٢) المنهاج الأسنى، للقرطبي (١ / ٢٠١)

(٣) [شأن الدعاء: ٩١]

ولسعتها فقد جاءت في قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٤٣] مؤكدة بنون التوكيد، واللام، والجملة الاسمية الدالة على الثبوت والاستمرار ليقن العباد بثبوت رأفة ربهم بهم ودوامها واستمرارها، وهذه هي الرحمة والرأفة العامة.

وأما الرأفة الخاصة، فهي خاصة بالمؤمنين، ينالها أهل الإيمان كأكمل ما يطمعون، وأوسع ما يأملون، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحديد: ٩]

ولرأفة الله ورحمته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مظاهر لا حصر لها، فمن ذلك:

أنه يقبل توبة التائبين مهما بلغت ذنوبهم، وعظمت خطاياهم، ومهما نقض العباد توبتهم ثم عادوا لها قبلها الله منهم لكامل رأفته ورحمته، ولعلمه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بضعف عباده، وغلبت نفوسهم عليهم، فهو الذي: «يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ

لِيَتُوبَ مُسِيءَ النَّهَارِ، وَيَبْسُطَ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءَ اللَّيْلِ،
حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا» (١).

ومن رحمته ورأفته أنه لا يُكلف العباد فوق طاقتهم،
وما ليس بوسعهم، بل جعل شريعته سمحة يسيرة سهلة،
وعبادات وفرائض مقدور عليها، فهو كما وصف نفسه:

﴿وَاللَّهُ رءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ [البقرة: ٢٠٧]

ومن رحمته ورأفته أنه لا يضيع عمل عامل من عباده،
فإنه يحفظه له، ويثيبه عليه؛ صلى أناس من صحابة النبي
صلى الله عليه وسلم جهة بيت المقدس، وماتوا قبل تحويل القبلة،
فلما تحولت تساءل الصحابة - رضوان الله عليهم - عن
صلاة إخوانهم، فطمأنهم الرؤوف الرحيم أن ثواب صلاتهم
محفوظ، وأجرهم باق، فهو بعباده رؤوف رحيم، قال الله
سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ﴾

﴿١٤٣﴾ [البقرة: ١٤٣] فلا يخاف عبد ضياع عمل صالح له بل

(١) رواه مسلم.

سيبقى ويُدّخر له لينال ثوابه أحوج ما يكون إليه، ولا يُحرم أجره، ولا يفوته أثره، بل ربما نَمَّاه له لينال ثوابه يوم القيامة بما لا يخطر له على بال ذلك أن ربه به رؤوف رحيم.

ومن رحمته ورأفته أنه علم حاجة العباد لبعض المخلوقات كالإبل والخيول والبغال والحمير، فسخرها لهم لتحملهم وتحمل أثقالهم، ولتقضى عليها مصالحهم، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَالْأَنْعَمَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دَفٌّ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَلِغِيهِ إِلَّا بِسِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾﴾ [النحل: ٥-٧]

وسخر في زماننا مراكب ومخترعات ما ظنّ بنو آدم أن يصلوا إليها، ولكنه التسخير والرأفة والرحمة بالعباد.

ومن رحمته ورأفته أنه حذر العباد نفسه وعقابه لئلا يظلموا أنفسهم باقتحام المعاصي، وأخبرهم أنهم سيلاقون جزاء أعمالهم، وستجد كلُّ نفسٍ ما عملت من

خير أو سوء حاضراً بين يديها، فيحملها هذا العلم أن تعمل صالحاً، وتجنب كل ما يحول بينها وبين رحمة الله، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّخَضَّرًا وَمَّا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿٣٠﴾ [آل عمران: ٣٠]

ومن رحمته ورأفته أنه يُمهّل من عصي، وتجاوز الحدود لعله يتوب ويُنيبُ إليه، وربما أرسل إليه النذر ليستيقظ من غفلته، فلقد ذكر الله في كتابه أنواع العقوبات التي قد تصيب المخالف لأمره ليحذر منها العباد - كل ذلك رافةً ورحمةً بهم - لئلا يقتحموا ما حرم الله عليهم، فقال سبحانه وتعالى: ﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٤٧﴾ [النحل: ٤٥-٤٧]

وبعدُ/

فإن من عرف ربه (الرؤوف) أحبه لا محالة، فهو يرى

ترادف نِعْمه عليه بلا منع، وتتابع خيراته لديه بلا انقطاع، وربما كان مقيماً على معصيته، سادراً في غوايته، ومع ذا قربه الرؤوف يتابع فضله عليه.

ويرى ستره وعفوه وعافيته محيطته به - رَأْفَة ورحمة منه - فكم في تدبّر هذا الاسم من أثرٍ في غرس محبة الله تعالى في القلب - والتي هي من أرجى أعمال العبد -.

ونبينا محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تحلّى بصفتي الرأفة والرحمة، فهو بالمؤمنين رؤوف رحيم، فمن تبعه في هذا الهدى نال الرحمة من الله، وفاز بالذكر الحسن بين الخلق، فهنيئاً لنفس كانت الرحمة هديها، والرأفة سمتها، فقد جمعت الخير من جميع جوانبه.

يقول ابن القيم رَحْمَةُ اللهِ: (وأقرب الخلق إلى الله تعالى: أعظمهم رأفة ورحمة، كما أن أبعدهم منه: من اتصف بضد صفاته)^(١).

(١) [الروح: ٢٥١]

فاللهم ارأف بنا، وارزقنا رحمتك التي وسعت كل شيء، اللهم املأ قلوبنا ثقة بعفوك ومرضاتك، والطف بنا وبأهلينا والمسلمين.



﴿ (٦٥) البر ﴾

ورد هذا الاسم في كتاب الله مرة واحدة في قوله سُبْحَانَكَ وَتَعَالَى:

﴿ إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴾ [الطور: ٢٨]

وهو اسمٌ عظيمٌ جليلٌ من أسماء ربنا الكريم، أوصل بعضهم معانيه إلى سبعة معانٍ، وما ذاك إلا لنوقن بسعة معنى كل اسم من أسماء الله تعالى على العموم، وبمعنى هذا الاسم على الخصوص.

وعندما تقرأ اسم **(البر)** أو تسمعه تشعر أن الرحمة أحاطت حياتك كلها، وأنه لن يفوتك أيُّ خيرٍ ترجوه، فمع استحضار معانيه تزيد الثقةُ بوعد الله واليقين بصدقه. وبتدبر معانيه يرى المؤمن كثرة إحسان الله عليه، ومزيد إكرامه له.

ويطمع بالفوز برحمته في قبول عمله مع التقصير الحاصل منه.

ويعترف بجميل ستر الله الذي يغشاه.
ويوقن برفق ربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الَّذِي قَدْ أَحَاطَ بِالْعِبَادِ.
وكلها معان - كما ترى - تُسْكِنُ فِي الْقَلْبِ الطَّمَأِينَةَ
والسعادة، وهي تنفيًا لظلال هذا الاسم الشريف.
فمن معاني اسم (الْبَرِّ): (اللطيف بعباده، كثير الإحسان
لهم بلا حدود).

فالله بَرٌّ محسن، عَمَّ بِرُّهُ جَمِيعَ خَلْقِهِ، وَأَحْسَنَ إِلَيْهِمْ
بِجَمِيعِ أَنْوَاعِ الْإِحْسَانِ.
تأمل في عطائه الذي لا ينقطع عن عباده لحظة واحدة،
ففي الدنيا عطاؤه سَابِعٌ لِلْمُؤْمِنِ مِنْهُمْ وَالْكَافِرِ، وَالْمُحْسِنِ
وَالْمُسِيءِ، وَيَمْتَدُّ إِحْسَانُهُ لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى مَا لَا نِهَايَةَ فِي
العطاء في دار كرامته في جنات الخلود.

قَالَ أَبُو السُّعُودِ فِي تَفْسِيرِهِ: (الْبَرُّ الْمَحْسِنُ الرَّحِيمُ الْكَثِيرُ
الرَّحْمَةِ، الَّذِي إِذَا عَبْدَ أَثَابَ، وَإِذَا سُئِلَ أَجَابَ)

وقيل من معاني (البرُّ) هو: (الصادقُ في وعده).

وقد تكرر قول الله تعالى: ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ [يونس: آية ٥٥] في القرآن عشر مرات للتأكيد عليه، فاللهُ برُّ يصدُقُ وعده عباده في الدنيا والآخرة، ففي الدنيا صدق أوليائه بإظهار دينهم، وبرِّ وصدق في رفعتهم وإكرامهم، فانظر كيف رفعهم في الدنيا، فكم من هبات يهبها عبده المؤمن، فييسره لليسرى، ويعينه ويسدده، ويفتح له أبواب الخيرات، ويرزقه من حيث لا يحتسب، وكلما كان العبدُ مداوماً على طاعته صُبت عليه العطايا صبّاً، ولئن فاته شيءٌ من الدنيا أو تعكّرت أموره فهو يحتسب صبره ورضاه وهذا - أيضاً - من عطاياه له وبره به.

أمّا في الآخرة فيصدق الله عباده ما وعدهم به من دخول الجنة والتنعم فيها، وقد بينت الآيات هذا الأمر في مواضع كثيرة ليطمئن المؤمنون ويوقنون به، وأنه صادق فيه، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَمَلِينَ﴾ [الزمر: ٧٤] وأثنوا

عليه بهذا الاسم الكريم كما في قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّا كُنَّا

مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾ [الطور: ٢٨]

ومن معاني (البرّ): (أنه يبرُّ عمك، أي: يقبله).

فاللهُ لكَمالِ رحمته، وسعةِ فضله يقبل عمل العابد -على تقصيره فيه- وكل واحد منا يوقن بهذا، فأعمالنا غالبها يعترىها التقصير، وهي مليئة بالنقص؛ انظر للصلاة وكثرة الوسوسة، وشرود الذهن فيها، حتى أن البعض ربما لا يستحضر ما قرأ -هذا في أعظم عبادة- وهو الحال في غالب العبادات، يغيب عن العامل كثيراً حضور القلب فيها، ويقصّر في أدائها على الوجه الأكمل، ومع ذلك فالله (البرُّ) الرحيم يقبلها ويشبه عليها.

ومن معاني (البرّ): (أنه الذي لا يقطع خيره عن عبده، حتى وإن كان مقيماً على المعصية) وانظر لكثرة العاصين، وتتابع معاصيهم، وإصرارهم عليها، وعدم رغبتهم الانفكاك

عنها، ومع ذا يوالي عليهم (البرُّ) إحسانه عليهم، ويتابع عليهم فضله، ولا يقطع عنهم عطاءه، فشرهم إليه صاعد، وخيره إليهم نازل، فالله - لكرمه وبره - لا يُعامل عباده بالمثل، ولو فعل لهلكوا ولكنه يُعاملهم بالبرِّ والإحسان والفضل والكرم.

ومن معاني (البرِّ): (الرفيق بعباده، فإنه لم يكلفهم فوق طاقتهم، وما ليس بوسعهم، بل طلب منهم القليل، ووعدهم الثواب الكثير) ومن قارن بين الأمر والجزاء علم فضل الله وبره بأوليائه.

ومن معاني (البرِّ): (المصلح لأحوال عباده، المتولي شؤونهم) يرعاهم رعايةً تامةً؛ فانظر كيف أصلح لعباده دنياهم، وكيف صاروا يعيشون حياة طيبة - برأمنه وإحساناً - ويسر لهم أساسيات حوائجهم، ويعيشون غالب حياتهم في صحة وعافية.

يحمي عبده المؤمن من الوقوع في المحرمات، ويحوطه برعايته، ويحبب إليه الإيمان ويزيّنه في قلبه، ويكره إليه الكفر والفسوق والعصيان.

أما فعله مع عبده العاصي، فهو يمهل له لعله يتوب ويُنيب، ويعود إلى رشده، فمع علمه وإحاطته به وبمعصيته، ولكنه يُسبل عليه ستره فلا يفضحه، وهذا من كمال برّه ورحمته وعطفه حتى إنه يوم القيامة يضع عليه كنفه ويستتره، ويدور بينه وبين عبده هذا الحوار الحاني، أخرج البخاري من حديث ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ يُدْنِي الْمُؤْمِنَ، فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ وَيَسْتُرُهُ، فَيَقُولُ: أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ أَيُّ رَبِّ، حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ، وَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلَكَ، قَالَ: سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ، فَيُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ»^(١).

(١) رواه البخاري

والله برُّ يُحِبُّ البرَّ، ومن يتخلَّقُ به، فإذا أراد العبدُ إحسانَ الله إليه في الدنيا والآخرة، فعليه بالتَّبَاعِ ما يُفْضِي إلى برِّه ومرضاته من الأعمال الصالحة في الدنيا، وأعظمها:

(برُّ الوالدين) فهنيئاً لمن تحلَّى به، وكان هو هديه وسمته، فقد أدَّى ما أوجبه الله عليه، ونال سعادة الدارين.

والأخلاق الحسنة من البرِّ، ف«البرُّ حُسن الخلق»^(١).
كما صح بذلك الحديث عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وصاحبُ الخُلُقِ الحَسَنِ من خير الخلق في تعامله معهم، فهو لا يؤذيهـم أو يتعدى عليهم.

ومن أتقن تلاوة القرآن، وكان ملازماً له حُشر مع شرفاء الخلق (الملائكة السفرة الكرام البررة) يقول رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«والماهرُ بالقرآنِ مع السفرة الكرام البررة»**^(٢).

(١) رواه مسلم

(٢) رواه الشيخان.

والصدق في الأقوال والأعمال والنوايا من أعظم طرق
 البرّ التي تُنال بها خيرات الدنيا والآخرة، فالصدق يهدي
 إلى البرّ، والبرّ يهدي إلى الجنة.

والأبرار في نعيم مقيم، برةً قلوبهم وأعمالهم، ففازوا
 بجوار البرّ الرحيم في دار كرامته، قال الله سُبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ
 الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ [المطففين: ٢٢]

ومن كان ملازماً للدعاء نال العطايا والخيرات من
 الرحمن، فهدي الصالحين دعاء ربهم على الدوام، وحسن
 ظنهم به أن لا يقطع إحسانه عنهم، قال الله - عنهم -: ﴿إِنَّا
 كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾ [الطور: ٢٨]

وأعظم أمانى المؤمنين الوفاة مع الأبرار، والحشر معهم
 في أحوال بارّة، وخاتمة حسنة، فذكرت الآيات هذه الأمانة
 ضمن دعوات صالحه لهم، قال الله - عنهم -: ﴿رَبَّنَا إِنَّا
 سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا
 وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾ [آل عمران: ١٩٣]

فمن كان باراً مؤمناً تقياً صالحاً نال خيرات لا منتهى لها، فلقد وعد الكريم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وهو لا يُخلف الميعاد: الخير الكثير، والنزل الكريم للأبرار كما في قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:

﴿لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِمَّنْ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ﴾ [آل عمران: ١٩٨]

فيا برِّ يا رحيم آمنابك، وصدّقنا بوعدك ووعدك، وطمعنا ببرك وإحسانك، فاللهم لا تُخيب رجاءنا فيك، فرجاؤنا أعظم من أعمالنا، وثقتنا بعطائك أوثق من طاعتنا، فنسألك فردوسك الأعلى في نعيم لا يحول ولا يزول.



﴿ (٦٦) الواسع ﴾

ومن أسماء الله **(الواسع)** وجاء ذكره في القرآن تسع مرات منها: قوله تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُولُونَ فَثُمَّ وَجَّهُ اللَّهُ إِلَيْكَ اللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [سورة البقرة: ١١٥]

وهو الذي يَسَعُ خلقه كلهم بالكفاية، والجود، والرزق، والإحسان، والتدبير.

قال في اللسان: **(الواسعُ هو الذي وسِعَ رزقه جميع خلقه، ووسعت رحمته كل شيء، وغناه كل فقر)** (١).

قال الخطابي رَحْمَةُ اللَّهِ: **(الواسعُ: هو الغني الذي وسِعَ غناه مفاقر عباده، ووسِعَ رزقه جميع خلقه؛ والسعة في كلام العرب: الغنى. ويُقال: الله يعطي عن سعة، أي عن غنى)** (٢).

وهو **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: (واسعُ الصفات والنعوت) فصفاته**

(١) [لسان العرب: ٦/ ٤٨٣٥]

(٢) [شأن الدعاء: ٧٢]

ونعوت جلاله لا منتهى لها، وأسماؤه لا عدّها، وما دلت عليه من المعاني لا يتصور لعقل أن يحيط بها، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠] وقال عن نفسه: ﴿إِنَّكَ اللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١١٥]

فله سعة كل كمال، ومن ذلك الكمال أكمله، ولا يستطيع أحدُ الثناء عليه بما هو أهله، بل هو كما أثنى على نفسه. قال الخطّابي رَحِمَهُ اللهُ: (وكلّ سعة وإن عظمت فتنتهي إلى طرف إلا عظمة الله فلا منتهى لها)^(١).

(وهو واسع الملك والعظمة والسلطان) وأنت إذا تأملت فقط هذا الكون الفسيح، والذي لا نعرف منه إلا شيئاً يسيراً ممّا أطلعنا الله عليه ذلك على سعة ملكه، فكيف بملكه الذي لم يره العباد؟!

فما غاب عنا أكثر بكثير ممّا نرى ونعلم.

(١) [شأن الدعاء: ٧٢]

وإذا كان كرسية وسع السماوات والأرض، فكيف هي عظمتة وهو الذي نسبة الأرض والسماوات له كحلقة ملقاة في فلاة؟! فلاه!

وكيف بالعرش الذي نسبة الكرسي له كحلقة ملقاة في فلاة، فأيقن أنّ سعة ملك الله تعالى لا يمكن لأحد أن يقارب تصوّرها.

ومن تأمل في سعة هذا الملك حار فكره فيه وتلك السعة؛ فهو مُلكٌ مترامي الأطراف، واسع الخلق والخليقة، فيه من الأملاك ما لم يعلمه إلا الله.

مُلكٌ في الأرض، ومُلكٌ في السماء، ومُلكٌ في البر والبحار، ومُلكٌ في الفضاء، ومُلكٌ في عوالم لا نعلمها، فسبحان الواسع العليم.

(وهو الواسعُ في الرزقِ وإغناءِ خلقه) فقد وسع رزقه جميع الخلق من إنس وجانّ وحيوان.

ومن تأمل في الرزق وجد عجباً عجائباً في السعة والكفاية، فهذه الأعداد الهائلة من الخلائق قد وسعهم رزق الله في الإطعام والارتواء من الماء والتنعم بسائر الأطعمة والأرزاق التي يحتاجونها في حياتهم في كفاية عظيمة.

(ووسع رزقه الخلق كلهم بصحة أجسادهم، وعافية أبدانهم) وأغناهم عن الطب والعلاج في غالب حياتهم، فلو قارنت بين أيام العافية وأيام المرض لوجدت بوناً شاسعاً، فالمرء أكثر وقته في صحة وعافية، ولكن الواحد منا يغفل عن هذا، وأما المرض فلا يُصيبنا إلا لَمَمًا فلله الحمد والشكر، ولو قارنت بين عدد الأصحاء وعدد المرضى لأيقنت أنه لا مقارنة بينهما.

(وهو واسع العلم) فقد أحاط علمه بكل شيء - وقد تقدّم الحديث عن صفة علمه وأنها واسعة لا يحيط بها أحد - فهي هو كما قال عنها: ﴿وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [طه: ٩٨]

ومثل هذا الإيمان يجعل المرء مطمئناً لكل قضاء يقضيه الله له فهو عن علم وإحاطة ورحمة، ويطمئن المؤمن برعاية ربه له، وحفظه مادام مقيماً على طاعته.

(وهو الواسع في رحمته) التي وسعت الخلائق كلهم، فشملت أهل الأرض وسكان سمائه، فانظر لأعدادهم ولحاجتهم لرحمته، فهم بحاجة وهم في بطون أمهاتهم، وفي كل مراحل عمرهم، وفي كل مكان يحلّون فيه، وفي كل وقت وأن، ومع كثرة أعدادهم إلا أن رحمته وسعتهم جميعاً، قال سبحانه وتعالى عن سعة هذه الرحمة: ﴿فَقُلْ رَبُّكُمْ

ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ﴾ [الأنعام: ١٤٧]

وقال عن حملة العرش في دعائهم: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ

شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر: ٧]

قال ابن القيم رحمه الله: (كان هذا الكتاب العظيم الشأن، أي «إن رحمتي سبقت غضبي» كالعهد منه سبحانه للخلقة

كلها بالرحمة لهم، والعتو عنهم، والمغفرة والتجاوز
والستر والإمهال والحلم والأناة؛ فكان قيام العالم كله في
السماء والأرض بمضمون هذا الكتاب الذي لولاه لكان
للخلق شأن آخر^(١).

وهذه هي الرحمة العامة التي ينالها المؤمن والكافر
فيعيشون بها في الدنيا، وتستقر بها أمور حياتهم ويحيون
في الغالب معها - حياةً طيبةً مستقرة.

أمّا الرحمة الخاصة، فهي لأهل الإيمان والتقى،
وينالونها كأوفر ما يكون في الآخرة، وقبلها في أول مراحلها
ساعة خروج الروح، ويوم دخول القبر، فاحرص عليها - يا
عبد الله - فهي نائلة كل مؤمن تقيٍّ مستجيبٍ لأمر ربه .

(وهو واسع العفو والمغفرة) وإذا تأملت في عدد المذنبين
الذين يحتاجون لمغفرته وجدتهم بالمليارات، ومع ذلك
وسعتهم مغفرته، وبلغهم فضله وإحسانه.

(١) [مختصر الصواعق المرسله: ٣٠٤]

وتأمل في هذا الوصف لسعة مغفرته، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:

﴿إِنَّ رَبَّكَ وَسِعَ الْمَغْفِرَةَ﴾ [النجم: ٣٢]

وقال: ﴿فَقُلْ رَبِّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَسِعَةٍ﴾ [الأنعام: ١٤٧] وغيرها

من الآيات في هذا المعنى لترى تحتها سعة لا حد لها.

(وهو واسع الفضل والعطاء والإحسان) وتأمل في سعة

فضله على عباده يُعطيهم ما يسألون وما لا يسألون، ويُسبغ عليه نِعَمه، ويُرادف عليهم فضله بلا انقطاع، فهو كما وصف

فضله: ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [آل عمران: ٧٤]

وليس لهذا الفضل حدٌ ولا نهاية بل هو متتابع على الخلق ككتابع أنفاسهم، وقد أتى على جميع شؤونهم وأحوالهم وأوقاتهم وأماكنهم، وهو فضل عام لا يختص بخلق دون آخر بل كما قال سبحانه: ﴿وَلَا يَكُنَّ اللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى

الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥١]

(وهو الواسع في حكمته) فحكيمته وسعت الخليفة كلها،

ولذا ترى في تدبير شأنهم استقراراً ظاهراً، وعدلاً تاماً وذلك

لسعة علمه وتمام حكمته.

(وهو واسع النعيم) يَكْفِيكَ فِي ذَلِكَ اسْتِحْضَارَ نَعِيمِ الْجَنَّةِ وَكَيْفِ وَسِعِ الْخَلَائِقَ، فَمَلَأَ قُلُوبَهُمْ رِضًا عَنْ رَبِّهِمْ، وَكِفَايَةً لِرَغْبَاتِهِمْ، وَمَنْ اسْتَحْضَرَ عِدَّةَ أَهْلِهَا، وَنَعِيمَهُمُ الْكَبِيرَ وَالْمُتَزَايِدَ الَّذِي لَا يَنْقَطِعُ عَنْهُمْ أَبَدًا أَيْقَنَ أَنَّهَا سَعَةٌ لَا يَحِيطُ بِهَا أَحَدٌ مِنَ الْعِبَادِ، وَلَوْ اجْتَمَعَ بُلْغَاءُ الْعَالَمِ أَجْمَعِ عَلَى أَنْ يَصِفُوهُ لِعَجْزِوَا، وَذَلِكَ لِسَعَةِ هَذَا الْجُودِ وَذَلِكَ النِّعَمِ، فَاللَّهُمَّ لَا تَحْرِمْنَا إِيَّاهُ.

وَإِذَا أَيْقَنَ الْمُؤْمِنُ بِسَعَةِ عَطَاءِ رَبِّهِ، وَكَثْرَةِ جُودِهِ عَلَّقَ قَلْبَهُ بِهِ، وَسَأَلَهُ حَوَائِجَهُ كُلَّهَا وَهُوَ مُوقِنٌ بِالْإِجَابَةِ، وَلَمْ يَيْأَسْ مِنْ رَوْحِهِ، وَأَمَّلَ الْعَوِضَ عَمَّا فَاتَهُ، وَأَيْقَنَ أَنَّ اللَّهَ سَيُوسِعُ عَلَيْهِ، فَاللَّهُ لَا مُكْرَهَ لَهُ، وَالْعَطَاءُ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنَ الْمَنْعِ، وَلَا تَزِيدُهُ كَثْرَةُ الْمَسْأَلَةِ إِلَّا جُودًا وَعَطَاءً.

(وهو الذي يُوسِّعُ عَلَى عِبَادِهِ فِي دِينِهِمْ، فَلَا يَكْلِفُهُمْ مَا لَيْسَ فِي وَسْعِهِمْ) فَقَدْ بَعَثَ اللَّهُ نَبِيَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْحَنِيفِيَّةِ

السمحة وبالشريعة التي غالبها اليسر.

وهي شريعة واسعة قابلة للتطبيق في أي زمان لا كما يظنّ
الجهلة بليدي الأذهان أنّ شريعة الإسلام صالحة لزمان
دون زمان أو لمكان معيّن دون مكان ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ
أَفْوَاهِهِمْ إِنَّ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ [الكهف:هـ] فهي شريعة وأحكام
من لدن عليم حكيم خبير، عليم بأحوال خلقه وما يصلح
لهم، ولئن تفوّه الجاهلون بعدم صلاحية الأحكام الشرعية
لهذا الزمان أو غيره، فإنّما أتوا من قبل نظرتهم القاصرة،
وفهمهم السقيم وإلا ففي الشريعة من القواعد والأصول ما
يجعلها صالحة لكل زمان ومكان.

وأوسع عطاءٍ يهبه الله عبده هو: عطاء الصبر، ففي
الحديث يقول عليه الصّلاة والسّلام: «وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا
وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ»^(١).

(١) متفق عليه.

فمن رحمة الله بعبده أن يهبه الصبر، فيعيش به ويحيى
وقد امتثله في حياته كلها، وإذا رُزقه العبد فليعلم أنه من الله
فلا يتسرب الإعجاب إلى نفسه فإنّما هو محض فضل الله
فيلهج اللسان بالشكر عليه.

هذه بعض معالم هذا الاسم الكريم، وهو أوسع من أن
يُحيط به أحد، فسبحان ربنا الواسع العليم.

فاللهم آمنا بسعة صفاتك، وسعة جودك وإحسانك، فلا
تحرنا فضلك بسبب ذنوبنا وخطيئاتنا، معترفون بالإساءة،
ومقرون بالذنب ولكن عافيتك أوسع، ورحمتك أرجى.



﴿ ٦٧ ، ٦٨ ﴾ القريب - المجيب ﴿﴾

ورد اسم الله (القريب) ثلاث مرات في كتابه العزيز، قال

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾ [هود: ٦١].

وروى ابن كثير في تفسيره أن أعرابياً قال: يا رسول الله

أقرب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه؟ فسكت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

فأنزل الله: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا

دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦]

وتأمل هذه اللفظة الكريمة في الآية حيث يقول الله تعالى:

﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ﴾ فعجل سبحانه بالإجابة، ولم يقل (فإني

قريب أسمع) ليطمئن الداعي ويوقن بسماع ربه لدعائه،

وتحقق الإجابة منه.

وعن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: كنا مع رسول

الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في غزاة فجعنا لا نصعد شرفاً، ولا نعلو

شرفاً، ولا نهبط وادياً إلا رفعنا أصواتنا بالتكبير؛ قال: فدنا

منافقال: «يا أيها الناس، أربُّعوا على أنفسكم؛ فإنكم لا تدعون أصمَّ ولا غائبًا، إنما تدعون سميعًا بصيرًا، إنَّ الذي تدعون أقربُ إلى أحدكم من عنق راحلته»^(١).

فالله مع علوه واستوائه على عرشه إلا أنه (قريبٌ ممَّن دعاه - دعاء مسألة أو دعاء عبادة - يُجيبه بإعطائه سؤاله، وقبول عبادته، وإثابته عليها أجلُّ ثواب) قاله ابن سعدي^(٢).

وقد يُشكل على البعض كيف يكون قُرب الله مع علوه، والجواب من ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ فقد قال: (.. والذي يسهل عليك فهم هذا: معرفة عظمة الرب، وإحاطته بخلقه، وأنَّ السموات السبع في يده كخردلة في يد العبد، وأنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يقبض السماوات بيده والأرض بيده الأخرى ثم يهزهن، فكيف يستحيل في حق من هذا بعض عظمته أن يكون فوق عرشه، ويقرب من خلقه كيف شاء، وهو على العرش؟!)^(٣).

(١) رواه مسلم.

(٢) [تفسير ابن سعدي: ٣٨٤]

(٣) [مختصر الصواعق المرسله: ٤٨٢-٤٨٣]

قال ابن سعدي رَحْمَةُ اللَّهِ: (وقربه نوعان: الأول: قُرْبٌ عام؛ وهو إحاطة علمه بجميع الأشياء، وهو أقرب إلى الإنسان من حبل الوريد، وهو بمعنى المعية العامة).

الثاني: قُرْبٌ خاص بالداعين والعابدین، وهو قُرْبٌ يقتضي المحبة والنصرة، والتأييد في الحركات والسكنات والإجابة للداعين، والقبول والإثابة للعابدین)^(١).

وقال رَحْمَةُ اللَّهِ: (وهذا القرب الخاص لا تُدرك له حقيقة، وإنما تعلم آثاره من لطفه بعبده، وعنايته به، ونصرته وتوفيقه له)^(٢).

فهو قُرْبٌ إجابة وقبول وإثابة ورحمة ونزول سكينه.

يشعر بهذا القرب العابد في محراب تعبده.

والداعي وهو يناجي ربه في دعائه.

والمكروب وقد أشتد عليه كربُه، فيثق بفرجه.

(١) [شرح أسماء الله الحسنى: ١١٨]

(٢) [تفسير السعدي: ٥ / ٣٠٤]

والمهموم وقد أحاط به همّه، فيثق بقدره ربه على إزالته.
 وأعلى ما يكون شعور هذا القرب في حال سجود
 العابد وهو خاضعٌ ذليلٌ بين يديه، فيجدُ لذيذ المناجاة وهو
 يُسبّحه، ويشعر بقرب إجابته له وهو يرفع إليه حوائجه،
 يقول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ
 سَاجِدٌ، فَأَكْثَرُوا الدُّعَاءَ»^(١).

وأما في الخلوة به في جوف الليل الآخر فذاك قُربٌ لا
 تُحيط به عبارة، ولا يُعبّر عنه بلفظ، يقول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:
 «أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الرَّبُّ مِنَ الْعَبْدِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ الْآخِرِ فَإِنْ
 اسْتَطَعْتَ أَنْ تَكُونَ مِمَّنْ يَذْكُرُ اللَّهَ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ فَكُنْ»^(٢).

فيا لله كم يكون مع هذا القرب الشعور بسماع الله له،
 واليقين بالإجابة.

وكذلك قربه وقت الذكر، فهو قرب يشعر معه الذاكر

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه الترمذي.

بالأنس والفرح، ويستحضر معه ذكر الله له، وثنائه عليه
 ففي الحديث: «قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنَا مَعَ عَبْدِي مَا ذَكَرَنِي
 وَتَحَرَّكَتْ بِي شَفَاتُهُ»^(١).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: (والمعية الحاصلة للذاكر معية لا
 يشبهها شيء، وهي أخص من المعية الحاصلة للمحسن
 والمتقي، وهي معية لا تُدرِكها العبارة ولا تنالها الصفة،
 وإنما تُعلم بالذوق)^(٢).

وكل عابد صادق في عبادته مراقب لمولاه في تعبده يشعر
 بهذا القرب، فيعبده وكأنه يراه.

ففي صلاته يعبد الله بمقام المشاهدة، فإن عجز عبده
 بمقام المراقبة.

وفي صدقته يستحضر اطلاع ربه عليه، وقربه منه.

(١) رواه ابن ماجه.

(٢) [الوابل الصيب: ٦٦]

وفي حجّه وعمرته يستحضر اطلاع الله عليه في طوافه وسعيه ووقوفه وعند دعائه ومناجاته.

وفي إحسانه يؤمن بجزاء ربه وصدق وعده بالإحسان... وهكذا مع كل طاعة من الطاعات يستحضر أولياء الله قرب ربهم منهم، ويثقون بحسن جزائه لهم.

وهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قَرِيبٌ مِنَ التَّائِبِينَ يجيب دعاءهم، ويثبّت إيمانهم، ويذيقهم من حلاوة القرب منه ما يستغنون به عن كل لذة محرّمة، ولذا رغب نبي الله صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ قَوْمَهُ بِالْإِنَابَةِ وَالتَّوْبَةِ وَالتَّوْبَةُ وَالتَّوْبَةُ وَالتَّوْبَةُ لِيُنَالُوا هَذَا الْفَضْلَ مِنْ رَبِّهِمْ، قَالَ تَعَالَى -عنه-: ﴿يَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾ [هود: ٦١]

فيا أيّها التائب لا تيأس من رحمة الله، ولا تقنط من رَوْحِهِ مهما بلغت ذنوبك، ومهما تجاوزت الحدود، فأيقن بقبول الله لتوبتك، وقربه منك، وعلمه بإنابتك، وإطلاعه على ندمك، ومغفرته لذنوبك.

ومن أيقن بقربه شعر بالثقة والطمأنينة والأمن وأنه
 يأوي إلى ركن شديد لإيمانه بحفظه له، ودعاه وهو موقن
 بالإجابة لأنه يؤمن برب قريب مجيب محيط به وبشأنه،
 رحيم لطيف بمن ناداه ولجأ إليه، ويزيد طمعه بفضل ربه
 ليقينه بسعة رحمته.

ومن آثار الإيمان بهذا القرب: حصول السكينة والثبات،
 فيشعر بحفظ الله له، ورعايته ونصرته، قال الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى :
 ﴿إِلَّا نُنْصِرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ
 إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذِ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّا نَرَى اللَّهَ مَعًا فَأَنْزَلَ
 اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾ [التوبة: ٤٠]

ومن آثار الإيمان بهذا القرب: إخفاء الدعاء وزيادة
 الإيمان بقرب الله وسماعه، قال الله تعالى واصفاً دعاء
 زكريا: ﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا﴾ [مريم: ٣]

(إخفاء الدعاء دليل قوة إيمان العبد بسماع الله دعاه)
 كما ذكر ذلك ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ.

ومن آثار الإيمان بهذا القرب: **الإكثار من نوافل العبادات**، فكلما أيقن العبد بقرب ربه منه أكثر من طاعته، فهو لا يزال يتقرب لربه بها حتى ينال أعظم وسام، وأسمى مراتب الشرف، وأوسع عطاء يمكن أن يناله عبدٌ، وهو: محبة الله، ففي الحديث: **«ولا يزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه ...»** (١).

فيا لله كم في هذا الفضل من عطايا وهبات، ونزول فيض لا منتهى له من الرحمات. ومن سعى في تقريب العباد من ربهم وحثهم على طاعته جازاه الله بالقرب منه؛ قال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللهُ: **«ألست تبغي القرب منه؟! فاشتغل بدلالة عباده عليه»**

وهو - سبحانه - : **المجيب**.

وورد هذا الاسم الكريم مرتين في القرآن الكريم: مرة بصيغة الفرد؛ في قوله تعالى على لسان نبيه صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ:

(١) رواه البخاري.

﴿إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ [هود: ٦١] ومرة بصيغة الجَمْع؛ في قوله

تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوْحًا فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ﴾ [الصافات: ٧٥]

وإجابة الله للداعين دليل عظيم على كمال صفاته، وسعة سمعه، فهو سميع لكل داع، عليم بكل سائل.

وإجابته -أيضاً- دليل على كثرة جوده، وتعدد نواله، ورحمته بالسائلين، وبرهان جليّ أنه الإله الحق المبين، فانظر لكثرة الداعين، وتنوع مطالبهم، وكثرة مسألتهم، واختلاف لغاتهم، وتباين استحقاق كل واحد منهم للإجابة؛ ومع ذا فالله سميع قريب منهم مجيب لدعواتهم، يسمع أين هذا المكروب، ولا يخفى عليه اضطرار ذاك المضطر الملهوف، وهو عليم بكاء هذا السائل الذليل بين يديه، ومحيط بصدق هذا الطالب المخلص، فيسمعهم كلهم في ساعة واحدة، وإحاطة شاملة، وعلم محيط، فلا إله إلا هو الربّ العظيم، الواحد الأحد المجيد.

ولقد بينت آيات القرآن الإجابات المتنوعة للداعين
ابتداءً بأنبياء الله ومن بعدهم من الصالحين، بل بينت الآيات
استجابة الله لأمم وأفراد من عتاة الكفرة والمجرمين ليعلم
الخلق أن ربهم مجيب سميع.

وإجابة الله دليل على كمال غناه، ففي الحديث القدسي
يقول الله تعالى: «يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وجنكم
وإنسكم اجتمعوا في صعيدٍ واحدٍ فسألوني جميعاً فأعطيتُ
كلَّ إنسانٍ منهم مسألتَه لم يُنقصْ ذلك ممَّا عندي إلا كما
يُنقصُ المَخيضُ إذا غُمسَ في البحرِ..»^(١).

وإذا أعطى سبحانه وتعالى يعطي بفضل، وإذا منع منع
لحكمة.

وإجاباته سبحانه وتعالى لعباده تنوع، فتارة تقع عينها جواباً
لسائل، وتارة تتأخر لحكمة يفوت السائل معرفتها، وتارة
تقع ولكن بغير المطلوب، وتارة تكون صرفاً لشرِّ عنه،

(١) رواه مسلم.

وتارة يدّخرها للسائل ليجدها أحوج ما يكون يوم القيامة،
فالله حيٌّ كريم، فهو أكرم من أن يردّ يدي عبده صِفراً، فلا
يتسرب القنوط لنفسك، ولا تظنّ بربك ظنّ السوء، فالله
بيده ملكوت كلّ شيء، وهو على ما يشاء قدير.

فاللهم بإيماننا بقربك ممّن دعاك، وبقيننا بسعة جودك
لمن سألك، وكثرة فضلك بمن وثق بعطائك، اللهم فامنن
علينا بعفوك وسترك ومغفرتك وجميل إحسانك.



﴿ (٦٩ ، ٧٠) المُقَدِّم - المُؤَخَّر ﴾

من أسماء الله تعالى: **المُقَدِّم - المُؤَخَّر**.

ولم يردا في القرآن الكريم وإنما وردا في السُّنَّة، فمن دعوات النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وثنائه على ربه: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخَّرُ، وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»^(١).

والتقديم والتأخير اسمان لله دالان على مُضي إرادته، ونفاذ أمره، وكمال حكمته.

قال الخطابي رَحِمَهُ اللهُ: **(المُقَدِّم: هو المُنَزَّل للأشياء** منازلها، يُقَدِّم ما شاء منها، ويؤخّر ما شاء؛ قدّم المقادير قبل أن يخلق الخلق، وقدّم من أحبّ من أوليائه على غيرهم من عبيده، ورفع الخلق فوق بعض درجات، وقدّم من شاء بالتّوفيق إلى مقامات السّابقين، وأخّر من شاء عن مراتبهم

(١) رواه البخاري ومسلم.

وَيَبْطِئُ عَنْهَا، لَا مُقَدِّمَ لَهَا أُخْرَ، وَلَا مُؤَخَّرَ لَهَا قَدِّمَ (١).

وقال الحليمي رَحِمَهُ اللهُ: (المُقَدِّمُ: وهو المعطي لعوالي الرُّتْبِ، والمُؤَخَّرُ: وهو الدافع عن عوالي الرُّتْبِ) (٢). وكلُّ هذا من التعريف ببعض المعاني.

والتقديم والتأخير كوني وشرعي.

فالكوني: مثل تقديم خلق بعض المخلوقات على بعض، كتقدّم خلق الجنّ على الإنس، وتقدّم خلق الأرض على السماء وغيرها من المخلوقات، وهذا التقديم تابع لحكمته سبحانه، وهذا النوع في الخلق بحرٌّ لا ساحل له.

والشرعي: كتقديم وتفضيل بعض الأمكنة على غيرها كتقديم مكة والمدينة وأرض الشام على سائر بقاع الأرض بما جعل فيها من مضاعفة الحسنات والبركة ونحوها.

(١) [الأسماء والصفات للبيهقي: ٨٦]

(٢) [مختصر النهج الأسمى: ٥٢٩]

وكتقديم وتفضيل بعض الأزمنة كرمضان وعشر ذي
الحجة وأشهر الحج وتفضيل شهر محرم وتفضيل يوم
الجمعة وليلة القدر وساعات السَّحَر.

وقدّم الله^٥ وفضّل بعض العبادات على بعض، كتقديم
الصلاة على غيرها لما اشتملت عليه من عبادات جامعة،
وكتقديم جنس التلاوة على جنس الذكر، وكتقديم الدعوة
إلى الله على غيرها، وكتقديم العمل الذي نفعه متعدٍ على
العمل الذي نفعه قاصرٌ، وتقديم ماله أثرٌ بين على ما ليس
كذلك.

وأحياناً يكون التقديم في بعض العبادات والأعمال في
وقت دون وقت وحال دون حال.

وقدّم وفاضل في أمور معايشة الخلق، فقدّم بر الوالدين
على غيرهم، وقدّم حقوق الأهل والأبناء على من سواهم،
وهذا التقديم -أيضاً- متنوع ومتعدد وإحصاء أفراد
متعدّد.

وعلى المؤمن أن يفقه هذه الأمور، فربما أمضى العبد عمره كله في عمل مفضول مفوّتا على نفسه العمل الفاضل الذي تزداد به حسناته، ويعظم به أجره.

وقدّم الله الإنسانَ وفضّله على كثير من خلقه، قال الله
 ﴿لَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَبْرِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ
 الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٠]

وفضّل الأنبياء والمرسلين منهم، وجعلهم خيرة خلقه،
 وصفوة عباده، وقدّم بعضهم على بعض، ورفع بعضهم فوق
 بعض درجات بمقتضى حكمته وعلمه، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:
 ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُمْ مَّنْ كَلَّمَ اللَّهُ^ط وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ
 دَرَجَاتٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣]

وجعل أفضلهم أولي العزم، وهم: **محمد وإبراهيم
 وموسى وعيسى ونوح عليهم الصلاة والسلام** وجعل
 أفضلهم محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فهو خيرة خلقه ومصطفاه من
 رسله، فينبغي لأتباعه أن يعرفوا مكانته ومرتبته ويُنزِلوه

المنزلة اللائقة به.

وقدّم الصحابة - رضوان الله عليهم - على أفراد الأمة ثمّ التابعين وتابعيهم وأئمة الهدى من السلف الصالح الذين جعل لهم لسان صدق في الآخرين.

والتقديم لأفراد هذه الأمة باق ومُتجددٌ في كل زمان،

فيُقدّم قادة الخير منهم، وكل ذلك بفضلهم ورحمتهم وهو تابع لعلمهم وحكمتهم، ويؤخّر من شاء بعدله.

وتقديم الله للأشياء من المخلوقات والأزمنة والأماكن وتقديمه - أيضاً - للعباد والشرائع عن سعة علم وكمال حكمة، ويجب على العبد أن يعرف قدره في هذا الباب، فبعض الخلق - لجرائمه وغروره بنفسه - نازع الله في ربوبيته في خلقه فاعترض في قضية التقديم والتأخير في تقديم الأشخاص، وهذا عين ما فعل إبليس، وهو سبب كفره إذ اعترض على تقديم آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ عليه، وهو - أيضاً - سبب كفر اليهود ورؤوس الكفر من قريش وذلك باعتراضهم

على تقديم نبينا محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عليهم، واعتراضهم على تقديم المستضعفين من الصحابة.

وهي قضية متكررة في كل زمان، فشان المؤمن الحق التسليم لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي هَذَا الْاِخْتِيَارِ.

والتقديم والتأخير في العبادات أو الأماكن أو الأشخاص
حق محض لله تعالى، فلا يجوز تفضيل عبادة على عباده، أو زمان على زمان، أو مكان على مكان، أو تقديم بعض الأشخاص إلا بنص شرعي دلّ عليه الكتاب والسنة حتى لا يقع أحد في المحذور الشرعي، ويحصل هذا كثيراً في أهل البدع بتقديم وتفضيل بعض العبادات على غيرها دون نص شرعي صحيح صريح.

والطريق الموصل للمعرفة بهذا التقديم هو العلم الشرعي الموروث فكلما زاد به المرء فاق غيره في سيره إلى ربه.

- وإذا حرص العبد على التقدّم إلى الطاعات والقربات أدناه الله وقربه منه، وأمّا من تأخّر عن معاهد العزّ والشرف، وضعفت همّته عن الطمع في منازل العلو، وتكاسل عن تلك الرّتب، فسيندم في ساعة لا يجدي فيها الندم، يقول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «وَلَا يَزَالُ قَوْمٌ يَتَأَخَّرُونَ حَتَّى يُؤَخِّرَهُمُ اللَّهُ» (١).

والتقدّم الحقيقي إنّما هو في الدار الآخرة، فهي المآل الأبدي للعبد، والعامل لها من أعدل النّاس، وأكيسهم وأنصحهم لنفسه، فهي الدار الباقية في خيراتها وعطاياها. والمتقدّم هنا هو المُقرب من ربه هناك، قال تعالى:

﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿١٠﴾ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾﴾ [الواقعة: ١٠-١١]

فالناصح لنفسه هو الذي يسارع للطاعات، ويُسبق إليها، لعلمه أنّها سبيل التقدّم إلى مراتب الشرف والكرامة، وعليه أن يحذر من التعدي على الحدود فإنّها سبب تأخّره،

(١) رواه مُسلم.

وإن عزّ جاهه بين الناس.

وأعظم العبادات سبباً للتقدّم، والرفعة عند الله، والقرب

منه:

الصلاة الخاشعة، فقد روى البخاري رَحِمَهُ اللهُ من حديث

عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

«أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟ قَالَ: الصَّلَاةُ عَلَى وَقْتِهَا، قَالَ: ثُمَّ

أَيُّ؟ قَالَ: ثُمَّ بِرُّ الْوَالِدَيْنِ، قَالَ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ

اللَّهِ، قَالَ: حَدَّثَنِي بِهِنَّ رَسُولُ اللَّهِ، وَلَوْ اسْتَزِدْتُهُ لَزَادَنِي»^(١).

وقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «اسْتَقِيمُوا وَلَنْ تُحْصُوا وَاعْلَمُوا أَنَّ

خَيْرَ أَعْمَالِكُمُ الصَّلَاةُ»^(٢). فالصلاة هي المُقدّمة من الأعمال

بفريضتها ونافلتها.

ومن الأعمال التي تُعلي وتُقدّم صاحبها: بِرُّ الوالدين،

وطلب العلم، والعناية بكتاب الله وحفظه ومدارسه،

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه ابن ماجه.

والأخلاق الفاضلة وبكل ذلك وردت النصوص الصحيحة.
 وأعظم تقديم يهبه الله عبده: تقديمه في الجنة، وورقه
 الدرجات العالية فيها - فهو لعمر الله - التقدّم الحقيقي،
 والرفعة السامقة، والعلو المطلق، ولئن كان دخول الجنة
 من أعظم الهبات، وطلبه أنفس المطالب إلا أنّ العبد لا بد
 أن تكون نفسه تواقّة للمنازل العالية فيها، ولذا قال رسول
 الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ، فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ
 أَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى الْجَنَّةِ - أَرَاهُ - فَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ،
 وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ» (١).

وينبغي للعبد أن لا يستهين في قضية التأخر في الزمان
 في باب الطاعات، فمن نظر في حال المتقدمين زماناً من
 صحابة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عرف أهمية التقدّم وشؤم التأخر،
 فقد تقدّم منهم رجالٌ فصاروا هم السابقون من المهاجرين
 والأنصار، فأثنت عليهم الآيات إلى يوم القيامة، ولم يساو

(١) رواه البخاري.

الله بين من تقدّم منهم وأنفق ممّن جاء بعدهم - مع جلاله فضلهم جميعاً - إلا أنّ المتقدمين منهم أرفع درجة، وأعلى مكانة في الدنيا والآخرة، وهكذا من جاء من بعدهم من أهل الطاعات، فأهل القرآن والعلم يُقدّمون على غيرهم، وأهل الفضل لهم التقدّم على من سواهم.

والواجب على العبد أن يُقدّم من قدّم الله، ويُؤخر من أخره، فالله قدّم الطاعات وأهلها والمؤمن تبعاً لأمر ربه **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فَيُقَدِّمُ** من أحبّ الله من الخلق، وفي مقدمتهم الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام، فمحببتهم من أرجى الطاعات.

ويحبّ صحابة نبيه **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**، فهم خير الأُمَّة بعد نبيها، وهم أصحاب السبق، وفضلهم على الأُمَّة لا يُدانيه فضل.

ويُحبُّ أهل العلم والفضل في كل زمان، ويعرف فضلهم على الأُمَّة بنشر الإسلام وتعاليمه، وهذا الحبّ عبادة جليّة ينال بها العبدُ أعلى الدرجات.

ومن اعتنى في هذا الباب أدرك خيراً كثيراً في حُبِّ ما أحبَّ الله من الطاعات وأهلها، وكُرِه ما كره الله من المعاصي وأهلها، فيوافق الله في محابه، وكره ما يكره وهي عبادة قلبية تُعلي صاحبها عند ربه.

واعلم أنّ تقديم الله للعباد باقٍ أبد الدهر وكذا تأخيرهُ، فانظر لتقديمه للأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وكيف هو ثناء أهل الأرض عليهم جميعاً إلى يوم القيامة، وكذا أئمة الهدى، وانظر في المقابل لمن أخره الله كيف بقي أبد الدهر في خزي وسوء مآل، فهذا إبليس تابعت عليه اللعنات إلى يوم القيامة لأنَّ الله أخره، وكذا أئمة الضلالة كفرعون وأبي جهل ونحوهم حقت عليهم اللعنة وسوء العاقبة والمآل بسبب كفرهم وضلالهم.

فاللهم ارفع درجاتنا عندك، وأعلي منازلنا في جنتك، وتولى أمرنا وأنت صاحب الفضل السابق واللاحق يا رب العالمين.

﴿ (٧١ ، ٧٢ ، ٧٣) الوكيل - الكفيل - الكافي ﴾

من أسماء الله (الوكيل) وورد هذا الاسم في القرآن أربع عشرة مرة، ومعناه: الكافي خلقه ما يحتاجون إليه، والذي تُفَوِّضُ إليه الأمور، وتثق بتدبيره القلوب، وتطمئن لصنيعه النفوس.

فالمؤمنون بربهم حقاً قد توكلوا عليه لعلمهم بكفايته العامة، وتبرؤاً من حولهم وقوتهم ليقينهم بحول ربهم وقوته.

ووكالته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّة، فهو كما وصف نفسه: ﴿وَهُوَ

عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيْلٌ ﴿٦٢﴾﴾ [الزمر: ٦٢]

قال البغوي: (أي الأشياء كلها موكولة إليه فهو القائم بحفظها) (١).

(١) [تفسير سورة الزمر للبغوي]

ووكالته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَنْ عِلْمِ كَامِلٍ، وَقُدْرَةِ شَامِلَةٍ،
وَإِحَاطَةٍ عَامَةٍ ف(الوكالة التامة لا بد فيها من علم الوكيل بما
كان وكيلاً عليه، وإحاطته بتفاصيله، ومن قدرة تامة على ما
هو وكيل عليه، ليتمكن من التصرف فيه، ومن حفظ لما هو
وكيل عليه... فأخباره بأنه على كل شيء وكيل، يدل على
إحاطة علمه بجميع الأشياء، وكمال قدرته على تدبيرها،
وكمال حكمته التي يضع بها الأشياء مواضعها)^(١).

والله (هو: المتولي تدبير خلقه بعلمه، وكمال قدرته،
وشمول حكمته، والذي تولى أولياءه، فيسرههم ليسرى،
وجنبهم العُسرى، وكفاهم الأمور، فمن اتخذه وكيلاً كفاه)
قاله ابن سعدي رَحِمَهُ اللهُ^(٢).

ومن أسماء الله: **(الكفيل)** وجاء ذكره في كتاب الله
مرة واحدة، والله هو الكفيل: الذي تكفل بأرزاق العباد

(١) [انظر تفسير سورة الزمر لابن سعدي رَحِمَهُ اللهُ]

(٢) [تفسير ابن سعدي: ٤٨٨/٥]

ومصالحهم، وإرشادهم إلى ما ينفعهم، وتبصيرهم بما يضرهم؛ ضَمِنَ ذلك كله ضماناً كاملاً.

ومن أسماء الله **(الكافي)** وورد هذا الاسم في كتاب الله مرة واحدة في قوله عزَّجَلَّ: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ [الزمر: ٣٦]

وهو: الذي يكفي عباده ما أهمهم من أرزاقهم وأقواتهم وحوائبهم وما يضطرون إليه، وهو الدافع عنهم شرور الدنيا والآخرة، فيكفي من التجأ إليه، واعتمد عليه، وفوض أمره عليه.

وكفاية الله عامّة وخاصّة.

فكفايته العامّة: تأتي على الخلائق كلهم، فيكفيهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى شَأُونَهُمْ كلها، من رعايتهم وحفظهم، ورزقهم، فيعيشون تحت فضله وإحسانه.

أمّا كفايته الخاصّة: فهي لأوليائه، فقد قضى بالكفاية لهم

من كل شرّ، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ﴾ [الزمر: ٣٦]
والاستفهام هنا تقريرى، أي: أنه كفاهم كل ما يحتاجون
إليه.

وكفاية الله لوليه الصادق، وعبده القانت تأتي على حياته
كلها؛ وكلما صدق العبد في توكله على ربه ناله من وكالته
سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وكفايته ما يستغني به عن الخلق أجمعين، وتم له
الرعاية كاملة في أعظم ما يملك من سلامة دينه من الضلالة،
وقلبه من الشبهات المضلة، والشهوات المهلكة، وكفالة
معيشته، ونحو ذلك ممّا يحتاجه لصلاح دنياه وآخرته، فأملاً
قلبك توكلأ عليه، وحسن ظنّ به، وكمال يقين بكفالاته.

ومن عرف الله حق المعرفة اعتمد عليه حق الاعتماد،
ولم يلتفت لأحدٍ سواه، وعلّق قلبه به، وفزع إليه في كل
نوائبه وحوادثه، ومن أوى إلى ربه حقاً، فقد أوى إلى ركن
شديد.

فأرْحْ نفسك من ضعفها وقلقها، واجعلها تفتياً ظلال
(الوكيل، الكافي) وأيقن بحفظه ورعايته وتوليه لأُمورك
كلها، فإنه أرحم بك من نفسك ووالديك، وأيقن أنّ ما
أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك،
وأنّ الأمور منتهية، والقضاء نافذ.

والقلب كلما امتلأ ثقةً بربه صُبت عليه العطايا والخيرات،
واندفعت عنه الشرور بطرق خفية وعجيبة.

والله هو (الوكيل) الذي يدفع عن عبده ما لا يطيق من
أذى الخلق، وظلمهم وعدوانهم، فهو القوي العزيز، وهو
الكافي عبده الشرور كلها، وواقيه كل الآفات.

يكفي المتوكل أنه تحت رعاية ربه الملك العليم، قال

الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣] أي:

كافيه؛ وهذا يعمّ كل كفاية يحتاجها العبد، فلو كاده أهل
الأرض كلهم لجعل الله له مخرجاً.

ومن توكلَّ على الله حق التوكل تبرأ من حوله وقوته،
وحقق التوحيد بجميع صورهِ، فلا يلتفت للأسباب الظاهرة،
ولا يُصيبه خوف من تربص عدوّ، أو اجتماع أهل باطل عليه
ف **(الكافي الحفيظ)** يرهه من حيث لا تحسب، ويحوطه
بعنايته، ويصرف عنه السوء بطرق لا تخطر له على بال .

توكلَّ عليه في (رزقك) فهو الرزاق الكريم، فلا تحمل
همّ رزق، ولا كفاية أهل، فالذي تكفل بأرزاق الخلائق لا
يُعجزه رزقك أو رزق من تعول.

وتوكلَّ عليه في (حفظك) فهو الحفيظ اللطيف، يكفيك
كل بلاء، ويُنجيكَ من كل مكروب، ويجعل لك من كلِّ
همّ فرجاً، ومن كل ضيق مخرجاً، ويرزقك من حيث لا
تحتسب.

وتوكلَّ عليه في (هدايتك) فهو الهادي البصير، يهديك
ويُبصرّك، ويُلهمك ويسدّدك، وهذا - لعمر الله - أشرف
وأعظم أنواع التوكلِّ، وأولاها رعاية.

وتوكلَّ عليه في (نصرتك على عدوك) فهو الذي ينصر أوليائه ويجعل العاقبة لهم، ولئن تأخرت، فإنما هي لحكم تخفى على كثير من الناس.

التوكلُّ على الله: يُوهب صاحبه التوفيق والهداية والوقاية من كل شر وسوء، قال عزَّجَلَّ على لسان نبيه شعيب: ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨]

وهو سببٌ للفوز بمحبة الله، قال الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]

والتوكلُّ على الله حقُّ التوكل: يُستجلبُ به كل مطلوب، وتدرّ به على العبد الأرزاق من حيث لا يتحسب، فكم من امرئٍ رُزق خيراً لم يخطر له على بال، ونال فضلاً ما ظنَّ يوماً من الأيام أن يناله، وكل ذلك بسبب حسن توكله، فكلما حقق العبدُ التوكل على ربه صُبَّ عليه الرزقُ صبّاً، ونزل عليه الفضلُ مداراراً، ذلك أن الله رزاق كريم.

التوكلُ على الله: يُثمر الشعور براحة القلب، وطمأنينة

النفس، فمهما ادّلهمت الخطوب يبقى هذا المتوكل على ربه في طمأنينة عجيبة، ويثبت ثبات الجبال أمام كل فتنة، ذلك أنه يُوقن أنّ أزمة الأمور بيد الله، فمما يخاف أو يرهب؟!!

ولقد سجّلت آيات القرآن الثبات العظيم لأنبياء الله ورسله عليهم الصلاة والسلام، فقال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَنْهُمْ:

﴿ وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصِيرَكَ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فليتوكل المتوكلون ﴾ [إبراهيم: ١٢]

المتوكل على ربه: علم حقيقة الدنيا فزهد فيها، وعلق قلبه في الآخرة ليقينه أنها خير وأبقى، وثوابها دائم لا ينقطع،

قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [الشورى: ٣٦] فحقّق التوكل على ربك لتنال منه

الخيرات التي لا تنقطع عنك، والرحمات التي لا حدّ لها.

اللهم ارزقنا حسن التوكل عليك، والكفاية بك.

﴿٧٤﴾ الجبار ﴿﴾

ورد هذا الاسم في القرآن الكريم مرة واحدة؛ في قوله تعالى: ﴿الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ﴾ [الحشر: ٢٣] وهو اسمٌ جليل من أسماء الله، حوى معانٍ جليلةً يتقلب معها العبد بين الخوف والرجاء، والطمع في فضله والخشية من عقوبته، يقرأه فيتذكر قوته وقهره وعظمته، فإنَّ من معاني الجبار: **القهر والعظمة والقوة.**

- قال الشيخ ابن عثيمين: (فهو الذي قهر الجبابة وغلّبهم بجبروته وعظمته، فكل جبار - وإن عظم - فهو تحت قهر الله عزَّجَلَّ وجبروته، وفي يده وقبضته) (١).

وقد توّعد الله الجبابة بالعذاب والنكال والخزي، فلئن غرّتهم قوتهم في الدنيا، واعتزوا بجندهم، فإنَّ العذاب الأليم

(١) [مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين: ١/١٠٦]

ينتظرهم يوم الحساب جزاءً وفاقاً، قال الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى:

﴿وَأَسْتَفْتِحُوا وَحَابَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ مِّنْ وَّرَائِهِ جَهَنَّمَ وَيُسْقَىٰ مِنْ

مَّاءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ، وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ

مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَّرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾ [إبراهيم: ١٥ - ١٧]

- ومن معان **(الجبار)**: أنه المصلح أمور خلقه، فيجبر

الفقير ويُغنيه بعد فقره، وَيَجبر الجاهل ويعلمه بعد

جهله، وَيَجبر المريض ويعافيه بعد مرضه .. وهكذا

صنيعه سُبحَانَهُ وَتَعَالَى مع عباده يَجبرهم ويعافيهم في

أمورهم كلها وَيُصلحها لهم، قال الطبري رَحِمَهُ اللهُ:

(«الجبار»): يعني المصلح أمور خلقه المصرفهم

فيما فيه صلاحهم^(١).

- ومن معاني **(الجبار)**: العالي فوق خلقه، قال

الخطابي: **(«الجبار»):** العالي فوق خلقه. من قولهم:

تَجَبَّرَ النبات إذا علا واكتهل، ويُقال للنخلة التي

(١) [تفسير الطبري: ٢٨/٣٦]

لا تُنال باليد طُولاً: الجبارة^(١).

وَقَالَ السَّعْدِيُّ: ((الجبَّارُ): هُوَ بِمَعْنَى الْعَلِيِّ الْأَعْلَى،
وَبِمَعْنَى الْقَهَّارِ، وَبِمَعْنَى الرُّؤُوفِ الْجَابِرِ لِلْقُلُوبِ الْمُنْكَسِرَةِ،
وَلِلضَّعِيفِ الْعَاجِزِ، وَلِمَنْ لَأَذَبَهُ وَلَجَأَ إِلَيْهِ)^(٢).

- ومن معاني هذا الاسم الجليل: **أنه جبر الخلق على ما أراد**، فما أراد من الخلق فعله لأنه إذا أراد شيئاً قال له كن فيكون، وليس جبره متعلق بالهداية والإضلال، فقد جعل سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِلْعَبْدِ الْإِخْتِيَارَ وَمَكَّنَهُ مِنْ ذَلِكَ، وهذا أمرٌ لا يُنْكَرُهُ إِلَّا مُكَابِرٌ، وإنما المراد جبر خلقه على ما يريد من الأقضية الكونية التي لا يستطيع أحدٌ ردها، وجبرهم على أوامره الشرعية التي أمرهم بها، ف**(جبر خلقه على ما شاء من أمر ونهي، بمعنى أنه شرع لهم من الدين ما ارتضاه لهم، فشرع لهم**

(١) [شأن الدعاء: ٤٨]

(٢) [تفسير سورة الحشر]

من الشرائع ما شاء، وأمرهم باتباعها ونهاهم عن
العدول عنها، فمن أطاعه دخل جنته، ومن عصاه
دخل النار^(١).

وجبر الله سبحانه وتعالى لعباده يدلاً على كمال ملكه، فلا
يكون في الكون إلا ما شاء وأراد.

- ومن المعاني اللطيفة لاسم الجبار: أنه الذي
يجبر قلوب المنكسرين، فمن لاذبه ولجأ إليه
تولاه بالرعاية، فيلطف بأفئدة الخاشعين، ويجبر
المصابين بتوفيقهم للصبر، ويعوّضهم بخير العطايا
جزاء صبرهم، فليتأمل العبد في هذا، وليتذكر رحمته
ولطفه وجبره للقلوب.

جبر كسر المريض الذي خرت قواه، وضعف عن
الحركة، فردّ له عافيته، وكشف ما به من ضرر.

(١) [مختصر النهج الأسمى: ٦٨]

وَجَبَّرَ كَسْرَ الْحَزِينِ الذي فقد عزيزاً، فربط على قلبه،
وقوى الصبر في نفسه، فأعانه على احتساب ما في هذه البلية
من أجر للصابرين، وعوّضه خيراً مما فقد.

أذكر أنّ لي صاحباً فقد أسرته كلها في حادثة غرق
عبارة السلام - زوجته وأولاده الثلاثة - فقلنا له سيعوّضك
الكريم، وسيجبر كسرك الجبار وشجعناه على الزواج،
فتزوج ورزقه الله بخمسة أبناء، **فيجبرُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى كَسْرَ مَنْ**
حلت به مصيبة، أو نزلت به كارثة، في نفسه أو ماله أو ولده،
فيربط على قلبه، ويُلهمه الرضا واحتساب الأجر.

ويجبرُ كَسْرَ مَنْ سُدَّتْ بوجهه أبواب الرزق، فيزيده ثقة
بربه لعلمه أنّ المقادير بيده، وأنّ الخيرة فيما يختاره الله له.

ويجبرُ كَسْرَ الْعَقِيمِ الذي يعتصر قلبه ابتغاء الولد،
ويتمنى أن لو كان بين يديه من يناديه من الأبناء، فيجعل في
قلبه السكينة، ويعظم في قلبه الأمل **(وكل كسر أَلْجَأَكَ إِلَى**
الله فهو جبر)

- ومن معاني اسمه الجبار التي قلماً يُتفطن لها: أنه يجبر قلوب أوليائه الذين اشتاقت قلوبهم لربهم، فيملاً قلوبهم بحبه ومعرفته، ويجعلهم يستغنون به عن الخلق، ويؤذيهم لذيد مناجاته، فتجد أحدهم قد أنس بربه ومولاه، وآثره على الخلق أجمعين، فيخلو به في أوقات كثيرة - خصوصاً الشريف منها - كوقت السحر، وآخر ساعة في الجمعة، ويفرح بهذه الخلوة كفرح المحبين بخلوتهم بأحبابهم بل أعظم من ذلك.

- ومن تجبر على الشرع فلم يخضع للأوامر، أو تجبر على الخلق فأذاهم وظلمهم طبع الله على قلبه وأضله وأذله، وهذا من أعظم العقوبات التي ربما لا يشعر به الظالم الجبار، فليحذر العبد من هذا، فإن عواقبه وخيمة على صاحبها، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿كَذَلِكَ

يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾ [غافر: ٣٥]

- وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْعُو بَيْنَ السَّجْدَتَيْنِ يَقُولُ :
**«اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي وَاجْبُرْنِي وَارْفَعْنِي وَاهْدِنِي
 وَعَافِنِي وَارزُقْنِي»** (١).

قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ: **(وَاجْبُرْنِي)** أَي: **أَغْنِنِي**، مَنْ جَبَرَ اللَّهُ
 مُصِيبَتَهُ: أَي: **رَدَّ عَلَيْهِ مَا ذَهَبَ مِنْهُ وَعَوَّضَهُ، وَأَصْلُهُ مِنْ جَبَرَ
 الْكَسْرِ**.

وهو معنى قلما يتفطن له أحد.

وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعْظَمُ رَبُّهُ أَيْضًا بِهَذَا الْاسْمِ فِي الصَّلَاةِ
 - فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ - كَمَا جَاءَ فِي حَدِيثِ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ
 الْأَشْجَعِيِّ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ: **«سُبْحَانَ ذِي
 الْجَبَرُوتِ وَالْمَلَكُوتِ وَالْكِبْرِيَاءِ وَالْعَظَمَةِ»** (٢).

(١) رواه أبو داوود .

(٢) رواه أبو داوود.

أيها العبد الموفق /

كن جابراً للمنكسرين، معيناً للمستضعفين، مؤنساً
للمستوحشين، فمن جبر كسر عباد الله جبر الله كسره،
ومن أعانهم أعانه، ومن بذل لهم ما يستطيع جازاه الله على
جميل فعله، ومن فرّج عنهم فرج الله عنه، فالجزاء عند الله
من جنس العمل.

فاللهم اجبر قلوبنا، واغفر ذنوبنا، واختم بالصالحات
أعمالنا.



﴿ ٧٥ ، ٧٦ ﴾ المعطي - الجواد

لم يُذكر اسم **(المعطي)** في كتاب الله، وإنما ورد في السُّنة، ففي حديث معاوية بن أبي سفيان قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ وَاللَّهُ الْمُعْطِي وَأَنَا الْقَاسِمُ»^(١).

كان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول بعد السلام من الصلاة: «اللَّهُمَّ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ»^(٢).

فالله هو المعطي الجواد؛ وعطاؤه عامٌ وخاصٌ.

فعطاؤه العام: شامل للخلائق أجمعين؛ فلا يُعطي مثل عطاءه أحد.

تأمل في عطاءه للعالمين، وانظر ماذا أنفق على خلقه

(١) رواه البخاري ومسلم واللفظ له

(٢) رواه البخاري ومسلم.

وأعدادهم بالمليارات، وهذا العطاء قد كفاهم في معيشتهم وحياتهم، ومع سعته فإنه لم ينقص ما في يمينه - وكلتا يديه يمين - فهو سحّاء الليل والنهار، وعطاؤه ليس خاص فقط ببني الإنسان بل هو لكل حي من إنس وجنّ وحيوان؛ عطاءً واسعاً ما جعل حياتهم تقوم بأحسن حال.

وعطاؤه العام للمؤمن والكافر والبرّ والفاجر، فلم يمنعه كفر الكافر أن يُعطيه كفايته، ولا فجور الفاجر أن يكفيه حاجته ذلك أنه جواد كريم.

وقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**والله المعطي**»^(١).

فيه الحصر لمن يملك العطاء وحده، فالله هو المُعطي على الحقيقة؛ ولئن كان العطاء يأتي عن طريق العباد فإنه لا يكون إلا بإذنه، فلا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع.

انظر لكثير من الخلق يسعون سعيًا في طلب معيشتهم

(١) رواه البخاري ومسلم.

وأرزاقهم، ولكنهم لا يُحصلونها، ولا يظفرون بكثير من مطالبهم، ذلك أنّ الله منع عطاءه عنهم، ولم يأذن لهم بهذا الشيء، قال الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى عن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو يصف عطاء الربوبية العام: ﴿رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ (٥٠)

[طه: ٥٠]

وإذا تأملت هذا وجدت عظمة لا تنتهي لها، ويمتنع على أحد الإحاطة بها، فانظر لعدد الخلق، وكيف يُعطي هذا ويمنع ذلك، ويُزاد في رزق الأوّل، ويُنقص من رزق الآخر، وكل ذلك بعلمٍ حكمة، فسبحان ربنا العظيم ما قدره العباد حق قدره، وما عرفوه حق المعرفة.

انظر إلى عطاء الصحة والعافية، فهذا المريض يسعى سعياً حثيثاً في تحصيل العلاج ولكن تبوء محاولاته كلها بالفشل لأن معطي الشفاء سُبحَانَهُ وَتَعَالَى لم يأذن له به، وبالمقابل يعافي غيره بأدنى سبب، وبلا سبب.

وانظر لعطائه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي الْعِلْمِ، فهذا الطالب يبذل جهداً في التحصيل، ولكنه لا يظفر من ذلك بشيء لأن المعطي سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لم يُقدِّر له ذلك، ويُعطي غيره من العلوم ما يُبهر الخلائق بعطيته له.

وانظر لعطائه إلى التاجر وكيف يواصل الليل بالنهار لينال نصيباً من المال، فيبذل الأسباب، وينوع في الطرق وقد اجتهد في ذلك اجتهاداً كبيراً، وأتى بأسباب الربح ولكنه لا يظفر بمطلوبه لأن الله لم يكتب له ذلك الرزق... في سلسلة وصور لا حصر لها من المنع والعطاء التي لا يملكها إلا الله وحده.

وبالمقابل إذا تأملت عطاءه الواسع لغيرهم وجدته عطاءً كثيراً كبيراً، فيُعطي هذا المال الوفير، ويديم على ذاك الصحة زمناً طويلاً حتى لا يكاد يمرض إلا نادراً، ويفتح على ذاك من العلوم بالعلم الغزير... في عطاءات لا تنتهي لها، وكل ذلك العطاء والمنع بعلم وحكمة.

وعطاءُ الله ومنعه العام ليس دليل رضا عن عبده
 أو سخطه عليه في كل حال، فانظر كيف وسّع وأعطى
 الكافرين والفاسقين مع كفرهم وفسقهم، فليحذر من لا
 يزال مقيماً على المعاصي وعطاء الله لا يزال يُصبّ عليه،
 فقد يكون ذلك استدراجاً ومكراً به، فعن عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ،
 عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا رَأَيْتَ اللَّهَ يُعْطِي الْعَبْدَ مِنَ
 الدُّنْيَا عَلَى مَعْصِيهِ مَا يُحِبُّ فَإِنَّمَا هُوَ اسْتِدْرَاجٌ» ثُمَّ تَلَا
 رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ
 أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾
 [الأنعام: آية ٤٤] (١).

قال تعالى: ﴿كَلَّا نُمَدُّ هَتُوْلَاءِ وَهَتُوْلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ
 رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ [الإسراء: ٢٠] فالدنيا لا تساوي عنده جناح
 بعوضة، فلا يغترّ بها إلا المغرور.

(١) رواه أحمد في المسند، وصحّحه الألباني.

وأما العطاء الخاص: فهو لخاصة عباده المؤمنين.

وهو العطاء المبارك للقلوب يوم يمدّها الرحمن بالإيمان، والرغبة في فعل الخير والإحسان، ويجعل فيها حبّ نفع الخلق - وهذا العطاء أشرف أنواع العطاء، وأخصّه بالرحمة - وهو الفضل الكبير الذي لا يوازيه فضل، ولا يدانيه عطاء، وهو أنواع لا حصر له.

فمن عطائه الخاص: عطاء العلم به وبشرعه وحكمه وأحكامه، فهو عطاء يخصّ الله به من شاء من عباده، وفي الحديث يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ»^(١).

ومن العطاء الخاص: عطاء القناعة والرضا، يوم تقنع النفوس برزق ربها وكفايته لها، فلا تطمع في دنيا زائلة ليس من ورائه إلا الانشغال بها عن معالي الأمور؛ فهذا هو العطاء الذي لا يفقهه إلا سادة الخلق وأعقلهم يوم عرفوا

(١) رواه مسلم.

أنّ العطاء الحقيقي هو الذي يمتدّ حتى يُوصل صاحبه إلى جنّات النعيم، فكل عطاء دنيوي مصيره إلى زوال، وكل رزق لا ينفع في الآخرة فهو رزق مؤقت، ولذا كانت قلوب المؤمنين متعلّقة بعطاء ربها الباقي الذي لا يحول ولا يزول، قال الله تعالى - عن هذا العطاء -: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا ففِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرٌ مَجْدُوزٍ﴾ (١٠٨)

[هود: ١٠٨]

وأيقن - أيها المؤمن - أنّ عطاء الله العام، عطاءً بعلم، ومنعه بحكمة وتدبير لشؤون العباد، وعطاؤه الخاص عطاءً فضل وجود وكرم ورحمه.

ومنعُ الله لعبده ما يتمنى في أحيانٍ كثيرة رحمة به، يقول رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن الله ليحمني عبده المؤمن الدنيا وهو يحبه، كما تحمون مريضكم الطعام والشراب»^(١).

(١) رواه أحمد وصحّحه الألباني.

من عرف ربه بسعة العطاء: أسند النعم له وحده دون سواه، وتعلق قلبه به فقط، ولم يلتفت لمخلوق، فحقق التوحيد بأوضح صورته.

ومن عرف ربه بسعة العطاء: أحبه لا محالة، فهو يرى ترادف نعمه عليه صباح مساء، وفي كل نفس من أنفاسه.

ومن عرف ربه بسعة العطاء: سحّ بما في يده، وأنفق ولم يخش من ذي العرش إقلالاً، فقد آمن بسعة جود ربه، وكثرة عطائه، ووفائه بالخلف، وكثرة عوضه للمنفقين.

ومن عرف ربه بسعة العطاء: لم يمنّ بعطية على أحد، ولم يُعجب بعمل، ولم يسند الفضل إلا إلى الله متجرداً من الحول والطول، فقد أيقن أنّ الفضل كله لله، فهو الذي رزق ووسّع، وهو الذي يسّر وهياً، وهو الذي أعان وسهّل، وهو الذي وفق النفس للبذل.

ومن عرف ربه بسعة العطاء: لم يزل لسانه يلهج بالثناء عليه، والشكر له، والاعتراف بفضله، وسعة جوده، وامتداد فضله.

وهذه المعرفة تورث العبد لزوم باب الدعاء على الدوام، وإنزال الحوائج به فقط دون سواه ليقينه أن عطاء ربه كلام ومنعه كلام، وهو المالك لكل شيء، فإذا أراد شيئاً فإنما يقول له: ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾ [النحل: آية ٤٠].

والله جواد.

ولم يُذكر اسم (الجواد) في كتاب الله، وإنما ورد في السنة، قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ جَوَادٌ يُحِبُّ الْجُودَ»^(١).

و(الجوادُ): هو كثير الفضل والإحسان؛ وجوده عام لا ينقطع عن عباده حتى وإن كانوا مقيمين على معصيته وما يُسخطه، وهذا من سعة رحمته وفضله.

(١) رواه البيهقي، وهو حديث صحيح أورده الألباني في صحيح الجامع.

أمّا جوده على أوليائه، فهو جود خاصّ بما جاد به عليهم من الإيمان، وما فتح به عليهم من المعارف والفتوحات الربانية من العلوم النافعة، وبما جاد عليهم من القبول عند الخلق، والبركة في أعمالهم الدينية، وما أبقاه لهم من حسناتٍ باقياتٍ لا يزالون ينتفعون بها في قبورهم وتصلهم حسناتها نعمة منه وفضلاً.

وسعة جوده لا حصر لها، فمن ذلك: أنّه أمر عباده أن يسألوه، ومن زاد في المسألة زاد حبه له، بل إنّه يغضب على من لا يسأله، ذلك أنّه جواد كريم.

ومن كمال جوده: أنّه أذن لعبده بمناجاته، ولم يجعل بينه وبين عبده واسطة في مسألته، بل إنّ العبد يناجي ربه في أيّ ساعة شاء من ليل أو نهار.

ومن سعة جوده: أنّه حبّب لعبده الإيمان وزيّنه في قلبه، وكرّه إليه الكفر والفسوق والعصيان.

ومن سعة جوده وإحسانه: أن فتح لعباده أبواب العبادة،
وعرفهم مواقع رضاه ليكثر وا منها.

وعندما يتذكر العبد الجنة وما فيها من نعيم متزايد لا
ينقطع أبد الآباد لهذه الأعداد الهائلة من أهل الإيمان يحار
في التأمل، ويتبدد ذهنه في التفكير في سعة جود الله وعطائه
لأهل كرامته، فاللهم لا تحرمنا فضلك وجودك يا رحمن.

اللهم أعطنا من الخير فوق ما نُؤمل، واصرف عنا من
الشرف فوق ما نحذر، اللهم أعطنا ولا تحرمنا، وزدنا ولا
تنقصنا، وآثرنا ولا تُؤثر علينا.

اللهم ما سألناك فأعطنا، وما لم نسألك فلا تحرمنا، وما
قُصرت عنه آمالنا فابتدئنا.



﴿ ٧٧ ، ٧٨ ﴾ القابض، الباسط ﴿﴾

الله هو القابض والباسط على الحقيقة، فهو الذي يبسط الرزق والعطايا والخيرات على عباده، ويضيّقه عليهم بحكمة تامّة، وعلم محيط بكل شيء.

وقد ورد هذان الاسمان بصيغة الفعل في غير ما موضع من كتاب الله، قال الله سُبحانه وتعالى: ﴿الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويفقدر له﴾ إن الله بكل شيء عليم ﴿٦٢﴾ [العنكبوت: ٦٢]

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله تعالى هو: الخالق، القابض، الباسط، الرازق، المسعر...» (١).

فهو يقبض ويبسط باللطف، وحسن التدبير والتقدير، وبكمال العلم والخبرة، رافة وحكمة وعلمًا.

فإذا علم العبد هذا فواجبه الرضا بقضاء الله عليه، وليؤمن أنّ الخير كل الخير فيما قدره عليه ربه، فكم من أمرٍ

(١) رواه أبو داود.

قَبْضَهُ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَنْ عَبْدِهِ فَحَزَنَ لَهُ ثُمَّ تَبَيَّنَ لَهُ بَعْدَ مَدَّةٍ أَنْ خَيْرَتَهُ فِي ذَلِكَ الْقَبْضِ.

وَفِي قَبْضِهِ وَبَسْطِهِ نَفَازٌ لِإِرَادَتِهِ، وَكَمَالٌ حِكْمَتِهِ، وَسِعَةٌ رَحْمَتِهِ.

وَقَبْضُهُ وَبَسْطُهُ لِلْعِبَادِ بَحْرٌ لَا مَتَهَى لَهُ.

قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: (وَأَعْظَمُ الْبَسْطِ: بَسْطُ الرَّحْمَةِ عَلَى الْقُلُوبِ لِتَنْشِرحِ لِفِعْلِ الطَّاعَاتِ، وَتَسْهُلِ عَلَيْهَا الْقُرْبَاتِ)

وَهُوَ الشَّرْحُ الْمَذْكُورُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ، لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ﴾ [الزمر: ٢٢] وَهُوَ أَشْرَفُ أَنْوَاعِ الْبَسْطِ وَأَحْسَنُهُ رِزْقًا، فَيُبْسِطُ لَهُ فِي حَبِّ الْخَيْرِ وَحُبِّ أَهْلِهِ، وَيَقْبِضُهُ عَنِ فِعْلِ الشَّرِّ وَالْبَعْدِ عَنْ أَهْلِهِ.

وَهُوَ الْبَاسِطُ: النَّاشِرُ فَضْلَهُ عَلَى عَبْدِهِ، فَيُعْطِيهِ أَكْثَرَ مِمَّا يَحْتَاجُهُ.

وَبَسْطُ اللهِ مِنْ دَلَائِلِ رَبُوبِيَّتِهِ وَوَحْدَانِيَّتِهِ، فَلَقَدْ كَانَ مِنْ ثَنَاءِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى رَبِّهِ فِي هَذَا الشَّأْنِ مَا جَاءَ فِي مَسْنَدِ

أحمد رَحْمَهُ اللهُ من حديث رفاعة بن رافع رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: «لَمَّا كان يومُ أُحُدٍ، وانكفأ المشركون، قال رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأصحابه استَوْوا حتى أُثْنِيَ على ربي عزَّجَلَّ ثمَّ قال: «اللهم لك الحمدُ كُلُّهُ، اللهم لا قابضَ لما بسطتَ، ولا مُقَرِّبَ لما باعدتَ، ولا مُبَاعِدَ لما قرَّبتَ، ولا مُعْطِيَ لما منعتَ، ولا مانعَ لما أعطيتَ، اللهم ابسطْ علينا من بركاتِكَ ورحمتِكَ وفضلِكَ ورزقِكَ، اللهم إني أسألك النِّعَمَ المقيمَ الذي لا يُحُولُ ولا يزول..»^(١). الحديث.

فهو بيده الخفض والرفع، والقبض والبسط، والعطاء والمنع، وأمور العباد تحت إرادته ومشئته، فمن يرد رِفْعته رَفَعه ولا خافض له، ومن يرد خَفْضه خَفَضه ولا رافع له، فسبحان من بيده القبض والبسط.

وبسْطه لعبده لا منتهى له، ويعظم ويكثر مع كثرة الإلحاح في المسألة، والصدق في الدعاء، فاسأل ربك بصدق أن يبسط

(١) مسند أحمد

عليك من بر كاته لتجد من العطايا والخيرات ما لا يخطر لك على بال، فكم من رزق رُزقه العبد، ووسّع عليه فيه بدون مسألة أو دعاء، ولو عُدت بذاكرتك لو جدت هذا الأمر حاضرًا بين ناظريك، فكيف مع كثرة الدعاء والإلحاح؟!

ويُسِّطُ اللهُ على عبده الخير الكثير، ويُبارك له في وقته وعمره، فتجد عنده من البركة في الوقت والإنجاز في عمله، ونفع الأمة ما لو اجتمع العشرات بل ربما المئات على أن يُنجزوا مثل عمله لما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، ولك في رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ برهان بين من بسط الله له ولدعوته، ونزول بركته عليها، فإنه لم يمكث بين أصحابه إلا ثلاثاً وعشرين عاماً فقط ثبتت فيها دعائم الإسلام في جزيرة العرب كلها، وأنشأ جيلاً حملوا الرسالة من بعده، وبَسَطَ اللهُ بركته على خلفائه الراشدين فنشروا الإسلام في خارج الجزيرة ووصلوا إلى ما وصلوا إليه، وبَسَطَ على العلماء في التأليف ونشر الخير ما هو معلوم وبقا أثره.

فإذا رضي الله عن عبده بسط له من البركات في العلم والعمل ونفع المسلمين ما يجده في حياته، وما يُخلفه وراءه من علم نافع وأثر باق يشهد له، فبسط الرحمة والفضل والرزق عطايا كريمة من الرحمن عزَّجلاً لا حدَّ لها.

ويَسُطُّ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى عِبْدِهِ بِالْعَمْرِ، فيهبه عمراً طويلاً في حين أنه يرى الموت يخطف غيره في سنٍ أصغر منه بكثير، ويُعَمِّرُهُ هو لِيَتِمَكَّنَ مِنَ الْعَمَلِ الصَّالِحِ، ويتزوّد من الباقيات الصالحات، فيكون من خير النَّاسِ، يقول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «خَيْرُكُمْ مَنْ طَالَ عُمُرُهُ، وَحَسُنَ عَمَلُهُ»^(١).

ويَسُطُّ اللهُ تَعَالَى لِعَبْدِهِ فِي كَثْرَةِ الْوَلَدِ وَالذَّرِيَةِ، فتري الرجل ربما رأى العشرات من الأبناء والأحفاد وأحفادهم، بَسُطًا مِنَ الرَّحْمَنِ وَمِنَّةً وَعَطَاءً وَرَحْمَةً لَهُ لِتَلْحِقَهُ الدَّعَوَاتُ فِي حَيَاتِهِ وَبَعْدَ مَمَاتِهِ.

(١) رواه الترمذي.

ويُسْطُ له في الأموال، فيهب له المال الكثير لِيُنْفِقَه على نفسه وعلى من يعول، ويستغني به عن الخلق، وربما زاد ووفق فأنْفَقَه في سبيل الله تعالى، وكم كان المال سبباً في رضا الله عن عباده، ونيل العبد أعالي درجات الجنان، وما حال عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ومن بعده من الأخيار ممّن تاجروا مع ربهم بأموالهم وانتفعوا بها عنا ببعيد.

ويُسْطُ له في المناصب، فينال من المناصب ما يرتفع به ذكره، وينفع به المسلمين، وينال الأجور العظيمة، وانظر إلى الملوك الصالحين، وكيف يفوزون بأعلى الدرجات بنفاد أمورهم في تحكيم شرع الله في الأرض، وإقامة الحدود، والتوفيق لأعمال البر من بناء المساجد، ودور العلم ونشر الشريعة بين العباد، ويبسط على غيرهم ممّن أوتوا مناصب في دنياهم، فينتفعون بمناصبهم ويجعلونها قرابة لهم عند مولاهم.

وأعظم البسط بسط العلم، فهو البصيرة والنور لصاحبه، وهو الذي يُعليه مراتب في الدنيا والآخرة، ولما اعترض قوم موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ على اصطفاء طالوت عليهم بين لهم نبينهم عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّ من أسباب نيله هذه الولاية بسطة العلم والجسم، فدل هذا على أهميتها وعِظَم شأنها، قال اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلَكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٤٧]

ويسطُ فضله ورحمته على القلوب المؤمنة فتحب الطاعات، وتستسهل القربات، فتجد العبد الموفق كثير الصلاة، طويل القيام يتلذذ بوقوفه بين الله تعالى، ويؤديها بنفس منسرحة في حين أن غيره يعجز حتى عن الفريضة. وتتأمل في حال بعضهم لترى عجباً عجاباً في انشراح صدره للنفقة، فتجده يُنْفِق نفقات كثيرة في أبواب شتى

بسَخاء عَجيب ما يَحَارُّ معه المرء وهو يرى سعة إنفاقه،
وما علم أنَّه من بسَط الكَريم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وشرح صدره لها.
ويبسَط لبعضهم في حَبِّ الصيام، فيصوم الأيام الطوال
شديدة الحرِّ متلذذاً بهذه العبادة، وغيره يرى أنَّ صيام
رمضان الواجب أشق ما عليه.

وتجد من بسَط له في حَبِّ العلم، فيُنْفِق ماله لأجل
تحصيله، ويمضي عمره كله متنقلاً بين أرواقه -مطالعةً
وحضوراً لمجالسه وتصنيفاً وتأليفاً- وكل ذلك من بسَط
الله له وفضله ورحمته به، فالعلم من أنفس العطايا والهبات.
ويبسَط لبعضهم في حَبِّ الحَجِّ والعمرة، فيتابع بينهما
حتى أنك لتعجب من حال من وُفِق لهذا، فتجده حجَّ
خمسَين أو ستين حجَّة، وهذا من فضل الله على عبده في
هذه العبادة.

ومنهم من يبسط له في كثرة تلاوة القرآن فيمنَّ الله عليه
بكثرة الختمات.

ومنهم من يبسط له في ذكر الله، فلا يزال لسانه رطباً بذكر
الله على الدوام.

وَبَسَطَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى عِبَادِهِ فِي بَابِ الْقُرْبَاتِ لَا حَصْرَ
لَهُ.

فاللهم ابسط علينا من بركاتك ما يكون لنا رفعة لنا
عندك، وأثراً بعد الممات.

وعلى من بسط الله له في العلم أن ينشره، ومن بسط له
بالمال أن يُنْفِقَهُ، ومن بسط له بالصحة أن يغتنمها بكثرة
الطاعات، ومن بسط له في الوقت أن يغتنمه في طاعة ربه،
ومن بسط له في الفهم أن يستخدمه فيما ينفعه، فكل هذا
فضل من الله تعالى على عبده ورحمته به، فحقه الشكر
والاعتراف بنعمه، وليحذر من بسط له في هذه الخيرات
من أن تكون حُجَّةً عليه، فكم من طالب علم صار علمه
وبالاً عليه، وكم من صاحب مال أورده ماله نار الجحيم
باستخدامه في معصية ربه، وكم من صاحب سلطة ظلم

غيره بها، وكم من فارغ كان فراغه سببَ هلاكه، فتذكر
فضل هذه الأرزاق واغتمها في ما يُرضي ربك عليك .

ولا يغترّ أحد ببسط الدنيا، فالله يبسطها للكافرين
والعصاة - وهو بسطٌ مكرٍ واستدراج - فإنّها لا تساوي
عنده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى شَيْئاً ولكنها متاع الغرور، ولأنّها هي همّ
أكثر الخلق فيظنون - لفرط جهلهم - أنّ بسطها لهم من
علامات رضاه، وهذا ظنٌّ خاطئ، وبرهان ذلك أن تنظر
كيف بسطها لفرعون فملكه مصر، وجعل الأنهار تجري
من تحته، وانظر كيف بسطها للكافرين في زماننا، فعندهم
من بسط المعيشة ما ليس عند كثير من المسلمين، فكيف
يكون هذا من علامات رضاه؟!

ولقد أبانت الآيات أنّ الله قادر على أن يجعل بيوت
الكفار من ذهب وفضة لحقارة الدنيا عنده، فهي لا تساوي
عنده شَيْئاً، ولكنّ أكثر الناس لا يعقلون، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:

﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لَبُيُوتِهِمْ

سُقْفًا مِّنْ فَضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرَرًا عَلَيْهَا
يَتَكُونُونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرَفًا وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَّعُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ
عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾ [الزخرف: ٣٣-٣٥]

(وهو الباسط الحليم) فلا يمنعه عصيان عبده من بسط
رزقه عليه، ولا يحرمه فضله مع جراته على حرمانه.

ففي الخلق من يبارزون ربهم بالمعاصي والمحرمات
صباح مساء بل يباتون على معصية، ويستيقظون على
أخرى، ومع ذا يبسط عليهم رزقه ويغذيهم بنعمه من غير
سؤال منهم، وما ذاك إلا لسعة فضله، وكمال جوده.

وهو **(القابض)** سبحانه، ولا يُطلق اسم القابض على
الله إلا مقرونًا بالباسط، فيقال: القابض الباسط، لأن في
اجتماعهما الكمال المطلق، فيكون فيه الإخبار عن القدرة،
والدلالة على الحكمة.

والقبض هو: التضييق.

وَقَبْضُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بَعْدَلُهُ، وَبَسْطُهُ بِجُودِهِ: ﴿لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ

وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣] فيقبض ويبسط بعلم وحكمة من

غير ظلم أو منع حق، ومن تأمل في حاله وجد أنّ ما بسط الله عليه أضعاف أضعاف ما منع، فانظر كيف بسط على جسديك، وجعلك تكبر شيئاً فشيئاً، وأحاطك برعايته وحفظه منذ ولادتك حتى تلقاه، ولو تأملت إلى مجمل حياتك وجدتها عافية، ولا يعتريك المرض إلا أياماً معدودات.

ومن نظر في قضية الطعام والشراب - وهو مادة حياة الخلق - اعترف بفضل ربه عليه بسد جوعته، وكفايته من المطاعم والمشارب، ولئن أصاب بعض الخلق جوعٌ وعطشٌ فهما لا يُذكران أمام الملايين ممن كفاهم الله ذلك، وهكذا حياة الخلق كلهم تجد فيها بسط الرزق والعطايا عليهم غالب.

ويقبضُ اللهُ قلبَ الكافر فلا يشرحه للإسلام مع كثرة

البراهين الدالة على أنه الحق.

ويقبضُ اللهُ على قلب العاصي فلا يُؤدي فريضة، ولا يفعل طاعة، وتثقل عليه القُربات، وتراه محبوساً عنها، قد هجر المساجد، وتمرّ عليه مواسم الخيرات وهو في وادٍ سحيق من ظلمات الحرمان.

ويقبضُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى القلوبَ فتمتلئ همّاً على أصحابها، وتجد فيها من الضيق ما لو اجتمع أهل الأرض أن يفسحوا ذلك القلب لما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً.

وقد يكون الإنسان عنده من الأموال ومظاهر الرفاهية ما يظنّ معه نيل السعادة والفرح، ومع ذا ففيه من الضيق ما كأن جبال الدنيا على صدره لأنّ الله قبض على قلبه فصار إلى ما ترى.

والله عَزَّوَجَلَّ هو القابض لأرواح العباد عند الممات بواسطة رسله من الملائكة؛ وقبض الأرواح آية من آيات عظمته، ودليل ظاهر من دلائل قدرته، فكم يموت في اللحظة الواحدة من خلق الله!!

ومع كثرتهم فإنه سبحانه - يعلم وقت خروج أرواحهم،
ومكان موت تلك الأنفس، وحالتها عند وفاتها من حسن
الخاتمة أو سوءها، ومن تنوع حالها بين النعيم أو العذاب،
وهل صاحبها من أهل اليمين أو الشمال أو ممن من الله عليه
فصار من السابقين في قدرة وقوة عظيمة للإحاطة فسبحانه
عَزَّوَجَلَّ .

ويقبض سبحانه وتعالى الأرض يوم القيامة مع سعتها وعظم
خلقها لأنه العظيم الجليل، بل إن الأرض والسموات في يد
الرحمن سبحانه وتعالى كخردلة في يد أحدنا.

فسبحان القابض الباسط، الذي بيده الأمور كلها،
فاللهم بإيماننا بوحدانيتك واعترافنا بقدرتك على القبض
والبسط، اشرح صدورنا وصدور أبنائنا وذرياتنا والمسلمين
لطاعتك، وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب.



﴿ ٧٩ ، ٨٠ ﴾ الولي - المولى ﴿

ورد اسم: **(الولي)** في آيات كثيرة، منها: قوله تعالى:

﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [سورة البقرة: ٢٥٧]

وأما اسمه **(المولى)** فقد ورد اثنتي عشرة مرة، منها:

قوله تعالى: ﴿وَأَعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَأَرْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى

الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٨٦] وقوله تعالى: ﴿بَلِ اللَّهِ

مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٠]

فالله هو الولي المولى، ومعنى **الولي**: النصير والظهير

والمعين.

فهو الذي يتولى أمور العباد كلهم، يدبرها كيف يشاء،

ويصرّفها بمقتضى إرادته وحكمته؛ وتوَلِيهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أُمُورُ

العباد كلهم دليل على سعة علمه، وكمال قوته، ونفاذ مشيئته

فيهم، وتمام حكمته في تدبيرهم.

وولايته سبحانه وتعالى عامة وخاصة.

فالولاية العامة: شاملة للخلائق كلهم في جميع أمورهم، فقد تولى الله أمر الكون كله -سمائه، وأرضه، بره وبحره، وفضائه الواسع - فدبره بإتقان تام، وقدرة كاملة، وقوة شاملة.

وتولى سبحانه وتعالى أمور العباد، فدبر شؤونهم بالإحياء والإماتة، والعافية والبلاء، والصحة والمرض، والغنى والفقر، ورعاهم الرعاية العامة والحفظ الشامل، وكل ذلك برهاناً ساطعاً أنّ العباد طوعاً وتدبيره لا خروج لأحد منهم عن نفوذ مشيئته، فمن كتب عليه المرض مرض، ومن كتب له العافية عوفي، ومن قضى عليه البلاء ابتلاه، ومن كتب عليه الوفاة توفته الملائكة الكرام، فمضى قدره في الخلائق، واستقرت أمورهم في الجملة وسارت حياتهم بانتظام تام، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

ومن معاني **الولي**: (المحمودُ العاقبة في جميع ما يقدره ويفعله) قاله ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ فأقدار الله كلها خير، وإن رأى العبد أنّ ظاهرها الشر لعدم تأمله في العواقب.

أمّا الولاية الخاصة: فهي التي يسعى لها الصالحون من عباده، طمعاً أن يتولّاهم ربُّهم بعنايته ولطفه، ونصره وتأييده وتوفيقه، وإعانتهم على فعل مرضيه.

ولجلالة هذا الوصف الشريف ادّعاه الكثير من الخلق **(وأنهم أولياء الله)** والحق أنّه لا يستحقه إلا أهل الإيمان والتقوى، المطيعين لربهم، الذين صفت عقائدهم، وسلمت قلوبهم، وأخلصت قرباتهم، وصلّحت أعمالهم، فكانوا أولياء الله حقاً، وعباده المتقين صدقاً، وهذا ما أوضحته الآيات في بيان وصفهم الحقيقي كما في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [٦٣] لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا نَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ [يونس: ٦٢-٦٤]

فأولياءُ الله حقاً هم المؤمنون المتقون لا غير، وكلما زاد إيمانُ العبد وتقواه ترقى في سُلّم الولاية.

والله يتولى أمر عبده بتوفيقه ودلالته وإرشاده على مصالحه، فمِمَّا علّمه رسولُ الأُمَّة عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أُمَّتَهُ من الدعوات: «وتولني فيمن توليت»^(١).

فيتولاه في شؤون دنياه، فيدفع عنه شرورها، ويُرشده لمصالحه، ويحوطه برعايته، ويُسدده ويُعينه.

ويتولى عبده الصالح في تزكية نفسه، وتطهيرها من كل دنس وخلق مشين، فتُصبح نفسه مطمئنة، ويغدو قلبه قد حوى كل خير، وقد كان من دعاء نبينا محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي علّمه أُمَّتَهُ: «اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا، وَزَكَّاهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيِّهَا وَمَوْلَاهَا»^(٢). فيتولى الولي سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عبده الصالح بإخراجه من ظلمات الكفر - تلك الظلمة

(١) رواه أبو داود.

(٢) رواه مسلم

الموحشة- إلى نور الإسلام الفسيح، والحق الواضح
المبين، فيشرح صدره، ويُنير دربه.

ويخرجه من ظلمة البدعة المهلكة إلى نور السنة
المُشرقة، فيعبد الله على بصيرة، ويسلك سبيل المهتمدين.

ويتولاه الولي سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِإِخْرَاجِهِ مِنْ ظُلُمَاتِ الذُّنُوبِ
وَالْخَطَايَا، فَإِنَّ لِلذُّنُوبِ ظُلُمَاتٍ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ فَإِنْ سَلِمَ
العبد منها، ومن عُقْدَةِ الإِصْرَارِ عَلَيْهَا، وَلِزِمَ الاسْتِغْفَارَ، وَجَدَّ
التَّوْبَةَ عَلَى الدَّوَامِ جَازَاهُ رَبُّهُ بِأَنْ يُخْرِجَهُ مِنْ ظُلُمَاتِ الذُّنُوبِ
إِلَى نُورِ الطَّاعَةِ وَحُبِّهَا، وَكَرَاهِيَةِ الْمَعْصِيَةِ وَالنَّفُورِ مِنْهَا.

وبقدر طاعاتك وصلحك تنال ولاية الله ورعايته لك،
قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّ وَلِيََّ اللَّهِ الَّذِي نَزَلَ الْكِتَابُ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ

[الأعراف: ١٩٦]

فيتولاك ويصلح لك دينك ودنياك، ويرزقك بطرق لا
تحتسبها، ويوفقك توفيقاً لا يخطر لك على بالك، ويسهل
لك طاعته ويحببها إلى قلبك.

وانظر كيف تولى أنبياءه ورسله، والصالحين من بعدهم،
فنشأوا تحت رعايته، واصطنعهم تحت عينه، فصاروا شامة
بين البشرية، وأبقى لهم ذكراً حسناً في العالمين، ولسان
صدق في الآخرين.

تأمل كيف تولى موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ورعاه رعاية كاملة منذ
ولادته، وفي رضاعته وصغره، ورباه في بيت عدوه حتى شب
واكتملت قواه، ثم تولاه وأنجاه من القوم الظالمين، ونصره
على عدوه، وجعل العاقبة له ولمن معه من المؤمنين.

وانظر كيف تولى يوسف الصديق عَلَيْهِ السَّلَامُ وحفظه من
حسد إخوته، وحرسه من كيد امرأة العزيز حتى مكّنه من
مُلْك مصر، وجمعه بوالده بعد الفراق.

وتأمل في ولايته لسيد المرسلين محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
وكيف تولاه طيلة فترات حياته حتى مكّنه له دينه، وجعله
باقياً بقاء الليل والنهار، ونشره في الأرض، وترك الأمة على
المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك.

ولئن اعتزَّ أهلُ الدنيا بمثلهم من الرؤساء، وأصحاب السلطة المؤقتة، فالمؤمن قد تولاه ربُّه، فنال أرفع أنواع الولاية، وأشرف مراتب الحفظ والنصرة والرعاية، ولذا طمأن الله عباده المؤمنين بكمال رعايته لهم، وعنايته بهم، وتوليه جميع أمورهم، فقال عزَّجَلَّ: ﴿إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ۗ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حَرْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ۗ﴾ [المائدة: ٥٥-٥٦]

وإذا كملت الولاية للمؤمن ظفر بالنصرة على أعدائه، وجاءته بطرق لا تخطر له على بال، واندفعت عنه الشرور من حيث لا يشعر، فالله وليه ومولاه: ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا ۗ﴾ [النساء: ٤٥] وفي التاريخ شواهد لا تُحصى كثرة.

إذا تولَّك الله - ويا سعادة روحك، وحسن حظك إن تولَّك الله - نلت محبته، وظفرت بقربه، وربحت رعايته.

إذا تولَّك الله: حفظك من كل شر، وحماك من كل مكروه، فهو الوليُّ المولى، فقد علم المؤمنون حُسن

ولاية ربهم لهم، وحفظه ورعايته لهم، فحالهم كما قال
 سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى
 اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ٥١]

فاطمأنت نفوس المؤمنين لهذه الولاية، فقد بلغهم
 حفظ الله لهم كما في الحديث القدسي: «مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا،
 فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ
 مِمَّا افْتَرَضْتُهُ عَلَيْهِ، وَلَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى
 أَحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي
 يَبْصُرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَلَئِنْ
 سَأَلَنِي لِأَعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لِأَعِيْذَنَّهُ»^(١).

فيوفئك ويهيئ لك من أمرك رشداً، فلا تسمع إلا ما
 يُرْضِي الله، وَلَا يُرَى عَيْنِكَ إِلَّا الْخَيْرَ، وَلَا تَمْشِي إِلَّا لِمَرْضِيهِ
 مِنْ أَمَاكِنِ عِبَادَتِهِ مِنْ صَلَاةٍ وَحِلْقِ عِلْمٍ، وَبِرٍّ وَصَلَةِ رَحْمٍ،
 وَأَعْمَالٍ نَفْعٍ قَاصِرَةٍ وَمَتَعِدِيَةٍ فِي سَلْسَلَةٍ مِنَ الْعَطَايَا تَنَالُهَا،
 فَأَيُّ خَيْرٍ فَاتٍ مِثْلَ هَذَا؟!

(١) رواه البخاري.

إذا تولاك الله: أجاب دعائك، وحقق رجاءك، وسهل لك كل عسير، وذلل لك كل صعب، وجاءتك الخيرات من كل مكان.

إذا تولاك الله: أكرمك بدخول دار كرامته، والفوز بفضله ورحمته، وشرفك بحسن جواره، قال تعالى - عمن تولاهم ووعد بإكرامهم -: ﴿لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [١٢٧] [الأنعام: ١٢٧]

فاحرص - يا عبد الله - واحرصي - يا أمة الله - على نيل هذه الولاية، وذلك: بتحقيق التقوى، والاكثار من الأعمال الصالحة، وصلاح القلب والجوارح، والزيادة من العلم فهو طريق كل خير، والزم الدعاء على الدوام وتوسل له بهذا الاسم الكريم ليتولاك، ويصلح لك شأنك كله.

فإن من الدعاء المبارك للمؤمنين ما جاء في خواتيم سورة البقرة: ﴿وَأَعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٨٦]

وكان من دعاء رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يا وليَّ الإسلامِ وأهله، مسكني بالإسلامِ حتى ألقاك عليه»^(١).

أمّا إذا تخلى الله عن العبد وخلى بينه وبين نفسه، فقد
وكل لضعف وضلال، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَهْدِ اللهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ
يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ يُنْفِقُونَ يُنْفِقُونَ عَنْ وَجْهِهِمْ عَمِيًّا
وَبِكَمَا وَصَلْنَا مَا وَنَهُمْ جَهَنَّمَ كُلًّا خَبَتْ زِدْنَهُمْ سَعِيرًا﴾ [الإسراء: ٩٧]

فيا خسارة من أثر الدنيا وملاذها الفانية، فحرم ولاية الله
له، وباء بالخسران المبين، فاللهم تولنا واحفظنا، واحرسنا
بعينك التي لا تنام.

(اللهم يا ولي الإسلام وأهله مسكنا به وثبتنا عليه حتى
نلقاك) وتولّى أمرنا، واغفر لنا، وارحمنا وتجاوز عنا.



(١) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، وإسناده جيد.

﴿ (٨١) الرفيق ﴾

من أسماء الله (الرفيق).

وقد جاء ذكره في السنة في غير ما حديث، يقول
عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرَّفْقَ»^(١).

والرفق: هو اللطف واللين والتسهيل.

والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى رَفِيقٌ كَثِيرُ الرَّفْقِ وَالتَّسْهِيلِ؛ فهو رَفِيقٌ فِي
أَفْعَالِهِ وَقَدْرِهِ وَقَضَائِهِ، وَرَفِيقٌ فِي شَرْعِهِ وَأَحْكَامِهِ وَدِينِهِ.

فَمِنْ رِفْقِهِ فِي أَفْعَالِهِ أَنَّهُ خَلَقَ خَلْقَهُ بِالتَّدرِجِ؛ فانظر كيف
خلق السماوات والأرض في ستة أيام ولو شاء لخلقها في
أقل من طرفة عين لكمال قدرته.

وَمِنْ رِفْقِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: أَنَّهُ خَلَقَ الْإِنْسَانَ فِي مَرَاهِلٍ مُتَعَدِّدَةٍ،
وكذا خلق الحيوان والنبات وغيرها من المخلوقات.

(١) رواه مسلم.

ومن رفقه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: تعليم ابن آدم قضاء حوائجه، وتقوية أعضائه بمراحل متدرّجة، فهو الرفيق العليم القدير. وكل هذا الرفق منه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى تعليمًا للعباد أن يرفقوا في أمور حياتهم كلها، وأن يتعدوا عن العجلة، فقد قضى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنَّهُ يُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى غَيْرِهِ، ومن رفق ظفر بمطلوبه في الغالب بخلاف العجول، وقد قالت العرب: **(العجلة أمّ الندامات)**

ومن رفقه بعباده: رفقه في شرعه وأمره، فلم يشرع لعباده التكاليف دفعة واحدة بل شرعها بالتدرّج، فشرعية الصلاة كانت بالتدرّج، فقد فرضت أوّل ما فرضت الرباعية ركعتين ركعتين ثم زيدت إلى أربع في الحضر وبقيت في السفر ركعتين.

وبقي فرضها ميسراً للعباد فهي خمس صلوات فقط في اليوم واللييلة بأجر خمسين صلاة.

وفرضها سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى عَبْدِهِ عَلَى مَرَّاحِلٍ، فَيُؤَمَّرُ بِهَا وَهُوَ ابْنُ سَبْعِ سِنِينَ دُونَ ضَرْبِ إِلَى سِنِّ الْعَاشِرَةِ ثُمَّ يُضْرَبُ عَلَيْهَا - تَأْدِيبًا وَتَدْرِيبًا عَلَيْهَا - إِلَى سِنِّ الْبُلُوغِ حَتَّى إِذَا مَا بَلَغَ اعْتَادَتْ نَفْسُهُ عَلَيْهَا وَأَلْفَتْهَا، وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِأَهْمِيَّتِهَا وَعُلُوِّ مَنْزِلَتِهَا عِنْدَ اللَّهِ.

وشريعة الصيام والجهاد ونحوها كلها شرعت بالتدرج. وكذلك بقية الشرائع فعامتها على التسهيل والتيسير في أصلها ثم تأتي بعد ذلك الرخص عند المشقة، وكلُّ هذا من الرفق بالعباد والتيسير عليهم.

ومن معاني اسم: **(الرفيق)** أنه الميسر المسهل لأسباب الخير كلها، ومن أعظمها:

تيسير وتسهيل القربات للعبد، فييسر له كل طاعة من صلاة وصيام وحج وعمرة وصدقة ونفقة وبر وإحسان ونحوها من الطاعات الشريفة.

ومن أعظم أنواع التيسير: تيسير وتسهيل القرآن لعباده

- تلاوة وحفظاً ومعرفة للمعنى (ولو لا تسهيله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مَا

قرأه ولا حفظه أحد) كما جاء ذلك عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا،

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ [القمر: ٢٢]

فَيُسِّرْ لِعَبْدِهِ تِلَاوَتَهُ فِي كُلِّ وَقْتٍ، وَتَجِدُ عِنْدَ هَذَا مِنَ
البركة والتيسير ما يتعجب منه المرء وهو يقرأ سيرته في
كثرة الختمات.

وَيُسِّرْ لِبَعْضِ عِبَادِهِ مَعْرِفَةَ الْمَعْنَى مِنَ الْآيَاتِ، وَإِنَّكَ
إِذَا قَرَأْتَ لِبَعْضِ الْمَفْسِرِينَ أَيْقَنْتَ بِتَيْسِيرِ الْمَعْنَى لَهُمْ،
وَإِلْهَامِهِمْ فَهَمَّهُمْ، وَتَبْسِيطِهِ لِلنَّاسِ وَتَقْرِيْبِهِمُ الْمَعْنَى لِكَلَامِ
العزيز الرحيم.

ومن تيسيره: تيسير العمل به، فتجد من وفق من العباد

قد سهل عليه العمل بكتاب الله دون أي حرج، فاللهم يسره

لنا يا رفيق.

ومن معاني الرفيق: التآني في الأمور كلها؛ فمن رفقه بعباده إمهاله راكب الخطيئة وعدم معاجلته بالعقوبة ليتوب من ذنبه، ويعود إلى رشده، والله لا يفوته أحد لكمال قدرته، فهو: (سبحانه رفيق لا يعجل لأنه إنما يعجل من يخاف الفوت، فأما من كانت الأشياء قبضته وملكه فليس يعجل فيها) قاله الخطابي رَحْمَةُ اللَّهِ (١).

وينبغي للعبد أن يأخذ دينه برفق، فلن يشاد أحد الدين إلا غلبه كما صحّ بذلك الحديث عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأوغل في الدين برفق، وكن متبعا هدي نبيك صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فهو خير الهدي، ولا تكن كالمُنْبِت لا أرضا قطع ولا ظهراً أبقى، وخذ بوقت نشاطك، واستعن بالغدوة والروحة، وتوكل على ربك في السداد والإصابة.

ولقد كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أرفق الناس في عبادته وتعامله مع كل من عاشره، ومن رام الهدى فعليه بسلوك

(١) [مختصر النهج الأسنى: ٤٩٨].

سبيله، ولزوم طريقه، فهديه خير الهدى.

وأولى الناس بالرفق والديك - خصوصاً عند الكبر -

فهم بحاجة لمعونتك ورعايتك ولا تكن أنكر الناس للجميل، وصاحبهما في الدنيا معروفاً.

وعامل أقرب الناس إليك كزوجتك وأولادك بالرفق واللين (فما كان الرفق في شيء إلا زانه، ولا نزع من شيء إلا شانه)^(١) فهذا هدى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في تعليم البرية كيف يسرون في حياتهم.

ومن رحمة الله وكمال رفقهِ: أمره بالرفق حتى مع الحيوانات بالإحسان إليها وعدم تحميلها فوق طاقتها.

والرفق يكون في الدعوة إلى الله، وعند توجيه الخلق ونصيحتهم، وكلما كان الداعية أرفق كان لدعوته الأثر والقبول ولك في رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أسوة حسنة في هذا الشأن.

(١) رواه مسلم

أيها الرفيق: وقد وافقت ربك في بعض صفاته (فمن ثمرات العلم بصفات الله: موافقته فيها) كما قرّر هذا الأمر ابن القيم رَحْمَةُ اللهِ فَأَبْشِرْ بِالْعَطَايَا وَالْهَبَاتِ، وَسْتَرِ الثَّمَرَاتِ الْيَانِعَةَ لِرَفْقِكَ هَذَا وَتَفُوزْ بِالْخَيْرَاتِ، فَالله حَرَّمَ النَّارَ عَلَى كُلِّ قَرِيبٍ هَيِّنٍ سَهْلٍ رَفِيقٍ بِالْعِبَادِ، فَارْفُقْ فِي أُمُورِكَ كُلِّهَا فَقَدْ أَمَرَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ.

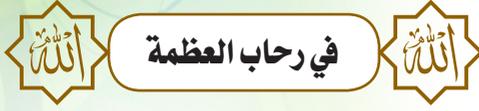
قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ، وَيُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعَنْفِ»^(١).

وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَمَنْ أُعْطِيَ حِظَّهُ مِنَ الرِّفْقِ أُعْطِيَ حِظَّهُ مِنَ الْخَيْرِ»^(٢).

فالمتمتأي بأموره -اتباعاً لسنن الله في كونه وشرعه- تيسر له الأمور، وتذلل له الصعاب، وينال من مطالبه ما لا يناله العجول من أمره.

(١) رواه مسلم

(٢) رواه الترمذي



اللهم امنن علينا بفضلك وإحسانك، ووفقنا لكل خلق
تُحبه وترضاه.



﴿ ٨٢ ، ٨٣ ﴾ الحَيِّ - السِّتْرِ ﴿١﴾

(الحَيِّ): اسمٌ من أسماء الله، وصفةٌ من صفاته كما أخبر بذلك أعرف الخلق به رسوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، يقول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ اللَّهَ حَيٌّ سِتِيرٌ يُحِبُّ الْحَيَاءَ وَالسِّتْرَ**»^(١).

فانظر لسعة كرمه، وكثرة جوده، وكمال رحمته، فمع كثرة ذنوب العباد إلا أن الستر أحب إليه من فضيحة عبده، وإشهار معصيته، ومع قدرته على عقوبة عبده المذنب إلا أن العفو إليه أحب من مجازاته على خطيئته، فله الحمد والمنة ظاهراً وباطناً.

ومن دلائل هذه الصفة ما جاء في حديث أبي واقد الليثي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَمَا هُوَ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ وَالنَّاسُ مَعَهُ إِذْ أَقْبَلَ ثَلَاثَةٌ نَفْرًا، فَأَقْبَلَ اثْنَانِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَذَهَبَ وَاحِدٌ، قَالَ: فَوَقَفَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ

(١) رواه أبو داود.

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَمَّا أَحَدُهُمَا: فَرَأَى فُرْجَةً فِي الْحَلَقَةِ فَجَلَسَ فِيهَا، وَأَمَّا الْآخَرُ: فَجَلَسَ خَلْفَهُمْ، وَأَمَّا الثَّلَاثُ: فَأَدْبَرَ ذَاهِبًا، فَلَمَّا فَرَغَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ عَنِ النَّفْرِ الثَّلَاثَةِ؟ أَمَّا أَحَدُهُمْ فَأَوَى إِلَى اللَّهِ فَأَوَاهُ اللَّهُ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَاسْتَحْيَا فَاسْتَحْيَا اللَّهُ مِنْهُ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَأَعْرَضَ فَأَعْرَضَ اللَّهُ عَنْهُ» (١).

فالحياء صفة ثابتة لله على ما يليق به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فَهُوَ لَيْسَ كَحَيَاءِ الْمَخْلُوقِ الَّذِي هُوَ: تَغْيِيرٌ وَانكسار، قال ابن القيم - عن صفة الحياء لله -: (وَأَمَّا حَيَاءُ الرَّبِّ تَعَالَى مِنْ عِبْدِهِ: فَذَاكَ نَوْعٌ آخَرٌ. لَا تُدْرِكُهُ الْأَفْهَامُ. وَلَا تَكَيْفُهُ الْعُقُولُ. فَإِنَّهُ حَيَاءٌ كَرَمٌ وَبِرٌّ وَجُودٌ وَجَلَالٌ. فَإِنَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى حَيٌّ كَرِيمٌ يَسْتَحْيِي مَنْ عِبْدِهِ إِذَا رَفَعَ إِلَيْهِ يَدَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا. وَيَسْتَحْيِي أَنْ يُعَذَّبَ ذَا شَيْبَةٍ شَابَتْ فِي الْإِسْلَامِ) (٢).

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) [مدارج السالكين: ٢٥٠].

ويقول الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ عن صفة الحياء لله: (هو حياءُ الكمال كما يليق بالله عَزَّجَلَّ... ليس مثل حياء المخلوقين، فالقول في هذه الصفة كالقول في سائر الصفات، فنشبتها من غير تمثيل ولا تكييف ولا تحريف ولا تعطيل... فكما أنّ لله علماً ليس كعلم خلقه، وبصراً ليس كبصر خلقه، وسمعاً ليس كسمعهم، فكذلك له حياء وستر ليس كحيائهم وسترهم تعالى وتقدّس سبحانه، وعليه فلا يصح تأويل الحياء بالرحمة والمغفرة وغير ذلك)^(١).

وحياؤه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى (حياًً يليق بجلاله) فهو يستحي من عبده أن يرفع يديه إليه فيردهما صفراً دون إجابة وعطاء وذلك لكرمه وبره وسعة إحسانه.

ويستحي سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى (حياًً يليق بجلاله) ممّن يُقبل على مجالس العلم، فيمنعه حياؤه من الظهور والبروز، فيكرمه الله ويثيبه ويثني عليه لطلبه للعلم وحيائه.

(١) [صفات الله للسقاف نقلاً عن شرح رياض الصالحين]

ويستحي سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى (حياءٌ يليق بجلاله) من أن يهتك
ستر عبده العاصي الذي يجاهره بالمعصية، فلا يفضحه
ولا يحلّ به العقوبة التي يستحقها، بل يستره ويعفو عنه
ويغفر له ويتحَبَّبُ إليه بالنَّعم، ويستحيي من أن يفضحه يوم
القيامة بعد أن ستره في الدنيا، وذلك لسعة رحمته، وحبه
للستر والعفو والمغفرة.

- والله يُحِبُّ الحياءَ ويُحِبُّ أصحابَه، ويُثني عليهم،
ويُثمر لهم هذا الحياء كل خير، وينالون من بركته ما
يودّ أحدهم أن لو زاد فيه.

وأعظم أنواع الحياء: حياءُ العبد من ربه؛ فمن أيقن أنّ
ربه يراه، ومطلّع على تفاصيل حياته، ولا يغيب عنه شيءٌ
من أمره استحي منه حق الحياء، فحفظ أوامره، ولم يتجاوز
حدوده، ومنعه حياؤه من أن يراه ربه على معصيته.

ومن الحياء: حفظ القلب من أن يكون فيه غير الله أو أن

تسكن فيه غير محبته، أو يراه وقد عظم غيره، أو تغلبه شبهة تجعله يشك في الله أو أمره، أو يغلب عليه هوى وشهوة حياءً من الله.

ومن استحي من الله: عبده على المراقبة، فهو يستحي من الله أن يراه ملتفتاً بقلبه لغيره، أو متوجّهاً بوجهه لسواه، ولذا تجده يعبد الله بحضور قلب، واستحضار اطلاعه، وهذا الحياء يجعله دائماً يشعر بأنّ عبوديته لربه قاصرة لا تفي بحقه ليقينه أنّ حق ربه أعظم وأجلّ.

ومن الحياء المحمود: الحياء من الملائكة في أن يروه على معصية وهم لا يفارقونه، وقد حضروا أموره كلها، وكتبوا جميع عمله، فيستحي منهم وهم خلق كرام حقهم التأدّب معهم.

ومن الحياء المحمود: الحياء من الناس من أن تشين سيرته، أو أن يُنقل عنه ما يسوء به مسلكه، أو أن يُذكر بسوء في حياته وبعد مماته ولذا قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

«الْحَيَاءُ خَيْرٌ كُلُّهُ. قَالَ: أَوْ قَالَ: الْحَيَاءُ كُلُّهُ خَيْرٌ» (١).

ومن الحياء المحمود: الحياء من النفس من أن يرتكب ما يخالف أمر الله، فيستحيي منها لأنها أكرم شيء عليه، والإحسان إليها من أعظم أنواع الإحسان فيستحيي أن يُقصر في حقها.

ومن تحلى بالحياء أفاض الله عليه من الخيرات ونال من البركات ورضي عنه، فهو يُحب من يوافقه في صفاته، فتحلّ بهذه الصفة لتفوز فوزاً عظيماً.

ومن أسماء الله: (الستير).

وتُضبط بروايتين: إحداهما: كسر السين وتشديد التاء المكسورة (سِتِير)

والثانية: فتح السين وكسر التاء المخففة (سَتِير)

قال البيهقي رَحِمَهُ اللهُ: (وقوله: (ستير) يعني أنه ساتر،

(١) رواه مسلم.

يستر على عباده كثيراً، ولا يفضحهم في المشاهد، وكذلك يُحب من عباده أن يستروا على أنفسهم^(١).

قال المناوي: (ساتر للعيوب والقبائح، فعيل بمعنى فاعل، وجعله بمعنى مفعول، أي: مستور عن العيون في الدنيا)^(٢).

فالله سِتِيرٌ يسترُ على عباده كثيراً، فلا يفضحهم أو يخزيهم، فالعبدُ مع فقره الشديد لربه إلا أنه لجراءته يجاهره بالمعاصي ومع ذاك يُسبِلُ (السِتِير) عليه ستره، ويعافيه من الفضيحة لأنه يُحبُّ السُّتر والصون، ويكره القبائح والمجاهرة بها.

وانظر لسعة ستره على عصاة بني آدم الذين لا يعلم عددهم إلا الله، فذاك على معصية يخاف من فضحيتها، وآخرون على شهوات محرّمة لا حصر لها، ومع هذا يسترهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَلَا يفضحهم.

(١) [الأسماء والصفات: ١١٤]

(٢) [فيض القدير: ٢/٢٢٨]

- تستر الصدور بخواطر السوء، فلا ينفذ إليها سمعٌ، ولا يعلم أحدٌ ما بداخلها، فيطلع الله عليها ثم يسترها.

ويبيت عبده على سخطه مستوراً عن الأنظار إلا نظر الله، فيصبح وقد عافاه السّير سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَيُْمْهَلُهُ لَعَلَّهُ يَتُوبُ، ويُقْلَعُ عَنْ مَعْصِيَتِهِ، فَمَا أَعْظَمَ سِتْرَهُ، وَمَا أَوْسَعَ فَضْلَهُ سُبْحَانَهُ.

- وهو يحب من عبده أن يستر نفسه، ويجتنب ما يشينه ويفضحه.

ولقد حثَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على الستر على عباد الله، ورغب في ذلك لموافقته رضى الله، وصِفة خالقه سبحانه، ومن ستر عباده ستره الله، فالجزاء من جنس العمل.

- ومن عرف الله بستره أحبه لا محالة، فالعبد مع إقامته على معصية ربه كل يوم وليله إلا أنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يستره ويمنّ عليه بنعمه، ولا يقطع عنه خيره وهذا أكمل ما يكون من الفضل والإحسان.

ويلزم الناصح لنفسه، الراغب في هذا الخلق أن يلهج بالدعاء بطلب الستر من الله في صبحه ومساءه، فهو أعظم ما يحتاجه في حياته حتى يلقي ربه، وقد كان هذا هو هدي النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على الدوام، ففي حديث ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: لم يكن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدع هؤلاء الدعوات حين يُمسي، وحين يُصبح: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، اللَّهُمَّ أَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي دِينِي وَدُنْيَايَ وَأَهْلِي وَمَالِي، اللَّهُمَّ اسْتِرْ عَوْرَاتِي وَآمِنْ رَوْعَاتِي، اللَّهُمَّ احْفَظْنِي مِنْ بَيْنِ يَدَيَّْ وَمِنْ خَلْفِي وَعَنْ يَمِينِي وَعَنْ شِمَالِي وَمَنْ فَوْقِي وَأَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ اغْتَالَ مِنْ تَحْتِي»^(١).

فليعرف العبد فضل الله بكثرة ستره عليه في حياته كلها، فستره عليه دائم لا ينقطع.

والله مستور عن العيون في الدنيا فيستحيل رؤيته فيها، وذلك لعظمته وضعف بنية الإنسان، ولذلك لما طلب

(١) رواه أبو داود

موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ رُؤْيَا الله تعالى، وتجلّى ربّه للجبل ساخ
الجبل وهو صلب جامد وخرّ موسى صعقاً، فهو أعظم من
أن يُرى في الدنيا أمّا الآخرة فإنّ الله يُعطي الأبصار ما تقوى
به على رؤيته مع عدم الإحاطة به، وذلك لعظمته، فاللهم
استرنا في الدارين، وامتّعنا برؤيتك في جنّات النعيم.



﴿ ٨٤ ، ٨٥ ﴾ الكبير - المتكبر ﴿﴾

من أسماء تعالى: (الكبير، المتكبر).

سَمَّى اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى نَفْسَهُ بِـ(الكبير) فقد ورد هذا الاسم في ستة مواضع من القرآن الكريم؛ منها: قوله تعالى: ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرِ الْمُتَعَالِ﴾ [الرعد: ٩]

وورد اسم (المتكبر) في آية واحدة من القرآن الكريم في قوله: ﴿الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ﴾ [الحشر: ٢٣]

والله هو الكبير العظيم الذي كل شيء دونه؛ ويصغر كل شيء أمام عظمته وكبريائه، فهو أكبر من كل شيء، وأعظم من كل شيء، وأجل وأعلى من كل شيء.

(وهو: الموصوف بالجلال وكبر الشأن، فصغر دون جلاله كل كبير، وكبر عن شبه بالمخلوقين) قاله الخطابي (١).

(١) [شأن الدعاء: ٦٦].

وهو أكبر من أن يُقاس به شيء، فله الكبرياء في السماوات والأرض، وأكبر من أن يُعرف كُنّه ذاته، وأكبر من أن يُحاط به علمًا، فالله كبير وكل ما دونه صغير، قال بعضهم: (ولو أن الجنّ والإنس والشياطين والملائكة منذ خلقوا إلى أن فنوا صفوا صفًا واحدًا ما أحاطوا بالله أبدًا) بل ولا قاربوا.

والله هو الكبير في أوصافه، فكل صفات الكمال والعظمة والجلال له، وهي صفات لا مثيل لها ولا نظير.

وآياته الكبيرة تدلّ على عظمتها، فانظر لعظمة السماوات والأرض، والجبال والبحار والأنهار وغيرها ممّا لا نراه من عوالم أكبر من هذا العالم المرئي، كلها تدلّ أنه كبير عظيم.

وتأمل في عظمة هيئة وخلق بعض الملائكة - وهم من جملة من خلق الله - يقول عليه الصلاة والسلام: «أذن لي أن أحدث عن ملكٍ من ملائكة الله، من حملة العرش ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه، مسيرة سبعمائة عام»^(١).

(١) رواه أبو داود.

فإذا كان هذا حَجْمُ جُزءٍ مِنَ الْمَلِكِ، فكيف يكونُ طوْلُ
وَعِظْمُ سائرِ جسده؟!!

وكيف هي أحجام سائر الملائكة والذين لا يُحصى
أعدادهم إلا الله.

ورأى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «جبريل على صورته التي خلقه
اللهُ عليها وقد سدَّ أفق السماء»^(١).

وفي رواية البخاري: «رأه وله ستمائة جناح»^(٢) فسبحان
الله العظيم الكبير.

وَخَلَقَ اللهُ الْجَنَّةَ وجعل مُلْكها عظيمًا كبيرًا، قال الله
سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَنْهَا: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ [الإنسان: ٢٠]

وَخَلَقَ فِيهَا شَجَرَةً يسير الراكب في ظلها آلاف السنوات
لا يقطعها - هذه وهي شجرة واحدة لفرد واحد - فكيف
بأعداد أشجارها مجموعة لأهل الجنة؟!!

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه البخاري.

وكيف بغيرها ممّا خلق من القصور والمسكن والخيام
والأنهار والثمار؟!

يقول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «إِنَّ لِلْمُؤْمِنِ فِي الْجَنَّةِ لَخِيْمَةً مِّنْ
لُّؤْلُؤَةٍ وَاحِدَةٍ، مَجْوُوفَةٌ طَوَّلُهَا سِتُونَ مِيْلًا، لِلْمُؤْمِنِ فِيهَا
أَهْلُونَ، يَطُوفُ عَلَيْهِمُ الْمُؤْمِنُونَ فَلَا يَرَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا»^(١).

فسبحان الملك العظيم الذي خلق هذه الدار، وجعل
فيها هذا الملك الكبير.

وخلق النار الكبيرة الهائلة، يقول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «يُؤْتَى
بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ، مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ
أَلْفَ مَلِكٍ يَجْرُؤْنَهَا»^(٢).

فهل تخيلت هذا الحجم الضخم للنار، والتي لا يستطيع
جرها إلا أربعة آلاف مليون وتسعة مئة مليون ملك، ولا
يعلم مقدار قوتهم إلا الذي خلقهم سبحانه.

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه مسلم.

وقد جعل خِلقة أهلها فيها عظيمة وكبيرة، يقول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «ضِرْسُ الْكَافِرِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِثْلُ أُحُدٍ، وَعَرَضُ جِلْدِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا، وَعَضُدُهُ مِثْلُ الْبَيْضَاءِ، وَفَخِذُهُ مِثْلُ وَرْقَانٍ، وَمَقْعَدُهُ فِي النَّارِ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ الرَّبْدَةِ»^(١).

فإذا كان هذا كِبَرِ حِجْمِ سِنِّهِ - وهو أصغر عَظْمٍ فِي الْإِنْسَانِ - فكيف هو خَلَقَ الْآدَمِيَّ فِيهَا؟! وكيف هو كَبَرِ خَلْقِهَا؟! - أجارنا اللهُ مِنْهَا -.

وتأمل قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧]

فاستحضر السماوات بسعتها وحجمها العظيم الذي لا يعلم قدره إلا الله، ومع عظمتها إلا أنها في قبضته كحبة خردل في يد أحدنا، فسبحانه من إله كبير، وفي حديث ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: «جَاءَ حَبْرٌ مِنَ الْأَخْبَارِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

(١) رواه مسلم.

فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّا نَجِدُ: أَنَّ اللَّهَ يَجْعَلُ السَّمَوَاتِ عَلَى إصْبَعٍ،
وَالْأَرْضِينَ عَلَى إصْبَعٍ، وَالشَّجَرَ عَلَى إصْبَعٍ، وَالْمَاءَ وَالشَّرَى
عَلَى إصْبَعٍ، وَسَائِرَ الْخَلَائِقِ عَلَى إصْبَعٍ، فَيَقُولُ أَنَا الْمَلِكُ،
فَضَحِكَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ تَصْدِيقًا لِقَوْلِ
الْحَبْرِ» ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ
وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ
سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (١).

وهو الكبير في نفوس العارفين به، فقد صغر في نفوسهم
كل كبير من البشر، ولا يفقه حقيقة هذه العظمة إلا من
عرفوه حق المعرفة، فإنك تجد في نفوسهم من تعظيمه
وإجلاله ما يجعل قلوبهم ممتلئة بحبه والأنس به، وهو أثر
من آثار معرفتهم بصفاته.

ومن أسمائه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الْمُتَكَبِّرِ.

وهو: (الذي تكبر بربويته فلا شيء مثله) (٢).

(١) رواه البخاري.

(٢) [تفسير القرطبي: ٤٧/١٨]

وهو: (المُتَكَبِّر عن ظُلم عباده، المتعال عن كل شر ونقص وسوء) (١).

ومن معاني المتكبر: (أنه المتعالي عن صفات الخلق) (٢).

(وقيل المتكبر: المتعظم عمّا لا يليق به من صفات الحدث والذم، وأصل الكبر والكبرياء: الامتناع وقلة الانقياد)

فله الكمال المطلق، فلا نقص في صفاته، ولا خلل في أفعاله، وكل نقص في صفات المخلوقين قد تكبر وتنزه عنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فَتَكَبَّر عن التعب والنوم والنسيان والضعف ونحوها من صفات النقص.

ومن معاني المُتَكَبِّر: (أنه الذي يتكبر على عتاة خلقه إذا نازعوه العظمة، فيقصمهم ويهلكهم) (٣).

(١) [زاد المسير: ٨/ ٢٢٧]

(٢) [شأن الدعاء: ٦٦]

(٣) [شأن الدعاء: ٦٦]

فالتكبر لا يليق إلا بالله وحده، **فصفة السيد: التكبر**
والترفع، وأما العبد، فصفته: التذلل والخشوع والخضوع.

وقد توعد الله المتكبرين بالعذاب والخزي، فقال
 سبحانه: ﴿الَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [الزمر: ٦٠]

فمن تكبر عن قبول الحق والانصياع له نال الخزي في
 الدنيا والعذاب في الآخرة.

وأعظم المتكبرين: المشرك الذي عبد غير الله، وتكبر
 عن الإذعان لتوحيد الخالق.

ومن المتكبرين: المعرضون عن سنة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 بعد أن تبيّن لهم، المجادلون لها، والمنصرفون لآراء
 الرجال دونها.

ومن المتكبرين: المعرضون عن شرع ربهم، وذلك
 برفضهم الانقياد لأوامره.

فعلى العبد أن يحذر هذه المسالك فعواقبه وخيمة،
 ومن أشنع عواقبه: **الطبع على القلوب**، فلا يدخلها هدى،

ولا تنتفع بموعظة، قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ [غافر: ٣٥]

ومن معاني المتكبر: (أنه متكبر عن صفات الحدّث) (١).

فهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَزْلِي الوجود، أزلّي الصفات، متعالّي عن كل صفة حادثة، وعمّا لا يليق به، فإنّه لم يزل متصفّاً بصفات الكمال، منعوتاً بنعوت العظمة والجلال والكبرياء.

وكل ما في الكون حادث بعد أن كان معدوماً أمّا الله فهو الأوّل بلا ابتداء، فلا شيء قبله، ولا شيء مثله، وهو الآخر بعد كل شيء، الباقي الذي لا يزول ولا يغيب.

و(الله أكبر) أعظم الكلمات، وهي مشروعة في كلّ أمر كبير - حالاً ومكاناً وزماناً - ولذا شرّعت في انتقالات الصلاة ليكون تكبير الله حاضرّاً في قلب المصلي في صلاته كلها.

(١) [تفسير القرطبي: ٤٧/١٨]

وتُقال كلما عَظُم في نفس المرء شيء (وهي كلمة تنفض الخطايا، وتزيل الذنوب) (ومن أحبّ الكلمات إلى الله) (ومن غراس الجنة) (ومن أثقل ما يُوضع في الميزان) (ومن الباقيات الصالحات) وبكل ذلك وردت الأحاديث الصحيحة، وفضائلها عظيمة لا تُحصى.

وينبغي للعبد إذا قالها: أن يقولها بحضور قلب، مستحضراً ما دلت عليه من المعاني، من عظمة الله وكبريائه، وأنه أكبر من كل شيء، وأعظم من كل شيء، فاللهم ارزقنا تعظيمك وإجلالك كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانتك.



﴿ ٨٦ ، ٨٧ ، ٨٨ ﴾ الغالب، الناصر، والنصير ﴿﴾

ورد اسم **(الناصر)** مرة واحدة بصيغة الجمع، في قوله

تعالى: ﴿بَلِ اللَّهِ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ﴾ ﴿١٥٠﴾ [آل عمران: ١٥٠]

أما اسمه **(النصير)** فقد ورد أربع مرات، منها قوله

تعالى: ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا فَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ ﴿٤٠﴾

[الأنفال: ٤٠]

وورد اسم **(الغالب)** في قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ﴿ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ

أَمْرِهِ. وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٢١﴾ [يوسف: ٢١]

وورد بصيغة الفعل في قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ﴿ كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ

أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ ﴿٢١﴾ [المجادلة: ٢١]

فالله غالبٌ وناصرٌ ونصيرٌ، **والغالب**، هو: الذي إذا أراد

شيئاً لا يمنعه منه مانع، ولا يردّه راداً، فأمره ينفذ، ولا يبطله

مبطل.

وهو **الغالبُ**: (البالغ مراده من خلقه، أحبوا أو كرهوا، وفي هذا إشارة إلى كمال قدرته وقهره)^(١). ونفاذ أمره.

والناصرُ هو: المؤيّد لعباده، والمُعِين لهم على أعدائهم، لا يخذل أولياءه ولا يُسلمهم بل يجعل لهم الغلبة على من عاداهم، ولو بعد حين.

وتأخيره للنصر وإن كان يطلبه المؤمنون، ويتشوّفون له، فهو لحكم لا يعلمها كثير من العباد، ولعل من أظهرها أن يُراجعوا أمر دينهم، ويبحثوا عن سبب تأخير النصر عنهم.

ونصره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى **نَصْرًا مطلقًا لا كنصر المخلوق لغيره**، فقد ينصرُ العبادُ بعضهم بعضًا، ولكنه في حال دون حال، وفي زمان دون آخر، وفي موقف دون موقف، أما نصرُ الله للمؤمنين وعباده المتقين فهو نصر مطلق كامل، ولا أدل على هذا من نصر الله لنبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومن معه من

(١) [الأسماء والصفات للبيهقي: ١/ ١١١]

المؤمنين، فنصره لهم ممتدٌ منذ البعثة حتى يومنا، وانتشر دينُ الله وتزايد عدد الداخلين فيها، ولم يبق بيت وبرٍ ولا مدرٍ إلا ودخله هذا الدين العظيم، وسيبقى شامخاً إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

ونصرُ الله لعباده عام في نواحي لا حصر لها، فهو لا يُقتصر على مفهوم نصر الحروب فقط، بل هو نصرٌ في صور كثيرة. ونصره لهم يكون ظاهراً وباطناً.

فالظاهر: يكون بالانتصار على الأعداء الخارجيين.

والباطن: يكون بالانتصار على النفس والهوى ونزغات الشيطان.

والعبد في كل أحواله محتاجٌ لنصرة الله (ومن نصر دين الله نصره الله في نفسه وعلى عدوه)

ومن أظهر صور نصره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: النصر على الأعداء الظاهرين، فالصراع بين الحق والباطل بدأ بخلق آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ

عندما عاداه إبليس، ونشأت العداوة بين الجانبين وتوارثتها الذرية، ولا تنتهي إلا بانتهاء الحياة في الكون - سُنَّة قضاها الله في عباده - فلا تتغير ولا تبدل.

والحرب سجال بين عسكر الكفر من جهة، وعسكر الإيمان من جهة أخرى، وغلبة الكفار وظهورهم حيناً من الزمان إنما هي ابتلاءٌ وامتحانٌ للمسلمين، ولينظر الله إلى قلوبهم، وتعلقهم بالأسباب الظاهرة، وفتنة لصبرهم وثباتهم، وأنه إنما تخلى عنهم بسبب ذنوبهم، قال تعالى - عن صحابة نبيه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -: ﴿أَوْلَمَّا أَصَبْتَكُمْ مُصِيبَةً قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٦٥]

فهؤلاء الصحابة رضوان الله عليهم مع شريف عملهم وجهادهم مع نبيهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلا أنهم لما خالفوا أمره في غزوة أحد نزل بهم الهم والغم، وأصيبوا في نبيهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وفي أنفسهم بسبب مخالفة واحدة فقط لا تقارن بجهادهم

وتضحياتهم ولكن الله أرادها درساً للأمة أن لا يستهينوا بالمعصية - وإن صغرت - فهي تخذل وتسلب العدو.

و(النصير): هو: (الموثوق منه بأن لا يُسلم وليه ولا يخذله).

و(الناصر): هو: (الميسر للغلبة)^(١).

فالله هو الموثوق من نصره، والميسر للغلبة على العدو، فمن كتب الله له النصر انتصر ولو اجتمع عليه أهل الأرض كلهم، وانظر في سير الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - وكيف نصرهم الله مع كثرة أعدائهم، فهذا نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ ينادي ربه: ﴿أَنِّي مَعْلُوبٌ فَأَنْصِرْ﴾ [القمر: ١٠] فسخر له الكون كله لنصرته: ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّهِمٍّ﴾ [القمر: ١١] وَفَجَرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَفَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدَرٍ ﴿١٢﴾ [القمر: ١١-١٢]

وهو دُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ اجتمع عليه قومه ولم يكن له نصير إلا الله

(١) [المنهاج: ١/ ٢٠٥ نقلاً عن موسوعة الأسماء الحسنی ٢/ ٤١٢]

- فكان نعم المولى ونعم النصير - قال الله عنه - وقد قابلهم بمفرده-: ﴿فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونَ ﴿٥٥﴾ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيئِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾﴾ [هود: ٥٥-٥٦]

فأهلك الله قومه وجعل العاقبة له ولمن معه من المؤمنين .

ونصر الله صالحاً وإبراهيمَ ولوطاً وغيرهم من أنبيائه ورسله -عليهم الصلاة والسلام- في آيات باقيات، ودلائل واضحات على نصره الله لعباده المؤمنين .

ولا بد لمن رام النصر من الله أن تكون عنده الثقة بنصره،
 فمتى شكّت النفوس بهذا تأخر نصر الله عنها، فالله هو الملك الناصر القوي العزيز، ونواصي العباد كلها بيده، ينصر من يشاء ويخذل من يشاء، فلا يتسرّب اليأس والقنوط من نصرته، فإنّ هذا من أخطر الأمور، وإدالة الأيام بين الخلق محض إرادته فقط، وكلما تعزّزت الثقة بالله قرب نصره، وربط على قلوب الواثقين بنصره، وحقق لهم المراد.

والنصر من عند الله وحده؛ وهذه قضية كبرى ينبغي للقلوب أن توقن بها، وقد جاء التأكيد عليها في مواطن كثيرة في القرآن الكريم حتى لا تتعلق القلوب بغير الله، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾

[الأنفال: ١٠]

وأشنع أنواع التعلق: تعلقها بالكافرين - وهذا من أعظم ما أضرّ بالأمة اليوم - فتجد القلوب قد تعلقت بالكافرين لظهورهم مادياً وعسكرياً.

ومن سبر التاريخ وجدهم أنّهم في فترة من الفترات كانوا أشدّ قوةً من هذا الوقت، وأوضح مثلاً لذلك غلبة المغول والتتار ولكنها كانت غلبة مؤقتة زالت، ولم يبق لهم أثر، وأفل نجمهم، وانتهى تاريخهم، وبقي الإسلام عزيزاً منيعاً، وبقيت العزّة لأتباعه.

ونصرُ الله لعباده إنّما هو لمن أقاموا شرعه، وصبروا في سبيل دينه، وعلى أذى خلقه، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّا

لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴿٥١﴾

[غافر: ٥١] وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾

[الروم: ٤٧] فمتى ما حققوا الإيمان، وكانت الاستجابة لأمر الله، والاتباع لأمره ظاهراً في الأمة جاءها النصر من الله، وهذا النصر يتبعه التمكين في الأرض.

والله ينصر عبده المؤمن في صور لا حصر لها، فمن ذلك:

أن ينصر جهده ودعوته - ولو بعد حين - والقارئ في كتب السير يجد قصصاً كثيرة لعلماء ومصلحين آذاهم وعاداهم بعض من رق دينهم، ولبس عليهم الشيطان أمرهم، ولكن الله جعل نصرته لهم، فلقد نصر الله أئمة الهدى كالإمام مالك والإمام أحمد وشيخ الإسلام ابن تيمية وقد أوذوا في الله، وفي سبيل نشر الحق فكتب لهم النصر، وبقية آثارهم وعلومهم إلى يومنا هذا ليعلم الخلق أن العاقبة للمتقين، والنصر لعباد الله المؤمنين.

والله عَزَّوَجَلَّ قد جعل هناك **أسباباً لنصر عباده** متى ما أتوا بها نصرهم نصراً عزيزاً، فمن ذلك: **اعتراف العبد بحاجته لنصرة الله تعالى له في جميع أحواله**، ويقينه أنه لا يستغني عن نُصرة ربه له طرفة عين، فكم من عدوٍّ متربص به يريد هلاكه وأذيته، فالحاجة ماسّة لحفظ الله ورعايته وكفاية شر الخلق كلهم عنه.

ومن أسباب نصر الله لعبده: أن ينصر العبد ربه في نفسه وفي غيره، وذلك بإقامة شرع الله ظاهراً وباطناً في نفسه، والسعي بنصرة دين الله بدلالة الخلق إليه، وتعريفهم بربهم، وحثهم على طاعته، قال الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَلِيَنْصُرَكَ اللَّهُ مَنِ يَنْصُرُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠]**

ومن أسباب النصر: الصبر، وبذل الأسباب في تحقيقه؛ فقد تعبّد الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عباده** ببذل السبب، واستفراغ الوسع، واستصحاب الصبر ليتحقق لهم النصر الذي تطمع به نفوسهم، وقضى **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن مفتاح النصر الصبر** كما في

الحديث: «وَأَعْلَمُ أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ» (١).

وهذا الصبر قد يمتدُّ إلى سنوات طويلة، فأعظم الخلق استحقاقاً للنصر هو رسولنا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ومع ذالم يُتَمَّ اللهُ له نصرته إلا بعد ثلاث وعشرين مليئةً بالجهاد والتضحيات والآلام، والصبر على أذية الأعداء، والأقدار المؤلمة، وهجر الملاذ حتى أكمل اللهُ له ولدعوته النصر المبين، فأنزل اللهُ عليه في آخر حياته قوله: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ [النصر: ١]

ومن أعظم أسباب النصر: استمداده من الله، ولزوم الدعاء، وقد كان هذا هو هدي النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقد كان يدعو كثيراً بنصر الله له، فمن دعائه: «رَبِّ أَعْنِي وَلَا تُعِنِّ عَلَيَّ، وَاَنْصُرْنِي وَلَا تَنْصُرْ عَلَيَّ، وَاْمَكُرْ لِي وَلَا تَمْكُرْ عَلَيَّ، وَاَهْدِنِي وَيسِّرِ الْهَدْيَ لِي، وَاَنْصُرْنِي عَلَيَّ مِنْ بَغْيِ عَلِيٍّ» (٢).

(١) رواه الترمذي.

(٢) رواه ابن ماجه.

وقد تُخذل الأمة أفراداً وجماعات، ويغيب عنهم نصر الله بأسباب منها:

التنازع والتناحر والاختلاف، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَلَا تَنَزَعُوا أَنْفُسَكُمْ فِي أَشْيَاءٍ بِهَا اتَّفَقْتُمْ وَالصَّبْرُ بِهَا وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦]

ومن أسباب تأخر النصر: **الركون للأعداء**: فتُخذل الأمة، ويتأخر النصر عنها لكونها لركونها للأعداء ومخالفة أمر الله بهذا الشأن، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَمَا تَمْسِكُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ [هود: ١١٣] فبين عاقبة هذا الركون لتحذره الأمة.

ومن أسباب غياب النصر: **الغرور بالنفس، والاعجاب بها، والاعتماد عليها، والرياء بالعمل، وعدم ابتغاء وجه الله تعالى.**

ومن أسباب غياب النصر: **ظهور الظلم وتفشيهِ وانتشاره** وذلك عندما يكون الظلم ظاهر، والتخاذل عن نصره المظلوم سمة بارزة للأمة، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَالظَّالِمُونَ مَا

لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [الشورى: ٨]

ومن أسباب غياب النصر: خذلان المسلم والتخلي عنه إذا ظلم، قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنْ أَمْرٍ يُخَذَلُ أَمْرًا مُسْلِمًا عِنْدَ مَوْطِنٍ تَنْتَهَكُ فِيهِ حُرْمَتَهُ وَيُنْتَقَصُ فِيهِ مِنْ عَرْضِهِ إِلَّا خَذَلَهُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ فِي مَوْطِنٍ يُحِبُّ فِيهِ نَصْرَتَهُ. وَمَا مِنْ أَمْرٍ يَنْصُرُ مُسْلِمًا فِي مَوْطِنٍ يُنْتَقَصُ فِيهِ مِنْ عَرْضِهِ وَيُنْتَهَكُ فِيهِ مِنْ حُرْمَتِهِ إِلَّا نَصَرَهُ اللهُ فِي مَوْطِنٍ يُحِبُّ فِيهِ نَصْرَتَهُ» (١).

-أيها المظلوم- اطمئن بنصر الله لك - خصوصاً إذا سَدَّتْ الأبواب في وجهك، وأيقنت أنه لا ناصر لك إلا الله، وفوّضت له أمرك، وعلقت قلبك به- فيأتيك النصر من حيث لا تحسب، قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اتقوا دعوة المظلوم، فإنها تُحْمَلُ عَلَى الْغَمَامِ؛ يَقُولُ اللهُ: وَعِزَّتِي وَجَلَالِي لِأَنْصُرَكَ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ» (٢).

(١) رواه أحمد.

(٢) رواه الطبراني، وهو في صحيح الجامع.

فهي واقعة لا محالة وإن تأخرت فالأمر كله لله.
اللهم ارزقنا نصراً في خاصّة أنفسنا وأهلينا، ونصراً للأمتنا
تسعد به نفوسنا.



﴿ (٨٩) المحسن ﴾

جاء في الحديث أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «فإن الله محسنٌ...»^(١).

أي: الإحسان وصفٌ لازم له، ولا يخلو موجودٌ من إحسانه طرفة عين.

والإحسان يأتي على معنيين:

- الإتيان والإحكام.

- الإنعام والجود والعطاء.

والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَحْسَنُ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ، وَصَنَعَهُ بِهِئَةِ تَامَّةً، وَإِتْقَانٌ مُحْكَمٌ لَا تَرَى فِي خَلْقِهِ خِلَافًا أَوْ عَيْبًا.

وأكمل كل شيء وقدره أحسن تقدير، وهدى كل مخلوق لمصالحه، فسبحان من: ﴿أَحْسَنَ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾

(١) رواه الطبراني، وهو في صحيح الجامع.

[السجدة: ٧] وسبحان من: ﴿خَلَقَ فِسْوَىٰ ﴿٢﴾﴾ [الأعلى: ٢] قال ابن كثير: (فسوى كل مخلوق في أحسن الهيئات).

انظر إلى السماء كيف خلقها مُحكمة لا ترى في خلقها تفاوت أو خلل أو فطور، ومهما حاول الباحث فيها عن خلل رجع إليه بصره خائباً كليلاً وهو حسير.

وانظر إلى الأرض كيف بسطها، وجعلها صالحة للسكنى، ونوع تضاريسها لتكون مهياة للمعاش، وخالف بين فصولها لينتفع بها الآدمي والحيوان، ولتنتفع الزروع والنبات، ولتكون حياتهم أكمل ما يكون من الإيقان.

وأحسن خلق الإنسان، فخلقه في أحسن تقويم، وأجمل صورة، وأكمل تركيب، وجعل كل عضو في مكانه المناسب لتكتمل صورته وهيئته، ولذا فُتت النفوس بالصور لكمال خِلقه الله لها، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَصَوَّرَكُمُ فَأَحْسَنَ

صُورَكُمُ﴾ [غافر: ٦٤]

وإحسانه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى الْخَلْقِ لَا حَصْرَ لَهُ، فَقَدْ غَمَّرَهُمْ
 جَمِيعًا بِنِعْمِهِ، وَزَادَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ، فَلَيْسَ تَمَّ نِعْمَةٌ هُمْ فِيهَا إِلَّا
 وَهِيَ مِنَ اللَّهِ، وَلَا غِنَى لَهُمْ عَنْ إِحْسَانِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَلَا قِيَامَ
 لَهُمْ وَلَا بَقَاءَ إِلَّا بِهِ وَبِجُودِهِ وَفَضْلِهِ.

وَلَا يَخْلُو مَوْجُودٌ مِنْ إِحْسَانِ اللَّهِ - حَتَّى وَإِنْ جَهَلَ النَّاسُ
 حِكْمَةَ خَلْقِهِ - أَوْ ظَنُّوا أَنَّهُ لَا فَائِدَةَ مِنْ وَجُودِهِ، فَإِنَّمَا أُتُوا مِنْ
 جَهْلِهِمْ.

والتباين في خلق الله من مقتضيات حكمته ليكتمل هذا
 الكون، وليعلم الخلقُ قدرة ربهم في خلق المختلفات
 والمُتفاوتات، في حِكم كثيرة جداً لا يمكنهم الإحاطة بها.
وهو المحسن في حكمه، الكامل في شريعته، فقد أحسن
 إلينا بأكمل الشرائع، وأحسن الأديان.

وَمَنْ تَأَمَّلَ فِي أَحْكَامِ الشَّرِيعَةِ وَجَدَ إِحْسَانًا وَإِتْقَانًا لَا
 مِثِيلَ لَهُ الْبَتَّةَ، بَلْ لَا مِقَارَنَةَ بَيْنَ حُكْمِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَأَحْكَامِ
 الْبَشَرِ كُلِّهِمْ مَجْتَمِعِينَ، فَمَنْ تَجَرَّدَ فِي طَلْبِ الْحَقِّ أَيْقَنَ أَنَّ

أكمل الشرائع: شريعة الإسلام، وأحسن الأحكام: حُكم
الله تعالى، وأكمل الهدي: هدي محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ومن درس أحكام الشريعة سواءً بتعمق أو حتى قراءة ظاهرة لها وجد أحكاماً عادلة شاملة جاءت لصالح الفرد والمجتمعات ولو أخذ الناس بها لرأيت أفراداً صالحين ومجتمعات تعيش حياة طيبة، ومن تأمل في التاريخ والأزمة التي طُبقت فيها أحكام الشريعة وجد مصداق ذلك، فها هو الجيل الأوّل من صحابة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مثل مجتمعهم أفضل بيئة اجتماعية مرّت على تاريخ البشرية وما ذاك إلا لتطبيقهم أحكام الشريعة.

وأعظم صور إحسانه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى الْعَبْدِ: تعريفه
 به، ودلالته عليه، فلذا كانت أعظم المنن، وأكمل أنواع الإحسان: الهداية إلى الإسلام، والهداية فيه، فيهديه ابتداءً للإسلام، ويخلقه مسلماً لا يعرف كفراً ولا ضلالة ولا يتلطح بشرك أو وثنية، ويهديه فيه فيعرف تفاصيل مرضيه،

وسُبل محابّه، ويُحبّب له الطاعات، ويهديه لشرائعه فيستقيم عليها، ويلتزم بها ويكون عبداً صالحاً، وهذا - لعمر الحق - أعظم أنواع الإحسان وأكمله.

ومن الخلق من يشرح الله له صدره بعد الكفر للإسلام فينال السعادة الأبدية، ويُدرِك ما أدركه أهل الإسلام من الإحسان والتوفيق الرباني.

وهو **(المحسنُ)** إنا بأن جعلنا من خير أمة أُخرجت للناس، فهذه الأمة خير الأمم وأكرمها على الله، يقول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: **«إِنَّكُمْ تُتَمُّونَ سَبْعِينَ أُمَّةً، أَنْتُمْ خَيْرُهَا وَأَكْرَمُهَا عَلَى اللَّهِ»** (١).

وهو **(المحسنُ)** إنا بإرسال محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فاخترنا لنا خير أنبيائه ورسله، وجعلنا من أتباعه، واصطفانا لهذا الفضل ونحن في عالم الذرّ حتى خرجنا للوجود، فله الحمد وله الثناء الحسن.

(١) أخرجه الترمذي، وهو حديث حسن.

وهو **(المحسنُ)** إلينا بإنزال أحسن الكتب على نبينا

عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَبِهًا مَثَانِيَ نَقَشِعُرُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾﴾ [الزمر: ٢٣] فالقرآن الكريم أحسن الكتب نظماً، وأكملها أحكاماً، وأحسنها بياناً، وأوسعها معنى، وأتمها علماً، وأعلاها وأشرها مكانة.

ومن وفق للعناية بكتاب ربه، وانشغل به، فقد سبقت له من الله الحسنى، وفاز بخير العطايا، فكثرة الاتصال بكتاب الله، وصرف الأوقات له، والتفقه في معانيه، هو سبيل الإحسان، وطريق الإكرام، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿الْم ﴿١﴾ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾﴾ [لقمان: ١-٣]

فكم من الهداية والرحمة التي تصيب صاحبها كلما زادت صلته بكتاب ربه، وعظم تواصله معه، وكلما زاد قرب العبد من كتاب ربه طابت حياته.

وهو **(المُحسِنُ)** إلى عبده **بالعلم النافع**، فالعلمُ أشرف مطلوب، وأعزُّ مبدول، وهو منشور الولاية، وطريق السعادة، فمن كان عامراً وقته به نال أرفع الدرجات، وأعلى الرُتب.

وهو **(المُحسِنُ)** لعبده **بالتوفيق للعمل الصالح**، فيشرح صدره للطاعة، ويؤنسه بها، ويجعله محافظاً عليها، مكثراً منه -توفيقاً وإحساناً وعطاءً وفضلاً-.

وهو **(المُحسِنُ)** لعبده المؤمن ووليّه الصالح بعصمته من الذنوب والخطايا، وحمايته من الفتن.

ويُحسن إلى عبده **بتيسير المعيشة**، وسعة الرزق، والكفاية من المال، فلا يجعله يحتاج إلى أحد، وهو إحسان كبير، ولئن فات المؤمن بعضٌ منه فليصبر وليحتسب وليكن راضياً بقضاء الله عليه، فالخير كل الخير فيما قضى.

وهو **(المُحسِنُ)** الذي يُحسن إلى عباده الصالحين بأن يجازيهم على أعمالهم الصالحة أحسن الجزاء بمضاعفة حسناتهم فضلاً منه ومِنَّةً، ويزيدهم من فضله بمجازاتهم

على نياتهم، فيهبهم الأجر كاملاً موفوراً وكأنهم عملوا ما عجزت عنه أبدانهم.

وتأج الكرام، وكمال الإحسان من المحسن الوهاب:

إحسانه إلى عباده بدخولهم الجنان ورؤية ربهم فيها، فينالون من إحسانه ورحمته وفضله وكرامته ما تقرّ به أعينهم، وتفرح به نفوسهم، وتسعد به أفئدتهم، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ

فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٦﴾ [يونس: ٢٦]

ومن إحسانه أن جعل البشري للمحسنين، فقال سبحانه: ﴿وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الحج: ٣٧] وكلما زاد العبد إحساناً في عبادة الله، وأتقنها وأكملها، وأحسن إلى عبادة الله نال البشري في الدنيا والآخرة، فأحسن لتفوز بفضلها.

ومن شأنه - وهو المحسن - محبة المحسنين، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥] وكلما أحسن العبد في عبادة الله ولعباده أحسن الله إليه، فالجزاء

عنده من جنس العمل، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿هَلْ جَزَاءُ
الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ﴾ [الرحمن: ٦٠] وإحسانه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لا
نظير له ولا مثيل، وهو واسع لا حد له.

والمحسن من العباد قد سلّم من الشرور، وفاز بالراحة
والطمأنينة، ووجد ما ينشده العالم كله من السعادة والأنس،
فكم تمتلئ المصححات النفسية ممّن يعيشون الضنك،
ويتجرعون الغصص بسبب بعدهم عن ربهم، ومخالفتهم
لشرعه، أمّا أهل الإحسان فقد نالوا سعادة الدنيا وطيب
الحياة، ذلك أنّهم لزموا طاعة ربهم واستجابوا لأوامره،
فجازاهم الله بعاجل البشري في الدنيا بالثناء الحسن، والحياة
الطيبة مع ما ينتظرهم من عظيم الجزاء في الآخرة، قال الله
سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ
وَلِنَعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾ [النحل: ٣٠]

أمّا غيرهم من أهل الكفر والمصرين على المعاصي
فيعيشون الهمّ والغمّ والضيق والحزن وإن كانت زينة الدنيا
بين أيديهم ويملكون زهرتها.

وأولى الخلق بالإحسان: الوالدين والقرابة وأهل الفضل.

وجزاء الإحسان يناله المُحسِنون في الدارين، فينالون الهداية والتوفيق والصواب والرشاد ويؤتون أعظم العطايا من العلم والفهم والحكمة ذلك أنهم استجابوا لربهم فأثابهم الله هذا العطاء.

والمحسن عمله مقبول، وسعيه مشكور، وتجارته لن تبور ذلك بأنه لا يُصيبه نصب في طاعة، ولا تعب في قربة إلا نال أعظم الأجور وأرفع الدرجات.

وأهل الإحسان ينشر الله لهم الثناء في الدنيا، ويُبقي لهم الذكر الحسن وهو من دلائل وحدانية الله تعالى، فانظر كيف أبقى الذكر الحسن لأبيائه، فعندما ذكر الله نوحاً وإبراهيم وموسى وهارون عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وغيرهم من أنبيائه في سورة الصافات قال: ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾ [الصافات: ١٢٩] أي ذكراً حسناً في الدنيا.

وترك ذكراً حسناً للصحابة الكرام الذين لا يُذكرون إلا
ويُترضى عنهم، وهكذا أئمة الهدى والصلاح ممن أبقى
لهم ذكراً حسناً وثناءً في الآخرين، فسبحانه ما أوسع فضله
وإحسانه لمن أطاعه.

فاللهم أتمم علينا إحسانك وقد اصطفيتنا لأعظم الملل،
وجعلتنا من خير الأمم، وأثرتنا بخيرة خلقك، وجعلته حظنا
من النبيين، فكم أفضت علينا من جودك، وأحسنت لنا ما لو
بقينا عمرنا كله ما وفيّا عشر معشار نعمك، فإلهم أتمم
علينا إحسانك بدخول جنّات النعيم، وارض عنا يا رحيم.



﴿ (٩٠) الطيب ﴾

جاء في الحديث الصحيح: «**إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ**..» (١).

فالله هو **الطيب**: المنزه عن النقائص والعيوب كلها،
والمقدس عن الشر والظلم.

فهو طيب بذاته، وفي أسمائه وصفاته، وأفعاله وأقواله،
وهو أعظم وأحق من يُثنى عليه.

وما طاب شيء قط إلا بتطيب الله له، فطيب كل ما سواه
من آثار طيبته، فالطيبات كلها له ومُضافةٌ إليه، وصادرةٌ عنه،
ومنتهيةٌ إليه.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: (فهو طيب، وأفعاله طيبة، وصفاته
أطيب شيء، وأسماءه أطيّب الأسماء، ولا يصدر عنه إلا
طيب، ولا يصعد إليه إلا طيب، ولا يقرب منه إلا طيب) (٢).

(١) أخرجه مسلم.

(٢) [كتاب الصلاة: ٢١٤-٢١٥]

وقال رَحْمَةُ اللَّهِ: (اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الطَّيِّبُ، فالأسماء الطيبات، والصفات الطيبات، والكلمات الطيبات، والأفعال الطيبات كلها له سبحانه لا يستحقها أحد سواه، بل ما طاب شيء قط إلا بطيبته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فَطِيبٌ كل ما سواه من آثار طيبته) (١).

فالله طيبٌ، والعقائد التي أمر بها طيبة، فهي التي تطيبُ بها النفوس، وتطمئن لها الأفتدة، ويفرح المؤمن بمعرفتها، فهو قد عرف ربه بصفاته الكاملة، وأسمائه الحسنى، وأفعاله المحكّمة، فطابت نفسه واطمأن قلبه لرب عظيم القدر، جليل الشأن، كامل الصفات.

وسلم من تشنت المشرك في عقيدته، وفساد قلبه وشؤم حاله حين توجه للمخلوقين الضعفاء مثله، ولذا كان أطيب الناس حياة ومالاً هم أهل التوحيد الخالص الذين طابت عقيدتهم.

(١) [كتاب الصلاة: ٢١٥]

وشرائع الإسلام أكمل الشرائع وأطيبها في العبادات
 والمعاملات والأحكام والآداب، تطمئن لها القلوب،
 وتطيب بها النفوس، ويعيش صاحبها الحياة الطيبة في الدنيا،
 وينال السعادة فيها، فقد قضى الله تعالى أن من اتبع شرعه
 عاش حياة طيبة.

وكلما طيب العبد قلبه زاد عمله الطيب، وصار الطيبُ
 وصفاً لازماً له، فتطيب أخلاقه، ويطيب مجلسه، ويطيب
 منطقته، وتطيب أعماله.

وكلامه الشرعي سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَطِيبُ الْكَلَامِ وَأَتَمُّهُ وَأَكْمَلُهُ،
 قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾

[إبراهيم: ٢٤]

وكلماته الكونية وأقضيته في عبادته أكمل الأفضية
 وأعدلها فهي دائرة بين العدل والفضل.

وما طاب فعل عبد ولا طاب مكان ولا زمان إلا بتطيب

الله له، فطيب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الْأَشْخَاصِ وَأَعْمَالِهِمْ، وَطَيَّبِ
الْأَقْوَالَ وَالْأَحْوَالَ وَالْقُلُوبَ.

والله لا يقبل من الأعمال إلا ما كان طيباً، فاحرص على
طيب عملك بتحقيق الإخلاص والمتابعة، والابتعاد عما
يُبطئه من المنّ والعُجب.

وإليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ، وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ
يَرْفَعُهُ.

ولقد وعد الطيبُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ الْحَيَاةَ
الطَّيِّبَةَ إِذَا مَا اسْتَجَابُوا لَهُ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا
مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ
بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧]

ومن عاش طيب العقيدة، سليم القلب، طيب العمل مات
على أحسن حال وأطيبه، فهم كما وصف الله تعالى: ﴿الَّذِينَ
نُؤْتِيهِمُ الْمَلَائِكَةَ طَيِّبِينَ﴾ [النحل: ٣٢] فجعل ميتهم طيبة عند الوفاة،

وأحسن لهم الخاتمة، ففي ساعة خروج الروح يُنادى بها:
«أَخْرِجِي أَيْتَهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ، كَانَتْ فِي الْجَسَدِ الطَّيِّبِ» (١).

ووعده سبحانه وتعالى الطيبين من عباده المساكن الطيبة في الآخرة، فالجنة دار طيبة ولا يدخلها إلا الطيبون الذين طابت عقائدهم وقلوبهم وأعمالهم وأقوالهم، قال الله سبحانه وتعالى:

﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٍ طَيِّبَةٍ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ٧٢]

فلا يجاوره فيها إلا عباده الطيبون، فإنهم يُقال لهم فيها:

﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣]

فالجنة أطيب دار يسكنها مخلوق، وطيبها لهم سبحانه وتعالى بحسن جواره، وجوار أنبيائه ورسله، والصالحين من عباده، وطيب طعام أهلها وشرابهم فيها فلا يلحقهم منه أذى ولا ألم، وطيب زوجاتهم فجعلن طاهرات من كل

(١) حَدِيثِ الصَّحِيحِ رَوَاهُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ.

دنس، وطيب أبدانهم فلا يمسهم فيها نصب ولا يمسهم فيها لغوب، وطيب نفوسهم فلا يصيبها هم أو غم أو كدر، فطابت حياتهم فيها كأوفر ما يكون، وأكمل ما يُدخر.

والنفوس الشريفة تطمع بسماع القول الطيب الذي لا يؤذيها، فتحرص على الصحبة الطيبة والمجالس الطيبة، وأكمل ما يكون هذا في جنات النعيم، قال الله سُبحانه وتعالى عن سكان أهل الجنة: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْتِيهَا إِلَّا قِيلًا سَلَامًا

سَلَامًا ﴿٢٦﴾ [الواقعة: ٢٥-٢٦]

وأطيب القول: القرآن العظيم، فقد كُمل في نظمه وتراكيبه وبلاغته، وعظم تأثيره على النفوس، ومن الله به على هذه الأمة ويسره لهم، فطابت حياة المتصلين به، العارفين بأحكامه، العاملين به، وصارت نفوسهم طيبة، وأخلاقهم طيبة، وأعمالهم طيبة، وأحاديثهم طيبة، ونواياهم طيبة، وآثارهم طيبة، فنالوا من بركات كتاب ربهم ما طابت به حياتهم وسيرتهم.

وجعل سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى **أطيب الكلمات**: الأذكار الشرعية الطيبة، وأعلاها قدراً، وأشرفها منزلة كلمة التوحيد: (لا إله إلا الله) فهي الكلمة الطيبة التي تزن السموات والأرضين وتملاً ما بينهما.

و(سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا الله) أطيّب ما تفوهت به الألسنة ولزمته الأفواه، يقول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**أَرْبَعٌ مِنْ أَطْيَبِ الْكَلَامِ، وَهِنَّ مِنَ الْقُرْآنِ، لَا يَضُرُّكَ بَأَيِّهِنَّ بَدَأْتَ: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ**» (١).

و(سبحان الله وبحمده، وسبحان الله العظيم) أثقل ما يُوضع بالميزان، وهي من جملة الكلمات الطيبة التي حثّ عليها نبينا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

و(سبحان الله عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه،

(١) رَوَاهُ أَحْمَدُ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ

وَمِدَادِ كَلِمَاتِهِ) كلمات طيبات جمعت أجوراً لا حصر لها،
ومعانٍ لا يُحيط بها أحد، فطيب لسانك بها على الدوام.

والكلمة الطيبة تقي صاحبها النار وتحميه منها، يقول
عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا
فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ»^(١).

فاللهم وفقنا للحال الطيب، والعمل الطيب، والأقوال
الطيبة، وأحينا الحياة الطيبة، وأمتنا الميته الطيبة، وأدخلنا
دار الطيبين، وأحسن جوارنا فيها يا أرحم الراحمين.



(١) رواه البخاري ومسلم.

﴿ (٩١) الشافي ﴾

اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هُوَ الشافي، وجاء ذكر هذا الاسم في السنة فقط، ففي الحديث: «وأنت الشافي»^(١).

ومعنى الشافي: الذي منه الشفاء.

فهو يشفي الصدور من الشبه والشكوك، ويشفي القلوب من أمراضها كالحسد والحقد ونحوه، ويشفي النفوس من الأخلاق المذمومة، ويشفي الأبدان من الأمراض والآفات التي لا يقدر عليها غيره.

وشفاؤه لعباده من أمراض الشكوك والشبه والشهوات يكون بما بينته آياته، وبما جاء عن رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الحقائق المزيلة لها؛ وكم يحتاج أفراد من المسلمين اليوم لهذه الأدوية لتطمئن قلوبهم في ظل هذا الانتشار الكبير للشبهات التي وجدت - وللأسف - قلوباً خاوية، وقلة علم

(١) رواه أحمد.

ظاهرة، فحريٌّ بالناصح لنفسه أن يتحصّن بالعلم الشرعي الذي يُزيل عنه هذه الشُّبه، والذي مصدره الكتاب والسُّنة بفهم السلف الصالح، فهم أبصر النَّاس بالحق لتزول عنه هذه الشبهات، ويزداد يقيناً بكمال شرع ربه، ولتثبت قدمه على الإسلام في ظل زلل البعض عنه.

ومن رام الشفاء من غير الكتاب والسنة وكلام العلماء الربانيين العارفين بأمر الله فقد رام المحال والمستحيل، وتجد اليوم دعوات للتحرر من هذا المسلك مدّعي أصحابها أنه يجب تحكيم العقل في كل أمر، ولو تبصّر هؤلاء لأيقنوا أنهم لم يتحرروا هم من سلطان التقليد، وأتباع أقوال وأفكار غيرهم ولكنها أفكارٌ تدلّ على بلاهة عقولهم، وإلا فأبي غرور من أتباع أصحاب عقول أهلها سادرون في ضلال مبين من عبادة أصنام أو حيوانات أو دُمي، وإن ترّفعوا فهم في الحقيقة يعبدون أهوائهم وشهواتهم بإنكار الحقائق الثابتة التي دلّ عليها الكتاب والسُّنة كقضية وجود الخالق،

وكمالهِ وتباين صفاته لصفات المخلوقين، ومقتضيات ذلك من التكليف، وحمية البعث والجزاء والحساب، فلا شفاء البتة إلا باتباع الحق، ولا تتحرر إلا بالاستقامة على سبيل الشرع المطهر، فهو المُحرِّرُ للعقول حقاً، والمُرشدُ إلى ما يقبله العقل السليم صدقاً.

ومن ضلوا عن السبيل تجدهم يُعارضون شرع الله بأقيسةٍ فاسدة، وأفكار تافهة، ومقترحات ضالة، مغرورين بعقولهم المحدودة، وأفكارهم التي تتغير كل وقت وحين. وأعظم خيرٍ يسوقه الله (الشافي) لعبده أن يسخر له عالماً بالله يعرفه أمره، ويدلّه على مرضيه، ويُقرّب له السبيل الموصل لرحمته، ويُبصره بعقيدة السلف الصالح التي كان عليها أهل السنة والجماعة من لدن الصحابة رضوان الله عليهم، فإنّ من أعظم المصائب، وأشد أنواع الخذلان أن يكون علمُ المرء عن طريق علماء السوء من أهل البدع والضلال.

وكلما زاد اتصال القلب بالله قوي على دفع أمراض القلب عنه، فإنّ طاعة الله، والفرح بقربه، والتنعم بذكره لها تأثير على تقوية القلب، ودفع كلِّ واردٍ سيِّئٍ يردُّ عليه.

كثيرون يقذف في روعهم شياطين الإنس والجنّ الشبهات الشكوك في دين الله فلو اتبعوهم هلكوا ولكنّ يُدرّكهم الله برحمته فيعرفون الحقائق على وجهها، ويتبصرون السبيل على حقيقته، فتُشفى قلوبهم من هذه الشبهات، وتستتير أفئدتهم بنور الوحيين.

وهو: **(الشافي)** للقلوب الصادقة في طلب الشفاء من أمراض القلب كالحسد والغل والحقد والتي في السلامة منها راحة النفوس.

ولا يخلو قلب من هذه الأمراض، فتجد كثير من القلوب فيها الحسد وحبّ الذات، وتمنيّ الانفراد بالنعمة، وكراهية الخير للغير، ونحوها من الأمراض، ولكنّ الصادق يسعى في تخليص نفسه منها مستعيناً بربه **(الشافي)** بالدعاء الدائم،

والعلم أنّ العطايا والخيرات كلها من الله تعالى، فلا يحسد أحداً على خير أعطاه الله إياه، ويجاهد في تطهير نفسه من كلّ خلق مذموم.

والله (يشفي) صدور المؤمنين بنصرهم على أعدائهم؛ فأعداء الملة يسعون جاهدين لإطفاء نور الله بخيلهم ورجلهم ولكن الله يُخزيهم بأن يجعل جمعهم بوراً، فيصير مكرهم سراياً لا يجدون له أثراً، ولا يجنون من سعيهم الباطل إلا الخزي، وتكون أموالهم التي أنفقوها عليهم حسرة، ومكرهم عائداً عليهم ويُغلبون.

ومن توجه لكتاب الله تعالى فتأمل به حضور قلب وطلبٍ للشفاء وجد بغيته، ووفق لأصول الخير، ووضع يده على الشفاء الذي لا شفاء بعده، فكلام الله نور، وشفاء، وهدى، وتبصرة، ورحمة، وهو هداية لكل حائر، ودليل لكل طالب، فدونك النور المبين فانهل منه ما ينشرح به صدرك، ويطمئن به فؤادك لعقيدة سليمة في ربٍّ عظيم جامعٍ لصفات الكمال

والجلال، ومعرفة تامّة لنبي كريم عليه أزكى صلاة وسلام
جمع الكمال البشري، والهدي السليم، والخُلق الجميل،
وشفاء لا شفاء بعده لأحكام كاملة صالحة للبشرية جمعاء.

والله هو (الشافي) للأمراض الحسية.

ويجب على كل مكلف أن يعتقد ألا شافي على الإطلاق

إلا الله وحده، ففي الحديث يقول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «لا شافي
إلا أنت»^(١).

والتوسل بتفردّه بالشفاء من أحسن أسباب الشفاء،
فالأمر أمره، والخلق خلقه، وكل شيء بتصرفه وتدبيره،
وفي حديث غلام أصحاب الأخدود - وقد عُرف بمعالجة
المرضى - ولكنه فتى قد امتلأ قلبه بعقيدة أهل الإيمان،
وعرف صفات ربه، فعندما جاءه جليس الملك بهدايا
- وكان قد عمي - وقال له: «ما هاهنا لك أجمع، إن أنت

(١) رواه أحمد.

شَفَيْتَنِي، فَقَالَ: إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا إِلَّا مَا يَشْفِي اللَّهُ» (١).

وأهل الإيمان قد ورثوا هذه العقيدة من إمام الحنفاء الذي ذكر الله إيمانه العميق بهذا بقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء: ٨٠] فهو وحده الذي يشفي، فكم من مريض اجتمع حوله أمهر أطباء العالم، وجُلبت له أنجح أسباب الشفاء ولكنه لم ينتفع بها لأنّ الذي يملك الشفاء هو الله وحده، ويده أنواع الشفاء، ووقت الشفاء، وكيفية الشفاء، وهو الذي يشفي بسبب وبلا سبب، وبضد السبب، وكم من مريض عوفي بعد يأس الأطباء من شفائه، فعلق قلبك (بالله الشافي فقط)

ولا يُمنع من استعمال الأدوية والأشفية فإنها مشروعة كما علمنا ذلك نبينا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في أحاديثه وتوجيهاته، ولكن لا يتعلّق القلب بها وإنما يتعلّق القلب بمن جعلها شفاءً سبحانه.

(١) أخرجه مسلم.

والأمراض والمصائب رحمة للعباد وتذكير لهم،
فكما أن العلاج مُرٌّ ومؤلمٌ في أحيانٍ كثيرةٍ لكن ثمراته
نافعة للمريض فكذلك أقضية الله - والله المثل الأعلى - قد
تكون مؤلمةً للعبء في ظاهرها، ولكن في باطنها الخير له،
من إيقاظه من غفلته، ومراجعتة لحاله وسلوكه وأعماله،
وسبب لرجوعه لرشده.

واعلم أنّ رحمة الله بالعباد واسعة، فهو لا يقضي عليهم
الأمراض إلا لحكمٍ كثيرةٍ منها ما نعلمها ومنها ما نجهلها بل
من سعة رحمته أنه جعل لكل داء - مهما عظم وكَبُر - دواءً،
ولكنّه يصرف بعض العباد عن معرفته لحكم لا يُحيطون
بها.

وكم من مرض وبلاء كان سبباً لعافية مبتلى، وعودة
لشارد، وهداية لضال، وبصيرة لأعمى، ورشداً لتائه، فالله
هو الشافي وقضاؤه خير للعباد، وبلاؤه عواقبه عافية لهم.

والشفاء للأمراض العضوية كما أنّ له أسباباً حسية
فله أسبابٌ شرعية، من أعظمها: **القرآن العظيم** فهو الشفاء
لجميع الأمراض فلا ينبغي للعبد أن يغفل عنه، بل عليه
أن يرقى به نفسه دوماً - خصوصاً إذا ألمّ به مرض - ومن
أعظم سورته: **سورة الفاتحة** فهي الشافية، وكذلك **سورتي
الفلق والناس**، ومن الآيات: **آية الكرسي**، وأواخر **سورة
البقرة**.

ومن الأدوية الشرعية الشافية بإذن الله: **العسل**، و**الحبة
السوداء**، و**ماء زمزم**، و**التليينة**.

ويُشرع - كذلك - **التداوي بالأدوية الحسية** التي أثبت
الطب الحديث نفعها، فهي من جملة الأسباب المشروعة
التي أمر رسولُه بها لقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«تداؤوا عبادَ اللهِ فإنَّ
اللهَ سبحانه لم يضع داءً إلاّ وضع معه شفاءً»** (١).

(١) رواه ابن ماجه.

توسّل - يا عبدالله - باسم ربك (الشافي) إذا ألمّ بك
مرض حسي أو مرض شبهة أو شهوة فرأيت من نفسك ميلاً
للذنوب وتعلقاً بالشهوات، أو غرّتك الدنيا بأن يحفظك
ربك، ويُسلمك من شرورها، ويُرّهدك في ملذاتها، ويُعلّق
قلبك بدار النعيم المقيم.

اللهم اشفِ قلوبنا، ونور بصائرنا، واهد أفئدتنا، وسلّمنا
من الشرور كلها يا رحمن يا رحيم .



﴿ (٩٢) الجميل ﴾

وقد جاء ذكر هذا الاسم في السنة، يقول رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ»^(١).
فالله - عز في علاه - جميل بذاته، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله.

وجماله لا يصفه واصف، ولا يُدرکه أحدٌ على حقيقته، وأنى لبشر أن يُدرک مَنْ ذأته الجمال، وكلُّ جمال هو منه، ومن أثر صنعه، فهو الذي خلق كل جمال، وصوّر كل حُسن، وجمّل ما فُتنت به العيون، وكلُّ جمال في الكون فهو من أثر جماله، وجميل أفعاله.

يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: (وَمِنْ أَعَزِّ أَنْوَاعِ الْمَعْرِفَةِ: مَعْرِفَةُ الرَّبِّ - سُبْحَانَهُ - بِالْجَمَالِ وَهِيَ مَعْرِفَةُ خَوَاصِّ الْخَلْقِ، وَكُلُّهُمْ عَرَفَهُ بِصِفَةِ مِنْ صِفَاتِهِ، وَأَتَمَّهُمْ مَعْرِفَةَ مَنْ عَرَفَهُ

(١) رواه مسلم.

بِكَمَالِهِ وَجَلَالِهِ وَجَمَالِهِ - سُبْحَانَهُ - لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ فِي سَائِرِ صِفَاتِهِ، وَلَوْ فَرَضْتَ الْخَلْقَ كُلَّهُمْ عَلَى أَجْمَلِهِمْ صُورَةً، وَكُلَّهُمْ عَلَى تِلْكَ الصُّورَةِ وَنَسَبْتَ جَمَالَهُمُ الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ إِلَى جَمَالِ الرَّبِّ سُبْحَانَهُ لَكَانَ أَقْلٌ مِنْ نِسْبَةِ سِرَاجِ ضَعِيفٍ إِلَى قَرصِ الشَّمْسِ (١).

فالله كامل الجمال من جميع الوجوه، يكفي في عظمة
 جماله أنه لو كشف الحجاب عن وجهه الكريم لما قام
 لنوره شيء من الخلق، يقول ابن القيم: (وأما جمال الذات
 وما هو عليه فأمرٌ لا يدركه سواه، ولا يعلمه غيره، وليس
 عند المخلوقين منه إلا تعريفات تعرف بها إلى من أكرمه
 من عباده.. ومن هذا المعنى يفهم بعض معاني جمال ذاته؛
 فإن العبد يترقى من معرفة الأفعال إلى معرفة الصفات، ومن
 معرفة الصفات إلى معرفة الذات، فإذا شاهد شيئاً من جمال
 الأفعال استدل به على جمال الصفات، ثم استدل بجمال

(١) [الفوائد: ١٨١]

الصفات على جمال الذات، ومن هنا يتبين أنه سبحانه له الحمد كله، وأن أحداً من خلقه لا يحصى ثناء عليه، بل هو كما أثنى على نفسه، وأنه يستحق أن يعبد لذاته ويحبُّ لذاته ويشكر لذاته...^(١).

والجمال المطلق من جميع الوجوه لله وحده فقط؛
فمهما أُوتي أحدٌ جمالاً فلن تجده جميلاً في كل شيء بل ستجد فيه من النقص والعيوب الشيء الكثير.

والبشرُ - كل البشر - فيهم ما تستقدره النفوس، وتشمئز منه، وقلما اجتمع جمال الظاهر وجمال الباطن في امرئ، فربما تجده جميل المنظر ولكنه سيءُ التعامل مع الغير، غليظ الخُلُق مع العباد.

ومن تأمل في الجمال الظاهر لبعض البشر في مستقبل العمر ثم رآهم بعد حين وقد كبر سنهم، وكيف أثرت بهم حوادث الزمان، وهموم الحياة أيقن بهذه الحقيقة، بل من

(١) [انظر كتاب الفوائد: ٣٢٢]

تفكر بحال الميّت الجميل بعد وفاته بليال أيقن بما ذكر،
فالله له كمال الجمال والجلال، بل لا نسبة البتة بين جماله
وجمال غيره.

وينبغي لمن أوتي جمال صورة ألا يكفر بجماله، ولا
يكون جماله سبباً في هلاكه، فيُورد نفسه العطب، ويجعل
هذا الجمال سبباً لمعاقرة المعصية وغشيانها.

وهو - سبحانه - واهبُ الجمال لكل جميل من البشر
والملائكة والنبات والحيوان، فلا يغترّ أحدٌ بجماله، فإنه لم
يختر أحدٌ شكله أو تفاصيل أعضائه أو طوله أو بُنية جسده،
وإنما هي بتقدير الله واختياره فلم الغرور!!

ولعظمة جمال الله يذهلُ أهلُ الجنّة عن كلِّ نعيم وجمال
هم فيه - مع جلالته - إذا رأوا ربهم لعظمة ما رأوا من كماله،
فتنبهر أبصارهم لجماله، وتحار أعينهم فيه لشدة ما يرون من
جمال، وتتذكر نفوسهم - وهم ينظرون لربهم - الجليل الجميل
أنّ هذا ربهم الذي عبدوه وسجدوا له وتقربوا له بأنواع القرب.

ويتذكرون - وهم ينظرون إليه - فضله عليهم يوم خلقهم مسلمين، ويوم أن وفقهم للعمل الصالح - الذي هو محض فضل منه - فتمتلئ قلوبهم شكراً لربهم، وتمتلئ نفوسهم فرحاً برؤية ربهم الجميل .

ورؤية الله في الجنة هي أعظم مطلوب للمؤمنين بربهم، بل ما طابت الجنة إلا برؤيته ولذة النظر إليه، ولذا كانت أعظم نعمة لأهل الجنة: **رؤيتهم لربهم فيها**، ففيها من السعادة والفرح ما لو وُزِعَ على الخلق كلهم لكفاهم، وكيف لا يكفيهم وهم يرون ربهم الجميل الجليل؟!

وأهل الجنة يتفاوتون في رؤيته وأعلامهم فمنهم من يراه بكرة عشياً، ولذا ترى المحب الصادق لربه يسعى جهده أن يكون من هؤلاء، فاللهم إنا نسألك من فضلك يا رحمن .

إنّ زيادة الإيمان بهذا الاسم، والتأمل في هذا الحال، واستحضار هذا العطاء يزيد المؤمن اشتياقاً لرؤية الله، وهذا ما كان عليه نبينا عليه الصلوة والسلام، فإنه كان يدعو بالشوق

إلى لقاء ربه، ويسأله لذة النظر لوجهه الكريم، فمن دعائه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «وَأَسْأَلُكَ الرَّضَا بِالْقَضَاءِ، وَبِرَدِّ الْعَيْشِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَلَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ وَالشَّوْقَ إِلَى لِقَائِكَ» (١).

وهذه الرؤيا لها أسباب، من أعظمها: الإحسان في عبادة الله وإلى عبادته، فيحسن العبد في توحيدهِ وإيمانه وأعماله ويقوي هذا الجانب، وإذا زاد إحسانه رضي الله عنه، وأرضاه وأعلى منزلته ورفع مكانته، فصار أسعد الناس برؤية ربه الجميل في الجنة، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [يونس: ٢٦] وقد بين النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ معنى الزيادة وأنها: «النظر لوجه الله الكريم في الجنة» (٢).

ومن أعظم أسباب تمتع البصر بالنظر إلى الله: المحافظة على صلاة الفجر والعصر في وقتها، كما صحَّ بذلك الحديث عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(١) رواه النسائي.

(٢) رواه مسلم.

وهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى جَمِيلٌ فِي أَعْمَالِهِ، فَإِنَّ أَعْمَالَهُ دَائِرَةٌ بَيْنَ أَعْمَالِ الْبِرِّ وَالْإِحْسَانِ، وَبَيْنَ أَعْمَالِ الْعَدْلِ وَكَمَالِ الْحِكْمَةِ، فَلَيْسَ فِي أَعْمَالِهِ عِبْثٌ وَلَا عَيْبٌ وَلَا ظُلْمٌ، وَلِذَلِكَ يُحْمَدُهُ الْخَلَائِقُ بَعْدَمَا تَظْهَرُ حَقَائِقُهَا لَهُمْ، وَلَكِنَّ الْمُؤْمِنِينَ بِرَبِّهِمْ حَمَدُوا اللَّهَ عَلَيْهَا فِي الدُّنْيَا لِعِلْمِهِمْ بِجَمَالِهَا وَكَمَالِهَا وَعَدْلِهَا، وَيُكْتَمَلُ حَمْدُهُمْ فِي الْآخِرَةِ.

وَاللَّهُ يُحِبُّ لِدَاوَتِهِ، فَإِذَا أُضِيفَ إِلَى ذَلِكَ إِحْسَانُهُ وَإِنْعَامُهُ وَحِلْمُهُ وَرَحْمَتُهُ أَحَبَّهُ الْعَبْدُ الصَّادِقُ لَا مَحَالَةَ.

وَمَنْ عَرَفَ رَبَّهُ الْجَمِيلَ سَعَى أَنْ يُجَمَّلَ كُلُّ عَمَلٍ وَخُلِقَ مِنْهُ، فَيُجَمَّلُ بَاطِنُهُ بِصَلَاحِ الْعَقِيدَةِ مُبْتَعِداً عَنِ الشَّرْكِ بِجَمِيعِ أَشْكَالِهِ وَصُورِهِ، وَيُجَمَّلُ سَيْرُهُ إِلَى رَبِّهِ بِاتِّبَاعِ السُّنَّةِ مُبْتَعِداً عَنِ الْبِدْعِ وَالْإِفْتِرَاءِ فِي دِينِ اللَّهِ، وَيُجَمَّلُ بَاطِنُهُ بِسَلَامَةِ الْقَلْبِ مِنَ الْأَخْلَاقِ الْمُرْذُولَةِ كَالْحَسَدِ وَالغُلِّ وَسُوءِ الظَّنِّ، وَيُجَمَّلُ بِحُبِّ الْمُسْلِمِينَ وَحُبِّ الْخَيْرِ لَهُمْ، وَيُجَمَّلُ تَعَامُلُهُ مَعَ الْخَلْقِ بِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ لِيَكُونَ شَامِتَةً بَيْنَ النَّاسِ، وَيُجَمَّلُ لَفْظُهُ

ومنطقه، فيُطَيَّب كلامه، ويُطَيَّب مجلسه وأفعاله، فلا يُسمع منه ما يشين، ولا يتلفظ إلا بكل قول جميل ولا يُسمع منه إلا كل طيب، ولا يُرى منه إلا ما تُسرُّ به النفوس، ويُطَيَّب سيرته لتبقى له ذكرى حسنة بعد مماته، ويمثّل كل خلق جاء الأمر به:

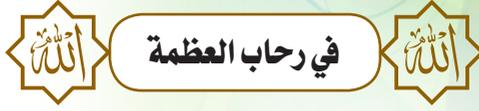
كالصبر الجميل الذي لا ضجر فيه ولا سخط.

والهجر الجميل الذي لا عتاب فيه ولا تبعه.

والصفح الجميل الذي لا حقد فيه ولا أذى بالقول أو الفعل.

مبتغياً بكل ذلك وجه الله دون سواه، فوجهه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَشْرَفُ الْوُجُوهِ وَأَعْظَمُهَا.

وينبغي لمن وُفق لهذه الأعمال الجميلة، والأخلاق الحسنة أن يُسند الفضل فيها لله وحده، فكل جميل في أفعاله وأقواله وأحواله فهو محض فضل ربه، وكلُّ خُلُقٍ حسن رُزقه فهو من الجميل المنان سبحانه.



فاللهم جمّلنا بأحسن الأخلاق والأعمال، واجعلنا لك

شاكرين.



﴿ (٩٣) الرقيب ﴾

الرقيب: هو الحافظُ الذي لا يغيب عما حفظ، ولا يغفل عما خلق، وهو المطلع على ما أكتته الصدور، وطوت عليه النفوس، وكسبته الجوارح.

واسم الله الرقيب جاء ذكره في كتاب الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى ثلاث مرات.

ورقابه سُبحَانَهُ وَتَعَالَى عظمة فقد أتت على الأعمال والأقوال كلها، والخواطر والنيّات، فلا يخرج عن رقابته شيء، قال الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا ۝٥٢﴾ [الأحزاب: ٥٢] فهو رقيبٌ على السموات وما فيها من خلقٍ وشأن، ورقيبٌ على الأرض وما يحدث فيها من خيرٍ وشر، ورقيبٌ على عباده فلا يغيب عنه شيئاً من شؤونهم.

وهو الرقيبُ الذي يُحصي على العباد أعمالهم كلها، وفي هذا دلالة ظاهرة على عظيم قدرته، وسعة علمه.

غاب عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ عن قومه، وهو النبيُّ المؤمن بمراقبة الله لعباده، فأعلن عن هذا الحفظ، وتلك المراقبة، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَنْهُ: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَىٰ

كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ [المائدة: ١١٧]

فيا من يدعون حبَّ عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ واتباعه أيقنوا بمراقبة الله عليكم، وإحاطته بشؤونكم، فحققوا التوحيد، وابتعدوا عن عقيدة التثليث الضالة، فالله لم يتخذ صاحبةً ولا ولدًا بل هو واحد أحد.

ومن عرف عظمة الله، وسعة صفاته، وتمام قدرته، وكمال إحاطته حمله هذا الإيمان على مراقبة الله والخوف منه، وتعبّد الله بأسمائه وصفاته، قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: **(والمراقبة: هي التعبّد لله باسمه (الرقيب) (الحفيظ) (العليم) (السميع) (البصير) فَمَنْ عَقَلَ هذه الأسماء تعبّد بمقتضاها) (١).**

(١) [مدراج السالكين: ٢/ ٦٥-٦٦]

فراقِبِ الله - أيها الزوج - في أهل بيتك، وأحسن إليهم
بجميع أنواع الإحسان، فالله رقيب عليك.

وراقِبِ الله - أيها الزوجة - في نفسك وزوجك وولدك
واحفظيهم في غيبتهم وحضرتهم، فالله رقيب عليك.

وراقِبِ الله - أيها التاجر - فالله رقيبٌ عليك في تجارتك،
وصدقك في معاملتك.

وراقِبِ الله - أيها الموظف - واصدق في أداء أمانة
عملك.

وراقِبِ الله - أيها الشاهد - في شهادتك، فلا تضيع
الحقوق بشهادتك، فالله رقيبٌ وسامعٌ لشهادتك.

وراقِبِ الله - أيها الشاب - في سنِّ شبابك، وأيقن بأهميته
وخطورته، وفرصة اغتنامه.

وراقِبِ الله - أيها الفتاة - واحفظي الله في نفسك،
واحفظي سمعة أهلك فإنَّ حفظ نفسك من أولى الأوليات.

والإيمانُ بهذا الاسم الجليل يُورث لصاحبه ثمراتٍ
يجد خيرها في الدنيا والآخرة، فمن هذه الثمرات:

ملاحظة النية عند بدء العمل، وهل هو لله فيمضي فيه
أو لغيره فيُصحح نيته ليستقيم له أمره، فالمرَاقِبُ لربه دائم
المحاسبة لنيته ليقينه بنظر الله إليه، وبسعة علمه بحاله، ممّا
يُثمر له الإخلاص في العمل.

**وإخلاص العمل لله أعظم باعث على إخفائه عن أعين
النّاس،** ومن تأمل حديث السبعة الذين يظلمهم الله في ظله
يجد أنّ المراقبة هي القاسم المشترك بينهم، فالحاكمُ راقب
الله في ولايته فلم يظلمْ أو يَحِفْ في حكمه، والشابُّ الذي نشأ
في طاعة الله راقب ربه في هذا السنّ، وأيقن أنّ الله سائله عنه،
فحفظه واعتنى بشأنه، والرجلُ العفيفُ الذي دعت المرأة
للفاحشة ما حمله على العِفّة إلا مراقبة الله، ويقينه أنّ الله
يراه، فخاف من بطشه وغضبه، والرجلان اللذان تحابا في
الله راقب كل منهما نيته فجعلا المحبة لله، ومن تعلق قلبه في

المساجد علم أن الله يُحبّ هذا فأحبّ ما أحبّ ربه، وراقب الله في هذه العبادة، والباقي بين يدي ربه خاشعاً علم أن الله يراه فامتلاً قلبه من خشيته ومراقبته، ومن تصدّق بصدقة فأخفاها كان على يقين بمراقبة الله لعمله فصدق في نيته.

ومن ثمرات مراقبة الله: **الخوف منه، وعدم الجراءة على معصيته** ممّا يُثمر الحذر من غضبه وسخطه وانتقامه، يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: (أجمع العارفون أن مراقبة الله في الخواطر سببٌ لحفظه في الظواهر) ^(١).

يغيب عن الغافل والعاصي مراقبة ربه فيتجرأ على معصيته، ويتعدى حدوده، متساهلاً في رقابة الله عليه، وما علم أن الله لا تخفى عليه خافية، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّنُونَ مَا لَا

رِضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾ [النساء: ١٠٨]

(١) [مدراج السالكين: ٦٦]

فلكل من ضعفت نفسه، وتجراً على المعصية: اعلم أنّ
 الله رقيبٌ عليك، فلا تخفى عليه معصيتك، ولو شاء لقبض
 روحك عليها فتفضح في الدنيا لكنه سترٌ لطيف، فاستح منه
 ولا تأمن غضبه وسخطه.

ويا من يکید لعباد الله ويسعى في أذيتهم بظلم ظاهر، أو
تأويل فاسد: أيقن باطلاع الله عليك، ومراقبته لعملك، فلا
 يخفى عليه عملك وقصدك، وستقف بين يديه مع خصمك،
 فما أنت مجيبه على كيدك وإضرارك به؟!

ويا من يمشي بالوشاية والنميمة بين الخلق: سواء أكانوا
 أقربين أم أبعدين، أيقن بعلم الله بعملك، وكرهيته لفعلك
 فلا تأمن هتك سترك.

ومن ثمرات مراقبة الله: إتقان العامل لعمله ليقينه باطلاع
 الله عليه، فيبذل جهده بتحسينه وتجميله حتى يؤدي العبادة
 على أكمل صورة؛ فالعبادة الحقيقية النافعة: **بحقيقتها لا**
بصورتها الظاهرة.

ومن ثمرات الصادقين في المراقبة: **حصول اللذة عند أداء العبادة**، فالله شاكراً عليم يذيق العبد برد مناجاته، ويجعل الطاعة قرة عينه .

ومن ثمرات المراقبة: **مغفرة الذنوب**، ونيل الأجر الكبير من الله تعالى، قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [الملك: ١٢]

ومن أعظم ثمرات المراقبة: **دخول الجنة ورؤية الله فيها**، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ [٣١] هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ [٣٢] مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ [٣٣]

[ق: ٣١-٣٣]

فاللهم ارزقنا مراقبتك على الدوام، وصدق التعامل معك.



{ (٩٤) الفتح }

من أسماء الله تعالى: **(الفتح)**

وورد اسم **(الفتح)** مفرداً مرة واحدة، في قوله تعالى:

﴿ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ ﴾ [سبأ:

٢٦] ورد بصيغة الجمع مرة واحدة أيضاً، في قوله عزَّجَلَّ:

﴿ رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴾ [الأعراف: ٨٩]

وله ثلاث معان:

المعنى الأول: أنه الذي يفتح لعباده أبواب الخيرات والبركات والعطايا والهبات والأرزاق، فيفتح على عبده أبواب رزق ما ظنَّ يوماً من الأيام أنها تُفتح عليه، ويهبه خيرات ما تصوّر يوماً أنها توهبُ له، ذلك أن ربه **(فتح كريم)** فلا مانع لعطائه، ولا ممسك لفضله.

كم تُغلق على العبد أبواب العافية والرزق حتى يظنَّ كل الظنَّ أن لا تُفتح له أبداً، فإذا بالخيرات تكثر، والأرزاق

تتوالى، والعافية تعود، والآلام ترحل.

وهو **(الفتّاح)** الذي يفتح ما انغلق من الأمور، فكم يُغلق على قلب العبد، وتضيّق عليه نفسه حتى كأنّ جبال الدنيا جاثمة على صدره، فيتوجّه للطاعة ويكثر من الصلاة والدعاء والاستغفار، ويُتبع ذلك بصدقات وعفو عن مسيء، فينشرح صدره، وكأنّه ما مرّ به ضيق قط، فرُبّه **(فتّاح رحيم)** عِلْم بضعفه ففرّج عنه.

ومما يفتح الله به على عباده: **(الفتح الديني)**.

يفتح على أهل الإسلام بحبّ دينهم، واليقين التام به،
وردّ كل شبهة ترد على القلب.

أو يفتح على قلب من كان كافراً بالإسلام، ويشرح صدره له، فكم من حائرٍ في الديانات الباطلة فتح الله سبحانه وتعالى على قلبه، وهداه للإسلام، فأبصر الحقيقة، وسلك طريق الهدى، ففاز فوزاً لا أعظم منه، فاللهم ثباتاً على دينك حتى نلتقاك.

ومما يفتح الله على عبده: لزوم السُّنة، وحبّ اتباعها، وإفناء العمر في تعلمها، ونشرها بين الأمة، والاجتهاد في تطبيقها، وجعلها في حياته حتى يلقي ذلك السنِّي ربّه على سُنّة وطريق هدى ورشاد.

وهو الفّتاح الذي يفتحُ قلوب المؤمنين ويشرحُ صدورهم للطاعة، ويُحبّب إليهم مراضيه، فيفتح على عبده في العبادات، فيجد في الصلاة راحة، وفي الذكر أنس، وفي التلاوة حلاوة، وفي العطاء فرح، وفي العفو عزّ، وفي الصّبح كرامة، وفي الصبر سلوان، وفي التوكّل طمأنينة، وفي الرجاء أمل، وفي الرحمة عوض، فاللهم افتح علينا من بركاتك يا فتّاح يا عليم.

ومن دلائل انفراد الله بهذا: تنوّع فتحه على العابدين والسائرين إليه، فمنهم من يُفتح عليه بالصلاة، فتكون قرة عينه، وروح فؤاده، فلا يجد السعادة إلا ساعة الوقوف بين يدي ربّه، وهذا - لعمر الله - فتحاً كريماً.

ومنهم من يُفتح له **في باب تلاوة القرآن**، فتجد القرآن جليسه وأنيسه قد أدرك لذته وحلاوته بتلاوته وترديده.

ومنهم من يُفتح له **في باب الذكر**، فتجد لسانه رطباً بذكر الله على الدوام، فاستعاض بذكر ربه عن مجالسة الخلق.

ومنهم من يُفتح له **في الصيام** حتى أنّ من حوله يعجبون من كثرة صيامه، وما علموا أنّه قد وجد فيه من اللذة ما استغنى به عن الطعام والشراب.

ومنهم من يُفتح له **في برّ الوالدين**، فيُحسن إليهم، ويمضي بقية عمره في رعايتهم، ويجد الأنس والراحة والسعادة في خدمتهم والجلوس معهم، وهذا من الفتح المبارك لصاحبه.

ومنهم من يُفتح له **في صلة الرحم**، فلا يزال يصلهم، ويُحسن إليهم بجميع أنواع الإحسان.

ومنهم من يُفتح له **في حبّ مساعدة المساكين والسعي لهم**، حتى أنّه ربما استغرق عمره كله (ومن الإخوة الفضلاء

والأحبة النبلاء ما أرى فيه ذلك من قرابة خمس وثلاثين عاماً، يواصل الليل والنهار في خدمة الفقراء والمساكين، وتفريج هموم المهمومين، ومعونة المحتاجين، وقد أفنى عمره في هذا الشأن، فجزاه الله عن المسلمين خير الجزاء) وفتوحات (الفتاح سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى) على عباده لا منتهى لها.

ومما يفتحه على عبده الصالح باب الحكمة والعلم والفقهِ في الدين، وهو من الفتوحات العظيمة، وهو عطاء كريم من الله الرحيم لمن شاء واختار من عباده، وليس له حدٌّ أو عدٌّ بل كلما زاد العبدُ تقوى فتح اللهُ تعالى عليه، وكلما زاد طالبُ العلم فقراً واضطراً لمولاه صُبَّ عليه الفهم، وتأمَّل في فتح الله لعلماء الأمة في فهم النصوص، وإرشادهم لمقاصدها حتى صاروا منارات هدى للناس، فانتفعوا بعلمهم وفقههم.

وهو الذي يفتح على عبده ما انغلق من أمور دنياه، ويُبصِّره مصالحه فيها، فكم من أمر أُغلق عليك فيه، وكم

من شأن ترددت فيه من شؤون حياتك، وكم تحترار في
اختياراتك، فتجد الفتح العليم سبحانه وتعالى قد فتح عليك،
وأهملك الهدى، وبصرك رشداً، وذلك على الصواب،
وأهملك مصالحك.

وللفتح الرباني أسبابٌ، منها:

تحقيق التقوى، والعمل بما يرضي الله، والابتعاد عن
سخطه، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا
لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا
يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف: ٩٦]

ومنها: المحبة الحقيقية لله ورسوله، وطاعتهما، فمن
كان كذلك فتح الله عليه الفتح الديني، والعطاء الرباني، ففي
حديث سهل بن سعد الساعدي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
قَالَ يَوْمَ خَيْبَرَ: «لَأُعْطِينَ هَذِهِ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى
يَدَيْهِ، يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ» (١).

(١) رواه البخاري.

ومن أعظم أسباب الفتح: **الدعاء**؛ فالخير كل الخير،
والفتح كل الفتح في جميع أبواب الخير بيد الله تعالى،
فكلما صدق العبدُ مع ربه، وكان كثير الطلب والدعاء فتح
الله له من أبواب البرِّ ما لا يخطر له على بال.

وكلما زاد إيمانه ويقينه بفتح الله تعالى - وأنه هو الذي
يُبصِّر القلوب، ويُنور الأفئدة، ويهدي السُّبل - تعلق به،
وتجرّد عن الالتفات للمخلوق، وصار إليه **(الفتّاح)** قبلة
قلبه، ومقصد فؤاده وحده دون سواه، فعلى العبد أن يُعلّق
قلبه بربه الفتّاح العليم، وأن يكون كثير السُّؤال له بأن يفتح
عليه من صلاح دينه ودنياه ما يستغني به عن الخلق.

ومن معاني اسم **(الفتّاح)**: الحاكم الذي يقضي بين العباد
بالحق والعدل .

فالحياة لا تخلو من خُصومات، والدنيا فيها ظالم
ومظلوم، فمن تمام عدل الله أن يحكم ويفتح بينهم، ويأخذ
لصاحب الحق حقه.

تخاصم الرسل وأقوامهم حتى فتح الله بينهم، وحكم بينهم بالحق، وتبين لمن كان في عصرهم ولمن جاء بعدهم أن العاقبة للمتقين.

طال مقام نوح في قومه، وهم مصرّون على كفرهم، فتوجّه إلى ربه منادياً: ﴿رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ﴾ [١١٧] فَأَفْتَحَ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتَحًا وَجَّحِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ [١١٨] ﴿هود: ١١٨﴾

فجاء الفتح والنصر من الله: ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾ [١١٩] ﴿هود: ١١٩﴾ وأصرّ قوم شعيب على كفرهم، ووجدوا نبوته، فلمّا رأى نبيهم عليه الصلوة والسلام تمسّكهم بضلالهم رفع الشكاية إلى ربه قائلاً: ﴿رَبَّنَا أَفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾ [الأعراف: ٨٩]

واستعجل أعداء الرسل العذاب - لعتوهم وجبروتهم - فنزل بهم ما كان يحذرون، وحكم الله بينهم، فها هم قوم عاد يستعجلون نزول العذاب: ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ،

وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤَنَا فَأَنَّا بِمَا تَعَدْنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَدِّلُونَنِي فِي أَسْمَاءِ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ فَاَنْظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ﴿٧١﴾ فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٧٢﴾ [الأعراف: ٧٠-٧٢]

واستعجل قوم صالح العذاب: ﴿فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يُصَلِّحُ آيَاتِنَا بِمَا تَعَدْنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ ﴿٧٧﴾ [الأعراف: ٧٧] فنزل بهم ما كانوا به يستعجلون ﴿فَأَخَذْتَهُمُ الرِّجْفَ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَثِيمِينَ﴾ ﴿٧٨﴾ [الأعراف: ٧٨]

وكم يستعجل معجبا برأيه، محاربا لدين الله، فيخزيه الله في الدنيا، ويجعله لمن خلفه آية، ولكن كثيرا من الناس عن آيات ربهم غافلون.

أما الفتح الأكبر فيكون يوم القيامة، يوم يفتح الله بين الرسل وأممهم، والخلق بعضهم بعضا، ويحكم بينهم،

وذلك فتحاً لا ظلم فيها ولا جور، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ

يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيْمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ [السجدة: ٢٩]

فحذار أن تأت يوم القيامة بمظلمة تود لو أن بينك وبينها
أمداً بعيداً، وعزز التقوى ومراقبة ربك والخوف منه حتى
ترد يوم القيامة وقد سَلِمْتَ من تبعات كل تعدي، ونجوت
من كل تبعه.

ومن معان اسم **(الفتّاح)**: الناصر لعباده المؤمنين،
والمنتصر للمظلومين، وهو يعود للمعنى السابق للفتح،
يفتحُ الله تعالى على أوليائه، وينصرهم نصراً مؤزراً على
أعدائهم.

كم حُورب الإسلام منذ بُعث نوحٌ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ حتى
يومنا هذا، فاستفتح عسكر الكفر والإيمان، ففتح بينهم
(الفتّاحُ العليم) ونصر أهل التوحيد الخالص وأخزى أهل
الكفر والضلال، وبقي الإسلامُ شامخاً خالداً وخاب كل

جبار عنيد، ورجع أهل الضلال بالخيبة والخزي في الدنيا، وانقلبوا إلى الآخرة بالخسران والإثم المبين، قال الله تعالى:

﴿وَأَسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾﴾ [إبراهيم: ١٥]

قال ابن جرير: (واستفتحت الرُّسل على قومها: أي

استنصرت الله عليها) ﴿وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾﴾ [إبراهيم: آية ١٥]

يقول: هلك كل متكبر جائر حائدٍ عن الإقرار بتوحيد الله وإخلاص العباد له^(١). فأيقن أن العاقبة دوماً للمتقين.

أيها المؤمن /

كن مفتاحاً للخير مغلاقاً للشر، فمن الخلائق من هو كذلك، تجده مباركاً أينما حلّ، دليلاً لكل فضيلة، مُرشداً لكل إحسان، فينفع عباد الله بما يستطيع، ويكون قدوة لهم في أبواب الخير، فينال من الأجور ما يفرح به يوم تُوزن الأعمال، ويكون سبباً في أعمال غيره وربما لم يشعر بهذا في دنياه.

(١) [تفسير الطبري]

وحذار حذار أن تكون مفتاحاً للشر مغلاقاً للخير،
صاداً عن سبيل الله، داعياً للمعصية بحالك أو مقالك،
فتأتي يوم القيامة وقد حُمّلت أوزار من تبعك، فتندم ولات
ساعة مندم.

وقد يفتح (الفتاح سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى) على بعض المعرضين
الدنيا وزخرفها، وهم مقيمون على سخطه، فيفتنون بها،
وتزداد الفتنة بهم، وعلى المغرورين بهم، فيفتح الله عليهم
بكثرة المال، ودوام الصحة، وتتابع العطايا عليهم، فيظنون
-لفرط جهلهم- أنّ هذا دليل رضا، وما علموا أنّه استدراج
وإملاء حتى تأتي ساعة الأخذ القاصمة لهم على غرّة وفجأة
-وهو أشدّ ما يكون في الأخذ- فإذا الحسرات والندامات،
والياس من النجاة، ووقوع العذاب في الموقع اللائق به، قال
تعالى - عن هذه الطائفة-: ﴿فَلَمَّانَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ

أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ

دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٥﴾ [الأنعام: ٤٤-٤٥]

فليحذر من الغفلة والغرور من هو مقيم على المعصية
وسخط الله.

اللهم احفظنا من كل شرّ وسوء، وعافنا من كل بلاء
وخطيئة، وافتح على قلوبنا، وأنرِ دربنا يا أرحم الراحمين.



﴿ ٩٥ ﴾ الهادي

ورد هذا الاسم في آيتين من كتاب الله العزيز، قال الله

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادٍ لِلَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾﴾ [الحج: ٥٤]

والله هو **الهادي**: الذي هدى عباده لمصالحهم،
وبصّرهم ما ينفعهم في معاشهم **بهدايته العامة لهم**، ودلالاتهم
لمصالحهم، ومفردات هذه الهداية وأنواعها لا حصر لها،

قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عنها: ﴿رَبَّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ، ثُمَّ هَدَى ﴿٥٥﴾﴾

[طه: ٥٥]

فتأمل قوله **(كُلِّ)** والتي هي من صيغ العموم، فتعم كل
هداية يحتاجه الخلق لترى فيها كمال علمه، وسعة رحمته
في هدايتهم.

وانظر لكثرة الخلائق من جنّ وإنس وحيوان -والذين
لا يعلم عددهم إلا الله- لترى كمال قدرته في هدايتهم
لرشدهم، ولما ينفعهم في شؤونهم، فقد تنوّعت حاجتهم

للهدايات في كل شأن من شؤون حياتهم، ومع ذا فقد علمها
ويسرها لهم بمقتضى حكمته،

هداهم لسبل أرزاقهم، ولمواضع عافيتهم، وهداهم
لمصالحهم في خاصّة أنفسهم، وفي ذرياتهم ومن تحت
أيديهم، ولو منع عنهم هدايته لما اهتدى منهم أحد، فكم
من ذكي لم يهتد لمصالحه، وكم من عاقل تعجّب العالم
من سوء تصرفه، وكم من بليد نجح في حياته، فمع كل هذا
التباين لهذه الأحوال تعلم أنّ الهادي هو الله وحده، وأنّ
الهداية المطلقة لا يملكها إلا هو، فعلق قلبك به.

يسلك العبد طريقاً يظنّ أنّ به الهداية، وأنّه هو الأنفع
له، وأنّه سبيل النجاة، فإذا هو الغواية والضلالة والعمى
والهلاك، ذلك أنّ الله قد قضى أنّ الهدى من عنده، وأنّه هو
الهادي حقاً دون سواه، وأنّ سبيل الهدى واحد لا يتعدد،
فتبصّر بأمرك، واسلك سبيل الرشاد، والجا إلى مولاك في
كل حين.

وهو **الهادي**: (هداية البيان) فمن تمام عدل الله بيانه السبيل، وتوضيح الطريق للخلق حتى لا يكون للعباد حجة عليه، فأرسل الرسل إليهم لتدلهم على ربهم، وتُعرفهم به، وبما يجب له، وتُبين لهم مواضع رضاه، وأسباب سخطه، وأقام الدلائل على صدقهم، وأنزل الكتب تهدي الناس لمصالحهم في الدنيا والآخرة، وهدى النفوس لمعرفة الحق، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ۝٣﴾ [الإنسان: ٣] وجعل لكل عبد مشيئة وإرادة يتخذ بها قراره، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ۝٢٨﴾ [التكوير: ٢٨] فكل إنسان يعلم من نفسه هذا، وأن له القدرة على الاختيار، فلا حُجَّة لعبد على ربه، ومن يحتج بالقدر السابق على ضلاله تجده لا يحتج القدر السابق على رزقه، بل يسعى ويبدل وسعه في تحصيل الرزق مع أن الرزق والهداية والآجال كلها مكتوبة محسومة، ولكنك تجده حريصاً على أمر دنياه بخلاف أمر دينه وآخرفته، وهذا دليل على تناقض

مسلكه (وتناقض القول دليل على بطلانه) كما قرر ذلك ابن تيمية رَحْمَةُ اللَّهِ وهو معلوم لدى كل عاقل.

(والقول بالجبر، وهو: أنّ الإنسان مجبور على الضلالة؛ فساد للعالم كله لأنه لا يمكن إقامة الحدود على السارق والزاني والقاتل ونحوهم من أهل المعاصي، فكلهم سيديعي أنّه مجبور، وهذا أمر - كما ترى - لا يمكن قبوله)

ومن أنواع الهداية العظيمة: (هداية التوفيق) وهي الهداية الخاصة والتي لا يملكها إلا الله وحده - وهي أعظم هداية في الوجود، وأجلّ عطية من الرحمن، وأشرف هبة من الوهب - ويمنّ بها على من يشاء من عباده، وهي هداية عن علم، فالله أعلم حيث يجعل رسالته، وهو أعلم بمن يستحقها، ومن هو أهل لها.

وهبها نوحاً عَلَيْهِ السَّلَامُ ومنعها ولده.

وهبها إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ ومنعها أباه.

وهبها امرأة فرعون ومنعها زوجها.

ووهبها لوطاً ومنعها زوجته.

ووهبها محمداً عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ومنعها عمه.

فلم يجعلها لأكرم الخلق عند الله لأقرب الخلق عند العبد ليعلم الناس أنها بيد الله فقط، فيسألونه إياها، وتتعلق قلوبهم به فقط، ويكونون على وجل من فقدانها، ففي الحديث القدسي يقول الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى: «**يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ...**» (١).

ومن دعاء الصالحين من عباد الله: ﴿رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ

هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾ [آل عمران: ٨]

ولأهميتها يسألها المؤمنون في كل صلاة: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ

الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ [الفاتحة: ٥]

فهي أعز أنواع الهداية، وأعلاها قدراً، وأشرفها منزلة ومكانة، فبينما الناس في دياجير الظلام تائهون حائرون

(١) رواه مسلم.

قد ظلت أفهامهم إذ بالهداية تنزل على قلوب المؤمنين، فتبصرهم السبيل فقد هداهم الله، وهو الهادي إلى سواء السبيل، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِلَى صِرَاطٍ

مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾ [الحج: ٥٤]

وهذه الهداية من أعظم ما يحرص عليها العارفُ بفضلها وأهميتها، ولذا تجده يسعى في طلبها، ويبدل وسعها ليكون من أهلها لعلمه أنها هداية تحتاج إلى الإتيان بأسبابها، وصدق اللجوء لمن يملكها سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وهي واسعة لا تنتهى لها، فمهما اهتدى إليها فهو بحاجة للزيادة منها والثبات عليها، ومن تأمل في حال غيره من أهل الاستقامة ممن أفنوا أعمارهم في طاعة ربهم، وبذلوا حياتهم في خدمة دين الله وعلموا وأنفقوا وجاهدوا وتقرّبوا لربهم بعبادات فاقوا بها غيرهم أيقن أنه بحاجة للهداية، بل من يرى من نفسه زيادةً في الطاعات في مواسم دون أخرى، وفي أوقات دون أوقات أيقن أنه بحاجة ماسة للتوفيق للهداية، قال الله

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى﴾ [مريم: ٧٦]

ويسألها المؤمنُ ربهَ ليقينه أنه إن اهتدى في الدنيا اهتدى في الآخرة، وبحسب كمال هدايته هنا يكون كمال هدايته هناك، وبقدر سرعته لها في الدنيا تكون سرعته لدخول دار النعيم.

ومع إعراض كثير من الناس، وإيثارهم للدنيا إلا أن الله يهدي كثيراً من الضالين، ويشرح صدور كثيراً من المعرضين - حتى وإن لم يسألوها - ذلك أن رحمته سبقت غضبه، وعفوه أوسع من عقوبته.

أحبَّ الله من عباده الاستقامة ولا يرضى لهم الكفر، بل ربما يسلك أحدهم طريق الاستقامة ثم ينحرف فيرده ربه عزَّجَلَّ إليه رداً جميلاً لأنه هادٍ للعباد، وربما كان المرء ممَّن يحارب الله ورسوله زمناً ثم يُنيب وينشرح صدره للهداية، فيموت على حسن خاتمة.

توسل إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ لربه: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيِّدِينَ﴾ [٩٩] والصفات: [٩٩] فهذه للتوحيد الخالص، والاستسلام التام، والمقامات العالية في الدين، فصار إمام الحنفاء، وخير خلق الله بعد محمد -عليهما الصلاة والسلام- ففوّض أمرك لربك، وافتقر لمولاك في طلب الهداية، تنال عزّ الدنيا وشرف الآخرة.

ولنيل هذه الهداية أسباباً، منها:

- الإنابة الحقّة لله، والتقوى اللازمة له في كل حين،

والاستجابة الصادقة لأوامره، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿اللَّهُ

يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾ [الشورى: ١٣]

ومن سبلها: النظر والتأمل في الكون؛ فمن نظر إليه

بتأمل هداه هذا الصنع المتقن والإبداع المحكم

لخالقٍ باريٍّ كاملٍ عليمٍ قديرٍ .

ودلّه هذا التفكّر والتأمل إلى معرفة عظمة الله واستحقاقه

للعبادة، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ

وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرَ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ [يونس: ١٠١]

ومن سبل الهداية: **قراءة القرآن بتدبر**؛ فمن قرأه بطلب

الهداية هُدي، ومن نظر إليه بتأمل تبصّر، ومن توجه إليه رغبة

في الاستقامة استقام، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ

اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ

السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى

صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ [المائدة: ١٥-١٦] وقال سبحانه: ﴿قُلْ إِنْ

صَلَّيْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فِيمَا يُوحَىٰ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ

﴿٥٠﴾ [سبأ: ٥٠]

فالقرآن يُبَيِّن للعباد حقائق كل شيء، فيُعرِّف القارئ

بأخبار السابقين، وحقيقة الدنيا والآخرة، والحكمة من

الوجود، وتفصيل الأحكام، وجزاء المؤمنين والكافرين،

فمن رام الهدى، فعليه بالتوجه الكلي للقرآن -مدارسة

وتفهماً وشفاءً وطلباً للهدى-.

ومن سبل الهداية: **الصدق في طلبها**؛ فإذا سألتها العبد بصدق هداه الله، ووفقه ويسرها له، يقول الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ: «يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ»** (١).

نصيبك من الهداية بحسب نصيبك من المجاهدة، فقد قضى الله أنه يهدي من جاهد وصبر وصابر، ولا تستثقل المجاهدة فإن عاقبتها حسنة، وما وراءها من الصبر فرح وسرور، قال الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾** [العنكبوت: ٦٩]

ومن تأمل سنة الله في عباده، وانتصار الحق دوماً منذ بعثة أول الرسل إلى يومنا، هداه هذا التأمل إلى أن الله حق، ووعدته حق، ولقاءه حق، ويهدي إلى الحق. أمّا من لم يرفع بهذا رأساً، ولم يعمل عقله وبصره فيها،

(١) رواه مسلم.

ولم يكن صادقاً في طلب الحق، لم ينتفع بها، بل صارت
حججاً عليه.

فاللهم اهدِ قلوبنا ونور بصائرنا واغفر لنا وارحمنا وأنت
خير الراحمين.



﴿ ٩٦ ، ٩٧ ﴾ الحسيب، الديان

الله هو الحسيب، الديان.

وقد ورد اسم الحسيب في كتاب الله ثلاث مرات، قال

الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ [النساء: ٦]

والحسيب هو: المحاسبُ لعباده، المتولي جزاءهم، وهو الحفيظ لأعمالهم، الرقيب عليهم.

قال الشيخ ابن سعدي رَحِمَهُ اللهُ: (فيحفظ على العباد أعمالهم حسنًا وسيئًا، صغيرها وكبيرها، ثم يُجازيهم عليها بما اقتضاه فضله، وعدله، وحكمه المحمود)^(١).

تأمل في الاعداد الهائلة للخلائق، وكثرة أعمالهم وتنوعها؛ كيف أحصاها الله عليهم، ويحاسبهم على مثاقيل الذر منها.

(١) [تفسير السعدي: سورة النساء آية ٦٨]

وهو عليهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِأَعْمَالِهِمْ وَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْهَا
أَبَدًا، وَبَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ، وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ، قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:

﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ﴿٢٦﴾﴾ [الغاشية: ٢٥-٢٦] ووالله

إِنَّكَ لَتَحَارُّ وَأَنْتَ تَتَأَمَّلُ بِهَذِهِ الْقُدْرَةِ الْعَظِيمَةِ لَهُ، فَلَمَّا
سَعَتِ الدُّوَلُ فِي إِحْصَائِةِ الأَعْدَادِ لِسَاكِنِيهَا، فَهِيَ تَعْجُزُ عَنِ
مَا يَتَّبِعُهَا، فَهَلْ يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَحْصِيَ أَهْلَ عَصْرِهِ فِي دَقَّةٍ
مَتْنَاهِيهِ، فَضْلًا عَنِ حَصْرِ أَعْمَالِهِمْ فِي كُلِّ لِحْظَةٍ، وَحَصْرِ
نَوَايَاهُمْ وَأَسْرَارِهِمْ، فَسُبْحَانَكَ يَا رَبَّنَا مَا عَبْدْنَاكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ،
مَا قَدَرْنَاكَ حَقَّ قَدْرِكَ، أَحْصَى عَلَى الْجَمِيعِ أَعْمَالَهُمْ كُلَّهَا.

فَمَا تَلْفَظُ بِهِ الْعَبْدُ سَمِعَهُ.

وَمَا نَظَرَ إِلَيْهِ بِبَصَرِهِ أَبْصَرَهُ.

وَمَا كَنَّ بِهِ صَدْرُهُ وَنَوَاهُ بِقَلْبِهِ عِلْمَهُ.

يَحَاسِبُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مَنْ شَاءَ مِنْ خَلْقِهِ عَلَى الْفَيْتْلِ
وَالْقَطْمِيرِ وَالذَّرِّ الَّذِي لَا وَزْنَ لَهُ، وَيَعْفُو عَمَّنْ يَشَاءُ وَلَوْ كَانَتْ
ذُنُوبُهُ أَمْثَالَ الْجِبَالِ، فَهُوَ الْمَلِكُ الْحَسِيبُ لَا مُعَقَّبٌ لِحُكْمِهِ.

والعباد أعمالهم متفاوتة ومتباينة، فهو لاء عندهم طاعات
أمثال الجبال وربما كانوا سبباً في قربات يعجز البشر عن
حصرها.

ولو تأملت في حسنات الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ فقط لحار عقلك
من كثرتها، وأثرها البين على الأمة، فأمم دخلوا الإسلام
بسببهم، فنالوا أجورهم من ذلك الزمان إلى يوم القيامة.

وكذلك حال من بعدهم من التابعين والأئمة الأعلام
والمجاهدين والمحسنين والمتصدقين ونحوهم من
أهل الأعمال الكبرى الذين كانت لهم آثار في نشر تعاليم
الإسلام، وتعبّد الناس لربهم.

**وأعمال هؤلاء وغيرهم متنوّعة ما بين أعمال قلبية وبدنية
ومالية تقرّبوا بها لربهم في أزمنة شتى، وأماكن متنوّعة، وكثير
منهم لا يستحضرونها، وأعداد هؤلاء المطيعين لربهم لا
يعلمهم أحدٌ إلا الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى ومع ذلك كله، فالله محيط بها
عليم بدقائقها وسيجازيهم عليها أحسن الجزاء.**

وبالمقابل هناك خلقٌ قد عصوا ربهم، فلم يتركوا شاردة ولا واردة من الذنوب إلا ارتكبوها، وعصوا ربهم سراً وجهاراً، ولم يراقبوا مولاهم في شبابهم، وأصروا على المعصية في شببتهم.

وأعدادُهُمْ هَؤُلَاءِ - أَيْضاً - لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فكم ظلموا أنفسهم، وكم غرتهم الأمانى فطالت آمالهم، وأخروا توبتهم حتى بغتهم الموت، وكم غرهم الشيطان ولبس عليهم حتى أوردهم المهالك.

وربما كان العبد رأساً في المعاصي، وقائداً في الشرِّ، فلم يخش تبعات جُرمه، ولم يستحضر شدة الأوزار التي سيحملها فوق ظهره ليعرض نفسه لأفزع العقوبات، ومثل هذا حسابه بين يدي الله أشدّ وأنكى، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:

﴿وَلِيَحْمِلَنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ۖ وَلَيَسْئَلَنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا

يَفْتَرُونَ﴾ [العنكبوت: ١٣]

وحسابه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى **عام** يشمل الأفراد والجماعات، فلا يعجزه حساب هؤلاء مع كثرتهم وكثرة أعمالهم، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَكَايِنٍ مِّن قَرِيَةٍ عَنَّتْ عَن أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسِبْنَهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَهَا عَذَابًا ثَكْرًا﴾ [الطلاق: ٨]

وحسابه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى **متنوع**، فمن العباد من يُحاسب ويُناقش ثم يُعذَّب -عدلاً منه وقِسْطًا- ومنهم من يحاسبهم الله حساباً يسيراً -فضلاً منه ورحمة- فلا يُناقش في الحساب، ولا يُدقق عليه وإنما تُعرض عليه ذنوبه ويُقرَّر بها فيتجاوز الله عنه، وهذا هو الحساب اليسير الذي جاء في قوله تعالى: ﴿سَوْفَ يُحَاسِبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الانشقاق: ٨]

قالت عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: سمعتُ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقولُ في بعض صلواته: «اللهمَّ حاسبني حساباً يسيراً» فلما انصرف قلتُ: يا نبيَّ الله ما الحسابُ اليسيرُ؟ قال: «أن ينظرَ في كتابه فيتجاوزَ عنه، إنَّه من نوقشَ الحسابَ يومئذٍ يا عائشةُ هلك» (١).

(١) رواه أحمد والحاكم.

وحساب الله قائماً على قواعد العدل التي لا يشوبها ظلم
 بوجه من الوجوه، فيجازي كل عامل بعمله، فمن قواعد
 الحساب عنده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:

**مضاعفة الحسنات لصاحبها - فضلاً منه ورحمة - وأما
 السيئات فلا يزداد فيها، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ
 فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾**
 [الأنعام: ١٦٠]

**ومن قواعد الحساب: أنه لا يؤخذ أحدٌ بجريرة غيره،
 قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ جِمْلِهَا
 لَا يَحْمِلُ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ إِنَّمَا نُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ
 وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَنْ تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ ۗ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿١٨﴾**
 [فاطر: ١٨] فلا يحمل أحدٌ ذنب أحدٍ إلا إذا كان داعياً إلى
 شر، فيحمل أوزاره وأوزار من تبعه، جزاءً وفاقاً، قال الله
 سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ
 يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلِيسَاءَ مَا يَزُرُونَ ﴿٢٥﴾ [النحل: ٢٥]

ومن قواعد الحساب: **اطلاعُ العبد على أعماله، وتقريره**

بها، وعدم استطاعته إنكار شيء منها، فيوقف الله عبده بين

يديه، ويؤتى بأعماله حاضرة، فلا يستطيع إنكار شيء،

فيوقن بالهلاك إلا أن يناله عفو الله، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَوُضِعَ

الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يُوَيْلِنَا مَا لِي هَذَا الْكِتَابِ

لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظُنُّ رَبُّكَ

أَحَدًا ﴿٤٩﴾ [الكهف: ٤٩]

ومن قواعد الحساب: **كثرةُ الشهود على العباد، فتشهد**

عليه الجوارح والأعضاء والملائكة والأرض وفوق ذلك

يشهد الله عليهم.

ومن قواعد الحساب: **كتابةُ الأعمال،** فقد أحصى الكرام

الكاتبون كل أعمال العباد، وكتبوها عليهم، وعند الله كتاب

لا يُغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:

﴿وَأَنَّ عَلَيْكُمْ لِحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كُنِينِ ﴿١١﴾﴾ [الإنفطار: ١٢-١٣]

وحساب الله دقيق وسريع في قدرة لا مثيل لها، وعظمة لا شبيه لها، وعدل لا مُقارب له، وبراهين حق لا شك فيها،

قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿الْيَوْمَ نُجْزِي كُلَّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٧﴾﴾ [غافر: ١٧] وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الأنبياء: ٤٧]

وسرعة حسابه دليل على عظمته، فهو مع كثرة الخلق وكثرة أعمالهم، وتباينها واختلافها إلا أنه قدير على الإحاطة بها، فهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾

[الشورى: ١١]

فكما ذكر عن سهولة الخلق والبعث بقوله: ﴿مَا خَلَقْنَاكُمْ وَلَا نَبَعُّكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾﴾ [لقمان: ٢٨]

فكذلك يُحسابهم كنفس واحدة .

- إذا أخذت حق أحدٍ فلا تعتبرها قوة منك وحقاقة، بل أيقن بما وراءها من تبعات، وإذا تعدت على

حقوق الآخرين، فتذكر أنّ هناك مرجعاً ومآباً للعباد، ووقفاً بين يدي الحسيب الديان ليُعطي كل ذي حق حقه لأنه قد قضى أنه لا يُظلم عنده أحدٌ ولو كان فاجراً، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ

أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَسِيبِينَ ﴿٦٢﴾ [الأنعام: ٦٢]

وأخذ الحقوق ظلماً - هنا - لا يُبيحها لأحد، يقول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «إِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ، وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَلْحَنُ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ، فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ بِحَقِّ أَخِيهِ شَيْئًا بِقَوْلِهِ: فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ فَلَا يَأْخُذْهَا» (١).

واعلم - أيها المؤمن - بلقاء الله وحسابه أنّ الله قد جعل هناك أسباباً تُخفف عن العبد الحساب، فمنها:

الخوف من ارتكاب الذنوب، فمن خاف الحساب لم يتجرأ على المعصية، وعمل على النجاة ساعة الوقوف بين يدي ربه، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ

(١) رواه البخاري.

عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ [النازعات: ٤٠-٤١]

فإذا استحضر الناصح لنفسه هذا الموقف استعد له .

ومن أسباب النجاة: لزوم الدعاء بأن يُخَفِّفَ اللهُ عَنْكَ الحساب، ولا يُسْتَقْصِي عَلَيْكَ بِهِ، ولذا كان من دعائه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللَّهُمَّ حَاسِبِي حِسَابًا يَسِيرًا»^(١).

ومن معاني اسم (الحسيب): الكافي؛ فهو يكفي عبده ما أهمه من هموم وغموم وكروب، فيفرج ضيقته، وينفس كربه بحسب ما حقق من عبودية ربه تعالى، ومتابعة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ظاهراً وباطناً، فكلما حقق العبد التوكل على الله تعالى بالمعنى الحقيقي كلما نال كفاية الله له في أموره كلها .

(حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ) قالها إبراهيم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ حين أُلْقِيَ فِي النَّارِ، فَجَعَلَهَا اللهُ بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَيْهِ، وَقَالَهَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصَحْبُهُ الْكِرَامُ يَوْمَ الْأَحْزَابِ حِينَ: ﴿قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ

(١) رواه أحمد.

الْوَكِيلِ ﴿١٧٣﴾ [آل عمران: ١٧٣] فكانت النتيجة: ﴿فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ

اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾

[آل عمران: ١٧٤]

فأبدأ بها يومك لتُحفظ من كل شرٍّ وسوء، فد(مَنْ قَالَ فِي كُلِّ يَوْمٍ حِينَ يُصْبِحُ وَحِينَ يُمَسِّي: حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ، وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، سَبْعَ مَرَّاتٍ، كَفَاهُ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ هَمَّهُ) (١).

فاجعلها سميرك في الملمات، وملجأك في المحن والكربات تجد رباً لطيفاً مغيثاً قادراً على أن يُنقذك من كل كرب، ويُعافيك من كل نازلة، واملأ القلب ثقةً بقدرته، وتجرّد من النظر للمخلوقين، ولا تلتفت للأسباب تجد كفاية وتديراً لكل شؤونك.

(١) رواه أبو داود موقوفاً عن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بسند جيد، قال الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهو في حكم المرفوع، لأن مثله لا يقال من جهة الرأي، قال الشيخ شعيب الأرنؤوط في

تخريج زاد المعاد: إسناده صحيح.

وكفاية الله لعباده على نوعين :

كفاية عامة؛ بكفاية جميع خلقه ما يحتاجونه، وبما تقوم بهم حياتهم في الدنيا، وهي كفاية عظيمة لا يقوم لها وصف قد استوعبت الخليقة جميعاً، قال الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾ [النساء: ٨٦] أي: كافياً.

النوع الثاني - وهي أشرفها - : الكفاية الخاصة.

وهي كفايته لأوليائه وأهل طاعته، كفايةً تصلح بها أمور دينهم ودنياهم.

وكفايته متنوّعة، فيكفي طائفةً منهم معيشتهم الدنيوية ليتفرغوا لعبادته، ويكفيهم الهموم والغموم لتتفرغ عقولهم لنفع الأمة بالعلم، ويكفيهم أعداءهم ويحفظهم من شرورهم في كفايات لا تنتهي لها.

وفي استيعاب معرفة اسم: **(الحسيب)** بهذا المعنى سر السعادة في الدنيا، فتعرّف على عظيم كفايته، واستيقن

بتحققها، وعلّق قلبك بربك، وتوكل عليه، واطمئن لكل أقداره وأقضيته، ولا تخف ظالمًا، ولا تخش فاجراً، وزدّ يقينك بكفايته، فنواصي العباد بيده، وأمورهم لا تخرج عن تدبيره.

ومن أسماء الله **(الدَيَّان)** وهو: المحاسب، المجازي لعباده كلاً بعمله؛ جاء في الحديث: **«أن الله يقول يوم القيامة: «أنا الملك، أنا الدَيَّان..»»** (١).

يخرج العباد من قبورهم، ويسرون لأرض المحشر والحساب، فتطير الصحف فأخذ كتابه بيمينه، وأخذ كتابه بشماله، وينادى على العبد أن هلم للعرض على الله، قد وكلت الملائكة بأخذه، لا يمنعها اشتباه الأسماء حتى توقفه ماثلاً بين يدي الله، وصحيفته في يده مُخبرةً بعمله، لا تُغادر بليّة كتمها، ولا مُخبأة أسرها، ويقال له: **﴿أَقْرَأْ كِتَابَكَ﴾**

(١) رواه أحمد، قال الألباني: حديث صحيح.

كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ [الأسراء: ١٤] فكم من بليّة نسيها

صاحبها قد ذكره إيّاها، وكم من سيئة قد أخفاها فيظهرها

الله له: ﴿يَوْمَذِيُوفِيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴿٢٥﴾﴾

[النور: ٢٥] فمن أيقن بهذا الأمر استعدّ له أعظم استعداد

بإحسان عمله، وتأدية الواجبات، وخاف من التعدي على

الآخرين، وردّ المظالم لأهلها قبل أن لا يكون ثمّ إلا

الحسنات والسيئات .

فاللهم حاسبنا حساباً يسيراً، وعاملنا بفضلك وإحسانك

وسترك، فأنت صاحب الفضل والجود.

اللهم عاملنا بما أنت أهله ولا تعاملنا بما نحن أهله،

فإنك أنت أهل التقوى وأهل المغفرة .



﴿ (٩٨) الحفي ﴾

من أسماء الله **(الحفي)** أي: البرّ اللطيف.

قال ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ بِحَفِيًّا﴾ **يقول: لطيفاً.** ﴿٤٧﴾

قال في الوسيط في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ بِحَفِيًّا﴾ **أي: باراً بي، كثير الإحسان إليّ.**

يقال: فلان حفي بفلان حفاوة، إذا بالغ في إكرامه، واهتم بشأنه.

قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَنْ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ - متذكراً إحسان ربه عليه على الدوام - : ﴿إِنَّهُ كَانَ بِحَفِيًّا﴾ [مريم: ٤٧] **أي: رأيتُ من إنعام الله وفضله عليّ ما جعلني أطمع بفضله الذي لا حدّ له.**

قال ابن قتيبة في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ بِحَفِيًّا﴾ **أي: (باراً عودني منه الإجابة إذا دعوته).**

فالله برّ لطيف رحيم بعباده لا يمنع عنهم فضله بعامة،
وإحسانه للصالحين من عباده لا مثيل له.

وحفاوة الله بإبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ دليلٌ على كرامته عليه
للمقامات العالية التي كان عليها، والعبوديات العظيمة التي
قام بها، فقد حقق التوحيد في أعلى صورته، واستجاب لأمره
في الهجرة إليه، والتضحية بفلذة كبده، وبناء بيته المُعظَّم،
ووفّى بما أمره به من الأوامر، وقام بطاعة ربه بأظهر صور
الطاعات؛ وإخبار الله عن هذه الحفاوة لخليله ليطمع بها
كل مؤمن تقي.

وفيها دليل على تفاوت إكرام الله لعباده، وأنهم ليسوا
بدرجة واحدة، فمنهم من يُكْرَمُ إكراماً عظيماً حتى يبلغ درجة
الخُلَّة، وهذا ما فاز به محمدٌ وإبراهيم عليهما الصلاة والسلام،
ثم تأتي درجات الإكرام لعباده بحسب إيمانهم وتقواهم،
وقيامهم بأمر ربهم - خصوصاً في قضية التوحيد، والعبودية
التامة، والتضحية الكاملة، والاستجابة العامة لأمره - .

وهذا الاحتفاء والإكرام من الله يجعل العبد يجتهد
اجتهاداً كبيراً في طاعة ربه، ويسعى جهده في سبيل مرضاته،
فقد قضى أنه كلما زادت طاعة العبد زاد إكرام وحنان ربه
له، - ويا سعادة روحك يوم يحتفي بك الله ويكرمك -.

- تُصيب أحداً مصيبة وبليّة فيظنّ أنّها مهلكته، وأنّ
نهاية حياته ومستقبله بسببها، وتظلم الدنيا بوجهه،
ويظنّ أنّ الأبواب قد سُدّت، ونوافذ الفرج قد
أُغلقت، وكأنّما اجتمعت عليه مصائب أهل الأرض
كلهم، وأحاطت به، فلا بارقة أمل تلوح في الأفق،
ولا بادرة فرج تُنبئ بالقرب، فيأتيه الله البرّ اللطيف
الحنيفيّ، فيُفرّج همّه، وينفّس كربّه، وتُفتح له أبواب
الأمل، وتُشرع له بواجر الفرج.

تأمل في حياتك كلّها، فكم من أمرٍ صعب مرّ عليك
فتسهّل.

وكم من شدةٍ زالت وذهبت وكأنّها لم تكن.

وكم من هم صرت تتذكره وتتعجب كيف انقضى .
فالله رب العباد ومليكمهم عودهم الإجابة، وغطاهم
بفضله وإحسانه، فلا أكرم منه عطاءً، ولا أسمع منه
دعاءً.

فهو يسمع نجوى المكروب، وأنين الموجه،
واستغاثة الملهوف، ويعلم حاجة عبده فيغيثه،
ويحقق له مطلوبه.

رأى منه عباده الخيرات بعدد أنفاسهم، وعاشوا
بفضله طيلة حياتهم.

ولكننا ننسى النعم الحاضرة، والفضل والإحسان
الدائم الذي نحيا به، ولا نتذكر إلا النعم الغائبة،
والأمانى التي لم تتحقق، ولو سبرنا حياتنا، وتبعنا
أحوالنا لوجدنا أن ما أعطينا أكثر بكثير مما حُرمتنا،
وما رزقنا أضعاف أضعاف ما غاب عنا، فسبحانه من
رب كريم جواد واسع.

فأحسن الظنّ به، وكن كثير الدعاء له، وأمّل به خيراً،
فما تعود منه العباد إلا كل خير، فاللهم أعطنا من الخير
فوق ما نُؤمل، واصرف عنا من الشر فوق ما نحذر، وعاملنا
بفضلك وإحسانك، وأنت صاحب الفضل والإحسان.



﴿ ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠١ ﴾ القادر - القدير - المقتدر ﴿

من أسماء الله: (القادر، والقدير، والمقتدر)

وقد ورد اسم (القادر) في كتاب الله ثنتي عشرة مرة، وورد اسم (القدير) خمسًا وأربعين مرة، وورد اسم (المقتدر) أربع مرات.

* فهو: ((القادر) على كلِّ شيء، فإذا أراد فعل شيء لم يمنعه مانع، أو يُعارضه مُعارض)

* وهو: ((القدير): الذي لا يعترضه عجزٌ ولا فتور، ولا يفوته مطلوب)

* وهو: ((المقتدر): التأمُّ القدرة الذي لا يمتنع عليه شيء، ولا يلبس قدرته عجز بوجه)

ومن تأمل في الكون وما فيه من مخلوقات أيقن بعظيم قدرة الله؛ فبعضهم قدرته خلقهم بهذه الأعداد الهائلة، وأوجدهم من العدم.

وبقدرته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى **نوع خلقهم**، فاختلقت أشكالهم وصورهم وألوانهم ولغاتهم وطباعهم، ويزيد في خلق بعضهم ما يشاء من القوة، وحسن الصورة، وزيادة الأعضاء، وبقدرته خَلَقَ الإنسان من ماء مهين، ثم نشر منه الذرية، وجعل له بنين وحفدة.

وبقدرته يخلق ما يشاء، كيف شاء، وقت ما يشاء، قال
الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾ [الروم: ٥٤]

وبقدرته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى **يرزقهم مع كثرتهم**، وتباين حاجتهم للأرزاق المتنوعة، فمنهم من يحتاج لرزق الطعام والشراب، ومنهم من يحتاج لرزق الصحة العافية، ومنهم يحتاج لرزق الزوجة، ومنهم من يحتاج لرزق الولد..... في حوائج لا تنتهي، ولكن الله يرزقهم جميعاً بغير حساب.

وبقدرته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى **نوع في رزق عبده من الأولاد**، فهبُّ بعض عباده إناثاً، ويهب بعضهم الذكور، ويرزق بعضهم النوعين، ويجعل من يشاء عقيماً، فقدرته فيهم ماضية،

ومشيئته نافذة، قال الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ
يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يَزُوجُهُمْ ذُكْرَانًا
وَإِنثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾ [الشورى: ٤٩-٥٠] فسل
ربك كل مطلوب فإنما تسأل إلهاً قديراً، ولا تحزن إن فاتك
رزقٌ كنتَ تنماه، فإنما منعه عنك حكمة وتديراً لا بخلاً
وعجزاً، وأقم على طاعته، فلعلك أوتيت من قبل نفسك،
وتقصيرك في جنبه.

**وبقدرته سُبحَانَهُ وَتَعَالَى خلق السموات والأرض على غير
مثال سابق، بإتقان وإحكام من غير تعب ولا نصب، وخلق
فيها من المخلوقات ما لا يعلمه إلا هو - كثره ونوعاً -.**

وبقدرته سُبحَانَهُ وَتَعَالَى أنزل المطر من السماء، فأنبت به
الزروع والثمار، وجعله مادة الحياة للمخلوقات كلها.

**وبقدرته سُبحَانَهُ وَتَعَالَى يطوي السموات والأرض يوم
القيامة،** وتكون في يده كحبة خردل في يد أحدنا، ويُغيّر
أحوال العالم العلوي والسفلي بقدره لا مثيل لها.

وبقدرته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يُحْيِي الموتي، ويجمع بين الأرواح والأجساد في صعيد واحد، ويجمع بين العامل وعمله، ويحاسب الخلائق جميعاً على اختلاف وتباين أعمالهم بعدل تام لا ظلم فيه أبداً، وهي قدرة عظيمة لا يستطيع أحد أن يستحضرها على الحقيقة.

وبقدرته يُقِيمُ الساعة في لمح البصر، ويُخرج هذه الأعداد الهائلة من قبورهم، فلا يستطيع أحد منهم أن يتخلف عن هذا الأمر، ويسيرهم لأرض المحشر بهيئة عجيبة غير معهودة عند البشر، فمنهم من يمشي على وجهه، ومنهم من يحشره أعمى وأصم في قدرة عظيمة تدل على نفاذ أمره، أخرج الترمذي عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَلَاثَةَ أَصْنَافٍ: صِنْفًا مَشَاءً، وَصِنْفًا رُكْبَانًا، وَصِنْفًا عَلَى وَجُوهِهِمْ، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَكَيْفَ يَمْشُونَ عَلَى وَجُوهِهِمْ؟ قَالَ: إِنَّ الَّذِي أَمْشَاهُمْ عَلَى أَقْدَامِهِمْ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَمْشِيَهُمْ عَلَى وَجُوهِهِمْ، أَمَا إِنَّهُمْ

يَتَّقُونَ بِوُجُوهِهِمْ كُلَّ حَدَبٍ وَشَوْكَةٍ»^(١).

ومنهم من يحشرهم كأمثال الذرّ -صَغَارًا وَذِلَّةً-
لتكبرهم وظلمهم، قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يُحْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْثَالَ الذَّرِّ فِي صُورِ الرِّجَالِ، يَغْشَاهُمُ الذُّلُّ مِنْ
كُلِّ مَكَانٍ»^(٢).

وهو القدير سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى إِكْرَامِ الْمُؤْمِنِينَ بِالْعَطَاءِ
المقيم المتنوع في جنّات النعيم، وهم بأعداد لا حصر لها،
وبنعيم لا ينقطع، فسبحان القدير المقتدر على سعة هذا
الفضل، فنسأله من فضله الواسع.

وهو القدير سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الَّذِي قَهَرَ أَعْدَاءَهُ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْهِمْ
مِنَ الْعُقُوبَاتِ الْمَتْنُوعَةِ، فمنهم من أرسل عليه الصيحة
فأبادتهم عن بكرتهم، ومنهم من خسف بهم الأرض
فذهبوا في قعرها، وحلّ بهم العذاب الأبدي، ومنهم مَنْ

(١) رواه الترمذي.

(٢) رواه الترمذي.

أرسل عليهم حجارة من السماء فأهلكتهم ولم يُبق منهم أحداً، ومنهم من أغرقهم وذهبت أرواحهم إلى الجحيم الخالد... في أنواع من العقوبات لم يستطيعوا ردها، وفي قوة ظاهرة بيّنت كمال قدرته وعجزهم.

وهو القدير: المُقدّر للأشياء كلها بعلم وحكمة وتدبير

وكمال مطلق، قال الله تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ نَقْدِيرًا﴾

[الفرقان: ٢]

فالله «قدّر مقادير الخلائق قبل خلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة»^(١). كما صحّ بذلك الحديث عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما عند الإمام مسلم.

فمن قرير العين فما أخطأك لم يكن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك، فلما التضجر من الأقدار، فقد قُضي كلُّ شيء؟!!

(١) رواه مسلم

قدّر خلق بني آدم في مراحل متعددة، نطفة ثم عقلة ثم مضغة ثم عظاماً ثم لحماً ثم يُخرجه طفلاً ضعيفاً لا يملك لنفسه حولاً ولا قوة، ولا يستطيع دفع الضر عن نفسه ولا يجلب لها رزقاً ثم يشبّ ويقوى ثم يهرم إن طال به العمر حتى يرجع إلى ربه وقد استوفى رزقه وأجله.

وهو الذي قدّر الآجال، فأطال عمر هذا، وقصر عمر ذاك، في انفراد تام لهذا الأمر الذي هو أعظم ما يحرص عليه الإنسان، ولكن الله جعله لنفسه فقط، فجميع بنو آدم يعجزون عن إطالة عمر أعزّ عزيز عليهم، أو ردّ الموت عنهم أو عن أحبابهم ولكنّ **(القدير)** إذا أراد شيئاً لم يقف أمام إرادته شيء.

وهو (القدير) الذي قدّر الهداية والضلالة، فيهدي من يشاء بفضله، ويضلّ من يشاء بعدله، وقضية الهداية والضلالة أشغلت عقول الكثير، ومن نظر لها بإنصاف وجد عدل الله فيها ظاهراً، فهو لا يُعذّب أحداً إلا بعد إقامة الحجة، فلذا

أنزل الكتب، وأرسل الرسل، وهدى الإنسان لمعرفة الحق والباطل، وجعل له القدرة على اتخاذ القرار لا يُنكر هذا إلا مُكابِر، فلا وجه للمحتجين بالقدر على الضلالة، فمن قال أنّه خُلِقَ ضالاً يُقال له من أين لك العلم بهذا؟ وسيُحار جواباً.

بل عليه - لو عقل - أن يُقدّر أنّه مهتد ويسير في طريق الهداية لأنّ المغامرة في هذا الأمر مغامرة خطيرة، فالمصير إمّا جنة وإمّا نار، وقد أخبر الله في كتابه باعتراف أهل النار بذنوبهم وضلالهم واستحقاقهم دخولها، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَنْهُمْ: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَأَعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ

فَسُحِقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١١﴾ [الملك: ١٠-١١]

فحذار حذار من اتباع شياطين الإنس والجنّ في هذا، فإنّك لا تملك أغلى من نفسك، والمآل لمن كفر أو عصى نار الجحيم.

ولئن أعطاك الله القدرة على من تحت يدك من زوجة
وولد وعامل وخادم، ومكّنك منهم - ابتلاء وامتحاناً -
فراقب الله فيهم، ولا تجعل قدرتك وبالأعلى عليك، فاحذر من
ظلمهم، فالله حرّم الظلم على العالمين.

وهو: **(القدير)** على قلب القلوب من الضلالة إلى
الهداية، ومن الهدى إلى الضلالة، فينما ترى الرجل في غاية
الضلالة والانحراف، وإذ به قد اهتدى، بل وصار إماماً في
الهدى، وبينما ترى الرجل لا يفارق المسجد وليس هناك
سهم من أعمال الخير إلا وقد ضرب فيه، بل صار إماماً بين
الخلق في الجدّ والاجتهاد في أعمال البر والنفع المتعدي،
وإذ به ينحرف وكأنّه ما ركع يوماً لربه ولا سجد، ذلك أنّ
القلوب بيد الله وهو على كل شيء قدير.

والتحوّل له أسبابه المذكورة في مظانها، ولكن ذكرتها
هنا لنعلم عظيم قدرة الله على كل شيء.

وهو **(القدير، القادر)** على خلق الجنة وجعل فيها من النعيم الدائم الذي لا ينقطع لا يزول ولا يحول في قدرة عظيمة.

وهو **(القدير)** على أن يُعذّب من شاء من عباده، وهم خلق لا يعلمهم إلا الله، ويجعل هذا العذاب مقيماً عليهم لا ينقطع، فنسأله العافية وقد آمنا بقدرته هذه.

فاللهم اهد قلوبنا، ونورنا بصرنا، وارزقنا الخير كله، واصرف عنا الشر كله وأنت على كل شيء قدير.

اللهم اهدنا وثبتنا على الحق حتى نلقاك يا أرحم الراحمين.



﴿ (١٠٢ ، ١٠٣) الحافظ ، الحفيظ ﴾

وورد اسم **(الحفيظ)** في كتاب الله ثلاث مرات، قال الله

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٥٧﴾﴾ [هود:٥٧]

أما اسم **(الحافظ)** فورد مرة واحدة، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:

﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [يوسف:٦٤]

وشواهد حفظ الله ظاهرة، وبراهين عظمته بيّنة، ودلائل كماله المطلق يعجز أن يدركه أحد، وعلمه محيط بكل شيء، وقدرته شاملة لا حد لها.

ومن تمام حفظه: حفظه للكون ومن فيه، وقدرته على ذلك دون أدنى عجز، فمع سعة هذا الكون الذي لا يعلم مداه إلا الله، ولم يظهر لنا من علمه إلا بما أذن به إلا أنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يحفظه من الاضطراب بقدره تامّة كاملة.

تأمل في حفظه للسماء مع سعتها وارتفاعها وكبر حجمها، وكيف ثبتها بلا عمد، وحفظها من أن تسقط على

الأرض، وحفظها من كل اضطراب أو خلل، وحفظها من استراق السمع لأوامره، فالله يقضي بالأمر فتسمعه الملائكة، وتحاول الشياطين سماعه ليلقونه على أوليائهم من الإنس والجن من السحرة والكهنة ولكن الله قد جعلها سقفا محفوظاً بعد بعثة نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلا تنالها الشياطين ولا يسترق سمعها مارد.

وتأمل في حفظه للأرض، وكيف جعلها ساكنة ثابتة لا تميد بسكانها ولا تتزلزل، فاستقرت بحفظ الله لها.

وتأمل كيف حفظ البحار والأنهار والكواكب التي نراها ولا نراها والتي حجمها أضعاف أضعاف حجم الأرض، وكل ذلك الحفظ من غير أن يُثقله أو يعجزه.

قال الخطابي: **(«الحفيظ»):** الذي يحفظ على الخلق أعمالهم، ويحصي عليهم أقوالهم، ويعلم نياتهم، وما تكن صدورهم، والذي يحفظ أوليائه من الذنوب والشياطين^(١).

[١] (شأن الدعاء: ٦٧)

فهو حفيظ لأعمال العباد؛ وهنا يُدْعَن العبد لعظمته،
 وقدرته التي لا مثيل لها، والدالة على كماله وكمال صفاته في
 هذا الحفظ، فهو حَفِظٌ دون إدراك حقيقته مفاوز، ومحاولة
 معرفة كنهه أمر مُحال، ذلك أنه يدل على قدرة عظيمة،
 قال سبحانه - في بيان هذا الحفظ الشامل - : ﴿وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ
 حَفِيزٌ﴾ [سبأ: ٢١] وتأمل العموم الدالّ عليه كلمة **(كُلِّ)**
 فهي تعم كل شيء.

وحفظها كلها في كتاب لا يمكن لأحد أن يُغيّره أو يُبدله،
 قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيزٌ﴾ [ق: ٤]
 فحفظه سبحانه وتعالى محيطٌ بجميع الأعمال، وقد كتب
 كل ذلك في اللوح المحفوظ، ووكل بالعباد ملائكة كراماً
 كاتبين حتى لا يكون للعباد حجة، وهذا الحفظ يقتضي علم
 الله بأحوال العباد كلها ظاهرها وباطنها، وكمالها ونقصها،
 ومقادير جزائها في الثواب والعقاب ثم مجازاتهم عليها
 بفضله وعدله.

وهو الحافظُ لعباده المؤمنين من جميع ما يكرهون،

فيحفظهم في أنفسهم، ويدفع عنهم الشرور، ويحميهم من الأعداء بطرق خفية لا تُدرِك.

انظر كيف سعى كفار قريش في التخلص من نبي الأمة

عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا

لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينِ

﴿الأنفال: ٣٠﴾ ولكن الله سلّمه من شرهم وحفظه بقدره

عجيبة.

بل استمرت محاولات الكفار في السعي بقتله وإلحاق

الأذى به، ولكنّ حماية الله كانت ترعاه، وحفظه له كان

أقوى من تدبيرهم ومكرهم؛ ذلك أنّ الله حفيظٌ رحيم، قال

اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧]

وهكذا ورثة إبليس وأعداؤه يسعون دوماً في كل زمان

في الكيد لأتباع الرسل - عليهم الصلاة والسلام - ويمكرون

بهم، ويسعون في أذيتهم ولكن الله حافظاً لأولياءه، ورعايته تكلؤهم، وعينه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى تحرسهم فلا يصلون إليهم، ولئن قدروا عليهم في فترة من الفترات، فإنها إدالة غير دائمة بل هو ابتلاء وتمحيص، فإن مكرهم سيبور، وسعيهم سيخيب لأن رعاية الله تحفظهم.

ومن حفظه لأولياءه: تسخير الكون لهم، وحفظهم بطرق عجيبة فوق تقادير البشر، فحفظ الله نبيه موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ حيث سخر له البحر والتابوت في طفولته، وحفظ نبيه يونس عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وهو في بطن الحوت.

وأما حفظه لنبيه يوسف عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فعجب عجاب، فقد ذكر حفظه له من كيد إخوته، وحفظه من الهلاك في البئر، وحفظه من فتنة امرأة العزيز، وحفظه وهو في السجن، وحفظه من فتنة الملك، فلم يزل يحفظه حتى أتم عليه نعمته، فأخبر عن هذا الحفظ ليطمئن المؤمن بحفظ الله له، وكما زاد العبد إيماناً وتقوى كانت رعاية الله له أتم وأعظم.

ومن أنواع الحفظ العظيم: حفظ الله لعبده في دينه،
 فيحفظه عمّا يُضلّه من فتن الشبهات والشهوات، فيعافيه
 منها ويسلمه من شرها، ويحفظه عمّا يضر إيمانه أو يزلزل
 يقينه، ويحفظه من الوقوع في السيئات وفعلها، وعصمته
 منها، ويحرسه من مكائد الشيطان فيسلم من فتنه وشره.

ومن حفظه لعبده: أن يحفظه بملائكته فيحيطون به من
 جميع جوانبه إلى أن يأتي أمر الله وقضائه، قال الله سُبحانه وتعالى:
 ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْن يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِمَّنْ أَمَرَ اللَّهُ﴾ [سورة الرعد: ١١]

ومن حفظه سُبحانه وتعالى: حفظه لكتابه، فالله تعهد بحفظه،
 ولم يُوكله لأحد من العباد، قال سُبحانه وتعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا
 الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]

ومرّت أكثر من ألف وأربعمائة وأربعين سنة ولم
 يستطع أحد تبديله أو تحريفه، ولن يستطيع لأنّه محفوظ
 بحفظ الله تعالى له.

ومن حفظه سبحانه وتعالى: حفظه لسنة نبيه عليه الصلاة والسلام

بعلماء جهابذة، ميزوا صحيحها من سقيمها، ونقوها من كل دَخل وخطأ، حتى صار علم الجرح والتعديل وعلل الحديث مفخرة من مفاخر الأمة، وشامة في جبين علمائها لم يسبقهم إليه أحد، ولا يُدرّكهم به من بعدهم، وصارت أحاديث نبي الأمة عليه الصلاة والسلام غضة طرية وكأنه تحدث بها الساعة بأبي هو وأمي عليه الصلاة والسلام كل ذلك بحفظ الله لها، وما سخره من هؤلاء العلماء الجهابذة جزاهم الله عن سنة نبيه عليه الصلاة والسلام خير الجزاء.

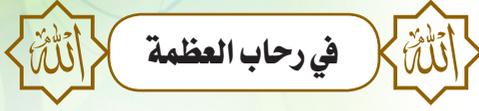
ومن حفظه سبحانه: حفظه لدينه؛ فانظر إلى أعداء

الإسلام كم حاولوا إبطال هذا الدين، وحرّبه ليُطفئوا نوره، ويصدوا الناس عن أتباعه، فإذا به ينتشر انتشاراً عظيماً، ويدخل الناس فيه أفواجاً، ويخيب سعي أعدائه، فيبقى دين الإسلام شامخاً ويخيب كيد كل عدو.

ومن حفظه سبحانه: حفظه لبيته الحرام من الجبابة والأعداء الذين حاولوا هدمه وإزالته، ومحوه عن ظهر الأرض، فإذا البيت يبقى شامخاً محفوظاً بحفظ الله تعالى له، فهو البيت العتيق منهم ومن جرمهم ومن تعديهم. ومن أراد حفظ الله له فعليه بحفظ ربه في أوامره بالامثال، ونواهيه بالاجتناب، وحدوده بعدم تعديها، ففي وصية رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا وهي له وللأمة من بعده: «أَحْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، أَحْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ...» (١).

وكلما زاد العبد صلاحاً زاد حفظ الله له. ومن قرأ آية الكرسي كل ليلة لم يزل عليه من الله حافظاً. وذكر الله على الدوام حفظ من كل الشرور. ولزوم الدعاء على الدوام سبب عظيم لحفظ الله لعبده.

(١) رواه الترمذي



فאלهم احفظنا بحفظك، واكلأنا برعايتك يا أرحم
الراحمين.



﴿ (١٠٤) المنان ﴾

وورد هذا الاسم في السنة، ففي سنن أبي داود، من حديث أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أنه كان مع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رجل يصلي، ثم دعا، فقال الرجل: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، الْمَنَّانُ، بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَصْحَابِهِ: أَتَدْرُونَ بِمَ دَعَا؟ قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَقَدْ دَعَا اللَّهُ بِاسْمِهِ الْأَعْظَمِ، الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أُعْطِيَ» (١).

فإنَّه منان كريم، كثير العطاء والجود.

والمَنَّانُ هو: كثيرُ المواهب والعطاء، فلا نهاية لتوسعته وفضله وإحسانه؛ يوالي نِعْمه على عباده بعدد أنفاسهم، وفي جميع أحوالهم.

(١) رواه أبو داود

يبدأ بالنعيم قبل استحقاقها، ويتابع بالعطاء دون انقطاع،
قال شيخ الإسلام رَحْمَةُ اللَّهِ: **(والمَنَّان: الذي يجود بالنوال قبل**
السؤال)(١).

منّ على عباده بإحسانه وإنعامه ورزقه، فأعطاهم الحياة
والعقل والنطق، وصور فأحسن الصور، وأنعم فأجزل،
وأسنى النعم، وأكثر المنح، وهو الذي ينعم غير فاخر
بالإنعام، فله المنّة على عباده، ولا منّة لأحد منهم عليه.

ومنّة الله على عباده متنوّعة ومتعددة، فمنها: منّة الخلق
والإيجاد، ومنّة توالي النعم، ومنّة الهداية للإسلام وشرائعه،
ومنّة الستر والعفو، ومنّة المغفرة للذنوب، وغيرها من المنن
التي لا حصر لها.

ومنّة الخلق والإيجاد قلّما يتفطن لها المسلم، فهو إذا
تذكّر أنّ مصيره الجنّة - بإذن الله - إذا استقام وأتاب ورحمه

(١) [كتاب النبوات: ١/٧٨]

رُبُّهُ، فَرِحَ بِهَذِهِ الْمِنَّةِ، وَسَأَلَ رَبَّهُ إِتْمَامَهَا بِالتَّوْفِيقِ لِلْعَمَلِ
الصَّالِحِ، وَنِيلَ رِضَاهُ وَالْفَوْزَ بِجَنَّتِهِ، فَمَا يَنْتَظِرُهُ أَهْلُ رِضَاهِ
مِنَ الْعَطَايَا هُوَ أَعْظَمُ أَنْوَاعِ النِّعَمِ، فَاللَّهُمَّ أَتَمِّمْ عَلَيْنَا فَضْلَكَ.
(وَهُوَ الْمَنَّانُ الَّذِي شَهِدَتْ الْخَلِيقَةُ كُلُّهَا بِرُّهَا وَفَاجِرُهَا
بِإِحْسَانِهِ وَعَظِيمِ نَوَالِهِ، وَكَرِيمِ أَيَادِيهِ، وَجَمِيلِ صِنَائِعِهِ،
وَسَعَةِ رَحْمَتِهِ، وَبِرِّهِ وَلَطْفِهِ، وَإِجَابَتِهِ لِدَعَوَاتِ الْمُضْطَرِّينَ،
وَكَشْفِ كُرْبَاتِ الْمَكْرُوبِينَ، وَإِغَاثَةِ الْمَلْهُوفِينَ، وَدَفْعِ
الْمَحْنِ وَالْبَلَايَا بَعْدَ انْعِقَادِ أَسْبَابِهَا، وَصَرْفِهَا بَعْدَ وَقُوعِهَا،
وَلُطْفِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي ذَلِكَ إِلَى مَا لَا تَبْلُغُهُ الْأَمَالُ، كُلِّ ذَلِكَ
تَفْضِلاً مِنْهُ وَتَكْرِماً)

وهذه المنن أوجبها الله على نفسه - **تكرماً منه وفضلاً** -
وجعلها حقاً عليه - **رحمة منه وجوداً** - ولم يوجبها أحدٌ
عليه.

والمِنَّةُ المطلقة لله وحده، ولذا قال الأنصار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بعدما
ذَكَرَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمِنَّةِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، قالوا: (الله

ورسوله آمن^(١).

وأعظم المنن: الهداية للإسلام، فمن الله على طائفة من خلقه، فهداهم للإسلام من غير طلب منهم، بل خرجوا للدنيا ووجدوا أنفسهم مسلمين من بين مليارات البشر وهذه - لعمر الله - خير العطايا، وأعظم المنن، وهي محض فضل الله الكريم.

فصاروا من أهل التوحيد، وانشرحت صدورهم له، ونزلت السكينة في قلوبهم وهم يتذكرون فضل الله عليهم بهذه المنة، وبغض إليهم الشرك وأهله وأعمالهم، فكانت هذه أعظم المنن عليهم.

ومن على هذه الأمة: بعثة رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لهم، فاصطفى لهم خيرة رسله، وأشرف خلقه، فجعله رسولهم ونبیهم، وشرّفهم بالنسبة إليه فصار كل واحد منهم يُنسب إلى أمة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهذا شرف منيف لهم، وسينالون

(١) رواه البخاري.

من بركات هديه في الدنيا والآخرة ما تقرّ به أعينهم، ففي الدنيا ينالون ببركة أتباعه إصابة الهدى بالعبادة، وأتباع الطريق الصحيح، والفوز بالأجر العظيم، أمّا في الآخرة فينالون الرفعة في الجنة، فقد ورد أنه يشفع لطائفة من أمته لبوغ الدرجات العلى فيها.

ومنّ على المؤمنين منهم -خاصّة- فحبّ إليهم الإيمان، وزينه في قلوبهم، فأصبحوا يحبون الطاعات ومواطنها وأزمانها، فمنّ عليهم بحبّ الصلاة والتلاوة والذكر والصدقة والصيام ونحوها من القربات.

ومنّ عليهم بحبّ مواطن الطاعات الفاضلة فصار بيت الله لهم مثابةً لأفئدتهم، وموطن شوقهم فينفقون الأموال، ويفرغون الأوقات ليصلوا إليه، وكذا قصد مسجد نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتتوق نفوسهم دوماً لبيوت الله، ومواطن العلم والخير.

ومنّ عليهم بحبّ الأزمنة الفاضلة كرمضان وعشر ذي الحجة ونحوها، فيسألون ربهم بلوغها، ويجتهدون فيها لعلمهم بفضلها ومضاعفة الحسنات فيها.

ومنّ على بعضهم بحبّ نفع الناس وبذل الخير لهم، فيصرفون أوقاتهم وأموالهم وجاههم وشفاعتهم لهم ودالاتهم على الخير.

ويمنّ سبحانه وتعالى على المستضعفين بالنصرة والتأييد مع قلة حيلتهم، وقوة عدوّهم، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١١٤﴾ وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكُرْبِ الْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾ وَنَصَرْنَاهُمْ فَاكْفَأْنَاهُمُ الْغَلِيظِينَ ﴿١١٦﴾ وَأَيَّدْنَاهُمَا بِالْكِتَابِ الْمُسْتَبِينِ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾﴾ [الصفات: ١١٤ - ١١٨]

ومنّ على الصحابة رضوان الله عليهم بصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم، ففازوا بشرف الصحبة، والتمتع برؤيته، والجلوس بين يديه، والجهاد معه، ونصرته فكانت لهم الأجور العظيمة، والمنزلة الرفيعة، وهي منّة لن يدركها أحدٌ بعدهم.

ويمنّ على بعض عباده من هذه الأمة فيكونوا قادة في الخير في مجالات شتى، فمنهم من يمنّ الله عليهم بحبّ العلم وبثّه، ومنهم من يمنّ عليهم بالجهاد ونشر الإسلام، ومنهم من يمنّ عليهم بخدمة المسلمين والسعي لسدّ حوائجهم، ومنهم من يمنّ الله عليهم بالعبادات القاصرة وغير ذلك من المنن التي يمنّ الله بها على من شاء من عباده، فاللهم لا تحرنا خير ما عندك بسوء ما عندنا.

وأعظم منن الله على عباده المؤمنين أن يدخلهم جنّته فيفوزون الفوز العظيم وهي أعلى المنن، فالفوز بالجنة يعني النعيم الأبدي السرمدي الذي لا يحول ولا يزول، وهو يقتضي النجاة من النار والعذاب الشديد، ولو أفنى المرء عمره لأجل شكر هذه المنّة لكان قليلاً بجانبه، ولذا أثنى المؤمنون على ربهم بهذا المنّة العظيمة، وشكروه على هذا الفضل، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿فَمَنْ أَلَّهَ عَلَيْنَا وَوَقَّنا عَذَابَ السَّمُورِ

﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾ [الطور: ٢٧ - ٢٨]

ودخول الجنة في حقيقته محض فضل من الله وحده؛ فالله هو الذي خلق العبد، وأوجده من العدم لينال هذا النعيم، وهو الذي هداه، وهو الذي خلق الجنة، وجعل فيها من أنواع النعيم ما تطيب معه الإقامة، وهو الذي منّ عليه بدخولها، ومنّ عليهم بالخلود، ومنّ بالقوة والقدرة على التلذذ فيها، فصارت المنّة أولاً وآخراً، وظاهراً وباطناً لله وحده لا شريك، فله المنّة الكاملة، والفضل المطلق السابع.

فمن كان هذا وصفِ مننه، وهذه كثرة عطاياه استحق
العبادة دون سواه، ولو أمضى المرء عمره ذاكرًا له شاكرًا
لأنعمه لما وفّاه عشر معشار منته.

ومن عرف ربه بصفة المنّ على الحقيقة علق قلبه به،
وتوكل عليه حق التوكل، فالنعم كلها منه، وأزمة الفضائل
بيده دون سواه، فلماذا تتعلق القلوب بغيره، ولما يُسند
الفضل لسواه؟!

ومن استحضر هذه المنن على الدوام أحبّ ربه الحب
المطلق الكامل، وتلذذ بهذه المحبة التي لا مثيل لها في
الدنيا.

فاللهم امنن علينا بفضلك يا رحيم.



﴿ (١٠٥) المحيط ﴾

من أسماء الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: **(المحيطُ)** وجاء ذكره في كتاب الله ثمان مرات.

وهو: الذي أحاط بكل شيء علمًا فلا يخرج عن علمه شيء، وأحاطت قدرته بجميع خلقه فلا يمكن لشيء أن يخرج عن إرادته، وأحصى كل شيء عددًا.

أحاط سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بالكون كله إحاطةً كاملةً شاملةً بتولي أموره، وتدبير شؤونه، وأشار إلى ذلك بقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:

﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا﴾ [النساء: ١٢٦]

وأحاط بكل أعمال الإنس والجنّ والملائكة، وبكل موجود وغائب، ومهما حاول العبد أن يستخفي من الله فلن يستطيع إلى ذلك سبيلاً، غلبت قدرته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى على حيلهم، وأحاط علمه بمكرهم، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:

﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّنُونَ مَا لَا

رَضِيَ مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾ [النساء: ١٠٨]

وإحاطة الله عامّة بجميع أنواعها: (علمًا، ومُلكًا،
وقُدرةً، وقَهراً، ورَحمةً، ولُطفًا)

فأحاط بخلقه (علمًا) فلا يغيب عنه شيء من أمرهم؛
إحاطةً يعلم بها ظواهر الأمور وبواطنها، جليها وخفيها،
ماضيها وحاضرها ومستقبلها، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ
قَدَّ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: ١٢]

فأحاط سمعه بجميع المسموعات، فيسمع النجوى
والعلانية، والسر وما أخفى.

وأحاط بصره بجميع الموجودات دقيقةً وجليلةً
صغيرةً وكبيرةً، قال الراغب رَحْمَةُ اللَّهِ: (والإحاطة بالشيء
علمًا هو: أن يعلم وجوده، وجنسه، وقُدْرته، وكيفيته،
وغرضه المقصود به وبإيجاده، وما يكون به ومنه، وذلك
ليس يكون إلا لله) ^(١) فأحاط سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بكل أمور البرايا،

(١) (المفردات للراغب: ١/٢٦٥)

وبالأعمال والنوايا، والأقوال والخفايا.

وإحاطته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى (إحاطة ملك) فقد أحاط بالسموات وما فيها من أجرام ومخلوقات هائلة وشمس وقمر، وكواكب سيّارة وثابتة، فكلها تحت أمره وسلطانه لا يخرج شيء منها عن إرادته وتدييره، فسبحان الملك المحييط.

وأحاط بالعباد (قدرة) فهو على كل شيء قدير، ولا يعجزه شيء من أمرهم، تجرّ أقوامٌ وعتوا وطمغوا فأهلكهم، ولم يستطع أحدٌ منهم الفرار من عذابه ونكاله.

وأحاط سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بالكافرين، قال ابن جرير عند قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ١٩] أي: (جامعهم فَمُحِلٌّ بِهِمْ عِقَابَهُ) (١).

وقال رَحِمَهُ اللهُ عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [آل عمران: ١٢٠] (إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُ هَؤُلَاءِ الْكَافِرِينَ فِي

(١) [تفسير ابن جرير الطبري]

عباده وبلاده من الفساد والصد عن سبيله، والعداوة لأهل دينه وغير ذلك من معاصي، فالله محيط بجميعه حافظ له، لا يعزب عنه شيء حتى يوفيهم جزاءهم على ذلك كله، ويذيقهم عقوبته عليه) انتهى كلامه.

فلا تغتر بجمعهم، ولا تظنّ ظنّ السوء بربك، فتدبير الأمور له وحده.

وبكمال قدرته أحاط بالعباد، فلا يستطيع أحد منهم الهروب منه؛ وهي صفة قد تفرّد بها فلا يُشاركه فيها مُشارك، قال الحلّمي رَحِمَهُ اللهُ: (ومنها «المحيط» ومعناه: الذي لا يقدر على الفرار منه، وهذه الصفة ليست حقاً إلا لله جل ثناؤه، وهي راجعة إلى كمال العلم والقدرة، وانتفاء الغفلة والعجز عنه)^(١).

وهذا الإحاطة أظهر ما تكون يوم يجمع الخلق ليوم القيامة، ويحشر هذه الأعداد الهائلة فلا يفوت منهم أحد،

(١) [المنهاج في شعب الإيمان: ١/١٩٧-١٩٨]

ويكونون طوع أمره وقوته وقدرته في قدرة عجيبة يقف أمامها كل واصف عن أن يُقارب حقيقتها، فسبحان من جمع تلك الأجساد في موقف واحد وكان حسابهم عليه يسير وسريع،

قال الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ﴾ [البروج: ٢٠]

وأحاط بالعباد (قهرًا) فهم تحت قهره وسلطانه وفي قبضته، فلا يفوته أحد، ولا يخرج عن إرادته وأمره مخلوق. فمن قوته وقهره أنه إذا اجتمع قومٌ على معصية، ونزل عذابه بهم أحاط بهم، فلم يستطع أن يفلت منهم أحد؛ وانظر لعذابه لما نزل بقوم نوح فلم يبق منهم دياراً، وأبادهم كلهم وجعلهم لمن خلفهم آية.

ولما خرج فرعون متغطرساً بجنوده، ونادى في أتباعه وحشرهم فلم يُبق منهم أحداً، فلما نزل بهم العذاب أُغرقوا جميعهم، وأحاط بهم الهلاك، ولم تنج منهم نفس، وذهبت الأرواح للبحيم، وخسروا خسراً لا ربح معه البتة، وهكذا في كل عذاب ينزل على القرى الظالمة فإنه يحيط

بهم، ولا ينجو منهم إلا من كتب الله له النجاة.

ولقد سألني الله نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قَدْ أَحَاطَ
بِالنَّاسِ، قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ﴾

[الإسراء: ٦٠] فتدبيرهم ومكرهم وعزائمهم كلها تحت أمر
الله لِيُعَلِّقَ قَلْبَهُ بِاللَّهِ الْمَحِيطِ بِهِمْ، وَلَا يَكْتَرِثَ بِقُوَّتِهِمُ الَّتِي
غَرَّتْهُمْ، فَهِيَ تَحْتَ سُلْطَانِ اللَّهِ وَقُوَّتِهِ.

وسألني أتباعه بأنه محيط بأعدائهم، فهو معهم، ولن
يسلطهم عليهم بشرط لزوم الصبر والتقوى، قال سبحانه:
﴿إِنْ تَمَسَّكُمُ حَسَنَةٌ نَسُّوهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصَّبَرُوا
وَتَتَّقُوا لَا يَضْرِبْكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [آل

عمران: ١٢٠]

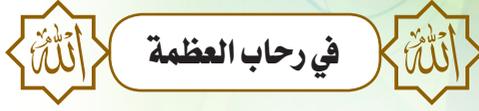
فطب نفساً أيها المؤمن، واطمئن فؤاداً أيها التقي، فقد
أحاط الله بأعدائك ونواصيهم بيده.

ولمَّا ذَكَرَ اللهُ النَّارَ وَمَا فِيهَا مِنْ عَذَابٍ وَنَكَالٍ، بَيَّنَّ أَنَّ
هَذَا الْعَذَابَ قَدْ أَحَاطَ بِأَهْلِهَا - أَجَارَنَا اللهُ مِنْهَا - فَلَا يَجِدُونَ

معه راحة، ولا ينجو منه جزءٌ من أجزاء جسدكم، وفي هذا تحذير من إقحام النفس فيها، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَعِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف: ٢٩]

وعلى المؤمن أن يوقن بإحاطة ربه به، وبعمله وبحاله ونيته، فمتى ما استحضر المؤمن ذلك زادت مراقبته لربه، وزاد خوفه منه، فلا يقتحم المعصية، ولا يجروء على الذنب، ولا يسكن في قلبه إلا كل نية طيبة، وتراه حريصاً على تطهيره من كل خلق دنيء لأنه يستحي أن يطلع عليه ربه المحيط به وبحاله.

وهذا هو الإيمان النافع لصاحبه، الحامل له على مراقبة ربه، فيحجمه عن الجراءة على معصيته، فليس شيء أنفع للقلب منه، وليس شيء أسوق للعبد في سيره إلى الله كسوط الخوف منه.



فاللهم ارزقنا تعظيمك حق التعظيم، والإيمان بك حق

الإيمان.



﴿ (١٠٦) الحليم ﴾

ومن أسماء الله **(الحليم)** وجاء ذكره في كتابه أحد عشرة مرة، وهو: **ذو الصفح والإمهال الذي لا يعجل بالعقوبة لمن استحقها بل يمهل ويصبر.**

تأمل في حلمه وصبره **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَلَىٰ مَنْ آذَاهُ وَقَالَ -ظُلْمًا- أَنْ لَهُ وَلَدًا، أَوْ جَاءَ بِقَوْلٍ إِذَا،** فقال عنه أنه فقير، أو وصفه أنه قد تعب -تعالى الله عن أقوالهم- ومع ذا أمهلهم جميعاً، بل وتاب على طائفة منهم.

وتأمل في حلمه وصبره **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَلَىٰ مَعْصِيَةِ الْعَاصِينَ، وَالْمُتَعَدِّينَ عَلَىٰ حُدُودِهِ، وَالْمُتَجَرِّئِينَ عَلَىٰ حُرْمَاتِهِ، وَالْمُتَكَبِّرِينَ عَلَىٰ طَاعَتِهِ، وَالْمُسْتَنْكِفِينَ عَنْ أَمْرِهِ -مع كثرتهم وكثرة ذنوبهم- ومع ذا يرزقهم كما يرزق المؤمنين، ويعافيتهم كما يُعَافِي أوليائه، ويستترهم ويمددهم بالصحة والعافية والمال وسائر الأرزاق، ولا يحبس أنعامه**

وأفضاله عنهم لأجل ذنوبهم، بل ويُبقي ذلك العاصي وهو منهمك في معاصيه كما يُبقي البر التقي، ويقيه الآفات والبلايا وهو غافل لا يذكره -فضلاً عن أن يدعوه- كما يقبها الناسك الذي يسأله وربما شغلته العبادة عن المسألة، قال الحليمي رَحْمَةُ اللَّهِ: **(وهو الحلِيم: الذي لا يحبس أنعامه وأفضاله على عباده لأجل ذنوبهم، ولكن يرزق العاصي كما يرزق المطيع وهو منهمك في معاصيه)** (١).

وتأمل في صبره وحلمه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى مَنْ آذَى أَوْلِيَاءَهُ والمستضعفين من عباده، فحِلْمُهُ وسع هَوْلَاءِ وغيرهم وهو حِلْمٌ لا حصر له، فقد منع عنهم عقوبته أن تحل بهم، فيمهلهم ولا يعاجلهم بالعقوبة لعلهم يتوبون إليه، ويُنيبون ويعودون لربهم.

وحِلْمُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَنْ قُوَّةِ كَامِلَةٍ، وَعَفْوُهُ عَنْ إِرَادَةِ لَا مُكْرَهٍ لَهُ مَعَهَا، فَهُوَ لَيْسَ عَنْ عَجْزٍ وَضَعْفٍ كَمَا هُوَ عَلَيْهِ

(١) [الأسماء والصفات للبيهقي: ٧٢-٧٣]

الكثير من البشر، فمع عظمتها الظاهرة، ونفوذ أمره إلا أنه حليمٌ على عباده، أمّا البشر - وإن حلموا - فربما كان بسبب ضعفهم، وعدم قدرتهم على إنزال العقوبة بمن آذاهم .

ومع عظمة الله إلا أنه يحلم على الخلق فعظمتها يزيئها حلمه أمّا عظماء البشر فيغلب عليهم ضعف الحلم عندهم، فلذا يُنزلون غضبهم في الخلق بمجرد غضبهم، واستفزازهم لهم فيغترون بعظمتهم، ولا يحلمون على من آذاهم، ولذا إذا وُصف آحاد الناس بالحلم - خصوصاً العظماء منهم - عدّ ذلك من مناقبه ومزاياه .

والله **(غنيٌ حليمٌ)** فحلمه صادر عن غنى وسعة، وليس عن ضعف وقلة حيلة كما هو حال غيره ممّن يتحلى بالحلم من البشر .

وينبغي للمؤمن بالله حقاً الذي قد عرف كمال صفاته أن يستسلم لحلمه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَصبره على الكافرين والظالمين، فكم من عتائم القول يتفوه بها الجهلة، ويعترضون بها

على أقدار الله وحلمه عندما يرون تسلط الكافرين والظلمة المجرمين على المسلمين والمستضعفين، وكأنهم - عياداً بالله - شركاء لله في حكمه وربوبيته، وينازعونه في قضائه، وما علموا أنّ حلمه إنّما هو لحكم لا يدر كونها.

فمن الحكمة من حلمه وصبره: ليزداد الظلمة إثمًا، فتزداد عليهم العقوبة، فتشفى صدور المؤمنين شفاءً كاملاً. وقد يكون تسلط هؤلاء عليهم بسبب ذنوبهم، فيعودن لربهم ويتوبون.

ومن الحكمة: أن لا ييأس أحدٌ من رحمة الله، ولا من هداية أحد، فقد يتوب الله على هؤلاء الظلمة، ويكونون قادة في الخير، وشواهد التاريخ لهذا كثيرة، فكان حلمه رحمة لهم، وقد يقول قائل فما بال حقوق المظلومين؟

فالجواب: أنّ حقوقهم محفوظة، وسيؤوضهم الله ثواباً على مظلمتهم وصبرهم.

ومن حِكْمِ حِلْمِهِ: ظهور مؤيدين للحق من أهل الباطل،
فيكون فيه نُصْرَةٌ ظاهرة للحق، وانتشار له.

ومن الحِكْمِ: ابتلاء العباد بالصبر والرضا، والاستسلام
لأمر الله وقضائه، فهو الربُّ المَلِكُ الذي له مطلق التصرف
في كونه، والعبد عبده، والخلق خلقه، فينبغي للعبد تحقيق
هذه العبودية وهذا الاستسلام الذي فيه رفعته.

والحِكْمِ في حِلْمِ الله على الكفرة والعصاة كثيرة جداً لا
يمكن لأحدٍ إدراكها.

ومن تأمّل حال أغلب الخلق وجد الظلم فيهم ظاهر،
والتقصير منهم هو الغالب، فلذا كان حِلْمُهُ واسعاً وعفوه
عظيماً، فلو عاجلهم العقوبة ما أبقى منهم أحداً، ولقد أبان
الله عن هذه الحكمة بقوله: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا
مِن دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَجِزُونَ سَاعَةً
وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [النحل: ٦١].

فرحمته سبقت غضبه، وعفوه أوسع من عقوبته، قال الله
 سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَلَّ
 لَهُمُ الْعَذَابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَّنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْجِلًا﴾ [الكهف: ٥٨]

والحلمُ صفةٌ يريدُها اللهُ من عباده أن يتخلقوا بها، وهي
 خصلة يحبها اللهُ ورسولُه، قال القُرْطُبِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: (فَمَنْ
 الْوَاجِبُ عَلَى مَنْ عَرَفَ أَنَّ رَبَّهُ حَلِيمٌ عَلَى مَنْ عَصَاهُ، أَنْ
 يَحْلُمَ هُوَ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرَهُ، فَذَلِكَ بِهِ أَوْلَى حَتَّى يَكُونَ
 حَلِيمًا؛ فَيَنَالُ مِنْ هَذَا الْوَصْفِ بِمَقْدَارِ مَا يَكْسِرُ سُورَةَ غَضَبِهِ،
 وَيَرْفَعُ الْإِنْتِقَامَ عَمَّنْ أَسَاءَ إِلَيْهِ، بَلْ يَتَعَوَّدُ الصَّفْحَ حَتَّى يَعُودَ
 الْحِلْمُ لَهُ سَجِيَّةً) (١).

ولجلالة اسم (الحليم) وعظمة أثره في إزالة الكُربات كان
 رسولُ اللهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدعو به، فعن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال:
 كان رسولُ اللهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقولُ عند الكربِ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ
 الْعَظِيمُ الْحَلِيمُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ

(١) [مختصر النهج الأسمى: ١٦٢]

رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَرَبُّ الْأَرْضِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ» (١)

وعلى العبد ألا يغترّ بحلم الله عليه، فالله الحليم قويٌ عزيز، وهو حسيب وشهيد لا يخفى عليه شيء ولا يفوته عبد، فهو مع حلمه منتقم جبار، عزيز ذو انتقام، شديد العذاب، يُملي للظالم حتى إذا حقّ عليه العذاب أخذه لم يفلته.

حَلَمَ عَلَى قَوْمِ نُوحٍ أَلْفَ سَنَةٍ ثُمَّ أَخَذَهُمْ أَخَذَتْ رَابِيَةً، فَأَغْرَقَهُمْ وَذَهَبَتْ أَرْوَاحُهُمْ إِلَىٰ أُمَمِهِمُ الْهَابِيَةِ.

وَحَلَمَ عَلَى قَوْمِ عَادٍ وَثَمُودَ مَعَ تَجْبُرِهِمْ وَغَطْرَسَتِهِمْ وَعَتَوْهُمْ عَلَىٰ رِسَالِهِمْ ثُمَّ أَخَذَهُمْ، فَلَمْ يَفْلِتْهُمْ وَأُدْخِلَتْ أَرْوَاحُهُمْ وَأَبْدَانُهُمُ الْعَذَابَ السَّرْمَدِيِّ الْأَلِيمِ.

وَحَلَمَ عَلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَدْ طَغَىٰ وَبَغَىٰ وَأَذَىٰ الْعَذَابِ ثُمَّ أَغْرَقَهُ وَمَنْ مَعَهُ، فَنَالَهُمْ مِنَ الْعَذَابِ مَا لَا يُطَاقُ ف: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ

الْعَذَابِ ﴿٤٦﴾ [غافر: ٤٦]

(١) رواه مسلم.

فلا يغترُّ مُمَهَّلٌ بالعذاب، فيتمادى بذنبه، فالله يُمهّل
ويُعطي الفرصة ليتوب العبد ويُنيب حتى إذا ما تجاوز
المذنبُ الحدَّ، واستحق العذاب أخذَه اللهُ، وساعتها يندم في
ساعة لا ينفع فيها الندم، فليحذر المقيم على المعصية من
سخط الحليم وغضبه.

والله يُسمّى الحليم، ويجوز إطلاق اسم الحليم على
آحاد الناس، ولكن بينهما فرق ظاهر، فالله حليم كامل
الحلم، أمّا الآدمي - وإن وُصف بالحليم - فإنّه يحلم تارة،
ويعاقب تارات، بل ربما منع حلمه عن بعض الخلق ممّن
زاد أذاه له، أمّا حلم الله فلا يصفه واصف ولا يدرك حقيقته
أحد لكماله وسعته.

فاللهم رحمةً من عندك تأتي على جميع أمورنا، ومغفرة
تأتي على جميع ذنوبنا.



﴿ ١٠٧ ﴾ السيد

ومن أسماء الله: **(السيد)** وجاء ذكره في السنة، فعن مطرف بن عبد الله بن الشَّخِير قال: قال أبي: **«انطلقت في وفد بني عامر إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسلم فقلنا: أنت سيِّدنا، فقال: «السَّيِّدُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى» (١).**

فالله هو السيد الذي له السيادة المطلقة، والخلق كلهم عبده.

وجاء عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أنه قال في معنى قول الله تعالى: **﴿قُلْ أَعْبُدُوا اللَّهَ أَدْبَعِي رَبًّا﴾** [الأنعام: ١٦٤]، (أي: إلهًا سيِّدًا) وقال في قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: **﴿اللَّهُ الصَّكْمُ﴾** [الإخلاص: آية ٢] أنه: (السيدُ الذي قد كمل في سوؤده، والشريفُ الذي قد كمل في شرفه، والعظيمُ الذي قد كمل في عظمته، والحليمُ الذي قد كمل في حلمه، والعليمُ الذي قد كمل في علمه، والحكيمُ

(١) رواه أبو داود

الذي قد كمل في حكمته، وهو الذي قد كمل في أنواع الشرف والسؤدد، وهو الله سبحانه، هذه صفته لا تنبغي إلا له، ليس له كفاء، وليس كمثل شئ، سبحانه الله الواحد القهار

والله هو **(السيّد المالك لكونه)** وملكه للكون ملكاً مطلقاً، فالكون كله تحت سلطانه وإرادته، فهو ثابت بأمره، وحياة الخلق بيده، وإفناؤهم بيده، ومعيشتهم وسائر شؤونهم بيده، ومن مقتضيات ملكه: أنه الأمر الناهي لهم، فله الأمر المطلق لا مُعقّب لأمره، والناهي حقيقة لا اعتراض لنهيه، فسبحان من ملك الكون ومن فيه، وسبحان من ساد الخلق بملكه.

والله هو **(السيّد الذي حقت له السيادة على الخلق)** فالسيادة على حقيقتها لله وحده دون سواه، فهو: الذي له السؤدد المطلق الذي تفرّد به عن سائر الخلق، ومن عرف ربه بالسيادة على الحقيقة آمن بقدرته، وأذعن لعظمته، وتذلل لجبروته، وصار عبداً ذليلاً له، إن أمره سيده ائتمر، وإن نهاه انتهى، وإن وقف بين يديه في مقامات العبوديات وقف مقام الذل والاستكانة والافتقار وإظهار الحاجة.

وهو **(السيدُ المُحتاجُ إليه بالإطلاق)** فالخلائق كلهم بحاجة إليه، فلو لم يُوجد لهم لِم يُوجدوا، ولو لم يُبق لهم لِم يكن لهم بقاء، ولو لم يُعنه في ما يعرض لهم لِم يكن لهم معين غيرُه، فحقُّ على العباد أن يعترفوا بفضله وحاجتهم إليه، فمَنْ خلقهم ورزقهم وتولى جميع أمرهم استحق السيادة المطلقة، فلا سيّد حقًّا إلا الله، وعليهم أن يُفردوه بالعبادة والمسألة والدعاء.

وهو **(السيدُ المتولي أمر العباد)** الذي يملك نواصيهم، ويُسوسهم إلى ما فيه صلاحهم، فبأمره يعملون، وعن قوله يصدرون، وهو الذي إليه يُرجعون، ومن اعترف لربه بالسيادة المطلقة سلّم من تعلّق القلب بالمخلوقين، وصار تعلّقه بسيده المطلق سيادة كاملة، وهو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

فاللهم ارزقنا تعليق القلب بك كما تُحب، ووفقنا لِمَا فيه رضاك عنا يا منان.

﴿ (١٠٨) المبين ﴾

ومن أسماء الله: **(المبين)** وورد هذا الاسم في كتاب الله مرة واحدة، قال الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾**

[النور: ٢٥]

وقال الحليمي **رَحْمَةُ اللَّهِ: (المبين وهو الذي لا يخفى ...؛ لأنه له من الأفعال الدالة عليه ما يستحيل معها أن يخفى) (١).**

فهو البين أمره في الوجدانية، والظاهر أمره بالتفرد والكمال، المستحق للتعظيم المطلق وافراده بالعبادة، قال الإمام الخطابي **رَحْمَةُ اللَّهِ: (وهو: البين أمره في الوجدانية، وأنه لا شريك له) (٢).**

وأعظم القضايا في الوجود: قضية التوحيد، وبيان المصير والمآل في الآخرة، فبين سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى دلائل توحيده بما لا شك

(١) المنهاج (١/١٨٩)

(٢) [شأن الدعاء: ١٢٠]

فيه، فكل من تجرّد في طلب الحق أيقن بوحدانية الله تعالى،
فلا يكون الإله إلا واحداً، ولا يكون الإله إلا مابيناً لخلقه
في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله.

وطرق بيانه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِلتَّوْحِيدِ مُتَعَدِّدَةٌ، فمنها: تعريف

العباد به، فجاءت بهذا الآيات البينات، ومنها قوله تعالى:

﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾﴾

هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ

الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ

الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ

وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ [الحشر: ٢٢-٢٤] فمن تأمل في أسماء الله

الحسنى، وصفاته العلى وعرف معانيها على ما يليق بها،

وآمن بما دلّت عليه، ودرسها دراسة المتأمل عرف ربّاً

كريماً مستحقاً للعبادة، وإفراده بالتوحيد، والتوجّه له دون

سواه.

ومن ذلك ما فطر عليه قلوب العباد من معرفته
والاضطرار إليه، فالعبد مهما كابر في ظاهره، فلا بد وأن
يضطر لربه وخالقه مهما علت منزلته، ولقد أبان الله حال
الكافرين عند النوازل، وكيف يكون سؤالهم له إذا أحق
بهم الخطر، وأشرفوا على الهلاك.

وشهد العقل السليم المنصف بوحدانيته، فما خلق
سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي هَذَا الْكُونِ مِنْ آيَاتٍ دَلِيلٍ سَاطِعٍ نَاصِعٍ يَدُلُّ
عَلَى عَظَمَتِهِ وَعَظْمَةِ خَلْقِهِ، لَا يُنْكَرُ هَذَا إِلَّا جَاحِدٌ قَدْ اسْتَقَرَّ
فِي نَفْسِهِ الْحَقَّ وَلَكِنَّهُ تَكَبَّرَ، وَعَرَفَ الْحَقَّ فَأَعْمَى بِصَرِّهِ
بِإِرَادَتِهِ، قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا
وَعُلُوًّا فَاَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾﴾ [النمل: ١٤] ومن خلق
لا بد أن يأمر وينهى، ويُرْتَبَ عَلَى هَذَا الْجَزَاءِ.

وهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: الَّذِي بَيْنَ الْحَقِّ لِعِبَادِهِ بِطَرِيقٍ لَا لِبَسٍ فِيهِ وَلَا
خَفَاءَ، فَبَيَّنَ لِعِبَادِهِ سَبِيلَ الرَّشَادِ، وَوَضَحَّ لَهُمُ الْأَعْمَالَ الْمَوْجِبَةَ
لثوابه، والأعمال المُوجِبَةَ لعقابه، وبيّن لهم ما يأتونه ويذرونه.

فأبان الحق لعباده بآياته المشاهدة في كونه، فهذا الكون

الفسيح بآياته، وانتظامه دليل على وجود خالقٍ قادرٍ حكيمٍ عالمٍ، كامل التدبير والرعاية لخلقه، ومن كان هذا وصفه صار مستحقاً للعبادة وحده دون سواه، فمن صرف شيئاً من العبادة لغيره فقد أتى ذنباً عظيماً استحق عليه العذاب الأبدي، فالتوحيد حقٌ خالص لله لا يكون له فيه مشارِك، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿إِن رَّبَّكُمْ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾

[الأعراف: ٥٤]

ومن طرق إثبات الحق: ما جعله في آياته الأفقية والنفسية

من دلائل بيّنة واضحة على وحدانيته، قال الله سبحانه وتعالى:
 ﴿سَرِيهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أُولَٰئِكَ يَكْفُرُ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾﴾ [فصلت: ٥٣]

ومن طرق إبانته للحق **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: إرسال الرسل عليهم**

الصلاة والسلام، قال الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ**

إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ، لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ

﴿ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [إبراهيم: ٤] فأرسل رسلاً هم صفوة

الخلق في زمانهم، وأصدقهم مقالاً، وأنصحهم للخلق،

وكانت أخلاقهم وسيرهم من أبين دلائل نبوتهم، وكذلك

ما جاؤوا به من أوامر وحجج دالة على صدقهم، وما كانوا

عليه من الشفقة على أممهم، وكمال نصحتهم.

وبيّن مهمتهم، ومكانتهم، ومنزلتهم، وبيّن صدقهم بما

أقام من الدلائل على ذلك، وبيان حقيقة دعوتهم، وتأيدهم

بنصره، وبيّن عاقبة من اتبعهم، وعاقبة من خالف أمرهم،

في بيان شاف كاف لا يستنكف عنه إلا ضال مضل، وإلا

فإن من عرفهم على الحقيقة آمن بهم وصدقهم وأحبهم

وأطاعهم.

وختمهم بنبيه محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبعثه في قوم يعرفونه،
ودعاهم للتفكر في شأنه الذي لا يخفى عليهم فقال سبحانه:

﴿أولم ينفكروا ما بصاحبهم من جنة إن هو إلا نذير مبين﴾ [الأعراف:

١٨٤] فلا يلتبس شأنه على من تفكر في أمره أدنى تفكير،

فحياته عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بَيِّنَةٌ واضحة لا غموض فيها البتة، ولذا

لم يستطع الكفار القدح فيها، وكل اعتراضاتهم عليه كانت

باطلة لا دليل عليها، ولذا قال الله سبحانه وتعالى عنهم: ﴿فَانْتَهُم لَا

يُكذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بَيَّاتٍ اللَّهُ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام: ٣٣]

فدعا رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى التوحيد، وأيده ربه بالحق

والظهور، وطمأنه وطمأن أتباعه بأنهم على الحق الواضح

البيّن الذي سيسوقهم لكل خير في الدنيا والآخرة، فقال

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾ [النمل: ٧٩]

ومن الطرق التي بين فيها الحق: إنزال الكتب الواضحة

البيّنة التي لا خلل فيها ولا غموض، ومن أعظمها: القرآن

العظيم؛ الذي أبان الله فيه كل شيء، ووضح فيه كل ما

يحتاجه البشر، قال الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٨] وقال سُبحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿الرَّحْمَنُ الَّذِي أَنزَلَ فِيهَا سُبْحَانَكَ وَالنَّجْمَ ذُكْرًا وَقَدْرًا مِّمَّا تُعَلِّمُونَ﴾ [الحجر: ١] فالقرآن بيّن الله فيه كل ما يحتاجه الناس من الغاية من الخلق، وبين فيه الشرائع والعبادات والأحكام والأخلاق والآداب، وبين فيه أحوال الآخرة، ومآل أهل الكفر وأهل الإيمان، وبين فيه أسباب السخط والنعيم، وبين فيه حقيقة الدنيا والآخرة، وبين فيه مكانة الرسل عليهم الصلاة والسلام، وبين فيه ضلال المشركين، وسفاهة عقولهم، وضعف آلهتهم التي يدعونها من دون الله، وأنها لا تملك لنفسها - فضلاً عن غيرها - ضراً ولا نفعاً، فصار الحق واضحاً بيّناً لا يزيغ عنه إلا هالك ظالم لنفسه.

وبين سُبحَانَهُ وَتَعَالَى طرق الهداية، ويسر سبلها، وأوضح طرق الغواية وحذر منها، فلا حجة للعباد بعد ذلك، قال الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَتْ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٥]

وبين سبحانه وتعالى الأعمال الصالحة الموجبة لرضوانه
ليأتيها العباد، وينالون من ورائها سعادة الدارين، وبين
الأعمال التي بها سخطه لبيتعد عنها من طلب النجاة.

كل ذلك في بيان شامل واف واضح لكل من أراد معرفة
الحق فيأتيه، ويعرف الشر فيجتنبه، قال الله سبحانه وتعالى:
﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنْنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ
عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلَيْهِ حَكِيمٌ﴾ [النساء: ٢٦] فمن نصح نفسه وقام
بما أمره الله به فاز فوزاً عظيماً، ومن تعدى حدوده فلا
يلومن إلا نفسه.

فاللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتّباعه، وأرنا الباطل باطلاً
ويسر لنا اجتنابه.



﴿ (١٠٩) المقيت ﴾

ومن أسماء الله: **(المُقيت)** وقد ورد ذكره في القرآن الكريم مرة واحدة، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ

مُقِينًا ﴿٨٥﴾ [النساء: ٨٥]

قال ابن جرير رَحِمَهُ اللهُ: **(المقيتُ)** هو القائم على كل شيء بالتدبير، وقال آخرون: هو القدير، وقال آخرون: وكان الله على كل شيء حفيظًا وشهيدًا^(١).

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ: (- بعد أن ذكر المعنى اللغوي -: فالمعنى: أن الله تعالى يُعطي كل إنسان وحيوان قوته على مر الأوقات، شيئاً بعد شيء، فهو يمدّها في كل وقت بما جعله قواماً لها إلى أن يريد إبطال شيء منها، فيحبس عنه ما جعله مادة لبقائه فيهلك)^(٢).

(١) [تفسير سورة النساء لابن جرير الطبري]

(٢) [مختصر النهج الأسمى: ٢٠٨]

وقال ابن سعدي رَحْمَةُ اللَّهِ: في معنى **(المقيت)**: (وهو الذي أوصل إلى كل موجود ما به يقتات، وأوصل إليها أرزاقها، وصرّفها كيف شاء بحكمته وحمده)^(١).

والقوت يشمل: قوت الأبدان بالغذاء الذي به تقوم وتستمر به حياتها، فكفى الله كل مخلوق قُوته في قدرة عجيبة، ورحمة واسعة، ولطف يحار معه المرء، فانظر كيف أوصل قوت كل مخلوق وإن صغر ودقت خِلقته، وضعفت قوته، وقلة حيلته، فيوصل للنملة الصغيرة قوتها وهي تعيش في وسط هذا العالم الهائل من المخلوقات ولكن الله ضمن لها رزقها، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [هود: ٦]

وهو الذي يُقَدِّرُ ما يُناسب أقوات تلك الأجساد، وما يتلاءم معها زماناً ومكاناً وعدداً، وانظر إلى بعض البلاد التي سكانها يتجاوزون المليار، ويحتاجون إلى مئات

(١) [تفسير ابن سعدي: ٣٠٢/٥]

الملايين من الأطنان من كافة أنواع الأرزاق يومياً، ومع ذلك فلا يُعجزه رزقهم، وتأمين قوتهم.

ولقد طمأن الله عباده بضمان هذه الأرزاق والأقوات فلا يمنعها عنهم أحد، وذكر هذا الضمان في صيغة الماضي لتحقق وقوعه فيزدادون طمأنينة لو عد ربهم، فقال تعالى:

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَن يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَ مِمَّنْ شَيْءٌ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الروم: ٤٠]

فالله إذا خلق ضمن، وإذا رزق أكفى، فلماذا يحمل أحدنا هم قوته وقوت ولده، ويعيش مضطرباً مهموماً مغموماً والله هو **(المُقيت)**.

وإذا تأملت هذه الأقوات وجدتها متنوعة تنوعاً عجباً، وتأتي في أوقات وفصول مختلفة تناسب المتفعين بها، فسبحان الرحيم الخبير بحال عباده.

ومن أنواع القوت: **قوت العقل وحسن التدبير** الذي

يسير بها المرء - بإذن الله - مصالحه في الدنيا، فحاجة العبد لمعونة الله في هذا الشأن عظيمة، واضطرارها لتدبيره كبير، فمن رحمة الله به هدايته ودلالته في شؤونه.

وأشرف أنواع القوت: **قوت القلوب بالإيمان والهدى**

والعلم النافع، وهذا هو القوت الذي يحرص عليه المؤمن، ويبذل الجهد للترؤد منه، فهو سعادة النفس، وزاد الروح الحقيقي، والذي يجد معه العبد الطمأنينة، وذوق حلاوة الإيمان، وهذا هو القوت الأنفع للمرء، فمهما فات العبد من أقوات البدن أو تعكرت أموره الدنيوية، فإن ما أدركه من قوت الإيمان يُعوّض كل ما فات، فما الدنيا وما حطامها الفاني عند قوت الإيمان؟! ولكن النفوس عجولة وتؤثر العاجلة.

وكل هذه الأقوات من الله وحده، وتطلب ببذل الأسباب،

وصدق اللجوء إلى الله.

الله في رحاب العظمة الله

فاللهم ارزقنا من واسع فضلك ما نحيا به في الدنيا حياة
طيبة، وما ننال به في الآخرة من الباقيات الصالحات.



﴿ (١١٠) الوتر ﴾

وقد جاء ذكر هذا الاسم في السنة، يقول رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وإنَّ اللهَ وَتَرٌ» (١).

فاللهُ واحدٌ أحدٌ صمدٌ لا شريك له ولا نظير، ولا ندُّ له ولا مثل، موصوفٌ بصفات الكمال، منعوتٌ بنعوت الجلال.

قد باين خلقه بصفاته التي لا مثل لها ولا شبيهه، قال الخطابي: (فهو وَتَرٌ، وجميع خلقه شفع، خُلِقُوا أَزْوَاجًا،

قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (٤٩) [الذاريات: ٤٩] (٢).

فلا يمكن للخليقة أن تعتدل وتستقرَّ أمورها إلا بالزوجية، فهي لا تهناً بالأحادية والفردية، أمَّا رَبُّنَا عَزَّوَجَلَّ فذاته فردية صمدية لا يحتاج لأحد.

(١) متفق عليه.

(٢) [شان الدعاء: ٢٩].

وصفاته فردية قد استغنى عن كل أحد، قال الله - عن نفسه الشريفة - : ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝٤﴾ [الإخلاص: ١-٤]

و(الوتر) هو: (الذي لا ينبغي لشيء من الموجودات أن يضم إليه فيعدّ معه) قاله الحلبي (١).

فمن عرف ربه بهذه الصفة نزّهه عن الشبيه والنظير والند والمثيل، فسبحانه وتعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ۝١١﴾ [الشورى: ١١]

وهو جلّ جلاله لا يشبهه شيء من المخلوقات، ولا يصحّ للعباد أن يجعلوا له شبيهاً لا في أسمائه ولا في صفاته ولا أفعاله.

- وله المثل الأعلى، أي: الوصف الكامل، فكل وصف كمال، فالله متصّف به، وله من ذلك الكمال أكمله، فلا يُوصف ربنا بصفات المخلوقين، قال تعالى:

(١) [مختصر النهج الأسمى: ٥٢٣]

﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ [النحل: ٦٠] فذاته لا تشبه الذوات،

وصفاته لا تشبه الصفات، وأفعاله وأقداره لا تشابه

أفعال المخلوقين، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿هَلْ نَعْلَمُ لَهُ،

سَمِيًّا ﴿٦٥﴾ [مريم: ٦٥] وقال عزَّوَجَلَّ: ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا

يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ [الأنعام: ١٠٠] أي: تنزيهاً وتقديساً له عن

كل وصفٍ يخطر ببال بشرٍ.

ولو كان له مثل لأحاطت به علوم البشر؛ ولكنه سبحانه

تنزّه وتقدّس عن كل وصف يجول في رأس إنسان، قال

سبحانه: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ، عِلْمًا ﴿١١٠﴾﴾ [طه: ١١٠]

وكما أنه وتر في ذاته، فهو الوتر في صفاته، واسوأ الناس

عقلاً، وأبلدُهم ذهنًا - **المشرك بالله تعالى** - فإنَّ مَنْ عرف

كمال الله، وعظمة ذاته، وجلالة صفاته، وجميل إحسانه

على عبده أيقن أنَّ المشرك أعظم الخلق ظلمًا، وأشدَّهم

تعدّيًا وجرمًا، فقد صرف عبادة الإله الكامل من كلِّ وجه

إلى الآلهة الناقصة من كلِّ وجه.

أكثر طوائف أهل الأرض اليوم - هم النصارى - وانظر في عقيدتهم الفاسدة، فطائفةٌ منهم يعتقدون بأن عيسى ابن الله، فهل يُعقل لإله عظيم أن يكون له ولد وهو الغني الحميد؟!!

وكيف يكون إله من احتاج إلى الزوجة والولد؟!!

فمن احتاجهما لا ينفع أن يكون إلهًا لو عقِلوا!!

فصفة الإله الحق أنه: إله غني حميد لا يحتاج إلى أحد
لكمال صفاته، وغناه المطلق عن العالمين.

وبعض النصارى يعتقد بألوهية عيسى ومريم وروح القدس، وهو - كما ترى - تخبط عجيب في أعظم قضية للمراء في حياته (وهي: قضية التوحيد)

هذا حال الأمة الكتابية والذين هم أهل كتاب، وأمّا الطوائف الأخرى فعقيدتهم يترفع عنها الصغار كحال من يعبد حجراً أو صنماً يصنعه بيده أو يعبد حيواناً ويتخذه إلهًا، فيا لله العجب!

والتوحيد حق الله الخالص، فمن تعدى عليه، أو خدشه بأدنى أنواع الشرك فقد عرض نفسه لأشد العقوبات، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ

وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨]

وهو **(الوثر) في أسمائه**، فأسمائها لا مثل لها ولا عديل، ولئن تشابهت مع غيرها من الأسماء في اللفظ فإن لها دلالات ومعاني لا تُماثله أسماء المخلوقين.

والله **(وثر) في أفعاله**، فأفعاله ليست كأفعال البشر بل هي كاملة في كل وجه من الإتيان، والعدل، والرحمة، والإحاطة، وحسن التدبير، فسبحان من له الكمال، وتنزه عن الشر والنقص، وهو العلي الكبير، وقد تقدم ذكر تفاصيل هذا فيما سبق.

فاللهم ارزقنا تعظيمك حق التعظيم، وإجلالك حق الإجلال، وعبادتك حق العبادة.

﴿ ١١١ ، ١١٢ ، ١١٣ ﴾ ذو المعارج وذو الطول وذو الفضل

ومن أسماء الله (ذي المعارج وذي الطول وذي الفضل) ذكره غير واحد من أهل العلم، ويرى بعضهم أنه مضاف إلى الله وليس من الأسماء.

يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿مَنْ أَلَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ﴾ [المعارج: ٣] قال ابن جرير رَحْمَةُ اللَّهِ: (يعني: ذَا الْعُلُوِّ وَالْفَوَاضِلِ وَالنَّعْمِ) (١).

فالله له الدرجات العلى، وله الفضل الأتم، والمنة الكبرى على العباد، وهو الذي يُصْعَدُ إِلَيْهِ بِأَعْمَالِ الْعِبَادِ وَأَرْوَاحِ الْمُؤْمِنِينَ.

وصعود الأعمال والأرواح إليه فيه من دلائل العظمة والعلم والإحاطة لله ما يُدْعَنُ لَهَا كُلُّ مُؤْمِنٍ بِعِظْمَةِ رَبِّهِ، فكم يصعد في اللحظة الواحدة من عمل صالح وسيئ، وكم يصعد في اللحظة الواحدة من أرواح، وكم ينزل في اللحظة

(١) [تفسير ابن جرير: ٢٩ / ٤٤].

الواحدة من أوامر وأقدار في عظمة لا يملك أمامها المؤمن الحق إلا التسبيح لله الملك العظيم.

فسبحان من هو كل يوم في شأن، وسبحان من قدر وخلق وعلم كل شيء في كمال لا نظير له ولا مثل.

وينبغي للعبد المؤمن أن يستحضر عروج عمله في السماء، فيسعى لأن يكون صالحًا يُشرفه في (الملا الأعلى) ويعلو به ذكره وقدره ومنزلته، فالعمل الصالح له مكانته، فهو يُذكر بصاحبه في الملكوت الأعلى كأشرف ما يكون له، فهنيئًا لعبد لم يزل يُرفع له من العمل ما يُذكر به، وتأمل في حال أشرف الأمة من العلماء الذين لم تزل حسناتهم تتضاعف، وذكرهم باق لبقاء آثارهم، لتعرف فضل العلم والتعليم، فلتكن لك همّة عالية بأن يبقى لك أثرًا يُذكر بك.

واستحضر علو الله وعظمته على الدوام، واستحضر فضله عليك بالدلالة عليه.

وهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى (ذو الطول): وورد هذا الاسم مرة واحدة وذلك في قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهٌ الْمَصِيرُ﴾ [غافر: ٣]

أي ذي الفضل، والنعم المبسوطة على من شاء من خلقه، فالطَّوْل هو: الفضل.

قال الحليمي: (ذو الخير الكثير الذي لا يعوزه من أصناف الخيرات شيء إن أراد أن يُكرم به عبده، وقد تفضل على عباده بنعم لا يطيقون القيام بشكر واحدة منها، فضلاً عنها مجموعة)^(١).

ونعم الله لا يمكن لمخلوق أن يُحصيها أو يُؤدي شكرها، ولكن الله يرضى باليسير من الشكر، ويعفو عن كثير من التقصير، وأوجب الواجبات في شكر نعم الله استخدماها في طاعته، وعدم كفرانها، فالنعم تقرّ عند العبد ما دام لها شاكرًا، أمّا إذا كفرها ترحّلت عنه، فكن من الشاكرين،

(١) [مختصر النهج الأسمى: ٤٨٥]

وأسندها كلها لرب العالمين.

وهو **(ذو الفضل)**: (أي: أنه صاحب الفضل على العباد في أمور دينهم ودنياهم، فكل نعمة وصلتهم فهي من عنده ابتداءً وتفضلاً من غير استحقاق منهم عليه) قاله القرطبي.

وقال رَحْمَةُ اللَّهِ: (فالله سبحانه ذو الفضل العظيم، والإحسان العميم، أعطى خلقه ما لا يلزمه، وتفضل عليهم بما لا يجب عليه، فسبحانه من كريم رؤوف رحيم، تفضل على جميع خلقه بنعمته، وعلى المؤمنين بدار كرامته)^(١).

وفضل الله لا يردّه حسد حاسد، ولا سعي ماكر، ولا تدبير مجرم، فهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إِذَا أَرَادَ إِكْرَامَ عَبْدٍ أَعْطَاهُ مَا شَاءَ، وَإِنْ اجْتَهَدَ الْمُبْغِضُونَ بِمَنْعِهَا، وَكَمْ فِي دُنْيَا النَّاسِ مَا يَدُلُّ عَلَى هَذَا، فَعَلَّقَ قَلْبَكَ بِاللَّهِ، وَأَمَّلْ بِرَبِّكَ كُلَّ خَيْرٍ، قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [يونس: ١٠٧] وقال: ﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ

(١) [تفسير القرطبي]

لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ

[فاطر: ٢]

ومن فضله على عبده المؤمن حمايته من عدوه، وحفظه من الماكرين، ولئن كان يجري عليه بعض المصاعب والمحن فإنما هي رفعة وابتلاء له، وفتنة للناس.

ومن فضله على عبده المؤمن تثبته يوم تزل الأقدام، وتموج أمواج الفتن فيربط على قلبه ويشته، ويبعد عنه نزغات الشيطان، ويحميه من الزيغ والانحراف.

ومن فضله على عبده المؤمن التقي تنوير بصيرته، وتكفير سيئاته؛ ومغفرة ذنوبه؛ وتزكية نفسه، والواحدة من هذه الفضائل خير من الدنيا وما عليها.

وأعظم النعم، وأسبغ أنواع الفضل: ما من به على خاصة عباده من نعمة الدينية، فهي ممتدة لا انقطاع لها ولا انتهاء، فمال المنعم عليهم جنة لا نهاية لها، ولا انقطاع لنعيمها المقيم، وسينالون من فضل الله ما لا يخطر على بال، فلذا

ينبغي لأهل الإسلام أن يلحظوا فضل الله عليهم بهذه النعمة، ولو استحضرواها على الدوام لأمضينا بقية عمرنا شاكرين حامدين ربنا، ولكنّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عِلْمِ بضعفنا فتجاوز عنا وغفر لنا وقبِلَ اليسير من العمل.

ومن عرف ربه بهذه الصفات تعلّق قلبه به وحده، وأسند كل نعمة هو فيها إليه، فاللهم ارزقنا شكر نعمتك وحسن عبادتك وجميل الثناء عليك.

اللهم ابتدأتُ هذا الكتاب باسم (الله) لأنه أعظم الأسماء وإليه تعود، وتبرّكاً بهذا الاسم العظيم، واختتمته باسم (ذي الفضل) تيمناً وطمعاً بفضلك وإحسانك، فاللهم أعطنا من الخير فوق ما نُؤمّل، وعاملنا بفضل وإحسانك يا ذا الفضل والإحسان.

اللهم اجعلنا لك ذاكرين منيبين مخبتين خاضعين، وأكرمنا بقبول العمل الصالح الذي يشوبه ما يشوبه من الخلل ولكنك أنت أهل الفضل والإحسان.

اللهم اجعلنا - يا أرحم الراحمين - دليلين عليك، واغفر
لنا ذنوبنا كلها دقها وجلّها، ظاهرها وباطننا.
عاملنا بما أنت أهله ولا تعاملنا بما نحن أهله، فأنت
أهل التقوى وأهل المغفرة.
والحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على إمام
المرسلين.

كتبه

العبد الفقير لفضل ربه

عادل بن عبدالعزيز بن أحمد الجهني



المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- أحكام القرآن للقرطبي
- أحكام أهل الذمة لابن القيم.
- الأدب المفرد للإمام البخاري.
- الأسماء والصفات للبيهقي.
- الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى للقرطبي
- اشتقاق الأسماء للزجاجي
- أضواء البيان للشيخ الأمين الشنقيطي
- الاعتقاد للبيهقي.
- إغاثة اللفهان من مصائد الشيطان لابن القيم.
- بدائع الفوائد لابن القيم.
- التبيان في أقسام القرآن لابن القيم.

- التحرير والتنوير للامام ابن عاشور.
- التعليق على القواعد المثلي للشيخ عبدالرحمن البراك.
- تفسير ابن كثير.
- تفسير أسماء الله الحسنی لابن سعدي.
- تفسير البغوي.
- تفسير الشيخ ابن عثيمين.
- تفسير الطبري
- تفسير القرطبي
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لابن سعدي.
- الثمر المجتبی مختصر شرح أسماء الله الحسنی للشيخ سعيد بن وهف القحطاني.
- جلاء الافهام في فضل الصلاة والسلام على محمد خير الأنام لابن القيم.

- الجواب الكافي لابن القيم
- الحجة في بيان المحجة لأبي القاسم الأصبهاني.
- الحق الواضح المبين لابن سعدي.
- درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية.
- الرسالة التبوكية لابن القيم.
- الروح لابن القيم.
- زاد المسير لابن الجوزي.
- زاد المعاد لابن القيم.
- سنن ابن ماجه.
- سنن أبي داود
- سنن الترمذي.
- سنن النسائي
- شأن الدعاء للخطابي.

- شرح الطحاوية للشيخ عبدالعزيز الراجحي
- شرح العقيدة الأصفهانية لابن تيمية
- شرح العقيدة الطحاوية للشيخ عبدالرحمن البراك
- شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري للشيخ
عبدالله الغنيمان
- شرح مسلم للنووي.
- شفاء العليل لابن القيم
- صحيح ابن حبان.
- صحيح البخاري
- صحيح الترغيب والترهيب للإمام الألباني.
- صحيح الجامع الصغير للإمام الألباني.
- صحيح مسلم
- صفات الله للسقاف

- الصواعق المرسلة لابن القيم.
- طريق الهجرتين لابن القيم.
- العقيدة الطحاوية للإمام الطحاوي
- العلو للذهبي.
- فتح الباري لابن حجر .
- فتح الملك الرحيم العلام لابن سعدي.
- الفروق اللغوية للعسكري
- فضل علم السلف على علم الخلف لابن رجب
- الفوائد لابن القيم.
- فيض التقدير للمناوي
- الكافية الشافية لابن القيم
- كتاب الصلاة لابن القيم.
- لسان العرب لابن منظور.

- مجموع الفتاوى لابن تيمية.
- مجموع فتاوى ورسائل الشيخ ابن عثيمين
- مختصر الصواعق المرسلة.
- مختصر النهج الأسنى لمحمد حمود النجدي
- مختصر منهاج القاصدين لابن قدامة.
- مدارج السالكين لابن القيم.
- مسند الإمام أحمد.
- مفتاح دار السعادة لابن القيم.
- مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني.
- المقصد الأسنى للغزالي.
- المنهاج في شعب الإيمان للحليمي.
- موسوعة الأسماء الحسنی نوال العيد.
- موسوعة فقه القلوب للتويجري

- النبوات لابن تيمية.
- النهاية في غريب الحديث لابن الأثير
- النهاية لابن الأثير.
- النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنی لمحمد حمود النجدي
- الوابل الصيب لابن القيم.



الفهرس

٥	مقدمة
٩	ثمرات العلم بالله بأسماء الله الحسنى
١٩	(١) الله
٣٠	(٢) الربُّ
٤١	(٣) الرحمن
٥٠	(٤) الرحيم
٦٠	(٥) الغنى
٧٠	(٦) الحميد
٨١	(٧، ٨، ٩) العالم، العليم، علام الغيوب
٩٣	(١٠، ١١) الرزاق، الرزاق
١٠٦	(١٢) الخبير
١١٥	(١٣) العظيم
١٢٤	(١٤) اللطيف
١٣٤	(١٥) التواب

- ١٤٣ (١٦) الودود ❁
- ١٥٦ (١٧ ، ١٨) القوي، المتين ❁
- ١٦٧ (١٩) العَفُو ❁
- ١٧٤ (٢٠) العزيز ❁
- ١٨٥ (٢١ ، ٢٢) الحَكَم، الحَكِيم ❁
- ١٩٧ (٢٣) الصمد ❁
- ٢٠٦ (٢٤ ، ٢٥) الكريم، الأكرم ❁
- ٢١٧ (٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨) الغفور، الغفار، الغافر ❁
- ٢٢٦ (٢٩ ، ٣٠) الواحد، الأحد ❁
- ٢٣٥ (٣١ ، ٣٢ ، ٣٣) الملك، والمالك، والمليك ❁
- ٢٤٥ (٣٤) السميع ❁
- ٢٥٧ (٣٥) البصير ❁
- ٢٦٨ (٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨) الأَعْلَى، العَلِيِّ، المُتَعَالِي ❁
- ٢٨٠ (٣٩) الحَيَّ ❁
- ٢٩١ (٤٠) القَيُّوم ❁

الله في رحاب العظمة

- ٢٩٩ (٤١) الأَوَّلُ ❁
- ٣٠٧ (٤٢) الآخر ❁
- ٣١٤ (٤٣) الظاهر ❁
- ٣١٩ (٤٤) الباطنُ ❁
- ٣٢٥ (٤٥ ، ٤٦) القُدُّوسُ ، السُّبُّوحُ ❁
- ٣٣٩ (٤٧) السلام ❁
- ٣٤٨ (٤٨) المؤمنُ ❁
- ٣٥٨ (٤٩) المهيمن ❁
- ٣٦٦ (٥٠ ، ٥١) الخالق ، الخلاق ❁
- ٣٧٨ (٥٢ ، ٥٣) البارئُ ، المصوِّرُ ❁
- ٣٨٦ (٥٤) الوارث ❁
- ٣٩٦ (٥٥) المجيد ❁
- ٤٠٤ (٥٦) النورُ ❁
- ٤١٥ (٥٧ ، ٥٨) الشاكر ، الشكور ❁
- ٤٢٥ (٥٩) الحق ❁

- ٤٣٦ (٦٠) الوهاب
- ٤٤٥ (٦١) الشهيد
- ٤٥٦ (٦٢ ، ٦٣) القاهر، القهار
- ٤٦٥ (٦٤) الرؤوف
- ٤٧٢ (٦٥) البرُّ
- ٤٨١ (٦٦) الواسع
- ٤٩١ (٦٧ ، ٦٨) القريب - المجيب
- ٥٠٢ (٦٩ ، ٧٠) المُقَدِّم - المؤخِّر
- ٥١٣ (٧١ ، ٧٢ ، ٧٣) الوكيل - الكفيل - الكافي
- ٥٢١ (٧٤) الجبَّار
- ٥٢٩ (٧٥ ، ٧٦) المُعْطِي - الجواد
- ٥٤٠ (٧٧ ، ٧٨) القابض، الباسط
- ٥٥٤ (٧٩ ، ٨٠) الولي - المولى
- ٥٦٤ (٨١) الرفيق
- ٥٧٢ (٨٢ ، ٨٣) الحَيِّ - السَّتِير

- ٥٨٢ المتكبر - الكبير (٨٤ ، ٨٥) ❁
- ٥٩٢ الغالب، الناصر، والنصير (٨٦ ، ٨٧ ، ٨٨) ❁
- ٦٠٥ المحسن (٨٩) ❁
- ٦١٦ الطيب (٩٠) ❁
- ٦٢٤ الشافي (٩١) ❁
- ٦٣٤ الجميل (٩٢) ❁
- ٦٤٣ الرقيب (٩٣) ❁
- ٦٥٠ الفتاح (٩٤) ❁
- ٦٦٣ الهادي (٩٥) ❁
- ٦٧٤ الحسيب، الديان (٩٦ ، ٩٧) ❁
- ٦٨٨ الحفي (٩٨) ❁
- ٦٩٣ القادر - القدير - المقتدر (٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠١) ❁
- ٧٠٣ الحافظ، الحفيظ (١٠٢ ، ١٠٣) ❁
- ٧١٢ المنان (١٠٤) ❁
- ٧٢١ المحيط (١٠٥) ❁

٧٢٩	(١٠٦) الحليم
٧٣٧	(١٠٧) السيد
٧٤٠	(١٠٨) المبين
٧٤٨	(١٠٩) المقيت
٧٥٣	(١١٠) الوتر
٧٥٨	(١١١ ، ١١٢ ، ١١٣) ذو المعارج وذو الطَّوْلِ وذو الفضل
٧٦٥	المصادر والمراجع
٧٧٢	الفهرس



التصميم الداخلي للكتاب

TharwatSultan@yahoo.com

ترويض سلطان

Tharwat Sultan

للتواصل:  

00201019530152